

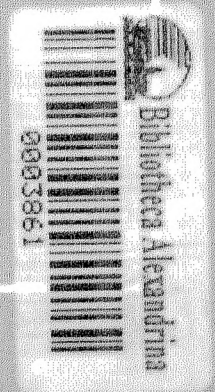
جغرافية المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني

إقليم جنوب غرب المملكة



تأليف الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف



جغرافية المملكة العربية السعودية

جغرافية المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني
إقليم جنوب غرب المملكة

تأليف

الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف
أستاذ الجغرافيا المشارك بكلية الآداب
جامعة الملك سعود



الرياض - ص ١٠٧٢٠

© طبعة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ الرياض

دار المريخ للنشر

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يجوز استنساخ أى جزء من

هذا الكتاب أو اختراعه بأى

وسيلة الا بإذن خطى من

الناشر .

محتويات الكتاب

(أ) المواضيع :

الموضوع	صفحة
المحتويات	٥
المقدمة	١٣
الباب الأول	
تمهيد	١٧
الفصل الأول	
الاقليمية والأقاليم الجغرافية في المملكة العربية السعودية	١٩
تعريف الاقليم	٢١
مشاكل الاقليمية	٢٥
أقاليم المملكة	٣٠
الفصل الثاني	
اقليم جنوب غرب المملكة	٣٣
ملاحظ البيئة الطبيعية	٣٦
١ - التركيب الجيولوجي	٣٦
٢ - نماذج أشكال الأرض	٣٩
٣ - المناخ	٤٣
٤ - المواد المائية وأحواض التصريف	٥٣
٥ - توزيع التربة	٦٦
٦ - النبات الطبيعي	٦٩
٧ - الحياة الحيوانية	٧٧

الفصل الثالث

صفحة

الملاخ البشرية في جنوب غرب المملكة	٨١
١ - السكان حاليا وتوزيعهم في الاقليم	٨٤
٢ - الخصائص الديمغرافية لسكان جنوب غرب المملكة	٨٨
٣ - التوزيع الأقليمي لنمو السكان	٩٧
٤ - مستقبل سكان الاقليم	٩٨
٥ - التقسيم النوعي للسكان	١٠٠
٦ - التركيب العمري للسكان	١٠٣
٧ - أنماط المعيشة	١٠٤
٨ - النشاط الاقتصادي	١١٨

الباب الثاني

أقاليم جنوب غرب المملكة	١٣٣
-------------------------------	-----

الفصل الرابع

منطقة جيزان	١٣٧
البيئة الطبيعية في جيزان	١٣٩
نشاط السكان	١٥٣
١ - السهول الساحلية	١٦٥
٢ - منطقة جبال جيزان	١٧٧
٣ - تهامة عسير في منطقة جيزان	١٨٥
٤ - نمو المدن في منطقة جيزان	١٩٢
٥ - نظرة إلى مستقبل منطقة جيزان	٢٠٣

الفصل الخامس

منطقة القنفذة	٢٠٥
البيئة الطبيعية لمنطقة القنفذة	٢٠٦
المناخ والنبات	٢١٤
نشاط السكان	٢١٥
١ - القسم الشمالي من نجد تهامة عسير	٢٢١
٢ - اقليم نجد تهامة القنفذة	٢٢٦
٣ - اقليم نجد تهامة الباحة	٢٣١

صفحة

٢٤٤	٤ - اقليم نجرود تهامة الليث
٢٥٢	٥ - اقليم سهل القنفذة الساحلى
٢٦٥	٦ - اقليم سهل الليث الساحلى

الفصل السادس

٢٧٥	منطقة سروات عسير
٢٧٧	البيئة الطبيعية لمنطقة سروات عسير
٢٨٦	نشاط السكان
٢٩٢	أقسام السروات
٢٩٣	١ - بلاد وادعة
٢٩٦	٢ - بلاد قحطان
٢٩٧	٣ - سراة عبيدة
٣٠٠	٤ - عالية وادى بيشة
٣٠٣	٥ - منطقة أبها وخميس مشيط
٣١٥	٦ - سراة الحجر
٣٣٣	٧ - سراة بالقرن وشمران وخثعم

الفصل السابع

٣٤٣	منطقة سروات الحجاز
٣٤٣	البيئة الطبيعية لمنطقة سروات الحجاز
٣٤٥	نشاط السكان
٣٥٠	أولا - سراة الباحة
٣٥٣	١ - مقاطعة بلجرشى
٣٥٨	٢ - مقاطعة الباحة
٣٦٥	٣ - سراة زهران
٣٧٥	ثانيا - الاقليم الجبلى فى جنوب الطائف
٣٨٠	١ - قضاء القريع
٣٨٣	٢ - حداد بنى مالك
٣٨٥	٣ - بلاد ثقيف
٣٨٦	٤ - قضاء ميسان (بالهارث)
٣٨٨	٥ - قضاء بنى سعد

الفصل الثامن

صفحة

٣٩١	منطقة نجران
٣٩١	البيئة الطبيعية في نجران
٣٩٥	نشاط السكان
٤٠٠	١ - الحوض الأعلى لوادي نجران
٤٠٢	٢ - الحوض الأوسط لوادي نجران
٤٠٦	٣ - الحوض الأدنى لوادي نجران
٤٠٧	٤ - الحوض الأعلى لوادي حيوة
٤٠٨	٥ - الحوض الأوسط لوادي حيوة
٤٠٨	٦ - الحوض الأدنى لوادي حيوة
٤٠٩	٧ - مضبة بدر
٤١٠	٨ - عرض وادي يمدة

الفصل التاسع

٤١٣	حوض وادي تثليث
٤١٣	مضبة صوم
٤١٥	حوض وادي تثليث
٤١٥	البيئة الطبيعية والبشرية في وادي تثليث
٤١٨	١ - قضاء الأسراء
٤١٩	٢ - القسم الغربي من عالية تثليث
٤٢٣	٣ - قضاء المضبة
٤٢٥	٤ - قضاء تثليث
٤٢٨	٥ - قضاء العين

الفصل العاشر

٤٣١	حوض وادي ييشة
٤٣١	البيئة الطبيعية في حوض وادي ييشة
٤٣٤	نشاط السكان
٤٣٦	١ - الحوض الأوسط لوادي ييشة
٤٤١	٢ - الحوض الشرق لوادي ييشة الأوسط
٤٤٣	٣ - منطقة ييشة

غطاء فقير استغله البدو في تربية الحيوانات . ولذلك ارتفعت نسبة البدو في هذه المناطق بالقياس الى المستقرين .

ولكن - ولأسباب بشرية - يمكن أن ندخل تعديلا على هذا التقسيم وندرسه على النحو التالى وبشيء من التفصيل :

١ - السهل الساحلي في منطقة جيزان :

يطلق على المنطقتين أ ، ب اسم سهل تهامة ويعتبر بمثابة السهل الساحلي الذى يمتد بمحاذاة شاطئ البحر بعرض يتراوح بين ٣٠ - ٤٥ كم فيما بين الحدود مع اليمن جنوبا حتى الشقيق شمالا وينقسم الى ١٨ وحدة إدارية تتبع جميعا إمارة جيزان يطلق على كل منها اسم إمارة فرعية . وسنفضل استعمال كلمة قضاء للدلالة عليها خشية الالتباس بين أمارة وإمارة فرعية أو تابعة . وتتأثر حدود الأقضية في الغالب بأحواض الوديان بسبب تأثيرها بتوزيع ملكيات القبائل والظروف القبلية ، وهذه متأثرة في الأصل بإمكانية الانتاج وتوزيع الوديان ، ولهذه التوزيعات جذور تاريخية .

بلغ عدد سكان الأقضية التى تشكل السهل الساحلي في سنة ١٩٧٤ م (١) ٢٨٥٥٦٣ منهم ١٤١٩٤١ من الذكور و ١٤٣٦٢٢ من الاناث . ويدل نقصان عدد الذكور عن عدد الاناث على أثر هجرة الشباب الذكور من هذه المناطق الريفية للفتيش عن أعمال في مدن المملكة الرئيسية ومناطق التنمية فيها .

ويدل كبر هذه الأرقام من ناحية ثانية على ازدهار السكان وارتفاع كثافتهم بسبب كثافة الانتاج الزراعى . اذ تبلغ الكثافة في هذا السهل اجمالا ٢٨ فرد/كم^٢ وهذا يفسر كثرة القرى حيث وجد فيها ١١٧٢ قرية وبلدة أى بنسبة ٧٦٪ من قرى المملكة ، كما يفسر أيضا قلة عدد البدو ، إذ لم يكن فيه سوى ٦٢١١ فردا منهم تواجدوا في القسم الشمالى منه ومازالوا يعيشون في بيوت الشعر ، في حين أن المزارعين كانوا يعيشون في أعشاش مصنوعة من القش والطين . ويمكننا أن نقسم هذا السهل الهام الى عدد من الأقسام حسب توزيع أحواض الوديان ، يضم كل منها عددا من الأقضية ، أى الوحدات الإدارية :

(١) جميع أرقام أعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م الواردة في هذا الفصل أخذت من تعداد السكان الذى صدرت نتائجه في ١٩٧٧ والصادر عن مصلحة الإحصاءات العامة .

أ — قضاء الموسم :- ويقع في أقصى امتداد للمملكة العربية السعودية باتجاه الجنوب ،
أى الى الشمال مباشرة من الحدود اليمنية — السعودية في منطقة الساحل ، شمال
٢٢-١٦ ش . وذلك في حوض وادى حرض الذى ينحدر من جبال اليمن ويشكل دلتا
من الرسوبيات الطموية ، يبدأ رأسها على بعد ١٨ كم ، خضعت بكاملها للزراعة .

وقد نشأ في هذا السهل ١٨ قرية أهمها بلدة الموسم ، وهى بلدة حدودية تقابل ميناء
ميدى اليمنى وتبعد ٨ كم عن شاطئ البحر . ومن القرى الأخرى : الزربة وتقع الى
الغرب من الموسم ، والعكاشيم وقطينة والكدمى الى الشرق منها ، والعرجين والقنبور
والأسودية والحفيرة وتقع قرب حافة السهل الرسوبى في الجنوب الشرقى (١) .

لم يتجاوز عدد سكان القضاء سنة ١٩٧٤ ٤٥٠٠ نسمة ، ولكن مساحته أيضا لم
تتجاوز ٤٠٠ كم^٢ مما يجعل الكثافة لا تتجاوز ١١ فردا للكيلو متر المربع أى دون الكثافة
في اماره جيزان ككل . ولكن تبين أن أكثر من ٦٠٪ من السكان كانوا من الذكور مما
يدل على أثر الهجرة اليها بسبب وقوعها على الحدود مباشرة ، مما يقتضى استقطاب عدد
من الموظفين الذكور اليها .

ب — حوض وادى تعشر : يقع وادى تعشر الى الشمال من وادى حرض ، ولكنه
يختلف عنه بأنه يسير أكثر من ٥٠ كم في الأرض السعودية بعد أن تنحدر روافده من
جبال اليمن . وهو يتكون في الواقع من اجتماع عدد من الروافد أهمها : وادى مغيلة
ووادى لية الى المجرى الرئيسى . وقد شكلت هذه الروافد وكذلك المجرى الرئيسى سهلا
رسوبيا واسعا متصلا ، مما حول المنطقة بكاملها الى مساحات خاضعة للإنتاج الزراعى
بفضل غناها بالموارد المائية المنحدرة من الجبال تظهر على الخرائط بامتداد ٥٠ كم
شرق - غرب وبعرض يصل احيانا الى ٢٠ كم . وهذا يفسر كثرة القرى الزراعية
وارتفاع عدد السكان ، وطبعهم بالطابع الريفى . فقد وجد في هذه المنطقة التى
لا تتجاوز مساحتها كثيرا ١٠٠٠ كم^٢ نحو ١٨٠ قرية تجاوز سكانها ٥٠٠٠٠ نسمة .
فترتفع الكثافة فيها الى نحو ٥٠ نسمة/كم^٢ .

وقد قسمت هذه المنطقة إداريا الى ثلاثة أقضية هي :

(١) من أجل هذه المواقع أنظر مجموعة لوحات منطقة جيزان . مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ . عمل شركة اسيا
ايروسيرفى - سيول كوريا .

١ — قضاء الطوال : ويحتل مساحة صغيرة الى الشمال من خط الحدود ، والى الشمال الشرقى من قضاء الموسم ، وذلك فى الحوض الأوسط لوادى تعشر ، أى الرافد الجنوبى للوادى وقبل اجتماعه بوادى مغياله . ولا تزيد مساحة هذا القضاء عن ١٥٠ كم^٢ خضعت أرضه لرى الحياض باجمعها ونشأ فى وسطها ٣٩ قرية ، بلغ عدد مستوطنها نحو ١١٠٠٠ نسمة ، من أهمها قرية الطوال التى تقع جنوب الوادى فى وسط السهل ، وقد تحولت الى بلدة حدودية . ومن قراه أيضا : عنطوة والشهمانية العليا والسفلى وتقعان الى الغرب منها ، وماغص وشعب الديب ومحرقه والمجنة والخوجرة والمصفق والمكنبل والخيث ووعلان والمعراب والخلفة والغاوية والمجروب فى الاتجاهات الأخرى .

٢ — قضاء صامطة : ويقع الى الشمال من القضاءين السابقين ، وتنطبق حدوده الشرقية على جزء من حدود المملكة مع اليمن ، ويفصله عن البحر غربا قضاء المضايا . ويحتل قضاء صامطة حوض وادى تعشر الأدنى حيث تلتقى روافد الوادى الرئيسية الثلاثة فيتشكل سهل يزيد عرضه عن ٢٠ كم ويمتد بامتداد الروافد يتكون من الرسوبيات الطموية ، خضع فى سنة ١٣٩٤هـ (٤٨) كم^٢ منها لزراعة رى الحياض أى نحو ١١٪ من مساحة الأرض الزراعية فى اقليم جيزان ، فى حين أنه يضم — بالإضافة الى ذلك — مثل هذه النسبة من مساحة الأرض القابلة للزراعة فيه .

ولذلك كان قضاء صامطة من أكثر الأقضية سكانا بفضل الزراعة ؛ إذ تواجد فى وسط الحقول الزراعية ١٣٨ قرية متوسطة أو كبيرة الحجم بلغ تعدادها فى سنة ١٣٩٤هـ ٣٨٠٠٠ نسمة . ولأيتوقع أن يكونوا قد زادوا فى الفترة التالية . وأهم هذه القرى : صامطة التى تحولت الى بلدة كبيرة حينما تبوأ قاعدة القضاء ، وتقع على وادى لية ، ويصل اليها طريق مزفلت قادم من جيزان . ومنها الحراية والعامرية والدرعية وتقع الى الغرب منها على الحافة الشمالية للدلتا ، والركوبة والجادى وأبو حجر الأسفل والأعلى والوتد وتقع على الحافة الشمالية لحوض لية ، ومجفر والحياينة والقائم واللقية والشعب والقفل الى الشرق .

٣ — الجزء الجنوبى من قضاء المضايا : ذلك الجزء الواقع فى سافلة وادى تعشر ويحتل الواجهة البحرية لهذه المنطقة الى الشمال من واجهة الموسم . ولذلك يمكن التمييز بين الجزء الواقع فى حوض الوادى والذى يعتبر امتدادا طبيعيا لسهل صامطة الرسوبى ، والذى يضم أراضي زراعية وفيه قرى ؛ وبين الجزء الشاطئى الذى يفصل الاجزاء

السابقة عن شاطئ البحر . ولما كان السهل الشاطئي بعرض ٤ - ٥ كم بين خط الشاطئ والداخل يتعرض لحقن مياه البحر المالحة ، صارت معظم مساحته غير صالحة للزراعة ، وضعيفة الموارد إجمالاً ، علاوة على أن الشعاب المرجانية أعاقَت أى استفادة من البحر ، فكان هذا الجزء قاحلاً شبه خال من السكان .

جـ - حوض وادى نُحْلَب : يقع وادى نخلب الى الشمال من الوادى السابق فى مكان يزداد فيه عرض المنطقة فيما بين الحدود شرقاً والبحر غرباً ، ولذلك فإنه يقع بين منطقة جبلية داخلية ضمن الحدود السعودية شرقاً (منطقة الخوبا) والتي تنحدر منها روافد وادى نخلب وبين الساحل غرباً . ونظراً لغزارة المياه المنحدرة اليه من الجبال وكثرة تردد الفيضانات ، فقد شكل الوادى سهلاً رسوبياً طموياً يمتد مع امتداد المجرى نحو ٤٠ كم متصلة ، ويتراوح عرضه بين ١٠ - ١٥ كم . وقد خضع بأجمعه للزراعة ، مما سبب وجود نحو ١٦٠ قرية بلغ تعدادها أكثر من ٢٦٠٠٠ نسمة وقعت ضمن حدود وحدتين اداريتين هما :

١ - قضاء أحد المسارحة : ويشغل معظم مساحة حوض الوادى باستثناء الواجهة البحرية فقط . ولذلك فهو يقع بين منطقة الخوبا الجبلية والمضايا الشاطئية وذلك فيما بين قضاءى صامطة جنوباً وأبو عريش شمالاً . وتبرز أهمية هذا القضاء فى انه يضم ٧٪ من مساحة الأرض الزراعية فى اماره جيزان ، كما أنه يضم ١٩٪ من المساحة القابلة للزراعة فيه . وهذا يفسر كثرة القرى التي بلغ عددها ١٥٥ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، واتخذت قرية « سوق الأحد » ، أو « أحد المسارحة » قاعدة إدارية لهذه المنطقة وتقع فى وسط السهل . لذلك نشأ فيها عدد من الدوائر الحكومية وتركزت فيها المدارس . وانشئ فيها المجمع القروى الموكل اليه تطوير قرى المنطقة .

كانت تمر منها طرق القوافل المتجهة من جيزان الى اليمن ووصل اليها مؤخر الطريق المعبد الذى أنشئ فى نفس الاتجاه . فكبرت القرية وتحولت الى بلدة عامرة .

ومن قرى القضاء أيضاً : الحصامة وجحا والعبادية وأم الشطيفية والمنصورية والمقدرة والمرأى والطاهرية والصوارمة وتقع فى الشمال الغربى من سوق الأحد . ورمادة وحكمة والدغاير ومختارة والزاوية وتقع فى جنوب الوادى . وعتبة والمنجارة والبوى وقزح والمقرم وتقع باتجاه عالية الوادى .

٢ — الجزء الأوسط من قضاء المضايا : ذلك الجزء الواقع في سافلة وادى خلب ويحتل القسم الأوسط من الواجهة البحرية لقضاء المضايا . وهنا أيضا سهل التميز بين الجزء الواقع في دلتا الوادى والذي يعتبر امتدادا طبيعيا لسهل أحد المسارحة الرسوى ، والذي يضم الأراضي الزراعية وفيه عدد من القرى ؛ وبين الجزء الشاطئ الذى يفصل القسم السابق عن شاطئ البحر ، والخبث الذى يفصل الوديان بعضها عن بعض ، أى فيما يلي الوادى شمالا وجنوبا . وهذا السهل كسابقه يتعرض لحقن مياه البحر المالحة وصار قاحلا ضعيف الموارد ، وخاليا من المرافق الطبيعية ، وشبه خال من السكان .

د — منطقة أبو عريش - جيزان : وتحتل مساحة واسعة من أحواض الوديان : فجاء وأملح وجيزان وضمد ، والتي تهبط جميعها من المناطق الجبلية ضمن الأراضي السعودية في شرق المنطقة باتجاه السهل الساحلى فتشكل سهلا رسويا يمتد بامتداد الوديان مسافة تتراوح بين ٢٠ - ٤٠ كم ، غير أن اقترابها من بعضها واتصال سهولها جعل منها سهلا واحدا ممتدا عرضانيا من الجنوب الى الشمال ٤٥ كم ، وقد خضعت معظم مساحته للزراعة . ولذلك وجد في هذه المنطقة أكبر تجمعات الأراضي الزراعية في المملكة ، وبالتالي أكبر تجمعات السكان الريفيين .

بلغت مساحة هذه المنطقة نحو ١٦٥٠ كم^٢ ووجد فيها نحو ٢٦٠ قرية ، عاش فيها نحو ٧٥٠٠٠ نسمة ، فيما عدا سكان مدينة جيزان البالغ تعدادهم في سنة ١٣٩٤هـ نحو ٣٣٠٠٠ نسمة . وتقسم هذه المساحة بين الاقضية التالية :—

١ — قضاء أبو عريش : ويحتل الجزء الجنوبي من السهل المزروع فيما بين قضاء العارضة الجبلى في الشرق وامتداد قضاء المضايا الشاطئ في الغرب ، وذلك الى الشمال من قضاء أحد المسارحة . وقد تشكل السهل من اتحاد أحواض الوديان : الفجا وأملح والقسم الجنوبي من سهل وادى جيزان . وخضع جميعه للزراعة مما تسبب في وجود ١٨٠ قرية مختلفة الحجم والأهمية بلغ مجموع ساكنيها أكثر من ٣٣ ألف فرد . غير أن أهم هذه القرى أبو عريش التي تحولت الى مدينة هامة سيأتى الحديث عنها فيما بعد .

ومن القرى الهامة في المنطقة : خبت سعيد والسلامة والبديع القرني وقامرة والعقدة في شمال غرب أبو عريش ، والمبترية والقواشة والأساملة وتقع في وادى أملح ، وزخمية وزيارة رشيد وسلام بن واصل وتقع في وادى الرياح في جنوب شرق أبو عريش . والدبوش وحاكمة والخضراء الجنوبية والشمالية وفلس والبيض والمحصص وأم نورة وتقع في عالية وادى جيزان .

٢ — قضاء ضمد : ويقع في شمال القضاء السابق وكأنه امتداد له فينحصر بين قضاء بلغازي الجبلي في الشرق وقضاء وادي جيزان الساحلي في الغرب . ويحتل مساحة صغيرة لا تتجاوز ٤٣ كم^٢ في جزء من حوض وادي ضمد ، وقد خصصت هذه المساحة بكاملها لزراعة رى الحياض ، مما جعله يضم (على صغر مساحته) ٦٥٪ من مساحة الأرض الزراعية في امانة جيزان . فانتشر فيه تبعا لذلك ٧٤ قرية بلغ تعدادها سنة ١٣٩٤هـ - ٢٣٠٠٠ نسمة يتوقع زيادتهم عن ذلك بعد اتمام مشروع وادي جيزان .

ومن أهم هذه القرى : قرية ضمد قاعدة القضاء . ومنها الشقيرى والخضيرة والسليل والحرجا والحصن والقاييم والجمأة وأم جروع .

٣ — قضاء وادي جيزان : ويحتل الواجهة البحرية لحوض وادي جيزان وضمد ويمكن أن يقسم الى قسمين : القسم الشرقى وهو جزء من السهل الرسولى لهذين الوادين ولذلك فقد خضع للانتاج الزراعى وانتشر فيه السكان الريفيون في قرى زراعية ، والقسم الغربى القريب من شاطئ البحر القاحل وشبه الخالى من السكان ، باستثناء مدينة جيزان والتي كانت مرفأ طبيعيا منذ القديم وسيرد الحديث عنها فيما بعد .

لقد انتشرت في القسم ٥٣ قرية أهمها : الريان وتقع على ضفة جيزان الشمالية ، ومزهرة والعشوة وملقوطة والخصاوية والفقهاء وخردالة والعمارية والجوابرة ورحيقة وتقع في غربها ، والختايبية والماطرى وصنبه والقوس وتقع في شمالها الشرقى . لقد بلغ مجموع سكان هذه القرى نحو ١٥٠٠٠ نسمة تتميز بأنها تضم ٧٥٪ من مساحة الأرض القابلة للزراعة في اقليم جيزان والتي يمكن تنميتها بعد أن يتم مشروع وادي جيزان .

٤ — القسم الثالث والشمالى من قضاء المضاي الذى يحتل الواجهة البحرية فيما بين نهاية وادي حرض جنوبا ووادي جيزان شمالا ، ولذلك فهو يضم نهاية الأودية : تعشر وخبلى واملح (والفجا) . ونظرا للملوحة التربة وعدم صلاحيتها للانتاج الزراعى وفقير مواردها ، وخلو الشاطئ من المرافق الطبيعية أو القرى الشاطئية ، فقد اقتصر وجود السكان على دلتاوات الوديان المذكورة والذين لم يزد تعدادهم عن ٥٥٠٠ فرد وقد توزعوا على الدلتاوات الثلاث المذكورة في نحو ٣٠ قرية صغيرة .

وتقع قرية الحكامية - التى تحولت الى بلدة لاتخاذها القاعدة الادارية للقضاء في جنوب دلتا وادي الفجا - على بعد ٧ كم من البحر ، ويمر منها الطريق المعبد الذى يبدأ

من جيزان باتجاه الجنوب الشرقى (الى صامطة) ، ويطلق عليها اسم المضاي . ومن قرى المنطقة : الوحلة والعقدة ومزهرة .

هـ — منطقة صيبا - بيش : وتحتل مساحة واسعة من السهل الساحلى الواقع شمال جيزان يبلغ عرضها نحو ٤٠ كم وتمتد من شمال ضمد حتى جنوب عتود مسافة ٦٠ كم تقريبا فتبلغ مساحتها نحو ٢٢٥٠ كم^٢ . وتجرى فيها الوديان صيبا وبيش والتي تتشكل من اجتماع عدد كبير من الروافد المنحدرة من المناطق الجبلية : بلغازى وهروب والحقو والريث . ويمكن أن نقسم هذا السهل الى قسمين متميزين : القسم الشرقى وهو القسم الذى تلتقى فيه الروافد المنحدرة من المناطق الجبلية وتتشكل فيه سهلا طمويا واسعا وممتدا مسافة ٥٠ كم شمالا وجنوبا بدون انقطاع ، وبعرض يتراوح بين ١٠ - ٢٠ كم ، وقد خضع معظمه لزراعة رى الحياض ، وهو غير منفصل تماما عن سهل أبو عريش - جيزان الذى يضاويه فى المساحة والامتداد والاعمار ، والذى يقع الى الجنوب منه فينتج من اجتماعهما سهل واحد . والقسم الغربى وهو الواجهة البحرية شبه القاحلة .

وجد فى سهل صيبا - بيش نحو ٣٦٥ قرية بلغ تعدادها نحو ٨٥٠٠٠ نسمة بما فى ذلك المدن الصغيرة التى نشأت من توسع القرى الزراعية ، مثل صيبا - وبيش وقد قسم اداريا الى عدد من الاقضية هى :-

١ — قضاء صيبا : ويحتل أكثر من نصف مساحة المنطقة ويقع الى الشمال من وادى ضمد فيما بين البحر غربا وجبال بلغازى وهروب شرقا بعرض يزيد عن ٥٠ كم . وينتهى فيه دلنا كل من وادى صيبا ووادى بيش . ولذلك فقد خضعت معظم مساحة هذا القضاء للانتاج الزراعى مما تسبب فى انتشار ٣١٠ قرى مختلفة الحجم والأهمية بلغ مجموع سكانها نحو ٦٣٠٠٠ نسمة أى مايقرب من ١٥٪ من سكان إمارة جيزان .

وقد اتخذت صيبا قاعدة القضاء إداريا وقد نمت وتحولت الى مدينة صغيرة ولو أنها لاتزال تحتفظ بطابعها الريفى . وتقع على طريق جيزان - الدرب - أبها . ومن القرى فى عالية صيبا : طاية والمعترض ووتيشة والعريش والقرشة وصلهبة والحسينى وحلة الأحوس . ويقع فى سافلة الوادى : الفراء والباحر والجويين وجربة والحقاوبة والفقرة وعطيف . ويقع فى حوض وادى بيش الادنى : أبو القاعد والفرشة وأبو السلع والعشة والجارة والخميمة وأم القحفة والعدايا وقلبية والأثلة والرجيع وعوانة وأبو الطيور والصنيف والقوز . وقد وجد منهلان لاستقرار البدو المؤقت فى المنطقة القريبة من البحر تلك الظاهرة التى لم نرها باتجاه الجنوب .

٢ — قضاء بيش ومسلية : ويحتلان مساحة صغيرة لا تبلغ ٤٠٠ كم^٢ في حوض وادى بيش بعد هبوط الوادى من المنطقة الجبلية (بالريث) ، ويتجه مجراه نحو الجنوب في منطقة السهل الى أن يدخل قضاء صيبا . فتتخصر المنطقة بين « الحقو » الجبلية في الشرق وبين قضاء العالية الشاطئى في الغرب . وقد خضعت معظم مساحة هذه المنطقة لزراعة رى الحياض مما أوجد فيها ٣٢ قرية ، ٢١ منها في القضاء الأول و ١١ في القضاء الثانى بلغ تعدادها ١١٠٠٠ في الأول بما في ذلك بلدة بيش الواقعة في غرب المجرى ، ونحو ٥٠٠٠ في القضاء الثانى .

ومن القرى التابعة لبيش : أم الخشب وتقابل بيش على ضفة الوادى الشرقية ، والشريعة والحلة والكدره والمطعن والقريف وقائم الدش . ومن قرى قضاء مسلية : بلدة مسلية التى تقع على ضفة الوادى الغربية وفيها نحو ثلث سكان القضاء ، ويقابلها على ضفة الوادى الاخرى أم الدمنين . وتقع قرية النخري في عالية الوادى .

٣ — قضاء العالية : ويحتل الواجهة البحرية لهذه المنطقة أى فيما بين صيبا وعتود غير أنه يضم مصبات عدد من الاحواض الدنيا للوديان الصغيرة : السّر والردحة وسمرة وبيض ، والتى لم تستطع أن تشكل سهولا كالوديان السابقة . ولذلك كانت معظم مساحة هذا القضاء غير صالحة للاستثمار . ونظرا لاتساع مساحته والتى تبلغ أكثر من ٦٠٠ كم^٢ فقد وجد فيه ٢٢ قرية بلغ عدد افرادها نحو ٦٥٠٠ فرد ، غير أن ٣٠٪ منهم عاشوا في قرية العالية التى تقع على ضفة وادى بيش الغربية وذلك الى الجنوب من بلدة بيش . ومن قرى القضاء في وادى بيش أيضا : الملحاه والسلامة السفلى والمجديرة .

و — قضاء عتود والدرب : ويبدأ من واجهة بحرية يبلغ طولها نحو ٢٥ كم في شمال قضاء العالية بينه وبين الشقيق ، وذلك في حوض وادى عتود الادنى ، ويشغل قضاء عتود الزاوية الجنوبية الغربية من هذه المنطقة ، ويحيط قضاء الدرب به على شكل هلال من الشمال الغربى والشمال والشرق . وتبلغ مساحتهما معا نحو ١٦٥٠ كم^٢ .

يشكل وادى عتود الادنى سهلا طمويا يمتد مع امتداد الوادى مسافة تزيد عن ٢٠ كم في حدود القضائين المذكورين ، ويقع على بعد نحو ١٠٠ كم في شمال جيزان . يبدأ تشكل الطمى في الوادى بعد اختفاء طبقات الزمن الثالث في الشرق ، ويكون حصويا خشنا قبيل الدرب لا يلبث أن يزداد سمكه شيئا فشيئا ويقل قوامه خشونة باتجاه البحر . وفي حين يبلغ سمكه ٨م في الدرب يصبح ٩٢م بعد القضب ويتحول الى رملى طينى في

عتود . غير أنه بالاقتراب من البحر يبدأ بان يحقن بالماء المالح وهذا يؤدي الى تراجع في سمك الطبقة الخازنة للماء العذب في هذا الاتجاه . ويتراوح عمق الماء تحت السطح بين ٤م في الدرب و١٦م في عتود^(١) . ويدل هذا على قلة كمية المياه المختزنة في الطمي ويمكن تقدير صبيبها في الدرب بـ ٣٠ لتر/ث .

وقد استغل هذا السهل الطموى من الماضي باقامة حواف حجرية على المجرى الحصوى بارتفاع من ٢ - ٣ م ، وبادخال مياه الفيضان الى الأحواض الزراعية بواسطة اقنية ترابية . وقامت بذلك حياه مستقرة قوامها الانتاج الزراعي . فقد وجد في هذا السهل ٥٦ قرية منها ٢٠ في قضاء عتود لم يتجاوز مجموع سكانها ٢٢٥٠ نسمة ، من أهمها قرية عتود الواقعة في طرف الدلتا وعلى بعد ٤ كم عن شاطئ البحر والتي اتخذت قاعدة للقضاء . وقرية القضب الى الشمال من عتود بمسافة ٥ كم ، وتقع على الجانب الأيمن للمجرى الرئيسى للوادي والمسيد ورملان وحيوية وتقع الى الشمال الشرق وذلك في مجرى وادي رملان . ووجد ٣٦ قرية اخرى في قضاء الدرب الى الشمال من مواقع القرى السابقة ، بلغ مجموع سكانها ٦٤٠٠ نسمة ينتمون الى بنى شعبة . أكثر من ربعهم يعيشون في بلدة الدرب وحدها .

يبدو أن بلدة الدرب اكتسبت اسمها من وقوعها على مفترق طرق القوافل الرئيسية ، . والتي اهمها : طريق جيزان عبر الطريق الساحلى الى بيش فصبيا ، وطريق أبها عبر وادي عتود وضلع ، وطريق القنفذة ومكة عبر الشقيق والبيرك في الشمال الغربى ، وطريق محاليل عبر وديان ومعابر الجبال الساحلية في الشمال . وقد سارت الطرق المعبدة الحديثة في اتجاهات طرق القوافل . ويقع الى الشرق من الدرب القرى : القائم الأعلى والغريف والقومة والكدره ، والى جنوبها الغربى على طريق الشقيق تقع بحره وابو السرار وأبو يحيى .

وقد تواجد في المناطق المحيطة بهذا السهل الرسوى عدد من الجماعات البدوية بلغ عددهم نحو ٢٢٥٠ نسمة منهم أكثر من ٥٠٠ في قضاء عتود الصغير يستفيدون من منهل ماء في منسبة ، والباقي في قضاء الدرب الأكبر مساحة ويشكلون نحو خمس سكان القضاء ويستفيدون من سبعة مناهل . أما المناطق الشاطئية فتكاد تكون خالية من السكان .

(1) Sogreah, Ibid, 161-163.

ز - قضاء الشقيق : ويحتل الواجهة البحرية بين الدرب والقحمة بطول لايزيد عن ١٥ كم ويمتد في الداخل حتى منطقة الجبال الساحلية الواقعة في قضاءى رجال ألمع وقنا والبحر ومساحة هذا القضاء صغيرة لاتتجاوز ٨٥٠ كم^٢ ، وتضم المجارى الدنيا للوديان القادمة من منطقة الجبال الساحلية والواقعة بين عتود وحلى وهى : ريم والشام وعمرم ونهب . ولذلك فبالرغم من أنها وديان صغيرة وقليلة الأهمية فقد سمحت بوجود مساحات متفرقة من رسوبيات الطمي حوالها ساعدت على إقامة حياة مستقرة ، تعتمد على الزراعة ؛ إلا انها متبعثرة في السهل الرسوبى المتشكل من اتحاد مجاريها الدنيا إجمالاً .

انتشر في هذه السهول ٣٢ قرية صغيرة يصل مجموع ساكنيها ٤٨٠٠ نسمة وقاعدتها بلدة الشقيق - التى وجد فيها نحو « خمس » هذا الرقم وحدها - وتقع قبيل مصب وادى ريم وعلى جانبيه الايسر . ويمر منها الطريق الساحلى القديم . ويقع بالقرب منها القرى : ساحل العلاطة والراجحية وتقعان على الجانب الأيمن من الوادى ، ويقع الى الشمال الشرقى منها : القاع والجعارة والصندلية وذلك فى وسط سهل رسوبى الى الجنوب الشرقى من مجرى وادى ريم .

ح - قضاء القحمة : وهو آخر امتداد لمنطقة جيزان فى الشمال الغربى ويحتل الواجهة البحرية فيما بين الشقيق والبيرك ، ويمتد فى الداخل حتى قضاء قنا والبحر . وتشكل هذه المنطقة الساحلية الطرف الجنوبى للمسكوبات البركانية البازلتية الساحلية الممتدة من هذه المنطقة حتى وادى حلى . ولذلك فهى هضبة قاحلة جدا وشديدة الوعورة ، ولو أننا نجد القسم الجنوبى منها (بين الشقيق والقحمة) أقل وعورة من القسم الشمالى (بين القحمة والبيرك) .

تزيد كمية الأمطار الساقطة على هذه الهضبة الساحلية عما هى على الساحل الواقع الى الجنوب منها ، نسبيا اذ تتجاوز ١٠٠ ملم سنويا . وقد تشكل فيها عدد من الأودية الساحلية الصغيرة مثل وادى نجلاء فى شمال القحمة ووادى عريك فى جنوبها . وترجع أهمية وادى عريك - الذى يصرف معظم مساحة الهضبة - إلى أن أحد روافده تمتد من منطقة الجبال الساحلية ، وقد حفر بعمق فى شرق المنطقة وحمل جريانا داخليا يغذى عدة عيون ضعيفة أهمها عين « ابن هادى » التى يستعملها الرعاة وتغذى مياهه اكبات من الأشجار الشوكية كالدوم والنخيل والأعشاب . ويزداد عرض الوادى فى سافلته حيث يسمى وادى « حمادا » .

وقد استغلت مياه الفيضان وكذلك المياه المترشحة في الطمي في رى عدد من الحقول سمحت بوجود حياة مستقرة مبعثرة في مواقع التربة الرسوبية ، انتشرت فيها ٢٦ قرية صغيرة لم يتجاوز مجموع سكانها ١١٣٣ نسمة أى بمعدل ٤٥ فردا للقرية الواحدة ، يعتمدون على زراعة النخيل . ولم يتجاوز عدد بدو المنطقة ١٠٠ فرد . غير أن بلدة القحمة - قاعدة هذا القضاء وموطن قبيلة المنجحة - نشأت في السهل قرب الشاطئ وفي صدر خليج محمي عميق ، له مدخل ضيق بين الشعاب المرجانية وقد اعتمد سكانها الذين أرى عددهم على ألف نسمة على ماء آبار محفورة في الطمي ، والتي تسربت المياه من الأمطار الساقطة على الجبال البركانية المجاورة مثل جبل حشاحش وجبل حومة وجبل قرين ، ويعملون في صيد الاسماك وفي جمع أوراق الدوم (الطفي) .

ط - جزائر فرسان : تتكون من مجموعة من الجزائر يقرب عددها من ٨٠ جزيرة ، معظمها غير مأهول بالسكان لايتجاوز بعد اقصاها ١٠٠ كم عن ساحل جيزان ، تنتشر في رصيف قليل العمق تكثر فيه مستعمرات المرجان . ويمكن اعتبار ثلاث جزر منها كبيرة ومأهولة بشكل دائم ، وقد عاش سكانها في ١٨ قرية صغيرة ، وجزيرتين أخريين مأهولتين مؤقتا أى في مواسم وأوقات معينة . هذه الجزر هي :

١ - جزيرة فرسان الكبير : وهي اكبر وأهم جزيرة في المملكة . يبلغ أقصى طول لها ٦٠ كم وأقصى عرض لها ٢٥ كم ومساحتها ٤٣٢ كم ٢ ، وتبعد عن ميناء جيزان ٧٥ كم . يبلغ عدد سكانها نحو ٣ آلاف نسمة يعيشون في ٥ قرى هي بلدة فرسان ، والقصار والمحرق وصير وابو الطوق . لقد بنى الاتراك في فرسان قلعة لاتزال آثارها باقية واقاموا فيها حامية (١) .

٢ - جزيرة السقد وتقدر مساحتها بنحو ثلث مساحة الأولى وتقع الى الشمال منها يفصلهما ممر ضحل تخوضه الجمال ، ويرحل اليها أهالي فرسان إبان نضج التمر (٢) وفيها قرى : السقد وختم وخولة .

٣ - جزيرة قماح وهي صغيرة تقع في جنوب فرسان الكبير ويفصلها عنها ممر ضيق . بها قرية قماح وفيها نخيل .

(1) Admiralty- A Handbook of Arabia. P. 144.

(٢) محمد احمد العقيلي - المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - مقاطعة جازان ص ٧٥ .

٤ — جزيرة أبو غنم وهى صغيرة وتقع فى غرب فرسان ، غنية بالاعشاب لذلك ينتقل اليها الرعاة باغنمهم من الجزر الأولى بواسطة القوارب فى مواسم الجفاف .

٥ — جزيرة زفاف وهى متوسطة الحجم تقع فى غرب فرسان وهى غنية بالاعشاب ومأهولة بالغزلان ، يأتيها هواة الصيد من الجزر السابقة .

وأقرب الجزر الى جيزان : جزيرة آمنة وبناتها وتقع على يسار المتجه من جيزان الى فرسان على بعد ١٠ كم من الميناء . ويليهما جزيرة حبار على بعد ٣ كم من السابقة على يمين الخط ، ثم جزيرة درآكه وتوابعها على بعد ١٢ كم من الثانية .

وتتصف جزائر فرسان بأنها مسطحات قليلة الارتفاع تتكون من صخور الكلس الجصّي والمرجاني ومن بعض الترسبات الكلسية والطينية الأخرى . وتتكون الشواطئ من قواقع صغيرة مختلطة بالطين الرملى الناتج عن نحت الحصى أو الكلس المرجاني . ولذلك فالجزر جرداء فقيرة التربة نادرة الأمطار وتقل فيها المساحات الصالحة للزراعة الا أن طقسها معتدل . ويعيش سكانها من الصيد وزراعة النخيل والحبوب ومن تربية الحيوانات . ويقوم البعض بصناعة الجص والنورة (الجير) من الصدف وفى أعمال التحجير ، وكانوا يمارسون الغوص والتجارة .

٢ — منطقة جبال جيزان :

وتقع بين السهل الساحلى الجيزانى وخط الانهدام الرئيسى الذى يحد جبال السروات فى الداخل . فهى تعتبر البداية الغربية لإقليم الدرع العربى الذى تكوّن نتيجة الإنكسارات المرافقة للإنهدام الكبير ، فبرزت النجود (Horsts) فيه على شكل مرتفعات عالية ، تتناوب مع الاغوار (Grabens) التى احتلتها الوديان المنحدرة من الجبال . وتحتل الجبال هنا مساحة واسعة بالقياس الى الجبال الساحلية الاخرى على البحر الأحمر ، اذ يبلغ عرضها الخطى بين ٥٥ - ٧٥ كم . وقد أدى هذا الاتساع الى تقسيمها الى قسمين : الأول الغربى الواقع تحت تأثير الرياح الجنوبية الغربية الرطبة والذى تسقط فيه أمطار غزيرة بالقياس الى قسمها الشرقى الواقع خلفها والبعيد نسبيا عن ذلك التأثير ، والذى يستقبل أمطارا قليلة بالرغم من ارتفاع التضاريس . وصار مظهره العام شبه صحراوى .

توجد الأراضى الزراعية فى مساحات واسعة على السفوح العليا للقسم الأول ، وقد عمد السكان الى بناء المدرجات الجبلية للحفاظ على التربة وللاحتفاظ بمياه الامطار ، كما تواجدت مساحات زراعية محدودة متباعدة عن بعضها فى أحواض وديان القسم الثانى ، معتمدة على مياه فيضاناتها وعلى ما تحتزنه فى رسوبياتها . وقد سمح هذا الانتاج الزراعى بوجود حياة مستقرة تتمثل فى القرى الزراعية ، وهى عديدة ومتقاربة فى القسم الأول ، قليلة ومتباعدة وتقل نسبتها بالقياس الى غير المستقرين (البدو) فى القسم الثانى . ولا يوجد فى كلا القسمين مدن هامة إطلاقا .

يبنى السكان بيوتهم فى هذه القرى من الحجارة والطين والقش وتكون باشكال أسطوانية أو مربعة ، وقد بدأ ينتشر ببطء استعمال البيوت الإسمنتية خاصة فى بعض المباني الحكومية فى مراكز الأقضية . وكان سكانها يعيشون فى شبه عزلة بسبب تباعد المواقع المعمورة وصعوبة المواصلات وبطئها ، إذ كانت الحيوانات هى الوسيلة الوحيدة المستخدمة فى التنقل لأنها تسلك معابر معينة وتجتاز عقبات كأداء فى المناطق الجبلية .

يتبع القسم الأول من هذه المنطقة الجبلية - أى القسم الجنوبى الغربى إداريا- إمارة جيزان ، ويتبع القسم الثانى إمارة عسير . ويتكون القسم الذى يتبع إمارة جيزان من ١١ قضاء تختلف فى مساحتها وعدد سكانها ، الذين بلغ مجموعهم نحو ١٢٠.٠٠٠ نسمة يعتمدون فى حياتهم على الإنتاج الزراعى والإنتاج الحيوانى ، ولا يتجاوز البدو فيه ٩٪ من مجموع السكان . ومع ذلك فإن هذه النسبة الضئيلة تشكل ٦٢٪ من بدو إمارة جيزان .

ويمكن أن نقسم هذه المنطقة حسب الكتل الجبلية على النحو التالى :

أ - قضاء الخوبة أو قضاء بنى الحران : ويقع فى عالية وادى خلب محاذيا لحدود المملكة مع اليمن شمال خط عرض ٤٠ - ١٦° بينه وبين أقضية صامطة وأحد المسارحة والعارضة . وهو أبعد المناطق الجبلية التابعة للمملكة باتجاه الجنوب ، فيتصف بوعورة أرضه حيث تتراوح الارتفاعات بين ٦٠٠ م و ١٣٧٠ م (جبل شودة) . ولذلك تنوع مناخه ووجد فى وديانه غيول عديدة وأشجار باسقة ، وعلى سفوحه مراعى جيدة وهى من أجمل المناطق . وقد تشكلت مصاطب رسوبية غنية حول وديانه خاصة لية وذهبان ودھوان ، استغلّت فى الزراعة ، فانتشرت فيها ١٣٨ قرية معظمها صغيرة الحجم . بلغ مجموع سكانها نحو ٢١.٠٠٠ نسمة . أهم هذه القرى بلدة الخوبة الواقعة على وادى

دهبان ، والدّحن والمدفن والقرن الواقعة الى الجنوب منها . وتوجد الى الشمال الغربى منها أم القضب والشعنون والمقلوع والمروة والسودة والمغشوش والسلب والملحى . وإلى الشمال الكرعن وقوا .

ب - قضاء العارضة : ويقع فى حوض وادى جيزان الأعلى بين خط الحدود مع اليمن وأقضية : أحد المسارحة والخوبة وأبو عريش . وتزيد مساحته عن ٩٠٠ كم^٢ ويضم جبال العبادل وسلا التى ترتفع الى ١٤٨٤م و١٣١٣م على التوالى . وقد تشكلت مصاطب رسوبية غنية أيضا فى أحواض الوديان خضعت للاستثمار الزراعى بالطرق التقليدية منذ القدم ، مما سبب ارتفاع كثافة المستقرين الذين عاشوا فى قرى صغيرة متفرقة بين المزارع بلغ عددها ٦٠٨ قرى عاش فيها نحو ٣٠.٠٠٠ نسمة ومن أهم هذه القرى « العارضة » قاعدة جبال العبادل الواقعة على وادى محاضة رافد جيزان . ويقع الى الجنوب منها فى وادى الخرت (مشرف) المقطاع والخرت وأم الخرق والجلالا ورفيل والمصياد والرخة وبطحان والقويد . ويقع الى الشمال منها : الجبانة ومنصورة وأم سمعة وأم الدود ومسقية والكثيفة والضباية وذات الرحلين والحميرة .

ج - جبال حوض وادى ضمد (فيفا وبنى مالك وبلغازى) - وتشكل كتلة جبلية واسعة تبلغ مساحتها نحو ١٨٠٠ كم^٢ وتشرف على سهول جيزان من الجهة الشرقية ، وتقع فى حوض وادى ضمد الأعلى بعد خروج بعض روافده من جبال اليمن . وقد شكلت هذه الروافد وديانا منخفضة فيما بين كتل شديدة التعقيد ، فترتفع بعض جبالها الى ١٨٢٠م (جبل المغامر) فى فيفا ، ويرتفع جبل منجد ١٥٣٨م وجبل عققن ١٤٩٥م فى حين يرتفع جبل المعادى الى ٢٤٥٠م فى كتلة جبال بلغازى ، ويرتفع جبل بنى مالك ١٤٢١م ، فى الوقت الذى تتلوى فيه الوديان بين هذه المرتفعات على ارتفاع يتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠م فقط .

وقد تسبب موقع هذه الكتلة الجبلية مع خصائصها التضريبية فى احتلالها المركز الأول فى المملكة فى غزارة الأمطار الساقطة ، ولكن طبيعة تركيب صخورها النارية وشدة انحدارها تسبب فى ضياع هذه المياه عن طريق الوديان دون أن يتسرب قسم كبير منها الى داخل الأرض . ومع ذلك أمكن الاستفادة من هذه المياه عن طريق إقامة المدرجات الجبلية على السفوح العليا وبالتالى زراعتها ، وهذا سبب انتشار المساحات الخضراء فى تلك السفوح سواء ، من النباتات الطبيعية والمزروعة . غير أن صعوبة

التضاريس وانعزال المناطق بعضها عن بعض لم يسمح باستثمارها الا على شكل مساحات متفرقة منعزلة يصعب الاتصال فيما بينها . وكذلك أمكن استثمار بعض السهول الرسوبية الضيقة التي تشكلت في مجارى الوديان بفضل سحب مياه الفيضانات اليها فنشأت مساحات زراعية متفرقة منها . وقد تبعثرت القرى الزراعية في الاقليمين : أى على السفوح العليا وفي مجارى الوديان . وقد اتصفت بانها قرى صغيرة الحجم عديدة جدا . إذ أمكن احصاء ١٨٨٦ قرية في هذه المنطقة الجبلية ، ولكن لم يتجاوز عدد سكانها ٤٠٠٠ فرد في سنة ١٣٩٤هـ ، ولا يعتقد أنهم قد زادوا عن ذلك في الفترة التالية ، ويبلغ هذا الرقم نصف عدد قرى امارة جيزان .

وتنقسم هذه المنطقة الى أربع وحدات ادارية هي التالية :

١ — قضاء بنى قيس : ويحتل مساحة صغيرة في جنوب شرق هذا الحوض أى فيما بين حوضى جيزان وضمد وبالقرب من الحدود اليمنية . وأهم الملامح الجغرافية فيه جبل قيس الذى يرتفع الى ١٢٠٠م وتنحدر منه المياه الى المجرى الرئيسى لوادى ضمد الذى يقع على ارتفاع ٦٠٠م تقريبا . وقد بنى الوادى في هذا المستوى رسوبيات طموية سميكة تحولت الى أراض زراعية متفرقة ، وأقل كثافة مما هى في قضاءى الخوبة والعارضة . ولذلك لم يتواجد فيه سوى ١٧ قرية لم يكد يبلغ مجموع سكانها ٩٠٠ نسمة فقط ، كانت أكبرها قرية المجازيع قاعدة القضاء .

٢ — قضاء فيفا — وهو عبارة عن كتلة جبلية مرتفعة تقع بين روافد وادى ضمد الرئيسى ، وهى شديدة الوعورة يصعب ارتقاؤها حتى بواسطة الحيوانات للوصول الى قرى السفوح العليا . وتمتاز هذه الجبال بانها سجلت أكبر معدل للأمطار في المملكة (٥٥٠ ملم) ، وأنها مكسوة بالنباتات الخضراء وتتوافر الاشجار من مختلف الأنواع . يزرع فيها البن وكان يوجد فيها القات .

وقد حول المواطنون سفوحها العليا الى مدرجات جبلية وزرعوها ، وبنوا القرى في وسطها فظهرت البيوت كالقلاع فيما بين الحقول . ولذلك ارتفع عدد القرى حتى بلغ ١١٦ قرية بلغ تعداد سكانها في سنة ١٣٩٤هـ ١٣٠٠٠ فرد . ومن أهم قرى قضاء فيفا : النفيعه وفيفا وظنبر والنحت والمثيبى وآل العبدلى وآل المغامر والامامى . ويعيش على السفوح غير المزروعة أو في الوديان نحو ٨٠٠ بدوى .

٣ — قضاء بنى مالك :- ويقع في نفس الحوض الى الشمال من القضاءين السابقين وبجوار الحدود مع اليمن . أى أنه يقع في قلب المنطقة الجبلية الشديدة الوعورة والتي ترتفع بعض قممها الى مايزيد عن ١٥٠٠م وتنخفض الوديان فيما بينها الى أعماق سحيقة ؛ اذ يرتفع مجرى وادى الجوراء عند قرية الدائر ٧٠٠م وعند مصب وادى طيبة ٥١٥م . وقد استخدمت الوديان كممرات يصعب النفاذ الى المواقع الجبلية الا عن طريقها .

وقد تمكن بنو مالك من إنشاء المدرجات على السفوح العليا مثل جبل فيفا وزرعوها بالحبوب والأشجار ، وانتشرت في وسطها القلاع التي تحولت الى قرى صغيرة جدا ، مما رفع عدد القرى في هذا القضاء الى ٨٧٠ قرية في حين لم يتجاوز عدد ساكنيها ١٥ الف فرد أى بمعدل ١٧ فردا للقرية الواحدة ، أو نحو أسرتين أو ثلاثة للقرية . وأكبر قرى بنى مالك قرية الدائر قاعدة القضاء وتقع على مهماز مرتفع عند التقاء رافدين صغيرين بوادى الجوراء (عالية ضمد) ، فهي على مفترق الطرق المؤدية الى بنى مالك وفيفا وبنى قيس من الشرق وبلغازى من الغرب . ومن قراها أيضا ضمه الواقعة على وادى أهرين ، والقهبه الواقعة في جنوب القضاء وريد العابدى ومتراره الواقعتين في شمال شرق الدائر (الدائر) .

٤ — قضاء بلغازى (بنى الغازى) : ويحتل الجزء الغربى من هذه الكتلة الجبلية فيقع بين الاقضية الثلاثة السابقة شرقا والسهل الساحلى لجيزان وصيبا غربا . ويقع في الحوض الأوسط لوادى ضمد ويضم بعض مجاريه العليا المنحدرة من الشمال فيصل حتى جبلى المنجد والمعادى . ويمتاز بأنه أكثر وعورة من الاقضية السابقة بسبب شدة ارتفاع القمم الجبلية وانخفاض الوديان الواقعة بينها .

وقد حول السكان أيضا قسما كبيرا من سفوح هذه الجبال الى مدرجات زراعية ، ولو أنها أقل تكاثفا مما هى في جبل فيفا أو العارضة أو بنى مالك . وبالتالي فهي أقل كثافة بالسكان . فبالرغم من أن مساحة هذا القضاء تزيد عن ١٠٠٠ كم^٢ ، وان القرى بلغ عددها ٨٨٣ قرية ، إلا أن سكانها لم يبلغوا أكثر من ١١٠٠٠ نسمة أى بمعدل ١٢ فردا للقرية الواحدة ، وكأن القرية هى سكان مزرعة واحدة أو مزرعتين .

ومن القرى ذات الشأن عيبان (سوق الاثنين) وتقع عند حافة الكتلة الجبلية على جانب وادى الجوراء في جنوب شرق القضاء ، وهى قاعدته وسوقه التجارى وتقع في

الطريق المؤدية الى فيفا وبنى مالك وبلغازى . وتقع الى الشمال من عيبان قرية أحماد وفوسان والرباطة والمعادى ، وتقع الى الشرق من هذه المجموعة الرماد والقاع .

د — جبال حوض وادى بيش : وهى كتلة جبلية واسعة تقع الى الشمال الغربى من الكتلة السابقة وتمتد نحو ٥٠ كم فى هذا الاتجاه ومثل ذلك فى الاتجاه المعاكس . وهى تشبهها من حيث شدة تعقيد التضاريس ووجود كتل جبلية ترتفع قممها الى مايزيد عن ٢٠٠٠م مثل جبل هروب (٢٢٩٢م) ، وجبل القرى (٢٢٦٧م) ، واختراق الوديان التى تشكل جميعها روافد وادى بيش لتلك الكتل فهبط الى ارتفاعات تتراوح بين ٣٠٠ - ٦٠٠م فقط . وتبدأ منها روافد وادى صبيا .

ويعتبر وادى بيش أهم وديان حوض البحر الأحمر واكثرها طولاً وأعظمها روافدا واضخمها صيباً وأهمها فيضانات . وتبدأ روافده العليا العديدة من سفوح سراة وادعة وقحطان وشعف شهران بالاضافة الى جبال اليمن . ولكن الاتجاه العام للمجرى الرئيسى بعد أن تلتقى فيه الروافد المنحدرة من مناطق إصدار قحطان ينحنى نحو الشمال الغربى أولاً قبل أن ينحنى ويتجه نحو الجنوب .

ويبدو أن هذا الاتجاه المعاكس لاتجاه حركة الرياح الجنوبية الغربية الجالبة للرطوبة جعل هذه المنطقة الجبلية وكأنها فى ظل المطر بالنسبة للكتلة الجبلية السابقة الواقعة فى حوض وادى ضمد ، فنقصت أمطارها بالرغم من ارتفاعاتها الشديدة وزاد الجفاف فى ربوعها وتحولت الى مناطق شبه صحراوية ، باستثناء بعض السفوح الجنوبية الغربية التى تنبع منها روافد وادى صبيا وبعض روافد وادى بيش . ولذلك وجدت المناطق الزراعية فى مساحات محدودة ومتفرقة فى السفوح أو فى مجارى الوديان ، وقد تبعثرت فيما بينها القرى الصغيرة جدا .

وبالرغم من أن مساحة هذه المنطقة تبلغ ٢٦٠٠ كم^٢ الا أن سكانها لم يتجاوزوا ٣١٢٠٠ فرد . ومع ذلك فقد عاش قسم منهم فى ٧٥٦ قرية صغيرة فى حين عاش الباقي (٢٧٦٪) كرحّل ، خاصة فى منطقة الريث فى الشمال الغربى من المنطقة .

وقد قسمت هذه المنطقة الى خمس وحدات ادارية مختلفة هى :

١ — قضاء الربوعة : ويقع فى أقصى شرق منطقة جيزان محاذيا لخط الحدود مع اليمن عند حافة السراة . وينحصر بين قضاءى بنى مالك والحشر التابعين لمنطقة جيزان من

جهة وبين قضاء الفرشة التابع لمنطقة عسير من جهة أخرى . ونظرا لأن خط الشعاف يتجه في هذه المنطقة من الغرب الى الشرق ويفصله عن البحر مجموعات واسعة من المناطق الجبلية ؛ فقد احتجب هذا القضاء عن تأثير الرياح الموسمية مما جعله بالرغم من ارتفاعاته الشاهقة قليل الأمطار ، اذ تزيد ارتفاعاته عن ٢٠٠٠م وتصل في جبل المندية الى ٢١٦٩م وفي جبل مخرور الى ٢٢٠٥م وجبل روك ٢٠٦١م وجبل القرى الى ٢٢٦٧م . وزيادة على ذلك فقد حفرت المجارى العليا لوادى الدفاع ووادى القاعة (رافدا بيش) بعمق شديد فهبط ارتفاع الوديان بين هذه الكتل بين ١٢٠٠ - ١٤٠٠م مما زاد في تعقيد التضاريس وانعزال المنطقة . وقد أدت هذه العوامل الى ندرة الأراضي الزراعية وصغر مساحتها وقلة عدد السكان المستقرين وغير المستقرين ؛ اذ لم يبلغ عددهم ٢٤٠٠ نسمة ، توزعوا على ١٢١ قرية للمستقرين و٨ مناهل للبدو أى بمعدل ١٨ فردا للقرية أو المنهل .

٢ - قضاء الحشر : ويقع في شمال قضاءى بنى مالك وبلغازى ويفصله عنهما جبال الحشر (٢٠٩٤م) والمعادى (٢٤٥٠م) ومصيدة (٢٠٦٤م) التى تعمل بمثابة خط تقسيم المياه بين حوض وادى ضمد في الجنوب ووادى بيش في الشمال . فهو كما هو واضح اقليم جبلى شديد الوعورة شأن الاقضية السابقة وتحفر فيه الوديان بعمق شديد حيث ينخفض مجرى وادى الدفاع عند مصب وادى بزما الى ٩١٩م . وهى لاتتأثر كثيرا بالرياح الجنوبية الغربية الممطرة ، وكأنها في ظل المطر بالنسبة للمرتفعات التى تسبقها في الاتجاه الجنوبى الغربى ، أو كأنها محصورة بين الأولى وبين جبال السروات التى تقع الى الشمال الشرقى منها والتى ترتفع الى مايزيد عن ٢٠٠٠م . ولذلك كانت مرتفعات هذا القضاء جافة شبه صحراوية ، ساهمت صعوبة المواصلات على شدة انعزالها ، فقل استثمارها الزراعى وقل عدد سكانها حتى أنهم لم يتجاوزوا ٣٠٠٠ نسمة منهم ٩٠٠ من البدو . ومع ذلك فقد انتشر المستقرون هؤلاء في ١٤٨ قرية صغيرة . ينتمون جميعا الى قبيلة الحشر ، ذلك الاسم الذى أعطى للجبال والوديان والقرى أسماءها . ومن قراه المرحلة قاعدة القضاء رغم صغرها .

٣ - قضاء هروب : وهو اقليم جبلى شديد الوعورة فيه أعلى مرتفعات الجبال الساحلية يقع بين قضاءى الحشر وبلغازى من الشرق ، وصبيا والحقو والريث من الجهات الأخرى . ويضم حوض وادى صبيا الأعلى فيما بين ضمد وبيش وبعض الأحواض العليا لروافد بيش مثل شهدان ووساع ونخلان . ويقع في شماله الجبال : هروب

(٢٢٩٢ م) ، وظريف (٢٤٤٦ م) ، وجبل منجد (٢٢١٤ م) التى تشكل خط تقسيم المياه بين روافد ضمد فى قضاء هروب وروافد بيش فى قضاء الريث .

وتنخفض روافد صبيا المنحدرة من هذه المرتفعات الى أقل من ٥٠٠ م ، وتشكل مصاطب رسوبية واسعة ، واستغلت فى الزراعة فانتشرت فيها القرى بأحجام مختلفة ، بلغ مجموع أفرادها مايزيد عن ١٤٠٠٠ نسمة ، ويقل عدد البدو عن ٧٠٠ فرد . ويتوزع المستقرون فى ١٥٠ قرية من أكبرها هروب قاعدة القضاء . وتقع فى الوادى المنحدر من الجبل الأسود قبل أن يصب فى وادى هروب ، ومنها أم جحا ومشرف وأم عرقا ومطايعة وتقع فى الشمال ، وآل طعطان وأم العقدة وأم سيادة وأم البهم وأم رمايد والكدره وأم قحمة وأم القصيب وسرين وبصة والمنقعة وتقع بالتالى بعد هروب باتجاه الجنوب .

٤ — قضاء الحقو : وهو صغير المساحة (١٦٠ كم^٢) ينحصر بين الاقضية : الريث وهروب وصبيا وبيش ومسلية والفطيحة . ويشمل الجارى الوسطى والدنيا للوديان : وعال وقرى وسائلة وطافشة فى مواقع التقائها بواضى قرى وقبل أن يصب الاخير فى وادى بيش . فيشكل منخفضا يتدرج فى هبوطه من ٥٧٠ م الى ١٧٠ م . وتنحدر اليه المياه من الجبال المجاورة فتشكلت فيه مصاطب رسوبية واسعة استغلت فى الزراعة ، وانتشرت فيها القرى التى بلغ عددها ٢٣ قرية وعدد سكانها معا نحو ٣٦٠٠ نسمة . الا أن مايقرب من ثلث هذا العدد وجد فى بلدة الحقو قاعدة القضاء الواقعة على جانب وادى طافشة . ومن قراه الاخرى : القنادى والفيدانى واللصمة والحبيب والقواه وتقع جميعها فى جنوب الحقو ، والغاوية والقمر وتقع الى الشمال ومقزرع الى الشرق فى وادى قرى .

٥ — قضاء الريث : وهو أبعد الأقضية الجبلية التابعة لجيزان باتجاه الشمال ، ومن الاقضية الجبلية الداخلية الشديدة الوعورة كالحشر وهروب . وعلاوة على أن أمطاره قليلة فان تربته ومياهه محدودة . ولذلك فهو من أجف الاقضية وأفقرها وأقلها زراعة وسكانا بالرغم من اتساع مساحته التى تبلغ ١٢٧٠ كم^٢ ، وامتداده أكثر من ٤٠ كم فيما بين الأقضية : الحشر وهروب والحقو التابعة لجيزان من جهة ، والاقضية : الفطيحة والجوة والفرشة التابعة لعسير من الجهة الأخرى . يخترقه عدد من روافد وادى بيش من الشرق باتجاه الغرب وذلك الى الجنوب من الجرى الرئيسى مثل وادى عتران الذى بدأ

من جبل القهرة . ومجارى وادى نحرف الذى يبدأ من جبال القريين والحطم والحرف ، ووادى راخية الى الجنوب ويبدأ من جبل الكحة . وترتفع هذه القمم التى تبدأ منها الوديان الى مايزيد عن ١٧٠٠ ، ١٩٠٠ م وتشكل سطوحا شبه مستوية أو قليلة الانحدار (فراعا) ، تخترقها الأودية وتحف فيها بعمق مما زاد فى تعقيد تضاريسها من ناحية ، وساعد على تشكيل مصاطب رسوبية فى السفوح العليا القليلة الانحدار والأكثر أمطارا ، فتحولت أجزاء متفرقة منها الى أراض زراعية ، وانتشرت القرى الصغيرة فيما بينها ، وتحولت الوديان الى مراعى لحيوانات البدو ؛ الأمر الذى رفع نسبة البدو بالقياس الى المستقرين .

لم يتجاوز سكان قضاء الريث ٨٢٠٠ نسمة ، ٨٧٪ منهم من البدو الرحل يتجمعون فى فصول الجفاف حول ٢٧ مورد ماء . ولذلك فإن بدو هذا القضاء يشكلون ٧٢٪ من مجموع بدو منطقة جبال جيزان ونحو ٤٥٪ من مجموع بدو المنطقة . أما المستقرون فقد توزعوا فى ١١٤ قرية صغيرة أى بمعدل يقل عن ١٠ أفراد للقرية ، أى أن معظمها من الحصون المأهولة والمتباعدة . وأهم قرى القضاء قرية الريث (راخية) وتقع فى وادى راخية عند التقائه بالروافد : الفقارة والكحة والحرف . وفيها نحو نصف عدد المستقرين فى القضاء . وتقع قرية أشرين على فرعة جبل خرطم (١٩٠٠ م) . كما تقع قرية الرأس الى الغرب من الريث .

٣ - تهامة عسير فى منطقة جيزان :

يطلق اسم « تهامة » على جميع الأراضى الواقعة فى غرب جبال السروات بعد خط الانكسار الرئيسى (escarpment) ، وتضم مناطق اصدار الأودية والجبال الساحلية والاحواض التى بينها والسهول الساحلية . وهذا ينطبق على مناطق اصدار روافد بيش وعتود وحلى الهابطة من سفوح الشعاف فيطلق عليها اسم « تهامة قحطان » ، و « تهامة عسير » وتتبع إداريا إمارة عسير وهى تبعد عن الشاطئ مسافة قد تزيد عن مائة كيلومتر .

غير أننا سنترك القسم الشمالى من « تهامة عسير » وهو الذى يقع شمال خط يمتد من جنوب منطقة البيرك حتى اصدار باللحمر لوقوعه ضمن منطقة القنفذة حسب تحديدنا لتقسيم منطقة تهامة الى قسمين .

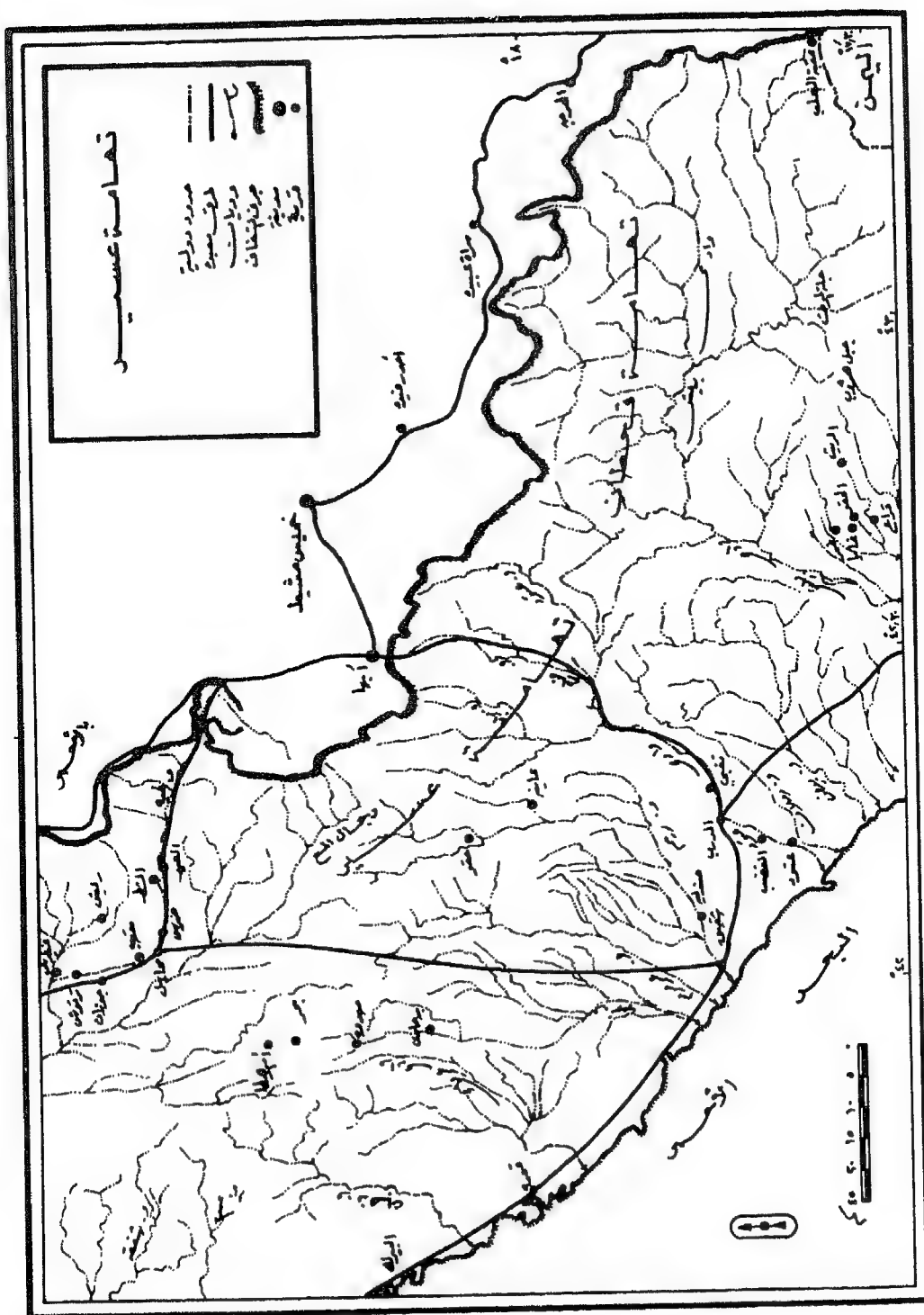
تقع منطقة تهامة عسير الواقعة ضمن منطقة جيزان الى الشمال الشرقى من القسم الجبلى التابع لإمارة جيزان ، وينحصر بينه وبين جبال السروات . ويمتد بمحاذاة السروات نحو درجتين من دوائر العرض ويتجه من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى مسافة ٢٠٠ كم وبعرض غير ثابت ولو أن معدله يزيد عن ٥٠ كم .

وبالرغم من اعتباره امتدادا مكتملا لجبال إمارة جيزان من حيث الملامح الطبيعية فانه يتميز عنها بظاهرتين : الأولى بأنه يحتل مناطق الإصدار ؛ أى يغلب عليه الشكل الحوضى فيما بين السروات والجبال الساحلية العالية رغم أنه يحوى كثيرا من القمم التى تضاهى مجموعتى الجبال المذكورتين . والثانية بانه يتميز بتطرف موقعه باتجاه الشمال وبعده النسبى عن التأثيرات شبه الموسمية التى تسيطر على المنطقة وتأتيه من جهة الجنوب الغربى وتكون قد مرت على كتلة الجبال السابقة الذكر واعتصرت معظم رطوبتها هناك .

وقد نتج عن ذلك أن انخفضت معدلات الامطار الساقطة وزادت سيطرة الجفاف وضعفت أهمية الروافد المحلية ، فى حين استمدت الوديان الهامة (بيش وعتود) روافدها الرئيسية من شعاف السروات الممطرة ، والتى لم تتأثر لتطرفها ، بفضل ارتفاعها وحسن مواجهتها للتأثيرات الجنوبية الغربية .

ولهذه الأسباب اختفت ظاهرة المدرجات الجبلية على السفوح العالية وتضاءل الغطاء النباتى . واقتصرت الزراعة فى الاقليم على وجود مساحات صغيرة متفرقة فى الأحواض الوسطى للوديان الرئيسية ، حيث تجتمع الروافد الجبلية ، ويقل الانحدار ، فتشكلت فى جوانب الوديان مصاطب رسوية طموية ، أمكن ريها من مياه الفيضان أو من الآبار التى تحفر فيها . أما السفوح الجبلية خارج تلك الأحواض فقد سمحت بانتشار حياة رعوية مجدبة . فتفوقت حياة الهداوة على حياة الاستقرار الزراعى وزادت أهمية البدو بالنسبة لمنطقة جيزان . فارتفعت نسبتهم فى المنطقة الى أكثر من ٤٨٪ من مجموع سكانها البالغ عددهم ٨٠٥٠٠ نسمة فقط .

ينتمى سكان هذا الاقليم الى أصول سكان السروات أى الى قحطان وعسير ، وبقوا على صلة بهم إداريا وتجاريا . وكان يتم الوصول بين المجموعتين عن طريق العقبات (رؤوس الاودية) التى تشق خط الشعاف . وقد عمل قسم منهم فى زراعة المناطق الصالحة للزراعة وأنشأوا القرى الصغيرة المتفرقة ، وعمل القسم الآخر فى تربية الحيوانات لاسيما الماعز والاغنام والجمال وعاشوا حياة أنصاف مستقرين أو بدو رحل .



ولذلك يسهل علينا أن نقسم هذا الاقليم الى قسمين : تهامة قحطان ، وتهامة عسير ويتكون كل منهما من عدد من الاقضية ، ويستوطن كل قضاء أحواض مجموعة من روافد الوديان المنحدرة من شعاف السروات .

أ - تهامة قحطان : وتقع في شمال شرق منطقة جيزان ، وتنحصر بين كتلة جبال جيزان في الاقضية : بنى مالك والحشر والريث من جهة وبين شعاف السروات من الجهة الأخرى . وهى على شكل حوض واسع شغله الجزء العلوى من وادى ييش ، والذي يتجه مجراه الرئيسى ابتداء من الحدود اليمنية نحو الشمال الغربى ثم ينحنى نحو الغرب فالجنوب الغربى فالجنوب . ويتكون هذا الاقليم من ثلاثة أقضية هى : -

١ - قضاء الفرشة : وهو أبعد أقضية تهامة قحطان نحو الجنوب . ويحتل الحوض الأعلى لوادى القاعة ووادى عطف (رافدى ييش) ، وينحصر فيما بين الأقضية : الربوعة والحشر والريث من جهة ، وقضاء ظهران الجنوب في السراة من الجهة الأخرى . ويحاذى الحدود اليمنية .

يتضمن هذا الحوض كتلا جبلية عالية يتجاوز ارتفاع بعضها ٢٠٠٠ م مثل : المهيجة (٢٢٤٨ م) . وقد حفرت الوديان فيها بعمق ، مما زاد في تعقيد التضاريس وأعاق حركة الناس وانتقالهم وزاد في عزلة الاقليم . ونظرا لموقعها وقلة أمطارها وشدة انحدار الوديان فيها ؛ فقد ندرت المصاطب الرسوبية وشحت المياه الجوفية ، وسيطرت الصفات الصحراوية وضعف الاحتلال البشرى . وهذا يفسر أن معظم سكانها البالغ عددهم ١٠٢٠٠ نسمة ، رغم أن مساحتها تبلغ نحو ٩٠٠ كم^٢ كانوا من البدو الرحل ، والباقي من أنصاف البدو . ولم يكن فيها سوى قرية واحدة صغيرة هى قرية الفرشة . وقد توزع البدو في ثلاث دير (جمع ديرة) : يملكون ٢٠ مورد ماء هى : -

أ - بادية وادعة والحباب والحمرة : وتقع الى الغرب من سراة وادعة مباشرة .

ب - بادية آل السعدى من سرحان وتقع في غرب السابقة باتجاه سافلة الوديان : الغابل والقاعة والغول .

ج - بادية آل السرى وتقع الى الغرب منها أيضا (١) .

(١) مجلة العرب ، الجزء ١١ ، السنة ٧ . عدد آيار ١٩٧٣ م . ص ٧٩٧ .

٢ — قضاء الجوة : ويضم حوضى وادى الراحة ووادى بيشة (رافدى بيش) ويقع فيما بين قضاء الريث التابع لجيزان وبين الاقضية الفرشة والفطيحة التابعين لعسير ، وخط الشعاف لسروات أحد ريفدة وعبيدة . وهو شبيه بقضاء الفرشة في ظروفه الطبيعية ؛ من حيث وجود الكتل الجبلية العالية والوديان التى تحفر فيما بينها بعمق ، وانزوائها عن المؤثرات الجنوبية الغربية وقلة أمطارها ، وضآلة سمك التربة وندرة الأراضي الزراعية ، وفقدان الحياة المستقرة وسيطرة البدو الرحل الذين يستثمرون أعشابها ويملكون ٢٩ مورد ماء . فقد تبين أن جميع سكانه البالغ عددهم ٥٦٠٠ نسمة من البدو ماعدا سكان قرية الجوة التى وجدت لتكون المركز الادارى للقضاء .

٣ — قضاء الفطيحة : ويمتد من شعاف شهران عسير باتجاه الجنوب فى غرب قضاء الجوة الى أن يصل أقصى امتداد لامارة عسير باتجاه الساحل حيث تحيط به الأقضية : الريث والحقو ومسلية والدرب ويضم حوض وادى بيش الأوسط بعد اجتماعه بروافده الرئيسية : الدفاع والقاعة والراحة وبيشة ، ويجتمع فيه بعض الروافد الصغيرة . ينخفض مجرى الوادى خلاله من ارتفاع ٥٦١ م عند مصب وادى الدفاع الى ٢٠٢ م عند قرية الفطيحة ، وترتفع الكتل الجبلية على جانبيه وعلى جوانب روافده الى مايزيد عن ١٢٠٠ م فى الشمال و٦٠٠ م فى الجنوب ، مثل جبل الشعراء قرب مصب وادى سريال (١٣٦٤ م) ، وجبل العوراء الى الغرب منه (١٢٩٩ م) ، وجبل الظهر الى الجنوب الغربى (٦٧٢ م) ، ونظرا لشدة انحدار المجرى فى الصخور النارية لم يستطع الوادى على أهمية كمية المياه المنحدرة فيه من عاليته أن يشكل مصاطب رسوبية ذات شأن تحوى مياهها جوفية ، ولذلك كانت هذه المنطقة قاحلة تضاءلت فيها الأراضي الزراعية . وقل عدد سكانها اذ لم يتجاوزوا ٥٢٠٠ نسمة كان ٨٢٪ منهم من البدو الرحل ، الذين يملكون ثلاثة مناهل ماء . ويتوزع المستقرون فى ٦ قرى صغيرة تواجدت فى مجرى وادى بيش ، أهمها قرية الفطيحة قاعدة القضاء الذى سمي باسمها .

ب — تهامة عسير : وتقع فى شمال غرب تهامة قحطان وتعتبر امتدادا لها فى هذا الاتجاه . ولكنها تختلف عنها بأنها لاتنحصر بين مرتفعات السراة ومرتفعات ساحلية أخرى ؛ بل أنها تنحصر بين مرتفعات السراة والسهل الساحلى مباشرة ، وبالتالي ظهرت خصائصها وكأنها امتداد لمرتفعات تهامة جيزان التى يناها قسط أوفر من الرطوبة والأمطار . وبالرغم من أنها مثلها تتضمن أحواضا داخلية فى مناطق اصدار الأودية ويقع

بينها وبين الساحل مرتفعات عالية ، الا أن اتجاه هذه الاحواض — فى الغالب — مفتوح على التأثيرات الجنوبية الغربية مثل وادى عتود وروافده وريم والجزء الاوسط من وادى حلى .

ويتكون هذا الاقليم أيضا من ثلاثة اقصية تقع ضمن منطقة جيزان واربعة اقصية أخرى تقع ضمن القنفذة سنتعرض لها فيما بعد . أما الاقصية الأولى فهى :—

١ — القسم التهامى من قضاء أبها : حيث أن قضاء أبها فى السراة يتجاوز خط الشعاف ويمتد فى تهامة باتجاه الجنوب الغربى بامتداد المجارى الرئيسية للوديان : ضلع وعتود ومرابا الى أن تلتقى معا على بعد ٥٠ — ٦٠ كم من خط الشعاف بالقرب من منطقة الدرب . ويضم كذلك شريطا من الأرض يتجاوز خط الشعاف فى قضاء شعف شهران فى السراة باتجاه تهامة .

وان كانت هذه المنطقة كبيرة الشبه فى صفاتها الطبيعية بالاقصية الجبلية السابقة الذكر كالجوة والفرشة فهى تمتاز عنها فى اعتدال مناخها مما ادى الى غناها بالثروة العشبية نسيا ، فمنحها إمكانيات إعالة حيوانات نحو عشرة آلاف من البدو الرحل هم معظم سكان هذه المنطقة ، وإمكانيات توفر الآبار بحيث امتلك البدو ٤١ منهل ماء . ولكنها تشبهها فى تواجد عدد محدود جدا من القرى الصغيرة ، يقع بعضها فى وادى ركان أو وادى ضلع أو وادى مرابا أو عتود ؛ مثل عبلاء ومربا والمديرى .

هذا وقد استفيد من الوديان المنحدرة من السراة فى الاتصال بهذا الاقليم ، ولذلك فقد أنشئ طريق أبها — جيزان وهو المرحلة النهائية من طريق الجنوب الذى يبدأ من الطائف ، ومر من وسط هذه المنطقة عن طريق عقبة ضلع . فبدأ يضيف تغيرا محسوسا على مظهر المنطقة بشكل عام .

فبعد أن كان يعيش سكان وادى عتود — ضلع وهم من ربيعة اليمن « فى مغائر بين الصخور أو أكواخ حجرية مغطاة بالخصف أو بالقماش ، لها أبواب صغيرة جدا وليس لها أقفال » فى فترة من السنة ، ثم كانوا يتركونها اذا انتقلوا الى مكان آخر بحثا عن المرعى . ويعيشون من تربية الابل والماعز ، وكان غذاؤهم ولباسهم بسيطين(١) ، تغيرت هذه المظاهر الآن بسبب تأثيرهم بما يحدث فى باقى الاقليم .

(١) فؤاد حمزة ، فى بلاد عسير ، ص ١٠٦ .

٢ — قضاء رجال ألمع : ويقع في شمال غرب القضاء السابق فيما بينه وبين قضائي قنا والبحر ومحايل . ويشغل الاحواض العليا ومناطق الاصدار لأربعة وديان هي :

١ — وادى حلى الأعلى ويتكون من خمسة روافد تنحدر من سرة عسير هي : الشعبين ومنذر العوص وعمقه وفودة ووساناب . ويتجه المجرى الناتج عنها نحو الشمال الغربى .

٢ — وادى كسان الذى يتجه نحو الجنوب ثم يصب في وادى ريم .

٣ — المجرى الأعلى لوادى ريم والذى يتجه أيضا نحو الجنوب .

٤ — وادى حسوة الذى يتجه نحو الجنوب فيما بين مرابا والعوص ويصب في ريم .

لقد قسمت هذه الوديان الكتل الجبلية المرتفعة فيما بينها وعزلتها عن بعضها ، وانتظمت على شكل سلاسل متوازية أو متتابعة ، وتحولت الى معابر (أو احواض مفتوحة) جيدة لدخول التأثيرات الجنوبية والجنوبية الغربية شبه الموسمية ، بالقياس الى الكتل الجبلية السابقة الذكر فارتفعت فيها معدلات الأمطار نسبيا ، واغتنت الوديان بالمصاطب الرسوبية وتحولت الى مدرجات زراعية ، فتعددت القرى وتوزعت في وسط الحقول الزراعية ، فارتفع عدد وكثافة السكان بالقياس الى الاقضية المجاورة .

بلغ عدد سكان هذا القضاء ٣٣٢٠٠ نسمة عاش ٧٥٪ منهم في ٣٧٠ قرية معظمها صغيرة الحجم ، ومازال الباقي على حالة البداوة . وقد امتلكوا ١٠ مناهل ماء . ومن أهم قرى رجال ألمع الشعبين وهى قاعدة القضاء وتقع في وادى حلى الأعلى ، وقرية رجال والعوص ومنذر العوص والصدارة وقوة والجرف .

يتصف أفراد قبيلة ألمع الذين ينتسبون الى أزد شنودة بقصر القامة ونحافة الجسم والوجه وعيونهم خضراء . هم وسط في عاداتهم بين قبائل السراة وقبائل تهامة ، ينضوون تحت سبعة أفخاذ كبيرة هي : بنو قطبة ومركزهم الشعبين ، وبنو ظالم ومركزهم بلدة رجال ، وبنو شحب ، وبنو قيس ، وبنو زيد ، وبنو حبونة ويسكنون مع الصوافة في عدة قرى في وادى ريم ، وأهل صلب . وكان يقيم بينهم فريق من « السادة الحفاظية » وكانوا بمقام الفقهاء والقضاة للقبيلة .

٣ — قضاء قنا والبحر : ويقع فيما بين قضاء رجال ألمع والاقضية الساحلية الشقيق

والقحمة والبرك ، ويضم أحواض عدة وديان صغيرة أهمها مجزوعة الذى يصب في وادى حلى شمالا ، ووادى عريك الذى يتجه جنوبا وينتهى الى منطقة القحمة ، ووادى نهب ووادى عرمم وتبدأ جميعها من كتل الجبال الساحلية التى لاتزيد ارتفاعاتها عن ٦٠٠ م ، ولكنها حفرت مجاريها بعمق ، خاصة حينما تقطع طبقات من الحجر الأخضر القاسية جدا ، التى تعمل بمثابة سد طبيعى ، يتشكل خلفه رسوبيات غرينية أفقية نتيجة ملء البحيرة المتشكلة خلف السد . وقد ظهرت المياه الجوفية على شكل ينابيع ماء . فقامت عليها الزراعة المروية حول قريتي أم رهط والبحر .

ينتمى معظم سكان قنا والبحر الى قبائل المنجحة وبنى هلال . وقد بلغ عددهم في سنة ١٣٩٤هـ ٩١٠٠ نسمة وعاش معظمهم (٧٨ ٪) في ١٠٤ قرى مختلفة الحجم . وقد حلوا مشكلة ماء الشرب في تلك القرى بحفر آبار كبيرة في صخور الشست التى تمثل خزانات تستمد ماءها مما يترشح فيها ببطء شديد ، ولذلك فهي تجف في فصول الجفاف ، أو في الطمى الذى يعتبر أغزر وأعذب من الشست . وتعمل سيارات الصهاريج على نقل الماء الى القرى .

أما باقى السكان فما زالوا على حالة البداوة ويملكون ٢٢ منهل ماء ، ويعملون على استثمار أعشاب الوديان في تربية الحيوانات . ومن أهم قرى هذا القضاء : بحر وأم رهطا وقشيعا وتقع في وادى مجزوعة الواسع والمزدان بنباتاته الطبيعية أو الأراضى المزروعة . وقد مرّ طريق محاليل — الدرب المعبد من قرية بحر (أو خميس البحر) فانتعشت وتوسعت خاصة وأنها قاعدة القضاء ، وهى بمثابة سوق تعقد يوم الخميس . ومن القرى أيضا: ابن جازى ومهدوة وتقع في وادى خيم الذى ينتهى الى وادى عريك في الساحل والغنى بنبات الدوم الذى يستغل في الحصول على « الطفى » .

٤ - نمو المدن في منطقة جيزان :

لقد سبق الإشارة إلى أن إقليم جيزان منطقة ريفية ، وأن إنتاج السكان الرئيسى فيها هو الانتاج الزراعى والحيوانى . وأن اقتصادها اقتصاد اكتفاء ذاتي متخلف وفقير . ولم تكن تقضي هذه الظروف بوجود مدن بمعناها ووظائفها الحديثة . وما المدن الصغيرة التى وجدت فيها سوى قرى كبيرة توسعت أكثر لأنها اتخذت - في الغالب - مراكز إداية . وتوسعت فيها وظيفة توزيع التجارة ، وكانت تقوم فيها وظيفة تبادل المنتوجات فيما بين البدو والريفيين وأفراد القوافل من السابق . ولذلك وقع معظمها على مفترقات الطرق ، وأحاطت بها القرى الزراعية .

غير أن التطورات الاقتصادية الحديثة التي تتم في المملكة ، وتنعكس آثارها على الأقاليم النائية والريفية عن طريق توزيع المصروفات الحكومية ونشر الخدمات ، وتصميم إنشاء البنية الأساسية عملت على تحويل المدن الصغيرة تلك الى مراكز جذب للسكان للقيام بتلك التغييرات ، فانجذبت الى النمو بسرعة . وفي الوقت الذي احتفظت فيه بطابعها الريفي أخذت تكتسب مظاهر مدنية حديثة لم تكن معهودة فيها .

إن تنظيم الجهاز الإداري وتطويره اقتضى زيادة عدد الموظفين الإداريين في الأقاليم ، وخلق وظائف إدارية جديدة وملئها بأفراد لا بد أن يسكنوا هذه المراكز . كما اقتضى إيجاد فرص أعمال كثيرة في الخدمات الحكومية كالخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية أو الخدمات الشخصية . وقد تأثرت بذلك الحركة التجارية وأعمال النقل فمت وتوسعت . وظهرت بعض الخدمات المهنية التي لم يكن لها وجود في السابق : كصيانة السيارات واصلاحها واصلاح الآلات أو الأدوات ، وكذلك المهن المتعلقة بالإنشاء بسبب التحول الى البناء بالاسمنت المسلح بدل الطرق التقليدية . وقد أدى التوسع في البناء وإنشاء الطرق والإنشاءات الأخرى الى توفر فرص عمل عديدة في المدن ، فاجتذبت الأفراد والجماعات للتوطن فيها .

وقد توطنت كذلك جميع المشاريع الحكومية (ما عدا مشاريع الطرق الخارجية) خاصة لإنشاء المباني الحكومية ومؤسساتها ومشاريع البلديات ، والمشاريع الفردية كتملك التي يقصد من ورائها الاستثمار المادي ، وجميع فرص الأعمال الجديدة المرتبطة بتلك المشاريع أو الناتجة عنها توطنت جميعها في تلك المدن أيضا .

ومن هنا وجدنا أن ميزان الفعاليات الاقتصادية النسبية التي دامت قرونا طويلة - دون أن يطرأ عليها أى تغيير يذكر - أخذت خلال العقدين الماضيين تنقلب جذريا ، فقد بقى الانتاج الأولى خاصة الزراعة وتربية الحيوانات وصيد الأسماك واستثمار الملح يحتفظ بطابعه القديم إلا من بعض إرهابات التطور التي لم تنتشر على نطاق كبير كمشروع وادى جيزان . وتكاد تكون قد اختفت بعض المجالات الأخرى كقطع الأخشاب واستثمارها والغوص ، إلا أنه لم يعد يحتل المركز الذي كان يتمتع به في السابق . وأخذت الأعمال المدنية الحديثة كالوظائف الحكومية ، وأعمال الإنشاء والخدمات المهنية ، والتجارة والنقل والأعمال العقارية والمالية والتعليم والصحة تسيطر شيئا فشيئا على المظهر العام للمدن .

وننتج عن ذلك زيادة عدد سكان هذه المدن واتساع مساحاتها بسرعة خارقة ، فبعد أن كان عدد سكان الواحدة منها لا يتجاوز بضعة آلاف من الأفراد وأحيانا بضع مئات ، رغم قدم بعضها الذى يصل الى قرون . ومجموع سكانها جميعا لم يتجاوز ٤ - ٥ ٪ من مجموع سكان الاقليم ؛ ارتفع عدد أفراد بعضها الى عدة عشرات من الآلاف كما ارتفع مجموعهم الى نحو ربع سكان هذا الاقليم .

ومن دراسة أرقام الجدول رقم (١١) والمستخلص من نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٤م الصادر فى سنة ١٩٧٧م ، والذى يتعلق بعدد سكان العشرين مدينة فى منطقة جيزان يمكن ايراد الملاحظات التالية :—



(صورة ٥)

محاجر الملح الصخري داخل مدينة جيزان من احدى قباب الملح المنتشرة على ساحل البحر الأحمر ، ويعبأ في أكياس استعدادا للاختبار به



(صورة ٦)

منظر عام لمدينة جيزان في سنة ١٩٧٧ م . وقد اخذت الصورة من مكان مرتفع

جدول رقم (١١)
مدن منطقة جيزان مرتبة حسب أحجامها في سنة ١٩٧٤م

الرقم	المدينة	عدد السكان			موقعها وأهميتها
		الذكور	الإناث	المجموع	
١	جيزان	١٧٦٦٥	١٥١٢٧	٣٢٧٩٢	عاصمة الإمارة وميناء الجنوب
٢	صبيا	٦٦٢١	٦٨٤١	١٣٤٦٢	في حوض وادي صبيا ، قاعدة قضاء صبيا .
٣	أبو عريش	٦٠١١	٦٢٦١	١٢٢٧٢	في حوض وادي جيزان ، قاعدة قضاء أبو عريش .
٤	صامطة	٣٤٤٧	٣٥٥٦	٧٠٠٣	في حوض وادي لية رافد تعشر ، قاعدة قضاء صامطة .
٥	بيش	٢٩٢٦	٣٣٢٣	٦٢٤٩	في حوض وادي بيش ، قاعدة قضاء بيش (أم الخشب) .
٦	الشقيري	١٧١٠	١٦٤٤	٣٣٥٤	في حوض وادي ضمد ، قاعدة قضاء ضمد .
٧	أحد المسارحة	١٥٦٦	١١٤٤	٢٧١٠	في حوض وادي خلب ، قاعدة قضاء أحد المسارحة .
٨	الدرب	١٥٤٤	١٠٣٣	٢٥٧٧	في حوض وادي عتود ، قاعدة قضاء الدرب .
٩	الطوال	١٣٣٠	٨٢٩	٢١٥٩	في حوض وادي تعشر الأوسط ، قاعدة قضاء الطوال .
١٠	العارضة	٩٩٢	١٠٣٤	٢٠٢٦	في حوض وادي محاضة رافد جيزان ، قاعدة قضاء العارضة .
١١	الموسم	١٢٦٣	٦٥٧	١٩٢٠	في حوض وادي حرض ، قاعدة قضاء الموسم .
١٢	العالية	٨٦٤	١٠٠٧	١٨٧١	في ضفة وادي بيش الغربية ، قاعدة قضاء العالية .
١٣	المضاي	٧٢٩	٦٩٨	١٤٢٧	في حوض وادي ألمح رافد الفجا ، قاعدة قضاء الحكامية .
١٤	مُسَيْلَة	٦٥٦	٧٣٥	١٣٩١	في حوض وادي بيش الأوسط ، قاعدة قضاء مسلية .

[تابع] جدول رقم (١١)
مدن منطقة جيزان مرتبة حسب أحجامها لى سنة ١٩٧٤م

الرقم	المدينة	عدد السكان			موقعها وأهميتها
		الذكور	الاناث	المجموع	
١٥	فرسان	٦٣٠	٧١٥	١٣٤٥	فى جزيرة فرسان الكبير ، قاعدة جزائر فرسان .
١٦	الحقو	٦١٨	٧١٠	١٣٢٨	فى أحد روافد وادى بيش ، قاعدة قضاء الحقو .
١٧	الرثيان	٦٦٨	٥٣٥	١٢٠٣	فى وادى جيزان قاعدة قضاء وادى جيزان
١٨	الحوبة	٥٨٢	٤٤١	١٠٥٣	فى حوض وادى دهبان رافد خلب .
١٩	القحمة	٥١٥	٥٠١	١٠١٦	مرفاً قرب مصب وادى نجلا ، قاعدة قضاء القحمة .
٢٠	الشقيق	٤٥٧	٤٧٨	٩٣٥	فى حوض وادى ريم ، قاعدة قضاء الشقيق
	المجموع	٥٠٧٩٤	٤٧٢٦٩	٩٨٠٦٣	

١ — اعتمد التعداد على الوظيفة الإدارية فى تعريف المدن فاعتبر جميع المراكز الادارية مدنا رغم أن بعضها لا يصل عدد سكانه إلى ١٠٠٠ نسمة ، وقد وضعنا فى هذا الجدول المراكز التى تزيد عن ١٠٠٠ نسمة (عدا الشقيق) رغم انها تحتفظ بالطابع الريفى ، ولايزال يعتمد معظم سكانها على الانتاج الزراعى أو الحيوانى.

٢ — بلغت نسبة سكان المدن فى سنة ١٩٧٤م حسب تعريف المدن السابقة نحو ٢٤٪ من سكان هذا الاقليم نظرا للتطور الذى طرأ على المدن الكبيرة نسبيا . فقد استقطبت عددا كبيرا من المهاجرين من الاقليم ومن خارجه . إذ وجد فى جيزان وحدها وهى عاصمة الإمارة وميناء اقليم جنوب غرب المملكة نحو ثلث سكان مدن المنطقة ، ووجد فى المدن الثلاث الأولى وهى جيزان وصبيا وابو عريش ٥٩٪ من سكان مدنها ، أو ١٤٪ من مجموع سكانها . وهى فى الواقع المدن الوحيدة التى تتصف بالمظاهر المدنية الحقيقية فى الوقت الحاضر (انظر شكل ٢٣) .

٣ - يزيد عدد الاناث على عدد الذكور في معظم مدن المنطقة ، ويعود ذلك الى عامل الهجرة إذ أن عدد المهاجرين الذين يسعون للحصول على فرص وظيفية في مدن مناطق المملكة التي سبقت هذا الإقليم في مضمار النمو الاقتصادي - وهم في الغالب من الذكور - أكثر من عدد المهاجرين اليها .

غير أن مدينة جيزان ذاتها وهي أكبر وأهم مدينة في المنطقة ترتفع فيها نسبة الذكور الى ٥٣٫٨٪ من مجموع سكانها لأنها - شأن المدن النامية - تستقطب هي الأخرى هجرة الذكور من نفس المنطقة ومن خارجها بسبب انفتاح فرص العمل فيها . ولوحظ كذلك ارتفاع نسبة الذكور في بعض المدن الصغيرة خاصة تلك الواقعة على مفترقات الطرق ولنفس الأسباب مثل : الدرب ، وأحد المسارحة والطوال والريان والخوبة والموسم . وقد ارتفعت فيها هذه النسبة ارتفاعا مقبولا عدا بلدة الموسم التي ارتفعت فيها نسبة الذكور الى ٦١٪ . ويمكن تفسير هذه الظاهرة الشاذة بسبب وقوعها على الحدود مباشرة ، فزادت نسبة جذبها لعدد أكبر من الموظفين والحراس وهم من الذكور بالقياس الى عدد سكانها القليل . وقد أدى هذا الى ارتفاع نسبة الذكور في مدن المنطقة الى ٥٢٪ من مجموع سكانها .

٤ - لوحظ أن ظاهرة استمرار نمو المدن بسرعة واضحة أفرزت نتائج سلبية على المنطقة وعلى اقتصادها ، وهي هجر عدد كبير من المزارعين لأراضيهم الزراعية فتحول قسم منها الى خرائب ، وهذا يفسر تناقص مساحة الأراضي الزراعية حسب أرقام الاحصاء الزراعي الشامل لسنة ١٩٧٤/٧٣ م .

٥ - يجب أن نأخذ بالاعتبار أثر التخطيط الحكومي وتنفيذ المشاريع الحكومية في المراكز الإدارية في تنمية ظاهرة التمدن . وقد تمثل ذلك بإنشاء بلديات أو إنشاء المجمعات القروية في المدن حتى الصغيرة ، لتقوم بتنفيذ المشاريع البلدية ، وتمهين على تنمية المدن ونموها . فقامت بإنشاء الشوارع وزفلتها وبناء أرصفتها وتشجيرها ، وتخطيط مناطق التنمية وتشجيع المواطنين على البناء .

وفيما يلي نبذة عن أكبر ثلاث مدن في منطقة جيزان :

مدينة جيزان :

عاصمة إمارة جيزان وميناء القسم الجنوبي الغربي من المملكة ، وتقع قرب مصب وادي جيزان في نهاية الشمال الغربي لبروز في خط الشاطئ باتجاه البحر . وكانت بمثابة

عقدة مواصلات تصل المرفأ الطبيعي بطرق القوافل البرية : كالطريق الساحلى الجنوى الى
ميدى (على بعد ٨٠ كم) والطريق الساحلى الشمالى الى صبيا (٤٥ كم) والطريق الجبلى
الى صعدة (١٣٥ كم) .

وهى مدينة قديمة قيل أنها وجدت قبل العهد الإسلامى ، حيث كان لها صلات
بالغساسنة فى العهد الرومانى . وشاركت اليمن فى تجارة البن فى القرن الثامن عشر دون
أن تتبعها . وكانت بلدة صغيرة وصفها الزائرون كموقع لايتجاوز سكانه ٤٠٠ نسمة
(فى سنة ١٨٣٤م)^(١) مبنية من أكواخ العشش المخروطية المتكونة من الاعشاب المجذولة
والطين ، ومن بيوت الطوب المربعة المستوية السطح . كان بها مسجد صغير وقصر كبير
مسور ، وقلعتان : الأولى قديمة مبنية على الطابع اليمنى ، حصينة استعملت فى أول العهد
السعودى كدار للضيافة ، والثانية حديثة وتقع على تل مجاور^(٢) لاتزال خرائبها قائمة
حتى الآن .

نمت جيزان بسرعة خلال الحرب العالمية الاولى لأن ميناءها بقى مفتوحا للتجارة أثناء
الحصار . واستمرت فى النمو بعد الحرب لأنها أصبحت العاصمة الساحلية لدولة
الأدارسة . فقد عدد سكانها فى سنة ١٩٢١م بـ ٦٠٠٠ نسمة ، كما قدرت مساحتها
بكيلومتر مربع واحد ، تمتد على شكل شريط ضيق من الأرض محصور بين الشاطئ
وبين تلال ملحية لاطئة لايزيد ارتفاعها عن ٦٥ م . وقد تبعت المملكة السعودية فى سنة
١٩٣٢م ، وأصبحت قاعدة إمارة جيزان ، فاستقرت فيها الوظيفة الإدارية وترسخت
الوظيفة التجارية بفضل المرفأ .

بدأت جيزان منذ أواسط هذا القرن تتحول الى مركز جذب قوى للسكان حينما
توطنت فيها المشاريع الحكومية ، وتوفرت فيها فرص الأعمال ، وقدم اليها المهاجرون من
ظهريها الريفى ومن الخارج ، فتزايد عدد سكانها حتى بلغوا ٢٠٠٠٠ نسمة فى سنة
١٩٦٢م ، ثم وصلوا ٣٢٨١٢ نسمة فى صيف ١٩٧٤م ، وأربت مساحتها على عشرة
كيلو مترات مربعة .

وليس من شك أن سكان جيزان يتجاوزون الآن الـ ٥٠٠٠٠ لاستمرار عوامل تزايد
السكان التى حصلت خلال العقد الماضى ، لاسيما الهجرة من المناطق الأخرى أو

(1) British Admiralty and War office, Naval Intelligence division, Ibid, P.545.

(2) Ameen Rihani-Around the coasts of Arabia, P. 176.

الهجرة الخارجية . يدل على ذلك أن مكتب جوازات جيزان منح خلال عام ١٤٠٢ هـ (١٠٧٢٨) تصريح إقامة دائمة لغير السعوديين^(١) ليقيم معظمهم في المنطقة .

ومع ان نشاطات السكان الاقتصادية التقليدية لاتزال باقية كالصيد والملاحة والتجارة وبعض المهن واستثمار الملح ؛ الا ان نشاط قطاع الوظائف المهنية صار هو المسيطر على حياة جيزان الاقتصادية .

كانت جيزان من أوائل المدن السعودية التي أنشئ فيها بلدية لتشرف على نموها وتنظم مبانيها وتنشئ شوارعها وتقوم بالمشاريع البلدية الأخرى . فظهر في جيزان الشوارع المستقيمة المزفلة ذات الأرصفة . والتي ازدانت جنباتها بالمحلات التجارية الحديثة والمنازل بالكهرباء ؛ مثل شارع الملك عبد العزيز ، وشارع الملك فيصل ، وشارع الكورنيش (الميناء) . وظهرت المباني المتعددة الأدوار . وقد بنيت جميع هذه التوسعات بالاسمنت .

لقد حافظت جيزان على وظيفتها السابقة كعقدة مواصلات وأصلتها ، فقد أنشئ فيها مطار حديث منذ الخمسينات ساهم في اتصال سكانها بمدن المملكة الأخرى وفي الخارج . وقد انطلقت من جيزان عدة طرق معبدة حديثة سارت كما يبدو على هدى طرق القوافل هي : جيزان — ابو عريش (٣٥ كم) ، جيزان — أحد المسارحة فالحدود ، جيزان — الدرب (١١٧ كم) مارا بصبيا وبيش . والآخر هو أهم الطرق الخارجية لأنه يعتبر المرحلة النهائية لكل من طريق الجنوب (الطائف — ابها — الدرب — جيزان) ، وقد تم افتتاحه (١٣٩٨ هـ) ، والطريق الساحلي (جدة — القنفذة — الدرب — جيزان) :

كان يتكون ميناء جيزان من مرفأين أحدهما مفتوح للسفن الكبيرة التي ترسو على بعد ٢ — ٣ كم من الشاطئ ، والثاني داخلي صغير وضيق يقع فيما بين الشعاب المرجانية والشاطئ ، لاتدخله سوى القوارب والسفن الصغيرة . ويصل بين المرفأين قنال ضيقة . وقد خضع المرفأ الثاني للتحسين والتوسع حتى يستطيع استقبال السفن الكبيرة فأنشئ فيه رصيفان منذ الستينات . وفي أواخر السبعينات جرى إنشاء ميناء كبير مجهز بالروافع والمخازن اللازمة بعد أن عجز الميناء السابق عن استقبال مايرد اليه من

(١) الكتاب الاحصائي السنوي ، العدد ١٨ ، ص ٢٤٢ .

بضائع لاسيما من الإسمنت والحديد والخشب ، ومن المواد الغذائية والملبوسات والآلات الواردة لمنطقتي جيزان وعسير . وقد تمكن هذا الميناء في سنة ١٤٠٢هـ من استقبال ٢١٠ سفينة وناقلة و ٢٩٠ مركباً صغيراً^(١) .

ونظراً لوقوع جيزان في منطقة قاحلة فقد كانت تتزود في الماضي بمياه الشرب بحلبها بواسطة الجمال من مسافة ٧ كم^(٢) . أما الآن فقد تم إنشاء شبكة أنابيب أولاً لحلبها الى المدينة ثم لتوزيعها على البيوت . وأنشئت كذلك شبكة لتوزيع التيار الكهربائي حتى الى بعض القرى المجاورة ، وثالثة للهاتف تتسع لـ ١٠٥٢ خطاً سنة ١٤٠١هـ وتيسرت الاتصالات البريدية واللاسلكية والتلكس . وشيدت فيها مبان جديدة لجميع الدوائر الحكومية أو الخدمات الحكومية ، كالمدارس والمستشفيات والمستوصفات وغيرها .

مدينة صيبا :

امتازت صيبا بأنها جمعت بين الفعالتين الزراعية والتجارية ، إذ أنها وقعت على جانب وادي صيبا في وسط الحقول الزراعية التي تعتمد على رى الحياض من مياه الفيضان ومن عدد من الآبار المحفورة في السهل الطموى الذي يتغذى من مياه الفيضان وتبعد عن الشاطئ ٢٢ كم . كما وقعت على طريق جيزان — الدرب المشهور . ولذلك فقد صارت مركزاً لظهير زراعى واسع وعديد القرى ، وكان سوقها الأسبوعى من أكبر الأسواق في المنطقة ، اذ كانت مركزاً لتجارة الحبوب لاسيما الذرة والدخن والحيوانات .

اتخذها أحمد الادريسي مؤسس الدرلة الادريسية — والذي اشدت ساعده ضد الاتراك منذ بداية الحرب العالمية الأولى — عاصمة له . وكانت مبنية من أكواخ الاعشاش (من الطين والقش ولها أرضية مرتفعة من الطين) . وكان بها قلعة حصينة وقصر يتكون من طابقين^(٣) ، وقد أعيد بناؤه من قبل الحكومة السعودية فيما بعد .

غير ان الادريسي أنشأ مدينة صيبا الجديدة في سنة ١٩١٧م على بعد ٥ كم في اتجاه الشمال الشرق منها وعلى الجانب الآخر من الوادى ، وأطلق عليها اسم الادريسية

(١) الكتاب الاحصائى السنوى . العدد ١٨ ، ص ٣٢٤ .

(2) Ameen Rihany. Ibid, P. 203.

(3) British Admiralty and war office, Naval Intelligence Division, Ibid.P. 571.

وكانت تحوى بيوتاتها واجهات حجرية . ثم أقامت الحكومة السعودية على جانب وادى صبيا من الناحية الشمالية الشرقية لصبيا القديمة سدا من الحجارة ليدفع عنها مخاطر الفيضانات ، واتخذتها قاعدة لقضاء صبيا . ثم أخذت البلدة تتسع بسرعة بعد أن أنشئ فيها بلدية تشرف على تنظيمها وتوسعها ، فظهرت فيها الشوارع المستقيمة والبيوت الاسمنتية أو المصنوعة من الطوب الاسمنتى . ولاتزال بيوت الاعشاش ماثلة فيها .

وانطلق سكانها يتصلون بمناطق المملكة الاخرى لايقيهم عائق ، خاصة بعد أن تم ربطها بالطرق « المزفلطة » التى تمر منها مثل طريق جيزان — صبيا والذى يستمر من صبيا — الدرب — أبها فى الجبال ، أو باتجاه الطريق الساحلى الى القنفذة . وبعد أن قدر عدد سكانها ببضعة آلاف من الافراد فى الأربعينات بلغ نحو ١٣٥٠٠ فى سنة ١٩٧٤ م .

مدينة أبو عريش :

تقع فى شرق السهل الرسوى وعند أقدام الجبال الساحلية على ارتفاع ٢٧١ م عن سطح البحر ، وتبعد نحو ٣٠ كم عن الشاطئ . أى أنها تقع عند رأس الدلتا الرسوبية التى شكلها وادى جيزان بعد خروجه من المنطقة الجبلية . وقد نشأت فى الأصل كمحطة قديمة فى طريق حجاج اليمن وفى طريق القوافل منذ القرن الثانى الهجرى ، اذ أنها تعتبر محطة بين صعدة (٨٨ كم) وبين جيزان (٢٧ كم) . وقد أهلها لأن تحتل مركز المحطة ، وجود ظهير ريفى واسع يخوى عددا وافرا من القرى الزراعية حولها . ثم صارت قاعدة المخلاف السليماني فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين (١) .

كانت بلدة صغيرة قدر عدد سكانها فى الاربعينات ببضعة آلاف من الأفراد وبنى قسم من بيوتها من الحجارة والقسم الآخر من الطين (٢) . ثم أخذ فى الاتساع فيما بعد حيث بقيت قاعدة إدارية لقضاء أبو عريش ، وبدأت تظهر فيها البيوت الاسمنتية أو من الطوب الاسمنتى على جوانب الشوارع الحديثة والمستقيمة خاصة بعد إنشاء البلدية التى تشرف على تنظيمها وتوسعها . حتى بلغ عدد سكانها ١٢٣٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤ م (٣) . ويزيد عدد سكانها اليوم عن ١٥٠٠٠ نسمة .

(١) العقيل — المصدر السابق ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(2) British Admiralty, Naval Intelligence Division, Ibid, P. 564.

(٣) مصلحة الاحصاء العامة — التعداد العام لسكان المملكة سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٥ - نظرة الى مستقبل منطقة جيزان :

ان أوضاع منطقة جيزان الراهنة بالقياس الى مناطق المملكة الأخرى متخلفة وفقيرة . ومواردها محدودة ومجالات الانتاج فيها ضيقة ومستوى معيشة الناس منخفض ، في الوقت الذى تملك فيه إمكانيات التقدم بالقدر الذى لا يقل عن المناطق الأخرى ، إذا أمكن استغلال تلك الإمكانيات بطرق عقلانية تعتمد على دراسات علمية وتخطيط اقليمى شامل ، ومن ذلك تطوير إنتاجها الزراعى واستغلال الموارد البحرية .

تقع المملكة - كما هو معروف - فى النطاق الصحراوى وبالتالي فهى فقيرة بانتاج المواد الغذائية عامة والمواد الزراعية بشكل خاص ، وقد تزايدت حاجتها كثيرا من الجاصلات الغذائية خلال ثلث القرن الماضى ، فتزايدت مستورداتها منها حتى أصبح اعتمادها على المستوردات لتلبية حاجة سكانها المتعاظمة اعتمادا شبه كامل . ونظرا لتعاظم مقادير صادرات المملكة من البترول ؛ لم يُظهر تعاظم استيراد المواد الغذائية أى عبء على ميزان المدفوعات ولم ينذر بمخطر هذه الظاهرة . وقد آن الأوان الآن للكشف عن مخاطر هذا الاتجاه والتفكير جديا بالنهوض بانتاج المواد الغذائية فى المناطق التى تستحوذ على امكانيات التطوير .

وجيزان تحتل مركزا مرموقا فى استحوادها على هذه الإمكانيات ، ومن الواجب تحويلها الى مركز لإنتاج قسم كبير من حاجة المملكة من المواد الغذائية زراعية وحيوانية . وهذا يقتضى تنفيذ مشاريع مائية عديدة كالسدود على الوديان التى تتردد فيها الفيضانات بكثرة للاحتفاظ بالمياه ، ومن ثم توزيعها على السهول الزراعية من خلال شبكات للرى تبنى لهذه الغاية ، واستغلال المياه الجوفية المتجمعة من تسرب مياه الوديان فى السهول الرسوبية ، وتحويل زراعة المنطقة كلها من زراعة رى الحياض الى الرى الدائم .

وترتبط بهذه المشاريع دراسات مكثفة وتجارب علمية حثيثة لاختبار الأصناف النباتية الأكثر ملاءمة لظروف هذا الاقليم وأكثر إنتاجية منها ، وتحديد أنسب الأوقات لزراعتها ، واستعمال التقاوى الجيدة وتنظيم دورة زراعية معقولة وتحسين الأساليب الزراعية ، واستعمال الآلات الحديثة والأسمدة الكيماوية الى جانب الأسمدة الطبيعية ، ومقاومة الآفات الزراعية ، واخيرا تنظيم تسويق الحاصلات والإكثار من مزارع تربية الحيوانات .

والمجال الثانى الذى لابد من تطويره فى جيزان هو استغلال ثروات البحر بطرق عقلانية حيث يعتقد العلماء أن للبحر ما للأرض من قدرة على انتاج المواد الغذائية ، وان القيمة الغذائية للأحياء البحرية ترجح على القيمة الغذائية للنباتات البرية . ويمكن بالتالى الاستفادة من الدراسات التى تمت على الأعشاب البحرية التى تزخر بها البحار ، لاسيما البحار الدافئة كالبحر الأحمر ، والبحث فى امكانية الاستفادة منها كغذاء للانسان .

هذا ولابد من تحويل صيد الاسماك الذى يتم الآن بالطرق التقليدية الى صناعة متقدمة ، وذلك باستعمال قوارب خاصة مجهزة بالأدوات اللازمة لاستغلال هذه الثروة التى لا ينضب لها معين ، وتجهيز الاسماك للتصدير بالطرق الملائمة المختلفة كالتعليب والتجميد والتبريد .

ومن الممكن أيضا ايجاد عمليات زرع اللؤلؤ اصطناعيا خاصة فى مناطق الجزر المبهوثة على الرصيف القارى الضحل فهى بطبيعتها ملائمة لإنتاج اللؤلؤ .

هذا الى جانب تطوير جميع مجالات الإنتاج الأخرى والتى منها الاتجاه نحو التصنيع ، وذلك بالبدء بإنشاء معمل لإنتاج الاسمنت ، حيث أثبتت الدراسات التى قامت بها الشركات المختصة وجود خاماته اللازمة ، خاصة وان الحاجة اليه فى تزايد مستمر . وكذلك إنشاء معمل آخر أو معمل لتنقية الملح وتعليبه وتسويقه والاستغناء عن الملح المستورد . ومعامل لمعالجة الاسماك كما ذكرنا خاصة تعليبها وأخرى لمعالجة الحاصلات الزراعية أو الحيوانية ، كمطاحن الحبوب وصناعة الجلود وتطوير الخدمات المهنية .

الفصل الخامس

منطقة القنفذة

ونعنى بهذه التسمية جميع الأراضى الواقعة فيما بين شاطئ البحر الأحمر غربا وحافة الانهدام الرئيسية لجبال سراة الحجر والحجاز شرقا ، وإلى الشمال من منطقة جيزان حسب تحديدنا لها فى الفصل الماضى . أى من منطقة البرك ومحاليل جنوبا حتى الهضاب الواقعة بين وادى الليث ووادى سعدية فى نهاية منطقة الليث شمالا عند خط عرض ٣٠° - ٢٠° ش تقريبا . وتبلغ هذه المسافة نحو ٣٤٠ كم تقريبا .

وتتضمن هذه المنطقة بذلك جميع أحواض وديان حوض البحر الأحمر فى هذه المنطقة ، والتي تتصف بأن مياهها أقل غزارة من الوديان الواقعة إلى الجنوب منها ، أى التابعة لمنطقة جيزان ، وإن المساحات الزراعية أقل اتساعا وتواجدا ، وتتضمن المرتفعات الانكسارية الواقعة بين الوديان ، وكذلك مناطق « الاصدار » أى صدور الأودية المنحدرة من السروات والتي تتصف بانها أفقر فى غطاءها النباتى من النجود الواقعة إلى الجنوب منها . وتنتشر القباب الملحية والسبخ قرب الشاطئ كما تنتشر الشعاب والأرصفة المرجانية بعد خط الشاطئ مما قلل فرص وجود حياة مستقرة فى تلك الشواطئ ، وزاد من انعزال المجموعات البشرية التى تعيش فيها .

ولذلك تعتبر هذه المنطقة قليلة السكان ومستوى معيشتهم منخفضا ، ورغم أن مساحتها تزيد عن مساحة المنطقة الأولى أى القسم الجنوبى ؛ فإن عدد سكانها لم يكد يبلغ ١٩٠ ألف نسمة ، أى نحو ٤٠٪ من سكان المنطقة الأولى فقط . وحياتهم بائسة ، لأن فرص الانتاج الاقتصادى ضئيلة للغاية . إذ اقتصرت المساحات الزراعية على بقع صغيرة المساحة متباعدة متفرقة فى بعض أحواض الوديان الجبلية ، أو فى أحواضها الساحلية حيثما مكنتها الظروف من ذلك . ويمارس الفلاحون فيها الزراعة بطرق تقليدية وينتجون ما يسد حاجتهم من المواد الغذائية لاسيما الحبوب .

ونظرا لفقر الموارد العشبية كانت الحياة الرعوية المتمثلة بالبدواة المتنقلة ضعيفة قوامها قبائل متفرقة قليلة العدد ، منخفضة الدخل فقيرة الموارد . وبالرغم من غنى البحر الأحمر بالأحياء المائية ، فانه لم يستغل في هذه المنطقة كما يجب أن يكون . وقد مارس الصيد عدد هزيل جدا من الصيادين يعيشون في عدد محدود من القرى الشاطئية المتباعدة عن بعضها والتي منع من تواجدها جذب المناطق الشاطئية وعدم "فر المياه العذبة من ناحية ، وانتشار الأرصفة والشعاب المرجانية من ناحية اخرى .

البيئة الطبيعية لمنطقة القنفذة :

تعتبر منطقة القنفذة من ناحية فزيوغرافية امتدادا طبيعيا لمنطقة جيزان ، فهي تشبهها في تعقيد تضاريسها وتباين ارتفاعاتها وتركيب صخورها . فالمنطقتان صنوان من حيث أنهما تقعان في اقليم الانهدامات السلمية التي تلى خط الانكسار الرئيسى لحوض البحر الأحمر والذي يتمثل بحافة خط الشعاف (شكل ٣٣) .

ولذلك فقد تكونت ارض هذه المنطقة — مثل جيزان — من اقليمين فزيوغرافيين مميزين : الأول : وهو قسم من اقليم الدرع العربى الذى يتكون من الصخور النارية الاركية والمتحولة ، خاصة من الشست المتبلور ومن الجرانيت والسيانيت والديوريت في مجموعات غير منتظمة من النجود العالية (horsts) والأغوار السحيقة (grabens) نتجت عن الانكسارات ، وقد حولتها التعرية بعد ذلك الى جبال أو هضاب وعرة تجاور الوديان العميقة التي شغلت المنخفضات والأغوار ، ولما كان الاتجاه العام للانكسارات هو (ش ش غ — ج ج ش) فقد تأثر اتجاه الوديان بها ، ولكنها وجدت سبيلها الى السهل الساحلى في الغرب ، وبذلك تكون قد عزلت الكتل الجبلية الى كتل منفصلة عن بعضها البعض . ومن الملاحظ أن ارتفاعاتها إجمالاً معتدلة بالقياس الى جبال منطقة جيزان خاصة الجزء الجنوبي الذى يصل الى وادى أحسبه . الثانى : وهو منطقة السهل الساحلى الذى نشأ من استمرار عملية الترسيب الناتجة عن تعرية المرتفعات الإنكسارية منذ حدوث الانكسارات وحتى الوقت الحاضر ، ولذلك تنتمى صخور السهل الساحلى الى أواخر الزمن الثالث والى تكوينات الزمن الرابع . وقد انتشر قرب الشاطئ وعند خطوط الجزر التي تليه داخل البحر القباب الملحية وقد نمت على الاخيرة حيوانات المرجان ، فانتشرت على الشاطئ وبالقرب منه الأرصفة المرجانية والشعاب المرجانية . كما انتشرت بعد خط الشاطئ من الداخل مستنقعات واسعة تجفف بعضها وتحول الى سباح جافة ورطبة .



الجبال الانكسارية : ونطلق عليها أحيانا اسم جبال تهامة أو الجبال الساحلية لوقوعها بين خط شعاف السروات والسهل الساحلى . وتتميز جبال هذا الاقليم عن جبال السروات بالاضافة الى موقعها بأنها أكثر تعقيدا ، وأقل انتظاما فى ترتيبها وتتابعها وارتفاعها منها ، بسبب عدم انتظام القوى المؤدية الى الإنكسارات والتي كانت سببا فى وجودها . يدل على ذلك تواجد الأغوار المنخفضة بجوارها من أى اتجاه ، والتي حولتها التعرية الى مجارى الوديان . وهذا يفسر وجود الوديان العميقة الى الشرق من بعض الكتل العالية جدا ، وما انتظام شبكة الوديان فى المنطقة سوى دليل على مدى التعرية التى تعرضت لها هذه الكتل . ويمكن تتبع أهم أحواض الوديان من الجنوب الى الشمال (شكل ٣٤) .

(١) حوض وادى خلى : وتبلغ مساحته نحو ٥٠٠٠ كم^٢ ، ويقع الى الشمال من حوض وادى عتود ويوجد فيما بينهما عدد كبير من الوديان الصغيرة الساحلية . ويبلغ طول واديه (وادى خلى) نحو ١٤٥ كم ، ويعتبر من الوديان الهامة المنحدرة من السراة . ويتشكل مجراه الرئيسى الاعلى من التقاء اربعة أودية تنحدر من سفوح جبل سودة الغربية هى : العوص وشعفة وفودة ووسانب ويتجه الوادى المتكون منها نحو الغرب فالشمال الغربى ، فيستقبل وادى عمقة ووادى قضى قبل أن يلتقى به رافده الرئيسى الثانى (وادى طيه) القادم من عقبة شعار . ويشكل الوادى هو وروافده أحيانا خوانق ضيقة فى الطبقات القاسية ، ثم يدخل منخفض محامل الذى يبلغ سمك الرسوبيات فيه ١٤م ، فيلتقى برافده الرئيسى الثالث (وادى بقرة) القادم من سراة بالاسمر ويخترق منخفض الخوش والبارق الذى يبلغ سمك الرسوبيات فيه ٦م . يواصل الوادى مجراه نحو الغرب فى طريق متعرج مستقبلا عددا آخر من الروافد الصغيرة ، ويدخل السهل الساحلى فى منطقة كباد ، فيشكل سهلا فيضيا واسعا ينتهى بدال متقدمة فى البحر على شكل مثلث يبلغ طول كل ضلع من اضلاعه نحو ٢٠ كم .

(٢) حوض وادى ييه : وتبلغ مساحته نحو ٢٧٠٠ كم^٢ . ويقع الى الشمال من الحوض السابق ، ويبلغ طول مجراه الذى ينحدر من منطقة العلايا باتجاه الجنوب نحو ١٠٠ كم . وفى قضاء غبرة يستقبل نحو تسعة روافد تنحدر إليه من سراة الحجر ، وتتجه كلها نحو الغرب فتشكل حوضا رسوبيا هاما . وبعد غبره يستقبل وادى غط المتكون من وادى قرية ووادى الخطوة وغيرها المنحدرة من منطقة النماص . ينحنى الوادى فى

طريق متعرج نحو الغرب الى أن يدخل السهل فالبحر ، مشكلا دالا واسعة يبدأ رأسها عند بلدة حَويل على شكل مثلث لا تقل مساحته عن مساحة سهل حَلَى ، ويقع الى الشمال من السهل الثاني مسافة ٣٠ كم .

(٣) حوض وادى قنونه : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ويبدأ مجراه الرئيسى الأول من سراة غامد باسم « وادى الحفياء » فى شمال شرق قنونه فيتجه نحو الجنوب ، ويستقبل سيول سفوح سراة بلقرن من الشرق ووادى غليلة وحلحال من الغرب ، وحينما ينحنى نحو الجنوب الغربى يلتقى بالرافد الرئيسى الثانى المنحدر من قزانه باتجاه الجنوب أيضا والذي يخترق حوض غمره الرسوى . وبعد أن ينحنى نحو الغرب يستقبل آخر روافده الهامة أى وادى « ختم الجارة » القادم من الشمال أيضا ، عند منطقة بنى عيسى فى بداية الحوض الذى يشكل فيه سهلا رسوبيا واسعا ودالا متقدمة تقع فى وسط قوسها مدينة القنفذة .

(٤) حوض وادى أحسبه : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ، ويقع بينهما الواديان عجة ولومه الساحليان . ويبلغ طول واديه أكثر من ١٠٠ كم ، وتبدأ مجاريه العليا من سراة غامد وتتجه نحو الجنوب الغربى وتلتقى فى منخفض الخواه . ويواصل مجراه فى نفس الاتجاه فيما بين جبال غامد الزناد من الجنوب الشرق وجبل شدا من الشمال الغربى الى أن يصل السهل الساحلى فيشكل فيه سهلا رسوبيا قبل أن يصب فى البحر فى شمال القنفذة بنحو ٣٠ كم .

(٥) حوض وادى اندوقة : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ويقع بينهما الواديان ناوان وقرما . وتنحدر مجاريه العليا من سفوح زهران ويتجه الجرى الرئيسى فى منطقة الجبال نحو الجنوب الغربى حتى يصل السهل الساحلى ، الذى يشكل فيه سهلا رسوبيا واسعا ، فيصب فى البحر الى الشمال من أحسبه بنحو ٢٥ كم .

(٦) حوض وادى الشاقة : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ويقع بينهما عدد من أحواض الوديان الصغيرة ، ويجرى فيه واديان : الشاقة اليمانية والشاقة الشامية . وتبدأ مجارى الشاقة اليمانية العليا (وادى غليب) من سفوح سراة زهران ، هى من الجنوب : وادى الشعراء ووادى رمى ويهبطان من سفوح سراة المندق . ووادى الجرداء ويهبط من سفوح المندق ودوس ، ووادى الحجرة الذى يهبط من جهة الشمال . وبعد التقائها يتجه الوادى نحو الغرب حتى السهل الساحلى فيتجه نحو الجنوب الغربى . وتبدأ

مجارى الشاقة الشامية العليا من سفوح جبال بنى مالك وتتجه نحو الجنوب الغربى الى منطقة السهل الساحلى فيقترب مجرى الوادين ويسيران متوازيين لايبعدان عن بعضهما الا بضعة كيلو مترات الى أن يصبأ فى البحر ، ويشكل الشاقة الشامية سهلا رسوبيا واسعا .

(٧) حوض وادى الليث : وهو آخر الأحواض الهامة فى جهة الشمال ، إذ تبلغ مساحة حوضه ٣٠٠٠ كم^٢ ، وتبدأ مجارية العليا من سفوح الجبال الواقعة فى جنوب شرق الطائف بمسافة ٣٠ كم ويتجه نحو الجنوب فيستقبل اثناء ذلك عددا كبيرا من الروافد التى تهبط من سفوح السراة الواقعة بين الطائف وبنى مالك ، ومن الجهة الغربية . وفى السهل الساحلى يشكل سهلا رسوبيا يجاور منطقة السباخ الشاطئية العريضة . ويلى وادى الليث وادى حريق البير ووادى الفقه ووادى خضرة ووادى سعية الى الشمال الغربى .

وتنتصب الكتل الجبلية غير المنتظمة - التى ذكرناها - بين أحواض هذه الوديان المتباينة فى أطوالها وشكل مجاريها . وقد تكون هذه الكتل جبالا عالية أو تلالا لاطئة أو هضابا وفراعا ، مختلفة الاتساع متتابعة بغير نظام ، بفضل تباين البنية والتركيب وتباين قوى الانكسارات ونشاط التعرية الذى تبع ذلك . ومن أهم الكتل البارزة على سبيل المثال لا الحصر من الجنوب الى الشمال :

- ١ - فيما بين روافد وادى حلى فى الجنوب وروافد وادى قنونة فى الشمال توجد بعض الكتل المتفرقة مثل جبل كتمان وجبل بكرتين وجبل تربان وجبل ثميذة .
- ٢ - جبال غامد الزناد وتقع بين المجارى العليا للوديان : لومة وأحسبه من جهة وقنونة من جهة أخرى .

- ٣ - جبل شدا وجبال آل الدومين وتقع الى الشمال من المجموعة السابقة بنحو ١٥ كم فيما بين روافد الوديان أحسبه (وادى الخواة) من الشرق ، وناوان (وادى نيرا) من الغرب ، والدوقة (الشعراء) من الشمال . وترتفع قمم جبل شدا الى ٢٢١٥ م عن سطح البحر ، فهى تضاهى فى ارتفاعها وطقسها وانتاجها مرتفعات سراة غامد التى تقع الى الشرق منها ، فى حين ينخفض سهل الخواة بينهما الى ارتفاع ٣٠٠ - ٥٠٠ م وترتفع بلدة الخواة ذاتها ٣٦٠ م عن سطح البحر .

- ٤ — كتلة جبال « ريع المنقض » ، وتمتد شامخة فيما بين عالية وادى أحسبه (وادى غليل ووادى سقاما) وعالية وادى الدوقة . ويبلغ ارتفاعها نحو ٢٠٠٠ م عن سطح البحر وتظهر وكأنها امتداد لسراة غامد باتجاه تهامة .
- ٥ — جبل نيس وترتفع قمته الى ١٩٤٠ م ويقع بين عاليا وادى الدوقة وعالية وادى عليب (الشعراء) . ويظهر في الافق شامخا بين المرتفعات المجاورة له ، يصعب ارتقاؤه لشدة انحداره . ولا يتعد كثيرا عن سراة دوس والمندق .
- ٦ — جبل عفف ويتع بالقرب من قرية سوق الجمعة وذلك فيما بين الروافد الشمالية الغربية لوادى الشاقة الشامية ، والروافد الشرقية لوادى عيار .
- ٧ — وتقع الكتل : جبل بجاله وجبل بنى يزيد وجبل الأحمر وغيرها في حوض وادى الليث فيما بين روافده المتعددة . كما تقع الجبال : سودة ولاحه وجودة عند حدود منطقة الليث فيما بين حوض وادى الليث من جهة وادى سعية وسعدية من جهة أخرى .

تنحدر سفوح هذه الكتل الجبلية أحيانا على شكل جروف قائمة يصعب تسلقها وتشرف على الوديان المنخفضة تحتها . ويسبب هذا كثرة الانهيارات الجبلية أو الصخرية مما يجعلها خطيرة في مواسم سقوط الأمطار ، وقد تكون أحيانا مجردة من التربة بسبب الانحدار وتكون بالتالى خالية من الغطاء العشبي . غير أن بعض قممها قد تكون اقل انحدارا فظهرت عليها حياة مستقرة معتمدة على الزراعة مثل قرى جبل شدا .

السهل الساحلى :

يمتد الشريط الساحلى فى منطقة القنفذة من وادى نجلا فى شمال القحمة جنوبا حتى وادى سعية فى شمال منطقة الليث شمالا . ويبلغ طول هذا الشريط نحو ٤٠٠ كم تقريبا ، فى حين أن عرضه يختلف باختلاف اقتراب الكتل الجبلية من البحر ، ويتراوح إجمالا بين ٢٠ - ٤٠ كم تقريبا . ويتكون من الرسوبيات الحديثة من أواخر الزمن الثالث إلى تكوينات الزمن الرابع .

ونظرا لتركيب هذا الإقليم والمناخ الذى يسود فيه ويسود على المناطق الجبلية المجاورة له ، ونوع ومراحل التعرية الناتجة عن ذلك ؛ أمكن تمييز الأقسام التالية فى السهل :

١ - سهول الوديان المنحدرة من مناطق الجبال في مجاريها الدنيا ، وتتكون أرضها من رسوبيات الفيضان (الطمي) التي يختلف امتدادها ومساحتها وسمك رسوبياتها حسب أهمية الوديان ، وما تحمله من صبيب سائل وصلب ، وحسب مناطق تزودها بالمياه . فإذا كانت الوديان كبيرة وذات روافد عديدة قادمة من مناطق الجبال العالية الغنية بالمطار ، فإنها تشكل سهولا رسوبية واسعة ، وبامكانها اختزان نسبة كبيرة من مياه الفيضان . وتتجدد تربتها مع كل فيضان ، وتتقدم على شكل دالات باتجاه البحر . وقد هيأت هذه السهول إمكانية الزراعة شأن السهول الرسوبية الواقعة في الجنوب ، ولو أنها أقل امتدادا ومساحة . وتبتعد عادة عن الشاطئ بسبب ارتفاع نسبة ملوحة التربة والمياه في ذلك الاتجاه .

٢ - مناطق الخبت وهي السهول شبه المستوية الواقعة بين أحواض الوديان والتي لاتصل اليها مياه الفيضان . وهي قليلة الأمطار بطبيعتها فكانت مناطق صحراوية جرداء الا من بساط عشبي فقير متناثر يظهر عقب سقوط الأمطار . وتزداد مساحة أراضي الخبت بسبب نقص مساحة سهول الوديان فكل منها تتوسع على حساب الأخرى .

٣ - القباب الملحية والسهباخ : اذ تكثر القباب الملحية قرب الشواطئ ، كما تكثر السباخ أو المستنقعات المالحة بسبب انخفاض الشاطئ ، ودوام تزودها بمياه البحر المالحة ، وبسبب جفاف المناخ حيث تتغلب عملية التبخير على عملية التزود بالماء ، إذ تمتد السباخ مع امتداد الشاطئ في منطقة الليث بعرض يصل بين ٢ - ٤ كم . ويؤثر وجودها بالطبع بشكل سلبي على الحياة النباتية والحيوانية وحتى البشرية .

٤ - يوجد في جنوب هذه المنطقة مساحات واسعة من الصبات البركانية والرماد البركاني ، فتغطي السهل الساحلي ابتداء من خط الشاطئ عند وادي نهب في جنوب القحمة جنوبا حتى جنوب وادي حلى . وهي هضبة وعرة رقيقة التربة قاحلة . هي في الواقع امتداد للمنطقة البركانية التي رأيناها في شمال غرب منطقة جيزان .

٥ - ينتشر عدد كبير من الجزر الصغيرة بجوار خط الساحل ، وقد نشأ معظمها بسبب قباب الملح والتي قد نما فوقها حيوان المرجان . فكثرت الشعاب المرجانية والأرصفة المرجانية بأشكالها المختلفة ، وقد اقترب بعضها كثيرا من خط الشاطئ . تشترك هذه الصفة مع الصفة السابقة لها في حرمان المناطق الشاطئية من الفرص المناسبة لتواجد مواقع الاستقرار وهذا يفسر خلوها من القرى الشاطئية ؛ الا من عدد قليل جدا ومتباعد ، وقد ظهرت تلك القرى في مواقع مرافئ طبيعية فيما بين الحواجز المرجانية ، مما زاد من عزلة هذا الإقليم .

المناخ والنبات :

ان وقوع منطقة القنفذة فيما وراء خط عرض ١٨° شمالا ضمن المنطقة المدارية جعلها تختلف قليلا عن منطقة جيزان الواقعة للجنوب منها . فهي وان تشابهت وإياها في ظروف الحرارة ، كأن تكون جميع معدلات الحرارة فيها مرتفعة جدا ولو أنها تتباين من مكان الى آخر حسب الموقع والارتفاع . إذ يصل المعدل السنوى للحرارة في معظم المحطات أكثر من ٣٠°م . وتتميز المناطق الساحلية بان معدلات الحرارة الشهرية لا تقل فيها عن ٢٥°م حتى في شهر الشتاء . وان الحرارة الدنيا في الشتاء لا تقل فيها عن ٢٠°م ، ولو أن الحرارة العظمى في الصيف يصل معدلها الى نحو ٤٠°م ، غير أن هذه المعدلات تقل نسبيا عن مثيلاتها في منطقة جيزان ، وتقل أكثر كلما زاد الارتفاع ولكنها لاتصل الى درجة الاعتدال على كل حال .

الا أن هذا الموقع جعلها أكثر تطرفاً من المنطقة السابقة عن التأثيرات الجوية الجنوبية الغربية ، وبالتالي أقل تأثراً منها بحركات الجو شبه الموسمية الصيفية . وهى في نفس الوقت مازالت بعيدة عن تأثيرات الحركات الشمالية الغربية القادمة من حوض البحر المتوسط في فصل الشتاء . وانعكست هذه الظواهر في نقص معدلات الأمطار السنوية بشكل عام ، ولم تكد تبلغ هذه المعدلات في المناطق الساحلية ١٠٠ ملم ، لكنها قد تزيد عنها قليلا في الهضاب القليلة الارتفاع المجاورة لها (في الليث ٩٥ ملم ، في الدوقة ٩٣ ملم ، في القحمة ٧٤ ملم ، في المظيلف ١٢٧ ملم) . وترتفع معدلات الأمطار على السفوح الجبلية العالية والمواجهة لاتجاه تلك الحركات الجوية .

غير أن معظم المجارى الرئيسية للوديان الهامة الهابطة من مناطق الجبال تتجه إجمالاً نحو الجنوب والجنوب الغربى وصارت بمثابة أحواض طويلة على شكل أخاديد ، فيما بين المناطق الجبلية العالية ومفتوحة باتجاه الجنوب الغربى مباشرة ، مما جعلها تتصيد الغيوم وتعتصرها ، فارتفعت كميات الأمطار فيها . ومن الأمثلة على ذلك ، البارق في وادى يبا التى يزيد معدل الامطار فيها عن ٥٠٠ ملم ، ونمره في وادى قنونة ، ومحايل في وادى حلى والنخوة في وادى أحسبة ويسقط في كل منها بالمعدل أكثر من ٣٥٠ ملم من الأمطار سنويا . وتقل الأمطار عن ذلك كثيرا في جميع المواقع الأخرى وحتى المرتفعات المتوسطة ، ويمكن أن نعتبر معدلاتها تقع بين ١٠٠ - ٢٠٠ ملم .

ويقلل من أهمية هذه الأمطار كذلك ارتفاع نسبة التبخر بسبب ارتفاع الحرارة ، خاصة وان معظمها تسقط في أشهر الصيف الأكثر حرارة ، وتسقط بشكل فجائي وفي عدد محدود جدا من الأيام ويستمر الجفاف أشهرا طويلة بعدها .

وخلاصة القول أن نسبة مياه الأمطار التي تتحول بعد سقوطها الى الجريان تكون قليلة بالقياس الى الجريان في منطقة جيزان . وتقل بذلك مرات تكرر حوادث فيضانات الأودية ، وتنخفض حملتها السائلة والصلبة ، ويرتفع مدى تذبذبها ، وتقلص بالتالي مساحات السهول الرسوبية الفيضية التي أنشأتها حولها ، وأصبح بعضها بدون سهول اطلاقا . غير أن روافد الوديان المنحدرة من سفوح السراة والتي تجري في منخفضات بين الجبال باتجاه الجنوب الغربى تجلب من المياه ما يضاف الى ما يسقط فيها بحيث تمكنت من انشاء مصاطب رسوبية طموية واحتزنت كمية من مياه الفيضان وأصبحت صالحة للزراعة المروية . وهى في نفس الوقت المسؤولة عن الفيضانات التي تحدث في المجارى الدنيا للوديان والتي تبني بدورها السهول الفيضية والدالات في منطقة السهل الساحلى .

وفي هذه المنطقة يمكن أن نجد نفس الأنواع النباتية التي وجدناها في منطقة جيزان ولو أنها أقل كثافة وغنى ، وأكثر بعثرة وتفرقا ، وتوجد مساحات واسعة شبه خالية من النباتات . ففي أحواض الوديان الرطبة نجد عددا من الأنواع الشجرية الشوكية أو نصف الشوكية ، كأشجار الأكاسيات بأنواعها والسدر والطفريات وبعض أعشاب السافانا كنبات الحلفا . وفي حين ينتشر غطاء عشبي فقير في المناطق الأخرى لندرة الماء وفقر التربة ؛ تكاد مناطق الخبت الواسعة والسياخ القريبة من البحر تكون خالية من أى غطاء نباتى . ولو أننا نجد بعض النباتات المتأقلمة مع الملوحة كـ بعض أنواع أشجار المانجروف بالقرب من الشواطىء في منطقة الليث وفي بعض الجزر المقابلة لها . ويمكن أن يقال كذلك عن الحيوانات التي تعيش في هذه المنطقة .

نشاط السكان :

ونستخلص مما سبق أن منطقة القنفذة تعتبر منطقة انتقالية في صفاتها بالقياس الى منطقة جيزان حيث يتضاءل فيها تأثير الموسميات الجنوبية الصيفية وتتضاءل بالتالى معدلات الأمطار الساقطة فيها ، ولكنها لاتزال تستفيد من المياه المنحدرة اليها من مناطق الجبال العالية . وقد عمد المواطنون في مناطق المجارى العليا للوديان الى بناء جدر حجرية على جوانب المجارى للمحافظة على المصاطب الترابية ، وسحب مياه السيول والفيضانات اليها باقامة عقود ترابية على المجارى حتى تتمكن من تجميع الماء السطحي

والاحتفاظ بالطمي ، بحيث سمحت باقامة الزراعة ولو على نطاق متفرق . ولكنهم أقاموا حقوقهم الزراعية على جوانب الوديان المرتفعة في المجارى الوسطى لعدم قدرتهم على التحكم في مياه الفيضان . وقد ساعدتهم على ذلك ما تتركه الوديان في مجاريها من حجارة وأخشاب ، فترفع المياه الى تلك الحقول المتكونة من عدة أمتار من الطمي الذي يحوى غشاء مائيا محدودا يستعمل في الزراعة وتلبية الاستعمال المنزلى في القرى . كان يتم الحصول عليها بواسطة حفر الآبار البلدية ويتم رفعها بواسطة الحيوانات .

وكانت تتم الزراعة بالطرق التقليدية وبالوسائل اليدوية ومازال المزارعون يمارسون الزراعة بالاساليب القديمة ، وكأنهم لم يستفيدوا بعد من نتائج الأبحاث والتجارب الزراعية ، أو كأنهم لم يدركوا أهمية استعمال الآلات الميكانيكية ، بل لم يتمكنوا من استعمالها . ولم يطوروا أساليب الري ويكافحوا الآفات بالأدوية الكيماوية ولم يستعملوا التسميد الكيماوى الى جانب التسميد البلدى (السماد الطبيعي) كما ينبغي أن يكون .

وترتبط الزراعة التقليدية بمواسم الفيضانات ، ولذلك فلا يتمكن المزارعون في الغالب من زراعة الحقل أكثر من منتج واحد كأن يكون صيفيا أو شتويا ، لأن الزراعة ستعتمد على رطوبة التربة التى اختزنتها خلال فترة الفيضان . ولا زال الغرض من الزراعة يستهدف كفاية حاجة الناس من المواد الغذائية لأنه لاغنى لهم عن هذا الهدف . فدخل الزراعة وانتاجية الأرض الزراعية محدودان ، والمزارعون فقراء بالقياس إلى فئات المجتمع الأخرى ، بل هم فقراء بالقياس إلى المزارعين في اقاليم المملكة الأخرى .

وأكثر الأنواع النباتية المزروعة ملائمة لهذا الغرض ولهذا النوع من الزراعة هو الحبوب خاصة الدخن والذرة ، بسبب توفر الحرارة وقلة ما تتطلبه من مهارة أو جهود ، ولأنه يستفاد منها كغذاء للإنسان ، وتصلح لتغذية الحيوانات سواء كحبوب أو أعلاف خضراء ، وتزرع الأنواع الأخرى من الحبوب كالقمح والسمسم وقل من ذلك الشعير ، ولم تكن الاشجار المثمرة والخضروات تنال عنايتهم .

والمهنة الرئيسية الثانية هى تربية الحيوانات سواء من قبل المزارعين أنفسهم ، حيث أن طبيعة الزراعة التقليدية ترتبط أيضا بتربية الحيوانات التى تعتبر وسيلة استطاع الفلاحون بواسطتها رفع مستوى دخلهم الضعيف ، وكانت الزراعة اجمالا زراعة مختلطة ، خاصة وانهم يستعملون بعض هذه الحيوانات في العمل الزراعى كالحرث والتحميل والنقل ، وأهم الحيوانات التى يملكها المزارعون الأبقار والأغنام . أو من قبل

البدو الرحل الذين يستثمرون مناطق الأعشاب في خارج الحقول الزراعية لاسيما في أحواض الوديان ذاتها . خاصة وأن الغطاء العشبي خارج تلك الأحواض هزيل ، بل شبه منعدم في بعض المواقع ، ولايكاد يكفى لإقامة حياة رعوية بكثافة كبيرة . فكانت جماعات القبائل الرعوية في هذا الاقليم عموما صغيرة الحجم وتملك قطعانا قليلة العدد ، ودخلها ضعيف للغاية وأحوالهم المعيشية أسوأ من أحوال المزارعين . ولم تتجاوز نسبتهم ٢٠٪ من مجموع سكان هذه المنطقة . وأهم الحيوانات التي يربونها الإبل والماعز والاغنام .

وقد أثرت ظروف المنطقة الطبيعية وفقر مواردها على مجالات الانتاج الأخرى ، فبالرغم من غنى البحر الأحمر بثرواته الطبيعية خاصة الاسماك واللؤلؤ والمرجان ؛ الا أن اعتراض الأرصفة والشعاب المرجانية المناطق الشاطئية حرمتها من فرص وجود قرى شاطئية ، سوى عدد قليل وهزيل ومنعزل بعضها عن بعض . وإذا كان الصيد يشكل مهنة أساسية لسكان هذه الشواطئ فهو يتم بطريقة التقليدية الضعيفة والقليلة الانتاجية ، فيحيا الصيادون من ورائها أيضا حياة فقر وفاقة . ويكاد يكون الغوص قد انتهى نهائيا من هذه المناطق لقلة مردوده على الغواصين ومخاطره ، وعدم صموده أمام منافسة الانتاج الحديث للؤلؤ الاصطناعي . وبالرغم من توفر الاملاح في مناطق السبخ الشاطئية أو القباب الملحية القريبة من الشاطئ الا أنها مازالت غير مستثمرة بالشكل اللازم .

لقد عاش معظم سكان هذه المنطقة - سواء المزارعون أو الرعاة أو الصيادون - حياة كفاف واكتفاء ذاتي ، مما دعا عددا كبيرا منهم - لاسيما الشباب - على الهجرة للتفتيش عن أعمال أخرى في مدن ومناطق المملكة الأوفر حظا في فرص العمل ، لاسيما إبان عهد النهضة الاقتصادية الحديثة . فأهملت الزراعة وقلت مساحة الأراضي وهزلت أعداد الحيوانات وتجمدت المجالات الانتاجية عموما . يدل على ذلك انخفاض نسبة الذكور الى الاناث ؛ لأن الهجرة تنال الذكور في سن العمل دون الاناث ، وتواضع نسبة تزايد السكان عامة فيما بين عامي ١٩٦٢م ، ١٩٧٤م ، وارتفاع نسبة الأمية وانخفاض نسبة الحضور المدرسي للاطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٠ سنوات وارتفاع نسبة التسبب بالقياس الى المناطق الأخرى .

ولولا ظهور بعض المشاريع الإنشائية في بعض المواقع وظهور مجالات عمل جديدة في الوظائف الحكومية وضرورة توفر الخدمات والتوسع فيها - لاسيما الإنشاءات الحكومية

في المدن والبلدات التي اتخذت مراكز للأقضية الفرعية والتي استحدثت نشاطا ورواجا إقتصاديا ، وظهور بعض المشاريع الفردية في تلك المواقع - لزادت المنطقة انعزالا وتحلفا عما كانت عليه .

ومن أهم الأعمال الانمائية الحديثة التي ظهرت في المنطقة وكان لها تأثير كبير عليها هو اختراق الطريق المزفلة الساحلى الذى يربطها شمالا بجدة ومكة ، وينحرف في منطقة النجود الداخلية ، فيصل الساحل في منطقة المظيلف بكل من محاليل فالدرب في تهامة عسير جنوبا والخواة في تهامة الباحة شمالا ، عبر مجارى الوديان الداخلية والتي تبعد اكثر من ٨٠ كم عن خط الشاطئ . فساهم هذا الخط في ربطها بالمناطق المجاورة لها وقضى على عزلتها السابقة .

ومن الجدير بالملاحظة أن الطريق الساحلى بين جدة وجيزان ينقصه إكمال قطاع واحد فيما بين القنفذة والبيرك حتى يكتمل ويساهم مساهمة أفضل في ربط هذه المنطقة بالجنوب والشمال ، وربط الساحل بالجليل . ولايزيد طول الجزء الباقى عن ٢٠٠ كم وهو تحت التخطيط . ولا بد من توصيل هذه الخطوط الرئيسية بوصلات فرعية تربطه بالمناطق المأهولة .

ومن مظاهر التغير الحديث أيضا في هذا الاقليم إنشاء بلديات في المدن الصغيرة مثل : محاليل والقنفذة والليث والقدح وقلوه ، أو مجمعات قروية مثل مجمع نمره ومجمع القنفذة ومجمع الحجارة ومجمع تربيان تشرف على تنميتها وتطورها لتأهيلها كمراكز إدارية . فبنت الشوارع ورصفت بعضها وشجعت البناء من الأسمنت أو الطوب الاسمنتي ، بل وعملت أحيانا على نقل القرى أو المدن من مواقعها ، أو نقل بعض أحيائها الى أماكن أنسب وبمخططات منظمة كما حدث في نمره وكما سيحدث للحجرة . وصارت هذه البلدات تتوسع بسرعة بإنشاء مبان اسمنتية في كل اتجاه .

وقد توسعت أعمال حفر الآبار في الوديان لتزويد القرى بمياه الشرب . وبعد أن شاع استعمال سيارات الصهاريج لنقل المياه من تلك الآبار وتوزيعها في القرى عملت البلديات على إنشاء خزانات اسمنتية مرتفعة عن مستوى القرية تضخ إليها المياه من الآبار ومن ثم تتوزع على البيوت والمحلات بدون ضخ .

لقد أوضحت نتائج التعداد العام لسكان المملكة لسنة ١٩٧٤م أن عدد العاملين في الزراعة في مناطق القنفذة والبيرك والليث أى القسم الداخل في إمارة مكة من هذه

المنطقة بلغ ١٤٧٨٥ فردا ، والعاملين في تربية الحيوان بلغ ٩٢٤٥ نسمة وتعادل هذه الأرقام النسب ٤٣.٥٪ و ٢٧٪ على التوالي ، اى مايزيد عن ٧٠٪ من مجموع العاملين في هذه المناطق الثلاث . وهذا يدل على سيادة الحياة الريفية ، علما بأنه يصعب التفريق إحصائيا بين هاتين الفئتين ، لأن المزارعين يمارسون تربية الحيوان ، في حين أنه قد يمارس الزراعة عدد من غير المستقرين (أنصاف البدو) وكلا الفئتين تضم نسبة عالية من العنصر النسائي .

وبالرغم من أن اقليم القنفذة (بمعناه الواسع) يمتد بامتداد السهل الساحلى الذى يزيد طول شاطئه عن ٣٤٠ كم فان الإحصاء دل على أن مجموع العاملين في مجال الصيد لم يتجاوز ٧٢٠ فردا في ذلك الوقت ، اى أنه لم يبلغ ٢٪ من مجموع العاملين في المنطقة كلها بالرغم من غنى البحر الاحمر بالاحياء المائية كما ذكرنا . وهذا يشير الى توفر إمكانية تنمية استثمار الثروة السمكية في المستقبل .

وقد عمل باقى الأفراد العاملين في مجالات الإنتاج الأخرى خاصة التجارة والنقل والخدمات . ولكن يجب أن لا يفهم من هذا أن أوضاع تلك المجالات الأخرى أحسن حالا من المجالات السابقة الذكر ؛ بل قد تكون أكثر تخلفا وبدائية وفقرا ان صح التعبير . فقد نشأت على سبيل المثال بعض المواقع على طريق حجاج الجنوب وبالتالي على طريق القوافل التجارية منذ القديم ؛ لتكون محطات استراحة للقوافل وتعمل على تزويدها بما يلزم من ماء وغذاء وحاجيات يطلبها المشاركون في الرحلات . ولذلك قامت هذه المراكز في بعض الواحات الواقعة على الطريق والتي توافر فيها الماء والزراعة وعوامل الاستقرار أكثر من غيرها ، على أن تكون متباعدة بمسافات تتلاءم ومراحل السفر بالنسبة للحيوانات . وقد توسعت وزادت أهميتها وتحولت الى أسواق دورية وفي الغالب اسبوعية ، تخدم عمليات تبادل المنتوجات في المنطقة المحيطة بها . ولكنها لم تصبح ولن يتسنى لها أن تصبح مدنا .

ومن هنا كانت منطقة القنفذة جميعها منطقة ريفية هامشية تابعة لغيرها . اذ لم يتوفر فيها مركز تجمع بشرى على قدر كاف من الأهمية ، بل أن جل ما وجد في وسط المساحات الزراعية عدد من البلدات الصغيرة ، والريفية في مظهرها العام ، قامت بالوظيفة الإدارية الى جانب قيامها بوظيفة تبادل المنتوجات . وقد تكون القنفذة هى المدينة الوحيدة في هذه المنطقة الواسعة ، وهى مدينة صغيرة جدا قامت بالاضافة الى

الوظيفتين السابقتين بدور الميناء لمنطقتها ولظهيرها الجبلى المجاور ، والذي امتد حتى أبها في عسير في وقت من الأوقات .

عملت هذه الظروف القاسية على عزل أقسام هذه المنطقة بعضها عن البعض الآخر وبكلمات أكثر وضوحا : اكتفت مناطق الأحواض الزراعية بذاتها اكتفاء كفاف ، وانعزلت عن بعضها وعن المواقع الشاطئية . وفي كثير من الأحيان كانت المناطق الداخلية تخضع لنفوذ قبائل السراة المجاورة لها فتزداد أواصر الصلة بينهما بشريا واقتصاديا ، وكان الاتصال بينهما يتم عن طريق العقبات . وكانت المناطق الشاطئية كذلك منعزلة بعضها عن البعض الآخر ، وعن المناطق الزراعية الداخلية بسبب بعد المسافات بينها ، وكانت تخضع في أغلب الأحيان لنفوذ الملاحين والتجار القادمين إليها بواسطة البحر من أماكن بعيدة .

ولا ندعى أن هذه الولاءات كانت ثابتة مع الزمن ؛ بل أنها كانت في تغير دائم بتغير الأحداث التاريخية . لن ندخل في تفاصيل هذا التغير لأنه يخرج عن نطاق أهداف هذا الكتاب . ولكننا نضيف الى ذلك أن منطقة القنفذة حسب تحديدنا لها تقع الآن ضمن حدود ثلاث وحدات إدارية ، أى ثلاث إمارات حسب التقسيم الإدارى للمملكة في الوقت الحاضر . هذه الامارات هى :—

١ — إمارة عسير ويتبعها القسم الثانى من تهامة عسير أى القسم الشمالى ؛ وهو عبارة عن منطقة الجبال الساحلية الانكسارية الواقع الى الشمال من القسم الجبلى التابع لإمارة جيزان .

٢ — إمارة الباحة ويتبعها القسم الأوسط من منطقة جبال تهامة والواقع فيما بين السهل الساحلى غربا وسراة إمارة الباحة شرقا .

٣ — إمارة مكة ويتبعها جميع الاقليم الساحلى لمنطقة القنفذة أى فيما بين السهل الساحلى التابع لجيزان والسهل التابع لجدة . بالاضافة الى منطقتى جبال تهامة الواقعتين إلى الجنوب من تهامة الباحة (منطقة القنفذة) وإلى الشمال منها (منطقة الليث) .

وطبقا للاعتبارات الطبيعية والبشرية المراد بحثها ، ومع مراعاة الحدود الادارية يمكن أن نعيد تقسيم منطقة القنفذة باقسامها الادارية الثلاثة المذكورة الى أقسام اقليمية أصغر ، يتميز القسم منها عن الآخر بصفاته التفصيلية . ويمكن أن نستعرض هذه الأقسام بالتتابع بادئين بالقسم الجبلى :

١ — القسم الشمالى من نجد تهامة عسير :

ويقع الى الشمال والشمال الغربى مباشرة من اقليم جبال تهامة عسير الذى سبق الاشارة اليه كجزء من منطقة جيزان . ويقع بن خطى عرض ٢٥ - ١٨ ° ش ، ١٠ - ١٩ ° ش تقريبا . ويمتد بذلك نحو ١٠٠ كم فى هذا الاتجاه ، كما يمتد بين ٦٠ — ٨٠ كم فى الاتجاه العمودى على الاتجاه السابق . (انظر شكل ٣٢ ، ٣٤) .

بلغ عدد سكان هذا القسم الجبلى فى سنة ١٩٧٤م نحو ١٠٠٠٠٠ نسمة ، منهم أقل من ٧٠٠٠٠ مستقرون فى قرى زراعية تتواجد فى الوديان الهامة ، يمارس الفلاحون فيها — بالاضافة الى الزراعة — تربية الحيوانات ، ويعيشون حياة بسيطة منخفضة المستوى . ويتمركز فى وسط كل مجموعة قرى بلدة صغيرة ذات طابع ريفى ، ولا يوجد فى المنطقة مدن . وتتكون المنطقة من أربع وحدات إدارية أى إمارة فرعية أو قضاء تتبع إمارة عسير فى السراة . ومع ذلك يمكن أن نقسم المنطقة وندرسها على النحو التالى :—

أ — قضائى محاليل وخميس مطير :

تنحصر هذه المنطقة الهامة والواسعة المساحة (اذ تبلغ مساحتها ١٨٢٥ كم^٢) بين شعاف سروات عسير وباللحمر وباللسمر من الشرق وقضاء البيرك من الغرب ، وفيما بين أقضية رجال المع وقنا والبحر جنوبا حتى المجاردة وبارق شمالا ، وذلك فى حوض وادى حلى الأعلى والأوسط فى وسط مرتفعات تهامة عسير . ففى الحوض الأعلى تخفر روافد وادى حلى بعمق فى الصخور النارية فتشكل تلك الوديان خنادق عميقة فى منطقة الاصدار ، ولكنها بعد دخولها منطقة صخور الشست تبني رسوبيات تتكون من حجارة وحصى ورمل فى القطاع العلوى ومن طين أحمر وحصى فى القطاع السفلى .

تحمل هذه الوديان كمية كبيرة من مياه أمطار المناطق الجبلية العالية تجعلها تصبح شبه دائمة فى المجارى العليا ، ولا تلبث أن يترشح قسم منها فى الطمى فتتحول الى مياه باطنية ، ويختفى الجريان السطحي الا وقت الفيضان وتقع المياه مثلا على عمق ٣٠ م فى اتجاه عالية الوادى ، تتناقص الى ٤ م قرب محاليل ، وقد أثبتت الدراسات وجود جريان باطنى خفيف وبطىء .

تحولت هذه السهول الداخلية الى حقول زراعية تعتمد فى زراعتها على مياه الفيضانات فى حين تعتمد القرى التى نشأت فى وسطها على الآبار ، وتنقل الآن المياه

اليها بواسطة السيارات . ولذلك صار هذا القضاء من الاقضية العامرة الغنية بزراعتها والكثيفة بسكانها شأن قضائى رجال المع والمجاردة المجاورين ، فضلا عن غنى المنطقة في خارج السهول الزراعية بالاعشاب التى كانت سببا في كثرة البدو .

لقد أرى عدد سكان هذه المنطقة على ٤٢٠٠٠ نسمة يعيش نحو ٧٠٪ منهم في قرى زراعية متفرقة بين أحواض الوديان . ففي حوض وادى طية الذى تبدأ مجاريه العليا من عسير ويهبط عقبة شعار ، وجد ٢٨٥ قرية زاد مجموع سكانها عن ١٩٠٠٠ نسمة بما فيها بلدة محاليل قاعدة القضاء من أهمها : العيدة والشط وضرس ومقهب والريش وجوزان وترقوش ومصاييح وعيترش وبلاد مشول . وينتمى هؤلاء السكان الى خمس قبائل هى الريش وآل مشول وآل الدريب وآل موسى تعود في نسبها الى عسير .

ويعيش في قضاء خميس مطير الذى يحتل منطقة الاصدار التالية لشعاف باللاحمر وباللاسمر في حوض وادى بقره الاعلى (رافد حلى) نحو تسعة آلاف نسمة في ١٣٢ قرية صغيرة منتشرة في المنخفض الرسوبى الطموى معتمدة في معيشتها على الانتاج الزراعى وتربية الحيوانات وليس بينهم أحد من البدو ومنها قرى بنى رافع من باللاسمر وتعيش في عالية وادى فرشاط خاصة : الخشم والجزع وآل شتش وجرجرة والخطيم والرهطه والتيلة وبيظة . في حين بلغ عدد بدو قضاء محاليل نحو ١٤٠٠٠ نسمة يعيشون في اطراف تلك الوديان .

مدينة محاليل : نشأت بلدة محاليل على تل صخرى يسيطر على حوض وادى طية ويقع على الجانب الشرق منه . وتأتى روافد هذا الوادى في الأصل من سفوح جبال عسير لاسيما منطقة سودة الغزيرة المطر ومن الطرف الجنوبى من جبال بالاحمر . ويسير في حوض محاليل موازيا لوادى حلى ويقع الى الشرق منه قبل أن يلتقى به بنحو ٢٠ كم ، ولا يبتعد عنه في هذه المنطقة أكثر من ٤ كم ، يحتل قسم من هذه المسافة جبل الحيلة البركانى . يقل انحدار الوادى في هذا القطاع ويتسع مجراه فيشكل سهولا طموية على جوانبه .

وتقع محاليل على مفترق طرق يتجه بعضها الى السراة عبر العقبات ، أهمها طريق وادى طية الى عقبة شعار فأبها ، كما يتجه بعضها الاخر الى مناطق تهامة الأخرى سواء في السهل الساحلى أو الجبال مثل الطريق : محاليل - الدرب . أو طريق محاليل - قنا - القحمة . وطريق محاليل - البارق - القنفذة أو الخواة . ولذلك تحولت الى مركز إداري

ازداد أهميته في السنوات العشر الأخيرة ، وبعد أن كان فيها ٣٥٠٠ نسمة في صيف ١٩٧٤م تضاعف عدد سكانها وزادت مساحتها . وقد تأسس فيها بلدية نشرف على حركة تشييدها وتنميتها . فقامت برصف بعض شوارعها وشجرتها وعملت لها أرصفة . كانت بيوتها مبنية من الحجارة وقد انتشر استعمال الاسمنت والطوب الاسمنتي على نطاق كبير . كان بها سوق اسبوعي تحول الى أسواق دائمة متخصصة ، وقد بنى قسم منها من الصفيح والخشب تفصلها ممرات ضيقة ومغبرة .

كان سكان محاليل يستقون من بئر البلدة حيث تنقل المياه منها بالسيارات ثم حفرت آبار أخرى في الوادي وسحبت منها المياه الى خزان اسمنتي بنى على رابية مرتفعة توزع منه المياه بواسطة الأنابيب على مساكن المدينة ومن الممكن حفر آبار أخرى في مواقع مختلفة من الوديان ، وتجهيزها بالمضخات واستعمالها في رى الحقول ضمن حدود معقولة .

٢ - قضاء المجاردة :

وينحصر بين خط شعاف باللاسمرو بنى عمرو وبنى شهر وبين قضاء بارق: فيحتل مناطق إصداًر تلك السراة غير أنه يمتد في الجزء الشمالى نحو ٦٠ كم باتجاه الغرب حتى يصل حدود السهل الساحلى المجاور لمنطقة القنفذة ، فيحد بذلك منطقة بارق من جهة الشمال ، فيضم بلاد بنى شهر « قبيلة تربان » في تهامة .

يشمل قضاء المجاردة الذى تبلغ مساحته ١٤٢٥ كم^٢ المجارى الشرقية لروافد وادى يبا العليا وهى : وادى الخطوة ووادى قرية ووادى غط التى تنحدر من سفوح السراة العالية وتتجه غربا ، وتجتمع في الجرى الأوسط لوادى غط الذى يواصل مجراه غربا حتى يصب في مجرى وادى يبا الأوسط .

وقد أدت كثرة الأمطار على سفوح الجبال وعلى نفس الحوض أيضا (بلغ معدل امطار المجاردة ٣٦٠ ملم) وارتفاع كمية الجريان السطحي لاسيما أثناء الفيضانات التى تشكل مصاطب رسوبية متفرقة على جوانب تلك الروافد ابتداء من مناطق الاصدار ، مما ساعد على انتشار الزراعة فيها ، وبالتالي تواجد الحياة المستقرة المعتمدة على الزراعة وتربية الحيوان ، فارتفعت كثافة الاحتلال البشرى .

عاش في هذا القضاء نحو ٣٥٠٠٠ نسمة ينتمون الى بنى شهر الذين يستوطنون السراة ، مما ساعد على بقاء الصلة بينهم وبين سكان المناطق الجبلية العالية . وقد وجد

أكثر من ٨٨٪ من هذا العدد مستقرون في ٤٠٧ قرى مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها الحجم الصغير ، أهمها قرية الخطوة قاعدة القضاء وأهم مواقع الاستقرار فيه وتقع على جوانب وادى الخطوة ، وقد أنشئ فيها مجمع قروى يشرف على توسعها وتنميتها كما أنشئت دوائر حكومية تخدم بنى شهر في تهامة ، فنشأت فيها شوارع مزفلة اقيمت على جوانبها أحواض حجرية للزهور والأشجار . وبدأت البلدة تتوسع على التلال المشرفة على الوادى . وبعد أن كان عدد مستوطنها لايزيدون عن ٥٠٠ نسمة في العقد الماضى تضاعف هذا العدد وزادت مساحتها بفضل التوسع فى بناء البيوت الاسمنتية وتلك المشيدة من الطوب . وبدأ المزارعون يتحولون الى زراعة الخضروات نظرا للطلب المتزايد عليها، بالإضافة الى استمرارهم بزراعة الحبوب . وفى بلدة الخطوة سوق اسبوعى يعقد كل يوم اثنين ، فى حين بدأت تظهر فيها المحلات والمتاجر الدائمة . ويجرى وصل البلدة بالطريق العام المار من بارق . ومن قرى المجاردة الأخرى قرية لكثة وتقع فى حوض وادى قرية .

وقد وجد فى هذه المنطقة نحو خمسة الاف نسمة مازالوا على حالة البداوة يتواجد معظمهم فى الامتداد الغربى لهذا القضاء ، وذلك بالقرب من جبال بكرتين وبجوار مجرى وادى يبا الأوسط ، هم قبيلة تريبان من بنى شهر . ويوجد فى منطقته بعض العيون الحارة والتى كانت سببا فى استقرار بعض الجماعات البدوية حولها فى الفترة الأخيرة . وتعتبر ديرتهم نهاية حدود تهامة عسير فى الاتجاه الشمالى .

٣ — قضاء بارق(١) :

ويحتل مساحة واسعة فى وسط منطقة الجبال الساحلية تمتد نحو ٨٠ كم باتجاه شرق — غرب فيما بين اصدار بنى شهر التابع للمجاردة ومناطق كباد حلى وحبيل الساحليتين والتابعتين للقفزة ، كما يمتد نحو ٥٠ كم بالاتجاه الآخر فيما بين قضاءى محایل جنوبا والمجاردة شمالا . وتبلغ مساحته أكثر من ٢٥٠٠ كم^٢ .

ويمكن تقسيم أراضى هذا القضاء الى قسمين متميزين : القسم الأول الشرقى ويشغل الحوض الشمالى لوادى حلى (حوض وادى خايط) ، والقسم الثانى الغربى ويتكون من

(١) بارق ، اسم علم يطلق على عدد من القبائل التهامية لا تزال تسكن المواقع التى حلت بها منذ ما قبل الميلاد .
(عمر غرامة العمروى . ص ١٨) .

منطقة متضرسة تفصل هذا الحوض عن السهل الساحلى ويحدها من الشمال الغربى حوض وادى يبا الأوسط قبيل عبوره السهل الساحلى .

يتكون القسم الشرقى من منخفض وادى خاط الذى يتجه شمال - جنوب فيما بين حوض وادى حلى فى قضاء محایل جنوبا ووادى يبا فى قضاء المجاردة شمالا ويكملها فى نفس الاتجاه فيتكون من الثلاثة منخفضا هاما يسمح بالتأثيرات الجنوبية الموسمية أن تتوغل كثيرا وتسبب غزارة الأمطار الموسمية . وقد اعتبرناه منخفضا طوليا بالقياس الى الجبال التى تحاذيه من الشرق ومن الغرب بالرغم من ان ارتفاعه يتراوح بين ٣٠٠ - ٤٠٠ م عن سطح البحر فى حين ترتفع الجبال الى الغرب منه الى مايزيد عن ٧٠٠ م . وقد سهل اتصال هذه المنخفضات الثلاثة من ناحية اخرى مرور طرق القوافل منها ، كما سهل مؤخرا انشاء الطريق المعبد (محایل - المخوة) الذى عوض عن الطريق الساحلى الذى لم يتم حتى الآن .

حفر وادى خاط مجراه فى صخور الشبست الهش ، واستطاع بفضل مايمحله من صبيب سائل وصلب أن يبنى مصاطب طموية ، على جوانب المجرى الرئيسى والروافد الهامة التى تصب فيه ولو أنها قليلة السمك متفرقة . وقد حملت مخزوننا مائيا متواضعا يزداد أهمية باتجاه الجنوب لوجود طبقة من الكلس المتشقق تحت الشبست ، مأؤه عذب وفقير بالصوديوم والكلور . وفيضاناته كثيرة لدرجة أن بعض روافده شبه دائمة الجريان مثل : الريش وقرن ألمع وبقارا والشري وغات وقرية (١)

خضعت هذه المصاطب للاستثمار الزراعى فنشأ فيها نحو ٧٠ قرية متفرقة مختلفة الحجم والأهمية ينتمى سكانها الى عسير ؛ خاصة قبائل الفصيل وقضيمه وقد بلغ عدد سكان هذه القرى نحو ١١٠٠٠ نسمة . ومن قراها ميفة ومربيع وترقوش والخوش . تعتمد هذه القرى فى التزود بالمياه على السيارات للاستعمال المنزلى ، والتى تجلبها من آبار محفورة فى الوديان . وتتبع جميعها بلدة البارق قاعدة القضاء وأهم مواقع الاستقرار فيها ، والتى كان يعيش فيها نحو ٥٥٠ نسمة فى العقد الماضى وتقع فى وسط الحقول الزراعية وعلى طريق القوافل خاصة طريق أبها - القنفذة .

(١) Sogreah- Ibid, P. 176- 177.

وقد اتسعت مساحتها بفضل مابنى فيها من بيوت الطوب الأسمنتى والأسمنت والتى بدأت تظهر مختلطة مع البيوت الحجرية التقليدية والمسقفة بالخشب والطين . وقد تضاعف عدد سكانها أيضا .

اما القسم الغربى من قضاء بارق فيغطى مساحة واسعة تمتد من غرب الحوض المذكور حتى السهل الساحلى ، أى مسافة يبلغ عرضها نحو ٤٠ كم تتكون أرضها فى الغالب من صخور الشست ، ولذلك صارت بسبب قلة الأمطار جرداء ، ومجردة من التربة ، وخالية من المياه شديدة التضرس ، وغير مأهولة سوى من بعض البدو الرحل الذين استفادوا من وجود خمسة مناهل ضعيفة الصبيب متفرقة فى المنطقة ، ولم يتجاوز عددهم ثلاثة آلاف نسمة بالرغم من اتساع المساحة التى يسيطرون عليها ، وينتمون الى عسير أيضا .

٢ - اقليم نجود تهامة القنفذة :

وهى جزء من منطقة الجبال الساحلية تتبع اداريا إمارة القنفذة الفرعية . وتقع بين منطقة السهل الساحلى للقنفذة وبين حافة الجرف الجبلى ، أى حتى سرة بنى عمرو وبالقرن وخثعم . كما تقع فيما بين مرتفعات تهامة عسير (المجاردة وبارق) جنوبا ومرتفعات تهامة الباحة (نيرا وناوان وغامد الزناد) شمالا . وتحتل مساحة واسعة تبلغ نحو ٥٠٠٠ كم^٢ وتمتد مسافة ٧٠ - ٨٠ كم فى الاتجاهين الشرق - الغربى ، والشمالى الجنوبى .

وهى كجزء من اقليم الدرع العربى تكونت من الصخور النارية والمتحولة خاصة من الشست المتبلور ، وهو متحول عن طبقات رسوبية وطين وحجر رملى أو كلسي ، أو من طبقات الامغيبوليت البركانية ، أو صخور الجرانيت المتنوعة ، وقد نحت سطحها الى درجات مختلفة من مراحل التعرية . ولذلك تعقدت تضاريسها نتيجة الانكسارات العديدة المرافقة للانهدام الرئيسى لإقليم البحر الأحمر ، وقد حولت عوامل التعرية النجود الى وديان تظهر عميقة بجوار السابقة .

وقد انتظمت مجارى التعرية فى هذه المنطقة فى وادين هامين هما وادى يبا ووادى قنونة . وتبدأ الروافد العليا لوادى يبا من سفوح السرة من جهتى الشرق والشمال الشرقى ابتداء من بلاد بالقرن وتتجه باتجاه الجنوب . كما يتجه المجرى الرئيسى الذى تلتقى فيه هذه الروافد باتجاه الجنوب أيضا ، فى حوض يمتد طوليا وموازيا لخط الشعاف من

الغرب ولوادي قنونة من الشرق ، وذلك قبل أن يتجه نحو الجنوب الغربى فالغرب .
وتبدأ الروافد العليا لودى قنونة من سفوح السراة الجنوبية لمنطقة قزانة ويتجه المجرى
الرئيسى أيضا نحو الجنوب أولا ثم الجنوب الغربى ، وذلك الى الشمال الغربى من موقع
حوض وادى يبا السابق الذكر .

يشكل الحوضان معا منطقة منخفضة نسبيا ؛ اذ يبلغ ارتفاعهما بين ٤٠٠ - ٥٠٠ م
عن سطح البحر تقعان بين كتل جبلية تعلوهما كثيرا من الجهات الثلاث : الشرقية
والغربية والشمالية ، ومفتوحان على الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية ، أى أنهما
مفتوحتان على آخر التأثيرات الجنوبية الموسمية ، والتي تسبب سقوط أمطار متوسطة
الكمية (معدل الأمطار فى ثمرة ٣٤٦ ملم) ، ساهمت مع المياه المنحدرة اليها من
السراة ، فتسببت فى تشكيل مصاطب رسوية غنية بترتها وبمياهها على جوانب المجرى
وفى انتشار الزراعة . ويبدو أن بعض هذه المصاطب قديمة التكوين وتعود غالبا للزمن
الثالث . وقد أمكن استثمارها بإقامة جدران حجرية من جهة الودى تحميها من
الانجراف ، وإقامة عقود ترابية توجه مياه الوديان اليها فتتروى بالماء والطمى . فقامت
الزراعة فى الأماكن التى وجدت فيها تلك المصاطب . وكانت الزراعة تعتمد على بذر
الحبوب مثل الدخن والذرة والسمسم . وقد بدأت زراعة الخضروات كالطماطم
والبطيخ ، والنخيل . وكان الفلاحون يتزودون بالماء للاستعمال المنزلى من آبار محفورة
فى الوديان ، وتنقل إليهم بواسطة السيارات ، ولا يمكن الاعتماد عليها لتطوير الزراعة . فى
حين كادت الكتل الجبلية الواقعة الى الغرب من هذه المنطقة الحوضية أن تكون قاحلة ،
الا من غطاء عشبي فقير يزداد فقرا بالاتجاه الغربى بسبب تناقص الأمطار ، فانعدمت
الزراعة ولم يتمكن من العيش فيها سوى عدد هزيل من البدو الرحل .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة الواسعة نحو ٥٠٠٠٠ نسمة أى نحو نصف عدد سكان
المنطقة السابقة . أكثر من أربعة أخصاسهم مستقرون فى قرى زراعية مختلفة الحجم
والمظهر ، ولو أنه يغلب عليها الحجم الصغير ، وهى مبنية من الحجارة وفيها بعض
الأعشاش وموزعة فى مجارى الوديان . ولازال باقى السكان (أى الخمس الباقي) على
حالة البداوة يستثمرون الأعشاب الفقيرة والمياه الشحيحة ويعيشون حياة صعبة بائسة .
وتتكون هذه المنطقة من ثلاثة أقضية يتميز كل منها عن الآخر فى ظروفها إلى حد ما .
هذه الأقضية هى :

أ — العرضية الجنوبية :- وتحتل الحوض الأعلى لوادى يبا الذى يمتد طوليا من الشمال الى الجنوب والأراضى الجبلية التى تليه غربا والتى ترتفع الى ٧٥٠ م . وينحصر بين سراة بالقرن وخثعم شرقا وقضاء حرب وبنى عيسى غربا ، وقضاء العرضية الشمالية فى الشمال الغربى وشمال تهامة عسير (المجاردة) جنوبا ، وذلك فيما بين خطى عرض ١٥- ١٨° الى ٣٥- ١٩° ش . وتبلغ المسافة الطولية لهذا الحوض نحو ١٥٠ كم .

يبدأ وادى يبا باسم وادى حفن الذى ينحدر من غرب باشوت ويلتقى به عدد من الروافد الهامة من الجهة الشرقية مثل : وادى النضر ووادى غورين ووادى جفنة ووادى الجوف . وبعد مصب الجوف يصبح وادى يبا دائم الجريان ويعطى فى وقت الشح ٢٠٠ ل/ث عند سوق الثلوث . لقد حفر وادى يبا هذا المنخفض عند الحدود الغربية لكتلة جرانيتية كبيرة وعند الحدود الشرقية لكتلة الصخور الأمغيبوليتية الخضراء . وقد أدى اتجاه الحوض إلى الاستفادة من التأثيرات شبه الموسمية الجنوبية الصيفية بالرغم من تطرف موقعة شمالا (خط عرض ٢٥- ١٩° ش) ، فارتفعت معدلات الأمطار فى الوادى إذ بلغت فى تريبان (٤٥٠ ملم) والتى تقع على ارتفاع ٥٧٥ م فى عالية الوادى .

وقد تكون فى الوادى طبقة من الرسوبيات تتألف من الحصى والحصباء سمكها لا يقل عن ٦ م تجثم فوق صخور الجرانيت . وقد اتضح ان لها جريانا باطنيا ضعيفا يصعب تقديره غير أن نوعية الماء جيدة وملوحته قليلة . ويستفاد من هذه المياه الجوفية بواسطة الآبار المحفورة فيها لتزويد القرى بمياه الشرب فقط ، وقد استخدمت السيارات (الصهاريج) لنقلها على نطاق كبير قبل أن تظهر الخزانات الاسمنتية فى بعض البلدات .

أما مياه الأمطار ومياه السيول المنحدرة من المجارى العليا - لا سيما فى أوقات الفيضانات - فقد ساهمت فى بناء مصاطب رسوبية على جوانب المجارى تختلف فى أهميتها وحجمها من مكان الى آخر ولو أنها تزداد أهمية بالقرب من التقاء الروافد ، وقد استغلت فى زراعة المحاصيل - لا سيما الحبوب - والتى قامت عليها القرى الزراعية المتفرقة .

يعيش فى العرضية الجنوبية اكثر من ٢١٠٠٠ نسمة معظمهم مستقرون فى قرى زراعية بلغ عددها ١٨٨ قرية ، اى بمعدل ٩٥ فردا للقرية الواحدة . ومن أهم هذه القرى : تريبان وهى القاعدة الادارية للمنطقة وتحوى عددا من الدوائر الحكومية التى يرجع اليها سكان العرضية الجنوبية جميعهم ، وتقع على الجانب الأيسر لوادى النضر .

وتستقى القرية من بئر متعمقة فى صخر الجرانيت وفيها سوق يعقد يوم الجمعة . وقرية الروحان وتقع فى عالية الوادى ويمر منها طريق الجنوب (طريق محایل - المظيلف) ، وهى قاعدة قرى قبيلة شمرا نهماة ، التى تسكن نحو ١٢ قرية ، وفيها سوق يعقد يوم السبت (سبت شمرا ن) . وقرية ساحل وتقع على وادى غورين ، وقرية شمرا ن وتقع فى عالية وادى الجوف ، وصفحة وتقع قرب نهايته ، وسوق الثلوث وقرن هديل وتقعان بعد مصب جميع هذه الأودية . وتوجد القرى : سعيدة ومخشوشة وبراق وسواد واغالة وكديس وحدة غبرة فى مجرى الوادى الرئيسى متدرجة من الشمال الى الجنوب . وقد ثمت بعض هذه القرى وظهرت فيها الشوارع والمباني الاسمنتية والطوب وفيها كهرباء من مشاريع فردية بعد مرور طريق محایل - المظيلف منها أو بالقرب منها .

ولا تزيد نسبة البدو فى هذه المنطقة عن ١٢ ٪ من مجموع السكان ينتشرون فى باقى الوديان وفى الهضاب المجاورة لها . وتشير هذه النسبة الضعيفة الى فقرها بالاغشاب وندرة الماء فيها بالقياس الى مناطق الهضاب الاخرى . ويستقى البدو عادة من عدد من مناهل الماء معظمها مناهل قديمة محفورة فى صخور الشست أو طمي الوديان .

ب - العرضية الشمالية :- وتضم حوض وادى قنونة الأعلى وذلك من منابع روافده فى شعاف سراة غامد الجنوبية وسراة خثم وشمرا ن الغربية ، أى فيما بين خطى عرض ٢٥ - ١٨ ° الى ٤٢ - ١٩ ° ش . ويقع بين هذه الشعاف وبين اقضية نهماة الباحة من الشمال والشمال الغربى ، وقضاء العرضية الجنوبية من الجنوب الشرقى . ويحتل مساحة واسعة جدا ، غير أن المواقع المأهولة فيه تقتصر على حوض الوادى حيث تجمعت المصاطب الطموية الرسوبية فتوفرت فيها المياه والتربة بفضل السيول ، فانتشرت فيها الزراعة كما انتشرت القرى الزراعية الصغيرة متفرقة بين الحقول شأن قضاء العرضية الجنوبية .

بلغ عدد القرى فى هذا القضاء ٢٧٤ قرية عاش فيها جميعا - بما فيها المدن الصغيرة أو البلدات - ١٥٥٠٠ نسمة ، أى بمعدل ٥٦ فردا للقرية الواحدة . وهذا يدل على صغرها حتى بالقياس الى العرضية الجنوبية ، لأن بعضها يتكون من عدة بيوت فقط . ويوجد فى وادى العوامر الذى يأتى من السراة ويتجه نحو الجنوب أهم مواقع الاستقرار . وتسكنه قبيلة العوامر من شمرا ن ، وأهم هذه المواقع بلدة ثمره قاعدة العرضية الشمالية وهى بلدة كبيرة نسبيا وفيها سوق اسبوعى ، واقيمت فيها معظم الدوائر الحكومية التى

يرجع اليها سكان العرضية . ونظرا لوقوعها في الوادى على ارتفاع ٤٥٠ م وتعرضها لجريان الوادى فانه يجرى نقلها الآن الى مكان متسع منبسط يجاور الطريق « المزفلت » ، وقد ظهر في الموقع الجديد الشوارع المستقيمة والبيوت الاسمنتية وخطوط الكهرباء .

ويوجد في الوادى في عالية ثمة عدد وافر من القرى من أهمها : مبنى وثربة والمروة وسافيا . ويوجد الى الجنوب الشرقى منها مران والصيفى ، كما يوجد في اتجاه سافلة الوادى جنوبا قرى المعقص وناخسه والواشعة والفايجة وواصل وينتمى سكانها الى بالقرن . وقد مرت طريق المظيلف - محال المعبدة ، وهى جزء من طريق الجنوب التهامى الجديد (طريق جدة - جيزان) من منطقة العرضية الشمالية فالعرضية الجنوبية . فاكسب هاتين المنطقتين أهمية خاصة . وقد تفرع منها عند بلدة ثمة طريق فرعية تصعد وادى العوامر الى عقبة الأبناء في جنوب شرق بلجرشى . فكانت احدى الطرق المحدودة - ولكن الهامة - التى تربط مناطق السراة بمناطق تهامة فالساحل .

أما الطريق الرئيسية فتتحرف في جنوب ثمة وعند قرية المعقص التى تقع عند التقاء عدة روافد بمجرى وادى قنونة الرئيسى باتجاه الجنوب الشرقى فتقترب من مواقع اصدار الادوية الى أن تصل العرضية الجنوبية ، اى انه ينتقل من حوض وادى قنونة الى حوض وادى ييا .

غير أن اتساع مساحة الجبال والهضاب المجاورة للوديان وتوفر الأعشاب فيها للدرجة تزيد عما يجاورها من المناطق الجبلية ساعد على تواجد نحو ٦٥٠٠ فرد من البدو اى ، نحو ٣٠ ٪ من مجموع سكان هذه المنطقة ، أو نحو ٥١ ٪ من بدو إمارة القنفذة كلها . وقد توزع هذا العدد في المنطقة الواقعة الى الغرب من مجرى الوادى . ينتمى القسم الاكبر منهم الى بنى سهيم الذين يعيشون في القسم الشمالى منها ، وذلك في جنوب غرب قرية الجعيدة الواقعة على الطريق الجديد عند نهاية حدود العرضية الشمالية ، وتجاور قرية الزندى الواقعة عند بداية حدود غامد الزناد . ويتواجد في ديرة بنى سهيم عدد كبير من الآبار القديمة فيعيشون حياة شبه بدوية .

ج - قضاء حرب وبنى عيسى : ويقع فيما بين قضائى العرضية الجنوبية والعرضية الشمالية من الشرق ، وبين السهل الساحلى لمنطقة القنفذة من الغرب . تستوطن جماعة حرب القسم الجنوبى من هذه المنطقة ، وذلك الى الشمال الغربى من حوض وادى ييا الأوسط فيما يلى موطن تريبان (بنى شهر) وجبال بكرتين في هذا الاتجاه . وتستوطن

جماعة بنى عيسى المنطقة الواقعة الى الشمال الغربى من السابقة ، أى فى حوض وادى قنونة الأوسط والمرتفعات المجاورة له باتجاه الغرب .

يفصل هذا القضاء أفضية تهامة عسير (بارق والمجاردة) عن أفضية تهامة الباحة (نيرا وناوان) وذلك فى منطقة الجبال الواقعة الى الغرب من أحواض الوديان . فتتصف المنطقة بتعدد تضاريسها ووعورتها بالرغم من تواضع ارتفاعاتها عن سطح البحر . وتتكون فى الأصل من صخور الديوريت والجابرو والامغبوليت والشست الأخضر ، بالإضافة الى تكوين بيض الثلاثى . ومعظم هذه الصخور غير منفذة . ونظرا لقلة أمطارها إجمالا ؛ لم تتمكن من تشكيل أراض زراعية على نطاق كبير ، وحتى أن مجرى وادى قنونة - وهو المجرى المائى الرئيسى الذى يخترق هذه المنطقة ، ويشكل المورد المائى الوحيد فيها - لم يتمكن من بناء مصاطب رسوبية ذات شأن بالقياس الى مجراه الأعلى (أى فى منطقة العرضية) .

ولذلك لم يتجاوز عدد سكان هذا القضاء الواسع المساحة ٧٣٠٠ فرد ، وقد استقر اكثر من ٦٠٠٠ منهم فى ١١٠ قرى صغيرة أى بمعدل ٥٥ فردا للقرية الواحدة ، والباقي - ويشكلون ١٧٪ من سكان المنطقة - مازالوا على البداوة . وتعتبر قرية بنى عيسى قاعدة هذه المنطقة إداريا وتجاريا ، وتقع على عروة وادى ختم الجازة قبيل مصبه فى وادى قنونة وعند أقدام منطقة الجبال . وذلك على تل يرتفع ١٤٠ م عن سطح البحر ، وتعتبر بوابة العبور الى منطقة السهل .

٣ - اقليم نجد تهامة الباحة :

وتنحصر بين سهل منطقة الليث وحافة جرف شعاف غامد وزهران وبنى مالك وذلك الى الشمال والشمال الغربى من هضاب العرضية الشمالية (أى هضاب منطقة القنفذة) . وتشغل هذه المنطقة الاحواض العليا والوسطى للوديان : أحسبه ونيرا والدوقة والشاقة البمانية ، بما فى ذلك خطوط الاصدار فى الشرق ومرتفعات تهامة العالية ونجدوها الوعرة فى الغرب والتى تفصل بين أحواض الوديان . (أنظر شكل ٣٥) .

يتوسط هذه المنطقة تقريبا خط عرض ٢٠° ش (٣٠° - ١٩° - ٢٠° - ٢٠° ش) ، فهى تقع بذلك فى نهاية تأثير الموسميات الجنوبية الصيفية ، وفى نهاية تأثير الغريبات الوسيطية الشتوية ، مما جعل مواردها المائية شحيحة بالقياس الى المواقع الأخرى الى

الجنوب منها . غير أن اجتماع التأثيرات الصيفية والشتوية واستفادتها من بعض الظروف المحلية : كاتجاه الاحواض الوسطى للأودية بالنسبة للرياح التى تجلب الرطوبة ، وارتفاع تلك الاحواض نسبيا ، وانحصار المنطقة بين خطوط الشعاف من جهة ومرتفعات ونجود تهامة العالية (مثل جبل شدا ونيس وريع المنقض) والتى تضاهى فى ارتفاعاتها جبال السروات ، وصعود الأودية فى نحتها المتراجع الى ارتفاعات تزيد عن ٢٠٠٠ م حيث يسقط مايزيد عن ٣٠٠ ملم من الأمطار ، ساهم كل ذلك فى تحسين ظروفها نسبيا واقتربها من أوضاع المناطق الجنوبية الى حد كبير ، إذ بلغت معدلات الأمطار فى الخوة ٣١٥ ملم ، وفى الحجرة ٢٤٠ ملم .

لم يكن تراجع الموارد الأرضية الناتج عن تراجع الظروف المناخية والمائية الأرضية نهائيا ؛ لأن الوديان الجبلية المنتهية الى الاصدار والاحواض الوسطى استطاعت ان تبني مصاطب رسوبية ضيقة المساحة ، متفرقة بعضها عن بعض ، أمكن الحفاظ عليها وتميئها ببناء جدر حجرية عند أطرافها وبإدخال مياه الفيضان اليها ، فظهرت الحقول الزراعية المتفرقة وكأنها الواحات . بل واستطاعت الوديان الهامة منها أن تدفع بمياه الفيضانات على قلة ترددها إلى المنطقة الساحلية ، فبنيت فيها سهول طموية لأبأس بها وأوصلت المياه الى البحر . واستطاعت أحواضها الوسطى أن تحمل فى الرسوبيات الطموية كميات ضئيلة من المياه العذبة ، وقد سمحت إذا تم الحصول عليها بحفر الآبار بتواجد القرى لأنها كانت مصدرها فى التزود بمياه الشرب .

تتكون هذه المنطقة - التى نحن بصدددها - من سبع إمارات فرعية تتبع إداريا إمارة الباحة فى السراة ، والتى تتكون من ١٦ إمارة فرعية . وفى حين أنها تحتل مساحة لاتقل عن نصف مساحة إمارة الباحة ، إلا أن مجموع مستوطنيها لم يتجاوزوا (٥٠٠٠٠) نسمة ، وهذا الرقم يقل عن ربع مجموع سكان الإمارة ، مما يدل على ضعف الاحتلال البشرى، بالقياس الى الإمارة بسبب قلة الموارد الأرضية الناتجة عن تفهقر المناخ .

ظهرت الحياة المستقرة - كما ذكرنا - فى أحواض الوديان اعتمادا على الانتاج الزراعى وتربية الحيوان . وقد تبين من إحصاء السكان لسنة ١٩٧٤ ، ان ٨٨٪ من مجموع السكان مستقرون فى قرى زراعية مختلفة الحجم معظمها صغيرة جدا ، إذ بلغ عددها ٨١٦ قرية . وحيث أنه لم يتواجد فى هذه المنطقة أى مدينة اطلاقا ، فان أكبر القرى أو البلدات لم يتجاوز حجمها ٥٠٠ نسمة . ومن الملاحظ أن وجود القرى يتكاثف فى

الأحواض العليا للمجارى ، خاصة عند مواقع التقاء الروافد الجبلية ببعضها ، غير أنه لا يتجاوز حجم معظم القرى بضعة أكواخ بسبب صغر مساحة الأراضي القابلة للزراعة وتباعدها :

أما مناطق الهضاب خارج أحواض الأودية فقد عانت من قلة الأمطار وسيادة الجفاف حتى كادت تصبح جرداء قاحلة إلا من بعض الأعشاب الهزيلة التى لا تستطيع أن تعيل حياة رعوية ذات شأن ؛ اذ لم يتجاوز بدو المنطقة ٦٤٠٠ فرد يعيش معظم هؤلاء فى أفضية الحجرة وغامد الزناد وقلوة وذلك فى أوديتها التى تتوافر فيها الأعشاب .

ويمكن تقسيم هذا الإقليم إلى الأقسام التالية :

أ — قضاء الخوة : ويقع فى جنوب شرق هذه المنطقة الى الغرب من شعاف سراة غامد والى الشمال الغربى من العرضية الشمالية . ويتكون من حوض طولى يتجه من الشمال الى الجنوب ويرتفع بين ٦٠٠ - ٣٠٠ م عن سطح البحر ، يلتقى فيه مالا يقل عن عشرة روافد يأتى بعضها من الشمال الشرقى والشرق أى أنها تنحدر من سراة غامد أهمها راش وظهيان وبطاط ، ويأتى بعضها من الشمال والشمال الغربى أى من جبال ريع المنقض وشدا العليا وشدا السفلى مثل وادى غليل ووادى سقاما . يسمى هذا الحوض بحوض الخوة ، وهو بمثابة الحوض الأعلى لوادى أحسبة الذى يصب فى البحر بين القنفذة والمظيلف . تبلغ مساحته نحو ٨٧٠ كم^٢ .

تتجمع كميات كبيرة من المياه فى هذا الحوض عقب سقوط الأمطار على مرتفعات السراة المجاورة وعلى المرتفعات المحلية ، تنحدر اليه على شكل سيول وفيضانات ، ويسقط فيه كمية معتدلة من الأمطار تبلغ نحو ٣٠٠ ملم سنويا (معدل أمطار الخوة ٣١٥ ملم) يسقط بعضها فى الصيف وبعضها فى الشتاء . ولذلك تمكن مستوطنو هذه المنطقة من تحويل المصاطب الرسوبية الى أحواض زراعية ببناء جدر حجرية لها من جهة الوادى وبإدخال مياه الفيضانات اليها ، ولو أنها صغيرة المساحة متفرقة كثيرا ، وزرعوها بالحبوب خاصة الدخن فالذرة . وبنوا مساكنهم المربعة الشكل والحجرية الحصينة متفرقة فى جوانب تلك الحقول بحيث تشرف عليها ، وحصلوا على مياه الشرب العذبة من آبار حفرت فى مجارى الوديان ، أى من المياه المختزنة فى رسوبياتها القليلة السمك .

وجد فى قضاء الخوة ١٧٦ قرية معظمها صغيرة الحجم بلغ تعداد ساكنيها نحو ١٢٥٠٠ نسمة ينتسبون الى بنى عمر العلى من زهران ، أى بمعدل ٦٠ فردا للقرية

الواحدة . وأهم هذه القرى بلدة « الخوافة » وهي قاعدة الإمارة الفرعية ، وأهم بلدة في جميع الإقليم الواقع الى الشمال من القنفذة حتى مكة . وتقع عند نقطة التقاء أهم رافدين للوادي وهما راش وذيان ، وتقع على ارتفاع (٣٥٠ م - ٣٦٠ م) ، وفيها سوق اسبوعي يقع في مجرى وادي ذيان وهو من أهم اسواق الاقليم ولو أنه يتكون من عرائش . وقد أنشئ فيها عدد من الدوائر الحكومية يرجع اليها سكان القرى المجاورة ، كما أنشئ فيها مجمع قروى يشرف على تطور بنائها وبناء القرى الكبيرة التابعة لها . وقد تضاعفت مساحة وسكانا الآن .

تعود أهمية الخوافة في الماضي الى أنها عقدة مواصلات برية جيدة في زمن طرق القوافل حيث كان لها أهمية كبيرة ، لاسيما الطريق الداخلى الموصل الى مكة والطريق الموصل بين ميناء المنطقة (القنفذة) وسراة الباحة أو عسير . ونظرا لهذه الأهمية فقد وصلها فرع من الطريق الساحلى « المزفلت » ابتداء من مثلث المظيلف . والذي يتجه قبل وصول البلدة بمسافة ٥ كم باتجاه الجنوب الشرقى الى العرضيتين فمحاليل . يزيد عدد سكانها عن ١٥٠٠ نسمة حيث بلغوا ٩٠٠ في سنة ١٩٧٤ م .

وتقع قرية المروة في عالية الخوافة على جانب وادي راش الذى يسير بجواره طريق ممهد يتجه باتجاه عالية الوادى نحو الشمال ، وسيجرى تعبيده وايصاله الى عقبة الباحة وسيمر بالقرب من القرى : الجوة والطارق وأم العين ، وتقع الأخيرة على تل مرتفع شديد الانحدار يبدو أنه متصل بالسراة ، تنبع من بطنه عين جارية قوية تزود القرية بمياه الشرب بالاضافة الى استعمالها لرى الحقول فقامت عليها مزارع النخيل والموز . وقد ذكر حمد الجاسر عددا آخر من قرى منطقة الخوافة هي : الخربان والسبت والسحرة والسعدان والعرق والشقرة والعامرة والمليحا والمنحل والهاطرة وحماة ودار الحلال وسقامة السفلى وسقامة العليا وشدا وهران وشدا غامد وضيان ومرحاضة وهوارن^(١) .

ب - أقصى غامد الزناد وناوان ونيرا :

وتقع في جنوب غرب تهامة الباحة وتشكل أقصى امتداد لها في هذا الاتجاه ، وذلك فيما بين حوض الخوافة والعرضية الشمالية من جهة الشمال الشرقى وسهول أحسبة والدوقة الساحلية وما بينهما من الجنوب الغربى ، الى الشمال من خط عرض ٣٠° - ١٩°ش وحتى خط عرض ٢٠°ش .

(١) حمد الجاسر - في سراة غامد وزهران ، ص ١٣٧ - ١٨٧ .

تشغل هذه الاقضية مساحة واسعة تبلغ نحو مثلى مساحة الخوارة ، (١٦٥٠ كم^٢) ، وهى فى الواقع جزء من منطقة النجود الانكسارية لتهامة ، والتى تفصل منخفضات مجارى الوديان الداخلىة عن السهل الساحلى والمعقدة التضاريس . إذ يكتنف هذه المنطقة ، ويقع على حدودها ، عدد من المرتفعات العالية جدا ، والتى نشأت من النجود الانكسارية والتى تنحدر انحدارات شديدة باتجاه الوديان العميقة المجاورة لها ، فشكلت مناطق تقسيم لمياه الوديان .

تبرز كتلة جبال غامد الزناد ، فى الأفق بشكل واضح عما يحيط بها وتشكل منطقة تقسيم للمياه بين الروافد الشرقية لوادى قنونة ، والروافد الجنوبية والشرقية للقطاع الأوسط من وادى أحسبة والروافد العليا لوادى لومة وختم الجارة . وتمتد كتلة جبال آل دمينة بشكل طولى بين المجرى الرئيسى لوادى أحسبة فى قطاعه الأوسط ووادى ناوان الذى يوازيه من جهة الغرب . ويوازي هذه الكتلة عدد من الكتل الجبلية الطويلة الأخرى فى اتجاه الشمال الغربى فيما بين الروافد المتوازية للوديان : ناوان وقرما ودوقة والتى تنجى فى هذا القطاع من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى حسب خطوط البنية .

وتقع على الحدود الشرقية لهذه المنطقة - فيما بين وادى نيرا من الغرب ووادى الخوارة الذى يوازيه الى الشرق - مرتفعات شدا العليا وشدا السفلى والتى تمتد على شكل حائط هائل من الشمال الى الجنوب فيصل ارتفاع الأولى الى ٢٢١٥م عن سطح البحر ، ويصل ارتفاع الثانية - والتى تقع الى الجنوب منها - الى نحو ٩٠٠م .

ويبلغ ارتفاع جبل نيرا الواقع الى الجنوب الغربى من الكتلة الأولى ٩٤٤م وجبل قرامة الى الجنوب منه ١٠٢٥م . ثم يتناقص ارتفاع الكتل الجبلية اجمالا باتجاه الغرب حتى لايزيد عن ٢٠٠م عند بداية تشكل السهل الساحلى . فاذا ساهمت الارتفاعات العالية فى زيادة كميات الامطار عليها ، فإنها تقل كثيرا فى المناطق الأقل ارتفاعا وهى السائدة حتى أنها تتراوح بين ١٥٠ - ٢٠٠ ملم فقط . ولا يستفاد من الأمطار الأغزر فى المرتفعات من أجل الانتاج الزراعى سوى فى أعالي جبل شدا العليا ، حيث يوجد عدد محدود من القرى الزراعية الصغيرة ، وذلك بسبب طبيعة الصخور النارية التى لا تحتزن شيئا من المياه وبسبب شدة الانحدارات التى لاتجعلها تفقد المياه الساقطة عليها فحسب ، بل وتفقد مفتتات الصخور التى تنشأ عليها قبل أن تتحول الى تربة . أما جبل شدا الأعلى فكانت ظروفه بسبب ارتفاعه شبيهة بمناطق السفوح العليا للسراة .

ظهرت الوديان التي تخترق المنطقة باتجاه السهل ضيقة جرداء ، غير أنها محاطة بمصاطب قديمة التكوين ، ترجع - في الغالب - الى عصور الزمن الثالث . ويبدو أن السيول والفيضانات لم تستطع تشكيل مصاطب حديثة بسبب قلة تردها وضعفها ، وكانت تجرف ما يتشكل منها من فوق المصاطب القديمة باستمرار ، بل وجرفت أجزاء من القديمة أيضا مما جعلها فقيرة بالموارد الأرضية الى درجة كبيرة وبالتالي جعل احتلالها البشرى ضئيلا وامكانيات تنميتها ضعيفة .

لم يزد عدد سكان هذه المنطقة - على اتساعها - عن ١٢٥٠٠ نسمة ، عاش ٨٥٪ منهم في قرى صغيرة موزعة على جنبات الوديان حيث أمكن تواجد مصاطب رسوبية تستطيع الاستفادة من مياه الفيضانات ، وعاش الباقي على شكل بدو رحل في أحواض الوديان ذاتها . وتتكون هذه المنطقة اداريا من ثلاثة اقسية هي :-

(١) قضاء غامد الزناد : ويحتل المنطقة الواقعة الى الجنوب الشرقى من حوض وادى احسبة في قطاعه الأوسط ، يعيش فيه نحو ٧٠٠٠ نسمة ينتمون الى قبيلة غامد الزناد وبنى عبد الله من غامد ، بعضهم مستقرون ، والباقي في حالة البداوة يطلق عليهم العطوة من بنى سعد . أما المستقرون فقد عاشوا في ١٢٧ قرية صغيرة جدا ، لم يبلغ مجموع مستوطناتها ٥٣٠٠ فرد ، أى أنه لا يوجد في القرية الواحدة أكثر من خمس أو ست أسر بالمعدل أو ما لا يزيد عن ٤٢ فردا ، ومعظمها يقل عن ذلك . وارتفعت نسبة البدو هذا القضاء الى ٣١٪ من سكانه . وتعتبر هذه النسبة من أكبر نسب تواجد البدو في هذا الاقليم .

(٢) قضاء ناوان : ويقع في أقصى الجنوب الغربى لمنطقة تهامة الباحة ، ويحتل مساحة صغيرة في حوض وادى ناوان وأحسبة وعالية لومة قبيل عبورها السهل الساحلى في الغرب ، أى في المنطقة الجبلية التي لاتزيد ارتفاعاتها عن ٢٠٠ - ٣٠٠ م وتتصف بتنافر التضاريس والبعد عن الاستواء . وفي منطقة تقل أمطارها كثيرا وترتفع فيها الحرارة حتى في فصل الشتاء ، فهي منطقة وعرة مجردة من التربة وحتى من الأعشاب . وقد نتج عن ذلك ان عدد مستوطناتها لم يتجاوزوا ٢٣٠٠ فرد من آل سعد من زهران ، تواجد معظمهم (تسعة اعشارهم) في ١٤ قرية متوسطة الحجم بلغ معدل أفراد القرية الواحدة ١٥٥ فردا . ووجد في هذه المنطقة الصغيرة نحو ٢٢٠ فردا فقط من البدو غير المستقرين .

(٣) قضاء نيرا : ويحتل مساحة واسعة في أقصى الامتداد الغربى لإمارة الباحة . ويتكون من النجود الجبلية الواقعة بين كتلة جبال شدا العليا وشدا السفلى من الشرق وبين المنطقة الساحلية من الغرب وتحتل مساحة واسعة تمتد نحو ٥٠ كم من الشمال الى الجنوب ونحو ٣٠ كم بالاتجاه الآخر وتبلغ مساحتها نحو ١٢٠٠ كم^٢ .

تنقسم نجود نيرا الى كتل جبلية منفصلة بفضل اختراق المجارى العليا للوديان لها مثل : وادى نيرا وقرما وبعض روافد الدوقة والتي تبدأ جميعها من هذه المنطقة وتتجه اجمالا نحو الجنوب أو الجنوب الغربى . ولذلك كانت أرضها شديدة التضرس بالرغم من تواضع ارتفاع قممها والتي قد يكون من أعلاها جبل نيرا (٩٤٤ م) وجبل قرامة (١٠٢٥ م) . أمطارها قليلة ولا تصلها مياه جبال السراة ، فقيرة بالتربة الرسوبية وتكاد تخلو من المصاطب الطموية ، ولذلك فهي شحيحة بالموارد المائية والأرضية . وتكاد تكون امكانيات تنميتها ضعيفة جدا ، وصارت شبه خالية من السكان حتى أن البدو لم يتواجدوا فيها .

والاستثناء الوحيد لهذه الظروف هو عالية وادى ناوان ويدعى وادى نيرا ، والذي ينبع من السفوح الغربية والشمالية الغربية لجبل شدا العليا ويتجه محاذيا له من الشمال الى الجنوب ، ويحفر مجراه عند حافة صخور السيانيت الرمادى غير المتحول . ويشكل حوضا واسعا تتردد فيه الفيضانات بكثرة فتكتنف مجراه الرسوبيات وتنتشر فيه أشجار السدر والاكاسيات الضخمة الظليلة . وقد أمكن تحويل المصاطب الرسوبية الى أحواض زراعية اعتمادا على مياه الفيضان كما هى الحال فى أحواض الوديان المنحدرة من السراة .

نشأ فى هذا الوادى ٢٧ قرية زراعية متوسطة الحجم بلغ تعداد مستوطنها نحو ٣٢٥٠ نسمة ، ينتمون الى بنى عبد الله من غامد قد يكون أهمها من الشمال الى الجنوب بالنعمان وتقع فى عالية الوادى على الجانب الغربى وعلى ارتفاع ٦٨٠ م . وبروقة وسعدان والسروان والقهب وفيها مقر الإمارة ، والوسطة والحفنة .

جـ - قضاء قلو : ويقع فى حوض وادى الدوقة فى وسط اقليم نجود تهامة فى شمال غرب قضاء الخواه فيما بينه وبين قضاء الشعراء الواقع إلى الشمال الغربى منه والسهل الساحلى لمنطقة الشاقة ، أى بعيدا عن حافة السراة .

يبدأ وادى الدوقة من سفوح جبال بنى حسن ، ولا تبعد منابع رافدة ربّا عن منابع وادى الشعراء (رافد غليب) فى سفوح جبل نيس (١٩٤٠ م) ، كما لا تبعد من الجهة

الثانية عن منابع عالية وادى الخوة (ريع المنقض) . ولكن الوادى لا يلبث ان يتجه غربا فيبتعد حوضه عن حافة جرف السراة باتجاه السهل ، فيفصل بين حوضى وادى الخوة الذى يقع الى الجنوب الشرقى ويتجه اجمالا نحو الجنوب ، ووادى عُليب الذى يقع الى الشمال الغربى ويتجه اجمالا نحو الغرب .

غير أن وادى الدوقة يتغذى أيضا من روافد جانبية تنحدر اليه من المرتفعات العالية من الشمال ومن الجنوب فتزوده بالمياه ، فيحفر فى صخور الجرانيت والشست ويوسع مجراه ، فيرسب مايجمله من مفتتات على جوانب المجرى وفى وسطه . وكان من نتيجة ذلك أنه بنى سريرا واسعا مملوءا بالحجارة والحصى والحصباء تبت فيها الاعشاب والشجيرات المتنوعة لاسيما الاكاسيات والاراك والصبار . وقد حول المستوطنون بعض مصاطبه الرسوبية الى أحواض زراعية ، فنشأت على جنباتها القرى التى تتقارب كثيرا وتزداد حجما وأهمية عند مواقع التقاء الروافد بالمجرى الرئيسى بالرغم من انخفاض معدلات الأمطار السنوية ، لأن الزراعة اعتمدت على الفيضانات وليس على الامطار (معدل الأمطار فى قلوة ١٣٠ ملم فقط) .

يعيش فى قضاء القلوة نحو ١١٠٠٠ نسمة ، أكثر من خمسهم من البدو غير المستقرين (٢٣٪) ، ولو أنهم يعيشون ويتجولون فى أحواض الوديان أيضا . وينتمى هؤلاء السكان الى ثلاث قبائل هى : الأحلاف باللاسود والمجبر من زهران تهامة . وقد اعتمدوا فى حياتهم على الانتاج الزراعى ، مستفيدين من مياه الفيضان لاسيما زراعة الحبوب كالدخن والذرة ، وعلى تربية الحيوانات التى ترعى أعشاب الوديان ومن أهمها الماعز والجمال .

بلغ عدد قرى هذه المنطقة ١٩٢ قرية مختلفة الحجم ، أى بمعدل ٤٢ فردا للقرية الواحدة ، ومن قراها الهامة : الطرف وتقع فى اقصى الشرق للودى ويليها حصن الحبس والفرع والعين ، والحجة وتقع على أحد روافده فى اقصى جنوب المنطقة ، وتقع الشيبان والعيشة والمضحاة والمسعد فى المجرى الرئيسى . والسودة والسويدى والاضاعة والسلاطين وبنى عياد . أما بلدة قلوة فتقع على الجانب الايمن من المجرى الرئيسى بعد تلك القرى باتجاه الغرب ، أى أنها تقع بالنسبة لها فى سافلة الوادى وبعد أن يصب فيه أهم روافده ، وقد اقيمت على مصطبة ترتفع ٤٠٠ م عن سطح البحر تشرف على الوادى . وكانت قلوة فى الماضى سوقا أسبوعية ومحطة على طريق القوافل . وصارت قاعدة لقرى الوادى ، ولذلك اتخذت قاعدة لإمارة فرعية تتبع الباحة فى السراة .

أخذت بلدة قلو في الاتساع والتمدّد منذ العقد الماضي على السفح الجبلى المشرف على الوادى وعلى إحدى المصاطب الرسوبية القديمة من اليمين ، وخاصة بعد افتتاح عدد من الدوائر الحكومية لخدمة المراجعين من سكان القضاء ، وإنشاء بلدية (منذ سنة ١٣٩٦ هـ) لتشرف على نموها وتنظيمه ، فأنشأت شارعاً مزفتاً بامتداد المصطبة الرسوبية ظهرت على جانبيه المحلات التجارية والدكاكين الدائنة ، وظهرت محلات السوق الاسبوعية القديمة الى جوارها كأنها مهجورة ، وكثرت المباني والبيوت الاسمنتية أو المصنوعة من الطوب الاسمنتى واختلط منظرها بالبيوت القديمة المبنية من الحجارة السوداء والمسقفة بالخشب والطين (صورة رقم ٧) . وزاد عدد سكانها فبعد أن كانوا ٤٣٥ فرداً في العقد الماضي ، يمكن أن نقدرهم الآن بنحو ١٠٠٠ نسمة بسبب اجتذابها لعدد من سكان القرى المحيطة .

تضاء بلدة قلو بواسطة مولدات كهربائية فردية تتوقف فيها الخدمة عند منتصف الليل وحتى مساء اليوم التالى . وكانت تعاني من مشكلة توفير مياه الشرب حيث كانت تعتمد على آبار بلدية محفورة فى الوادى ، وقد حلت بحفر بئر جديدة فى الجرى وبناء خزان أسمنتى مرتفع ، ومن ثم ضخ المياه الى الخزان وتوزيعها على البيوت بالأنابيب . ولا زالت بقية قرى الوادى - لاسيما البعيدة عن البلدة - تعاني مشكلة الحصول على المياه العذبة للاستعمال المنزلى ، وفى حاجة الى مشاريع حفر آبار ضمن حدود امكانيات مخزون الوادى وبناء خزانات اسمنتية مرتفعة لضخ المياه اليها ، وبناء شبكات الأنابيب لتوزيعها .

ومن الجدير بالملاحظة أن الزراعة التى كانت تعتبر أهم حرف سكان وادى الدوقة أخذت فى الانكماش بسبب تخرب المصاطب الرسوبية وتناقص مساحة الأرض المزروعة ، هجر معظم الفلاحين لها وإهمالها وتفتيشهم - لاسيما الشباب منهم - على مجالات للعمل أكثر إغراء وأوسع دخلاً كالوظائف والخدمات والتجارة ، سواء فى البلدة أو فى المدن والمناطق الهامة الأخرى فى المملكة . ومهما حصل من مظاهر تقدم عمرانى فى بلدة القلو فإن منطقة وادى الدوقة ستبقى منعزلة ومتخلفة حتى يجرى ربطها بالطرق البرية المزفتة . ولن يطول هذا الأمر ؛ لأن دراسة إنشاء خط مزفت من مثلث الشاقة على الطريق الساحلى الى الخوة - ماراً بمناطق الحجرة والشعراء وقلوة - موضوعة على بساط البحث .

٤ - حوض وادى عُليب (الشعراء والحجرة) :

يتكون حوض وادى عليب الأعلى من التقاء أربعة روافد رئيسية تبدأ جميعها من سفوح جرف السراة (سراة المندق ودوس) وهى مرتبة من الجنوب : وادى الشعراء ويليهِ وادى رمى ، وتهبط مجاريهما العليا من سفوح سراة المندق عند خط عرض ٢٠° - ١٢° ش ، ووادى الجرداء وتنحدر مجاريهِ العليا من سفوح سراة دوس بنى منهب وتعتبر بمثابة عقبات تصل تهامة بالسراة ، ووادى الحجرة وتبدأ مجاريهِ العليا الى الشمال الغربى من مجارى الجرداء . من جبل دقم سحيم (١١٦٥ م) وجبل سيلان (١٣٥٩ م) .

تتجه هذه الروافد اجمالا نحو الجنوب الغربى والغرب ، وبعد أن تلتقى معا يتجه المجرى الرئيسى المتشكل منها - والذى يطلق عليه اسم وادى « عُليب » - نحو الغرب حتى نهاية منطقة النجود التهامية ، فيتجه عبر السهل الساحلى باتجاه الجنوب الغربى فيطلق عليه اسم « الشاقة اليمانية » . ويشغل هذا الحوض الآن وحدتين إداريتين تتبعان إمارة الباحة فى السراة هما : قضاء الشعراء ويقع الى الجنوب فى حوض الشعراء ووادى رمى ، وقضاء الحجرة ويقع الى الشمال والشمال الغربى فى حوض وادى الجرداء ووادى الحجرة وفى المجرى الرئيسى حتى بداية السهل الساحلى . ويعتبر هذا القضاء أقصى امتداد لامارة الباحة باتجاه الشمال الغربى .

وبالرغم من أن تأثيرات أحوال الجو الجنوبية الصيفية لاتزال تؤثر على سفوح شعاف سراة زهران العالية فهى تقع الى الشمال من خط عرض ٢٠° ش ، الا أنها تخضع لتأثيرات أحوال الجو الشتوية الشمالية الغربية وبنسبة قد تفوق التأثيرات الأولى . ومن اشتراك هذين النوعين من التأثيرات ترتفع معدلات الأمطار فيها ، فتتحول مياهها الى سيول تتدفق غربا حتى تجتمع فى وادى عليب الذى يستقبل حوضه أمطارا متواضعة بالقياس الى أحواض الوديان الواقعة الى الجنوب (أمطار الحجرة ٢٤٠ ملم) .

تتردد الفيضانات فى وادى عليب وروافده بشكل لا يقل أهمية كثيرا عن الوديان الواقعة الى الجنوب ، وقام مثلها ببناء مصاطب رسوبية على الجوانب ، حوّل المستوطنون بعضها الى حقول خضعت لزراعة الدخن والذرة وأحيانا السمسسم بادخال مياه الفيضان إليها . ولو أنها أصغر مساحة وامتدادا من مثيلاتها فى الوديان السابقة . وانتشرت القرى الزراعية الصغيرة الى جوارها وفيما بينها ، ولو أنها تركزت بشكل بارز فى قطاعين

متباعدين أو بالأحرى فى واديين هما : وادى الشعراء ووادى الحجرة ، وكانت كثافة الاحتلال البشرى فىهما شبيهة بمثيلاتها فى الوديان الهامة الواقعة الى الجنوب ؛ ومن ثم أصبح كل منهما مركزا لوحدة إدارية فرعية يتبعها جميع قرى المنطقة المحيطة بها .

لم يتجاوز عدد مستوطنى القضاة ١٣٥٠٠ فرد فقط بالرغم من المساحة الواسعة التى يضمها والوديان الهامة التى تتوسطها . وجميعهم ريفيون يعيشون فى قرى زراعية ماعدا نحو سدسهم مازالوا على البداوة ، يتواجدون ضمن قضاء الحجرة فقط لاسيما فى مجارى الوديان فى اتجاه السافلة وقيل عبور الوادى الى منطقة السهل الساحلى .

يعيش أفراد قبيلة المفضل من زهران حياة ريفية مستقرة فى حوض وادى الشعراء ورمى الواسعة المرصعة بالشجيرات الخضراء نصف الشوكية لاسيما الأكاسيات والصبار ، والتى تنتهى اليها مياه جبل نيس المرتفع بالاضافة الى مياه سفوح السراة ، وذلك فى قرى صغيرة بلغ عددها ٩٩ قرية لم يكد يبلغ عددهم ٥٠٠٠ فرد ، وهذا يعنى ان القرى تتوزع بمعدل سبعة أو ثمانية بيوت (أو نحو ٥٠ فردا) للقرية الواحدة .

وأهم قرى وادى الشعراء واكبرها : بلدة الشعراء وهى قاعدة القضاء الأول وتقع على الجانب الأيسر للوادى على ارتفاع ٤٩٠ م ، تمثل السوق الأسبوعى لسكان الوادى . وكانت تتكون من عدد من البيوت المبنية من الحجارة الغامقة اللون بدون ملاط ومسقفة بالخشب والطين ، متوزعة على السفح وتحيط بالسوق القديم الذى يتكون من محلات صغيرة جدا ومبنية من الحجارة يشرف عليها برج السوق الحجرى لغرض الحماية (صورة رقم ٩)

وقد اعتمد توسع بلدة الشعراء على بناء البيوت الاسمنتية أو من الطوب الاسمنتى خاصة بعد انشاء عدد من الدوائر الحكومية فيها مثل : مكتب الامارة وبناء شارع « مزفلت » أمام السوق يبلغ طوله نحو ١ كم نشأت على جانبيه بعض المحلات التجارية كبديل للسوق الأسبوعى المؤقت . تستقى بلدة الشعراء من بئر محفورة فى وسط الوادى مقابل البلدة عمقها ٣٥ مترا وتنقل المياه منها الى البلدة والى عدد من القرى المجاورة بواسطة سيارات الصهاريج . ومن القرى الهامة التى تتبع الشعراء : الزراب وشاميط والأمرة .



(صورة ٧)

القديم والحديث في بلدة قلوة (تهامة الباحة) والتي تقع على الجانب الأيمن لوادي تدوغة .



(صورة ٨)

وادي عليب عقب أحد الفيضانات في شتاء سنة ١٤٠٢هـ وترى الابل تستقي مما تخلف في الجرى من ماء .

وتسكن قبيلة الشغبان من زهران في وادي حجرة وروافده العليا : ذى غلف
واللحيان والشعاب ، وهم آل عطا وآل مقبل وآل أحمد ، كما يسكن بنى على من دوس
وادي الجرداء ، أما الهتان فيسكنون حوض وادي عليب الى الغرب من المواقع السابقة
ومعظمهم في حالة البداوة يعتمدون على تربية الجمال والماعز

وجد في قضاء الحجرة ١٩٢ قرية معظمها صغيرة جدا حيث لم يتجاوز معدل عدد
بيوتها ٤ أو ٥ بيوت ، أو ٣٥ فردا بالقرية الواحدة . وأهمها واكبرها بلدة « الحجرة »
وهي قاعدة القضاء إداريا - كما ذكرنا - وعقدة مواصلات برية في عهد القوافل ، وفي
حاجة الى أن يصلها الخط « المزفلت » حتى تستعيد مركزها كعقدة مواصلات من
جديد ، إذ أنها تقع على أحد الطرق الموصلة بين الساحل والجبال والسرّة . تمثل سوقا
أسبوعيا للمنطقة يعقد كل يوم أحد ، وتتكون من عدد من بيوت أصحاب السوق مبنية
على الجانب الأيسر من الوادي على ارتفاع ٣٨٠ م ، مبنية من الحجارة السوداء والمسقفة
بالطين والخشب ، ويشرف على السوق برج السوق الحجري الذي يتكون من ثلاثة
طوابق محصنة . وكانت صغيرة لم يتجاوز عدد مستوطنها ٢٥٠ فردا في العقد الماضي
بدأت تتسع ، وذلك ببناء عدد من البيوت والمخلات المبنية من الأسمنت والطوب
الاسمنتي . وتستقى هذه البلدة من بئر محفورة في الوادي وقد بنى خزان أسمنتي مرتفع
تضخ اليه المياه من البئر ومن ثم توزع على البيوت والمخلات بالانابيب . وسيتم نقل البلدة
إلى نجد يقع على الجانب الشرق للوادي .

ومن القرى الهامة الأخرى في هذه المنطقة : الربا والملح والسكان ومضالة والحبيبة
وشعيبين . وتقع قرية الجرداء في عالية وادي الجرداء عند أقدام سرة دوس . في حين
تقع قرية حصن القهب عند بداية الجرى الرئيسى لوادي عليب بعد التقائه بروافده
الأربعة الرئيسية ، اى في بداية منطقة الجرمين .

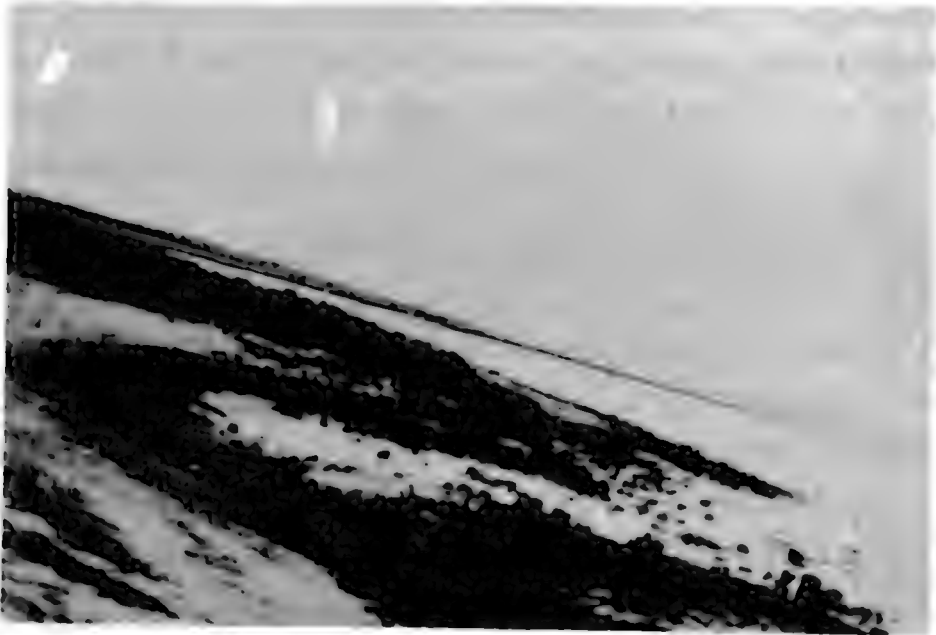
٤ - اقليم نجد تهامة الليث :

ويقع الى الشمال والشمال الغربى من نجد تهامة الباحة والى الجنوب من النجود
التابعة لقائمقامية مكة فيما بين السهل الساحلى لمنطقة الليث وحافة سروات بنى مالك
وبالحارث وبنى سعد فتمتد نحو ١١٠ كم شمال غرب - جنوب شرق ونحو ٧٥ كم في
الاتجاه الآخر . وتبلغ مساحتها نحو ٨٠٠٠ كم^٢ . ويشغلها حوضا وادي الشاقة الشامية
ووادي الليث الأعلى والأوسط وأحواض بعض الوديان الصغيرة في الأطراف الغربية من
هذه المنطقة .



(صورة ٩)

سوق بلدة الشعراء القديم (-تامة الباحة) وترى الدكاكين الصغيرة مهجورة في غير يوم السوق ، وهي مليئة
من الحجارة ومسلطة بالحطب والطين



(صورة ١٠)

صخور البازلت البركانية تلامس مياه البحر في منطقة البيرك .

ونجود تهامة الليث لاختلاف في تركيبها الجيوفيزيقي عن مناطق نجود تهامة الباحة أو القنفذة الواقعة الى الجنوب منها من حيث التعقيد في تركيبها الجيولوجي ، كالتكوين الصخري وسيادة الصخور المتحولة التي تمتاز بمقاومتها للتعرية ، مثل الجرانيت الجنايسى والشست الكلورينى والميتاجابرو والميتاديوريت الى جانب الصخور النارية ، ومن حيث تعدد الانكسارات وتقاطعها في المنطقة الواقعة الى الغرب من حافة الانكسار الرئيسى . فارتفعت بعض أجزائه على شكل نجود إنكسارية وانخفضت الأخرى فنشأت منها الأغوار الانكسارية . ثم تدخلت التعرية فيما بعد فظهرت كتل جبلية مرتفعة بعضها صعب الارتفاع ، تشرف على وديان سحيقة قد تهبط اليها بشكل شبه عمودى مثل الجبال : بجالة وبنى يزيد والاحمر وجودة ، وتقع فيما بين روافد وادى الليث الشرقية ، وجبل عفف في غرب وادى الشاقة الشامية .

وقد طورت عوامل التعرية الناتجة عن المياه الجارية طبوغرافية هذه التضاريس ، فسيطرت الوديان التي تنحدر مجاريها العليا من سفوح السروات وأسرت غيرها ، وشكلت شبكات مائية منتظمة تصرف المياه الزائدة الى البحر الأحمر ، مثل نظيرتها في تهامة الباحة والقنفذة وعسير . ولو أن نشاط هذه الوديان يتضاءل باتجاه الشمال ، وتقل أهمية المياه التي تجري فيها ، وينقص عدد الفيضانات التي تتردد فيها سنويا ، وما تحمله من مواد صلبة وما يمكن أن تتركه منها على جوانب الأودية وفي مجاريها الدنيا ، لتخلق ربما صالحة للزراعة أو خزانات من المياه الجوفية .

تبدأ المجارى العليا لوادى الشاقة الشامية من سفوح سراة بنى مالك وبالحرث ، وتبدأ المجارى العليا لوادى الليث من سفوح سراة بالحرث وجبال جنوب الطائف (الشواطة وقرنيط) . ويتجه الوديان في اقليم نجود تهامة نحو الجنوب الغربى بشكل عام وهما في طريقهما الى البحر . ويشترك مع هذين الوديين في تصريف مياه الجزء الغربى من هذه المنطقة عدد من الويان الصغيرة ، لاتبث أن تصل السهل الساحلى مثل : وادى عيار في جنوب الليث وحريق البير والفقة والغالة وسعية في شماله ، نجدها قد توقفت عن التطور - بسبب ضعفها - وقد غزتها الترسبات الريحية فقطعت الصلة بين بعض روافدها وبترت نهاياتها قبل أن تصل إلى غاياتها ، فاخفت معالمها في رمال السهل بعيدا عن البحر . وقد عجزت عن تشكيل مصاطب رسوبية على جوانبها أو دالات طموية عند نهاياتها .

ولما كان هذا الاقليم يقع فيما بين خطى عرض ٢٠° ، ٢١° شمالا تقريبا ، فان المؤثرات الجوية الجنوبية الغربية الصيفية تكاد لاتصل اليه ، واذا وصلته فانها تصله ضعيفة منهكة . وفي نفس الوقت يكون متطرفا كذلك بالنسبة للمؤثرات الجوية الشمالية الغربية الشتوية والربيعية أى « الوسيطة » بالرغم من وجود البحر الأحمر وامتداده باتجاه الجنوب الشرقى بحيث يتلاءم مع مسار أعاصير البحر المتوسط الشرقى ، والتي تترك آثارها على مساحات أبعد نحو الجنوب فى المناطق الجبلية العالية . فكانت هذه المؤثرات فيها ضعيفة أيضا .

اتصف اقليم النجود بالجفاف اكثر من جميع الاقاليم الجبلية لتهامة الواقعة الى الجنوب . ففى حين بلغ معدل الأمطار فى عالية الشاقة الشامية ٢٥٥ ملم ، لم يبلغ اكثر من ٨٢ ملم على الحدود الغربية للاقليم . ولولا أن وادى الشاقة ووادى الليث يستمدان مياههما من مرتفعات السراة العالية ، والتي تستقبل من الأمطار الصيفية والشتوية ما يكفى مجموعته لتغذية الوديين بالمياه ، ويسبب تردد بعض الفيضان ، فيترشح قسم منها فى المصاطب الرسوبية التى تستطيع بناءها على جوانبها بقدر يزيد عما يترشح فى مجاريها العليا . وتعتبر سببا لوجود مساحات ضيقة متناثرة من الأراضى الزراعية وبكثافات تقل عن مثيلاتها فى أحواض الوديان الواقعة الى الجنوب .

يتفاوت صبيب وادى الليث من مكان الى آخر على طول مجراه بسبب تفاوت الأمطار فى أحواض روافده العديدة ، كما أنه يتفاوت فى الموضع الواحد تفاوتا كبيرا من وقت الى آخر خلال العام ، ومن سنة الى اخرى بسبب عدم انتظام الأمطار وتذبذبها . ويظهر هذا التفاوت بجلاء من دراسة مائة السنوات الثلاث : سنة ١٩٦٨ التى اتصفت بالجفاف ، وسنة ١٩٦٩م التى حصل فيها فيضان قوى واحد ، وسنة ١٩٧٠م التى حصلت فيها عدة فيضانات شتوية متوسطة الحجم (تقرير سوغريا ص ٢٣٠) .

ان تفريغ خزان المياه فى عالية الوادى خلال فترات الجفاف يحدث جريانا سطحيًا وباطنيا للماء يصل به الى المجرى الأوسط . ويختلف صبيب ذلك الجريان حسب مقطع الطمى فى هذا القطاع ؛ إذ يقل الجريان السطحي وتزداد أهمية الجريان الباطنى نسبيا كلما زاد عرض مقطع الطمى ، ويحدث العكس كلما قل عرض المقطع . ويتراوح عمق الماء فى القطاع الأوسط من ٥ - ٧م عن السطح .

ويستثمر الماء فى هذا القطاع من الوادى من آبار حفرت فى الطمى لتلبية حاجة الناس وحيواناتهم منه . ومع أن بعض الآثار تدل على وجود مصاطب زراعية قديمة

ووجود نظام رى قديم فى اتجاه سافلة الوادى يتكون من قنوات طينية وحجرية كانت تتغذى من سد صغير ؛ إلا أن الماء غير مستغل فى الوقت الحاضر لأغراض الزراعة الا على نطاق ضيق جدا . ويقتصر النشاط البشرى فيه على تربية الحيوانات وذلك من الآبار القديمة المحفورة فى الطمى .

ومن الملاحظ الميزة لوديان نجد الليث وجود عدة مجموعات من الينابيع الحارة فيها ؛ مجموعة فى وادى الليث ذاته ، وأخرى فى وادى سعية الى الشمال الغربى منه مسافة ٦٠ كم ، وثالثة فى منطقة سوق الجمعة اى فى الرافد الشرقى لوادى عيار ، وذلك الى الجنوب الشرقى من مجموعة وادى الليث مسافة ٣٥ كم .

وقد انعكست جميع هذه الظروف على الحياة البشرية . فقد تبين أن الاجزاء الشمالية من هذا الاقليم تكاد تنعدم فيها الزراعة ، وبالتالي لم تظهر فيها الحياة المستقرة بشكل واضح ، كما وقد مارس الزراعة - أحيانا - عدد من البدو نصف المستقرين ، أو بكلمة أخرى أنصاف البدو . وقد شاركت المناطق التى تقع فى خارج أحواض الوديان الوسطى والدنيا أراضي السهول الساحلية « والخبث » فى قحولته وجفافه وخلوه من الحياة المستقرة .

ولذلك فالبرغم من قرب هذه المنطقة من الحجاز العامرة ، فانها تعاني من قلة عدد السكان وانعزالهم وانخفاض مستوى دخولهم . وقد تعرضوا فى الماضى ، ويتعرضون اليوم وبسرعة أكبر للنزوح عن ديارهم الى المدن الهامة مثل مكة وجدة والرياض وبعض مناطق المملكة النامية الأخرى .

يحتاج هذا الاقليم الى دراسات دقيقة للامكانيات الأرضية والمائية والبشرية وأحوال السكان قبل الشروع بوضع مشاريع إنمائية وتحديد مواقعها . وفضلا عن إنشاء خط الجنوب « المزفلت » الذى كان له فضل كبير فى اخراج هذه المناطق عن عزلتها ، لابد من إكمال شبكة من الطرق تخترق مناطق النجود الوعرة والتى لاتزال منعزلة .

فبالرغم من اتساع هذا الاقليم الذى يمتد طوليا اكثر من ١٠٠ كم شمال جنوب وأكثر من ٦٠ كم فى الاتجاه الآخر ، وتزيد مساحته عن ٥٥٠٠ كم^٢ فان عدد سكانه لم يتجاوز ٣٣٠٠٠ نسمة فى سنة ١٣٩٤هـ ، أى أن كثافة السكان لاتزيد فيه عن ستة أفراد للكيلو متر المربع الواحد بشكل إجمالى . ولايتوقع زيادتهم فى الفترة التالية بسبب ارتفاع نسبة النزوح .

لقد استقر أقل من ثلاثة أرباع العدد المذكور في قرى صغيرة تعتمد على زراعة الحبوب وعلى تربية الحيوانات بالدرجة الأولى . وما زال باقي السكان على حالة البداوة يستثمرون أعشاب الوديان . وقد توزع هذا العدد في أربع وحدات إدارية تتبع جميعها إمارة الليث الفرعية ، لأن الأخيرة تتبع بدورها إمارة مكة المكرمة . هذه الوحدات هي : الجازية وأضم وغميقة والغالة .

أ - قضاء الجازية : ويقع في حوض وادي « حلية » وهو عالية وادي الشاقة الشامية إلى الشمال من قضاء الحجرة الواقع في وادي الحجرة أحد روافد وادي غليب (عالية الشاقة اليمنية) . يستمد هذا الوادي مياهه من سفوح سراة بني مالك ، وذلك بكميات مكنت الوادي من تشكيل مصاطب رسوبية صغيرة المساحة غير متصلة الامتداد ، وقد حولها مستوطنو هذه المنطقة إلى حقول زراعية على غرار المصاطب الرسوبية في الوديان الجنوبية ولو بكثافة وامتداد يقلان عن سابقتها . وقد استفيد من تواجد الأعشاب في الوادي في المناطق غير المزروعة في تربية الحيوانات سواء من قبل الزّراع أنفسهم أو من قبل البدو .

بلغ مجموع سكان قضاء الجازية نحو ٧٠٠٠ نسمة ، أكثر من أربعة أضعافهم يعيشون في قرى زراعية صغيرة ومتفرقة في حوض الوادي ، ويعيش الباقي كرحل في نفس الوديان . وهم من الهتّان الذين ينتسبون إلى بني مالك الذين يعيشون في سراة بني مالك المجاورة لهم .

ويوجد في جنوب غرب هذه المنطقة - وذلك في شمال جبل عفف الذي يفصل هذه المنطقة عن إقليم السهل الساحلي - بعض العيون الحارة ، وذلك في حوض واد صغير يقع فيما بين الشاقة وعيار . وقد نشأ في المنطقة بعض مواقع الإستقرار أهمها قرية سوق الجمعة .

ب - قضاء أضم : ويقع في حوض وادي أضم وهو عالية وادي الشاقة الشامية أي الرافد الذي يقع إلى الشمال من وادي الجازية وينحدر من سفوح شمال جبال بني مالك وجنوب ثقيف ، ويحاذي هذا القضاء منطقة الجازية من جهة الشمال مباشرة ، غير أنه يفوقه في مساحة الأرض التي يحتلها . ولكنه يشبه إلى حد ما في ظهور امكانيات الانتاج الزراعي في مساحات صغيرة ، بل وقد تكون أصغر من الأولى ، وأكثر تفرقا وتباعدا على جوانب الوديان ، ولكنها في مجموعها تصبح ليست قليلة .

وقد ساعدت هذه الظروف على استثمار أحواض الوديان المعشبة وغير المزروعة في تربية الحيوانات من قبل الزراع أو غيرهم . فزادت أهمية الحياة غير المستقرة فارتفعت نسبة البداوة بين مجموع السكان . ففى حين بلغ مجموع مستوطنى هذا القضاء ١٢٧٠٠ نسمة ارتفعت نسبة البداوة من هذا العدد الى ٢٢٪ . ومن أهم مواقع الاستقرار فيها قرية « أضم » . وهى مركز هذا القضاء ، وتقع فى عالية الوادى .

ج - قضاء بنى يزيد : ويقع فى حوض وادى الليث الاعلى خاصة الروافد : سلبة و فلج وسعدة ويرين ، والتي تنحدر من جنوب وجنوب غرب جبال منطقة الطائف ، أى جبال بنى سعد وبلحارث . ويحتل مساحة واسعة تفوق كثيرا مساحة جميع الأضية المذكورة سابقا ، غير أنها تتميز عنها جميعا بشدة الجفاف وندرة الأمطار ، وضعف الموارد الأرضية عامة . بحيث لم تستطع - بالرغم من أهمية وادى الليث وكثرة روافده - أن تهىء إمكانية الإنتاج الزراعى ، فانعدم وجود الحياة المستقرة . اذ لم يسجل تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ سوى ٨٨ فردا فى قضاء بنى يزيد . وبذلك يصبح وادى الليث هو أول الوديان الكبيرة التى تخلو مجاريها العليا من الحياة المستقرة بسبب خلوها من الأراضي الصالحة للزراعة .

ومع ذلك فقد سجل ذلك التعداد وجود مايقرب من خمسة آلاف من البدو الرحل وذلك لأن هذه الوديان ان خلت من الأراضي الزراعية ، فانها لاتخلو من الأعشاب التى تعيل حياة رعوية جيدة . يومكننا القول أن سكان هذه المنطقة تراجع عددهم بعد تاريخ التعداد لتعرضهم للنزوح بسرعة ، فى حين لم ينشأ فيها من المشاريع مايفرغ الآخرين إلى الهجرة إليها .

د - قضاء غميقة : ويقع فى الحوض الأوسط لوادى الليث الذى يعتبر آخر الوديان الكبيرة الواقعة فى اتجاه الشمال من اقليم جنوب غرب المملكة ، ومن أوسعها مساحة وأكثرها روافد . اذ تبدأ مجاريه العليا - كما ذكرنا - من جنوب الطائف وتنحدر اليه روافد بلاد بنى سعد وبلاد ميسان (بالحرث) وأطراف بنى مالك ، بالإضافة إلى عدد من الروافد الغريبة القادمة من نجد تهامة ذاتها .

ولكن يبدو أن وادى الليث ورث هذه الشبكة الواسعة المنتظمة من عهود سابقة ومطيرة ، بسبب ضآلة أهمية المياه التى تجرى فيه أو الفيضانات التى تتردد عليه فى العهد الراهن . اذ لايتشرح فى رسوبيات الحوض الأعلى للوادى الا القليل من الماء لضآلة مقطع

الطمي هناك ، ويستهلك هذا الماء في إنبات غيضان شوكية ، ولم يؤد إلى وجود أراض زراعية ، ولم يستعمل استعمالات أخرى .

ومع ذلك لوحظ أنه يترشح في قطاعه الأوسط كمية اكبر من الماء ، تحتزن في شقوق صخور المنطقة وفي قطاعات أوسع من الطمي . ومن الملاح الأخرى التي تكسب هذا القطاع (الأوسط) أهمية وجود عدد كبير من الينابيع الحارة ، تقع في الطرف الغربي من هذه المنطقة ، اى قبيل عبور الوادى اقليم السهل بنحو ٢٠ - ٢٥ كم ، وتنبع من كسور في سخور الجرانيت تصل حرارتها إلى ٨٨° م ، وقد بلغ صبيبها بين ٣٠ - ٥٠ لتر/ث . تصب في مجرى الوادى بشكل دائم الا اذا استقلت . وقد ادت هذه المياه - بالاضافة الى مياه الفيضانات ولو أنها قليلة التردد ، وبالإضافة الى المياه المتسربة الى السطح - الى ظهور الحياة المستقرة في هذا القطاع من المجرى .

بلغ مجموع سكان هذا القضاء نحو ٧٠٠٠ نسمة ينتمون الى الجبرة من بنى شعبة الكنانيين^(١) معظمهم مستقرون في قرى صغيرة الحجم تعتمد على آبار محفورة في طمي الوديان ، بلغ عددها ١٤٥ قرية اى بمعدل ٤٨ فردا للقرية الواحدة . وأهم هذه القرى « بلدة غميقة » التي تقع على مجرى الوادى عند انتقاله من القسم الجبل الى السهل . ولذلك فهي تتمتع بموقع ممتاز يسهل الوصول اليها سواء من السهل أو من الجبل ، وفيها سوق اسبوعى يعقد كل يوم خميس يرده سكان الاقليم فاتخذت مركزا لهذا القضاء . ويوجد عدد من القرى فيما بين غميقة والعيون قد يكون أهمها قرية نخل النيلة وتقع على بعد ١٠ كم في عالية غميقة . وتوجد حقول زراعية وعدد من مواقع الاستقرار كذلك في وادى عيار الذى يقع الى الجنوب من وادى الليث بنحو ١٥ كم ، ومن تلك المواقع قرية نخل شعبة التي تتوسط مجموعة من بساتين النخيل على بعد ١٥ كم في شرق غميقة في وادى منساح .

٤ - قضاء الغالة : ويحتل أحواض الوديان : الغالة والخضرة وسعية وهى من الوديان الصغيرة ، وتقع في شمال غرب اقليم تهامة الليث ، والى الشمال الغربى من قضاء غميقة كذلك . ونظرا لجفاف هذه المنطقة وعدم وصول موارد مائية خارجية اليها ، صارت من أفقر النحاء هذا الاقليم بالموارد والانتاج والامكانيات وبالتالى بالسكان . وزيادة على

(١) عاتق البلادى ، أودية مكة . مجلة العرب ج ٩ ، ١٠ السنة ٩ نيسان ١٩٧٥ م ص ٦٤٥ .

ذلك فان فقرها بالأعشاب جعل من المتعذر أن تقوم فيها حياة رعوية ، مما جعل تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م يسجل عدم وجود اى من البدو على اتساع مساحتها وعدم انتشار مواقع الاستقرار فيها .

لقد وجد عدد من الآبار القديمة محفورة في رسوبيات الوديان كانت تستغل من قبل قوافل التجار والحجاج القادمة من والى مكة . كما وجد في اللحيين في حوض وادى سعية عدد من العيون الحارة مثل تلك الموجودة في الليث ، وقد أمكن تحويل بعض هذه الآبار والعيون الى قرى .

لم يتجاوز عدد أفراد هذا القضاء - على اتساعه - ١٣٠٠ نسمة ينتسبون الى الزنايجة من بنى شعبه الكنانيين . كما ينسب سكان وادى مركوب وسعية إلى عضل من بنى شعبة أيضا (١) . وهم جميعا في سبيلهم الى التناقص لا التزايد بفضل نزوحهم الى مدن الحجاز القريبة منهم . وقد اعتبرنا شمال الغالة في مطلع دراستنا لهذه المنطقة نهاية حدود اقليم جنوب غرب المملكة من جهة الشمال الغربى .

٥ - اقليم سهل القنفذة الساحلى :

ويقع بين النجود الانكسارية وشاطئ البحر ويجاذى الأخير طوليا مسافة تبلغ نحو ٣٥٠ كم فيما بين حوض وادى نهب عند خط عرض ٤٨° - ١٧° ش حتى شمالى مصب وادى الدوقة عند خط عرض ٤٢° - ١٩° ش ، ويتراوح عرضه بين ٢٠ - ٣٥ كم ولا تقل مساحته حسب هذا التحديد عن ٩٥٠٠ كم^٢ تقريبا .

يتصف هذا السهل بالجفاف الشديد حيث تبلغ معدلات الامطار فى جميع أنحائه نحو ١٠٠ ملم فى السنة أو أقل ، وترتفع درجات الحرارة حتى فى فصل الشتاء بحيث تجعل قيمة التبخر الحقيقى عالية جدا . غير أن الوديان الجبلية الهامة التى تنتهى اليه عملت على تكوين سهول فيضية ودالات رسوية فى سافلتها ، فكانت سببا فى ظهور الزراعة وبالتالى ظهور الحياة المستقرة اعتمادا على مياه فيضانات تلك الأودية ولو بمقاييس صغيرة .

ولذلك تجمع السكان فى وحدات منعزلة بعضها عن بعض تفصل بينها أراض قاحلة جرداء . وكان من نتيجة ذلك أن قل عدد السكان ، ونقصت كثافتهم الى حد كبير ،

(١) عاتق البلادى . أودية مكة . مجلة العرب ج ٩ ، ١٠ السنة ٩ نيسان ١٩٧٥م ص ٦٤٥ .

وقد ساهم في ذلك أن طبيعة البحر والشاطئ لم تساعد على تواجد المرافق الطبيعية أو القرى التي تعتمد على الصيد . إذ لم يزد عدد مستوطنى هذه المنطقة الواسعة عن ٦٠٠٠٠ نسمة . ويعادل هذا الرقم نحو ٢٠٪ فقط من عدد سكان السهل الواقع الى الجنوب منه الى السهل الجيزاني .

وقد نتج عن فقر الموارد الأرضية لهذا السهل ، وضيق مجالات المعيشة هجرة العديد من سكانه في العهد الراهن الى مناطق ومدن المملكة الأخرى ، لاسيما الشباب في سن العمل ، يدل على ذلك ارتفاع نسبة الاناث الى ٥٢٤ انثى لكل ١٠٠٠ من أفرادها ، لأن الهجرة نادرا ما تتناول الإناث ، في حين أن هذه النسبة بلغت - على سبيل المقارنة - ٤٥٧ انثى لكل ١٠٠٠ من سكان منطقة مكة مجتمعة .

تتبع هذه المنطقة إداريا إمارة مكة المكرمة وتمثل في وحدتين فرعيتين هما البيرك والقنفذة . وقد تواجد سكانهما في نحو ٣٠٠ قرية أى بمعدل ٢٠٠ فرد للقرية الواحدة بالرغم من أنها تضم عددا من البلدات أو المدن الصغيرة . وهذا يعنى أن معظمها من الحجم الصغير . ولم يتبين من تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م وجود أى عدد هام من البدو في هذه المنطقة بسبب قحولة مناطق الخبت واستغلال مناطق السهول الرسوبية في الزراعة . وهذه الوحدات هي :

أ - قضاء البيرك (Al-Birk) : ويتألف من هضبة بركانية تكونت من الصّبات البازلتية الحديثة على شكل مستطيل يحاذى أحد اضلاعه شاطئ البحر بطول يبلغ نحو ١٢٠ كم وذلك من جنوب قضاء القحمة (في منطقة جيزان) وحتى حافة وادى حلى اليسرى . أى انه يقع نحو ٨٠ كم منها في منطقة البيرك . وأما حدّه الشرقى فيتداخل مع منطقة الجبال الساحلية بدون نظام ؛ لأن البازلت غطى الوديان والمنخفضات القديمة اكثر من التلال وقد وصلت صبات البازلت الى البحر في عدة مواقع وشغلت السبخات والأدراع البحرية المواقع الأخرى^(١) (صورة ١٠) .

ويقع قضاء البيرك فيما بين قضاء القحمة جنوبا وحتى حوض وادى حلى (في قضاء القنفذة) شمالا . وهو عبارة عن هضبة وعرة جدا يصعب اجتيازها لدرجة أن طرق القوافل القديمة تجنّبها الى الممرات الجبلية الداخلية . وقد التصقت شعاب مرجانية قديمة

(١٠) لوحة تمهامة الشام رقم 1-216 A

على البازلت على طول معظم الشاطئ وظهر على ارتفاع ٥٥ م فوق سطح البحر . وقد ساهم هذا في انعزالها عن ظهيرها الداخلى وعن المناطق الأخرى . (انظر شكل ٣٣) .

يزيد معدل الأمطار في هذه المنطقة عن ١٠٠ ملم ، أى أكثر من الأمطار في السواحل الجيزانية ، أو سواحل القنفذة . وظهرت في المنطقة وديان صغيرة حفرت ممراتها في صخور البازلت واتجهت الى البحر مثل الوديان : العمق والبيرك وذهبان وذهبان . لم يساعد الجريان في صخور البازلت على تشكيل رسوبيات الا على نطاق ضيق ، ويتمثل بنشوء دلتاوات صغيرة جدا بالقرب من مصباتها بالبحر . وقد عملت على تخزين نسبة محدودة جدا من المياه الجوفية خاصة في الدلتاوات المذكورة وعلى عمق قريب جدا من السطح قدر متر أو أمتار^(١) . وتختلف ملوحة آبار هذه السهول من مكان إلى آخر . وفي العادة يكون أعذبها هو الأبعد عن البحر ، وتنخفض ملوحتها عقب الفيضانات اجمالا . أما الوديان الكبيرة التي تصرف مياه مناطق الجبال الكثيرة المطر فتجنب هذه المنطقة وتصل الى البحر اما من شمال أو جنوب المنطقة البازلتية .

ونتيجة خلو هذه المنطقة من التربة الرسوبية والمياه الجوفية تقريبا تعذر وجود حياة مستقرة إلا على نطاق ضيق جدا ، ووجد عدد هزيل من البدو الرحل ، باستثناء عدد محدود من القرى الزراعية الصغيرة الحجم ظهرت في الهوامش الشاطئية مثل : قرية عمق في دلتا وادى العمق في جنوب كياد خلى بنحو ٣٥ كم ، ويعيش النخيل والدوم فيها بدون رى . وتقع قرية البيرك على مرتفع بازلتى بجوار خليج بحرى على بعد ٧٠ كم في جنوب كياد ويعيش معظم سكانها من الصيد ، وهى المركز الادارى لهذه المنطقة يعيش فيها نحو ٨٥٠ فرداً ، وهى مرفأ صغير قديم يقع في صدر خليج صغير تحميه الشعاب المرجانية . كانت تتزود بالمياه بما ينقل اليها على ظهور الدواب من وادى بيرك الذى يحوى غشاء مائيا ضعيفا جدا . ثم أقيم فيها خزان أسمنتى ترفع المياه اليه بالضخ حتى توزع على مساكن القرية . ويوجد عدد أكبر من بساتين النخيل في وادى ذهبان الى الجنوب من البيرك بنحو ١٥ كم حيث تبدأ الدلتا على بعد ٤ كم عن البحر ، وتترشح المياه عقب الفيضان في التربة الرسوبية على عمق ٢ م ، وينتشر في الوادى مرض الملاريا بسبب تبرك الماء .

(١) Sogreah, Ibid, P. 183-195.

بلغ عدد سكان منطقة البيرك أقل من ٥٥٠٠ نسمة ، يعيش نحو سدسهم في قرية البيرك وحدها . ولم يزد عدد البدو عن ٣٥٠ نسمة ، والباقي يتوزعون في قرى صغيرة بلغ عددها ٦٨ قرية ، يقع ١١ منها في وادى ذهبان في اقصى الجنوب بجوار البحر . لم يبلغ عدد مستوطنها جميعا ٥٠٠ فرد ، وتقع ١١ قرية أخرى في وادى عمق في أقصى الشمال وفي عالية الوادى عند أقدام الجبال عاش فيها نحو ١٠٠٠ من السكان . أى أن حجم القرية فيها يبلغ نحو ضعف حجمها في وادى ذهبان إجمالا . ويتوزع العدد الباقي من القرى في السهول التى تتخلل التلال بالقرب من بلدة البيرك ذاتها وفي شمالها الشرق ، وقد عاش فيها نحو ٢٨٠٠ فرد .

لا تتوافر فرص الأعمال كثيرا في هذه المنطقة مما جعلها تفقد سكانها بالهجرة ولا تغرى أحدا بالهجرة إليها . إذ أوضحت نتائج إحصاء ١٩٧٤ عدم وجود غرباء فيها ، كما أوضحت ارتفاعا في نسبة الأمية ونقصا كبيرا في الحضور المدرسى . ويعيش سكانها من الصيد أو الزراعة أو تربية الحيوان .

ب - سهل منطقة القنفذة :-

يطلق على السهل الذى يقع فيما بين شمال هضبة البيرك وحتى شمال وادى الليث اسم « تهامة الشام » ، وهو سهل عريض نسبيا ويمتد نحو ٢٥٠ كم طولا ونحو ٢٠ - ٤٠ كم عرضا ، ويتكون من رسوبيات حديثة ويخترقه عدد من الوديان القادمة من الجبال شرقا وتصب في البحر غربا . وبالرغم من هذا التجانس الكبير يمكن أن نقسمه الى قسمين متميزين جنوى وشمالى .

فالقسم الجنوى من تهامة الشام هو السهل الساحلى لمنطقة القنفذة ويقع بين هضبة البيرك البركانية جنوبا وشمال وادى قنونة شمالا ، ويحاذى شاطئ البحر ويقع بينه وبين النجود التابعة لقضاء بارق ونجود القنفذة وغامد الزناد أو تهامة الباحة ، ويبلغ عرضه نحو ٤٠ كم الا أنه يقل عن ذلك اجمالا باتجاه الشمال .

تقع هذه المنطقة في نهاية ما يصله تأثير الأمطار شبه الموسمية الجنوبية ، فتراوحت معدلات الأمطار السنوية فيها حوالى ١٠٠ ملم في الشريط الساحلى الى ٢٠٠ ملم عند أقدام الجبال ، ويسقط معظمها في فصل الصيف . وبالرغم من شح الأمطار خاصة في أقليم مرتفع الحرارة حتى في أشهر الشتاء ، فإن تأثيرها يختلف باختلاف المظاهر

الجغرافية ، إذ بلغت معدلات الحرارة في المظيلف الواقعة في شمال هذا السهل ٢٤° م في أشهر الشتاء و ٣٦° م في أشهر الصيف .

وقد انعكس هذا الاختلاف في حياة الانسان وطرق استغلاله للأرض ونشاطه الاقتصادى . وتتضمن هذه المنطقة ثلاثة مظاهر جغرافية متباينة هي :

١ - السهول الرسوبية للوديان : حلى ويا وقنونة وأحسبه والدوقة .

٢ - الخبت ويقع فيما بين تلك السهول .

٣ - المناطق المستنقعية والسبخية الشاطئية .

١ - السهول الرسوبية للوديان :

ويقصد بها أربعة مناطق من السهول الرسوبية التى شكلتها الوديان الهامة فى منطقة السهل الساحلى من طمى الفيضان ، وتتقدم باتجاه المصب على شكل دالات ، وتحوى كل منها غشاء مائيا منعزلا يغذيه واديه بالمياه ، وتحصرها عن بعضها طبقات ثلاثية غير منفذة من الشمال والشرق والجنوب ، كما يحصرها غزو ماء البحر من الجهة الرابعة . وقد خضعت للزراعة بكاملها فأعطت مظهر الأراضى الزراعية المتصلة ، وهى مفصولة عن بعضها بأراض قاحلة تماما . وقد عاش فيها نحو ٥٣٠٠٠ نسمة جميعهم تقريبا مستقرون ويعمل معظمهم فى الزراعة أو تربية الحيوان . وقد عاشوا فى نحو ٣٠٠ قرية بالإضافة الى مدينة القنفذة . ومناطق السهول الأربعة المقصودة هى :

(أ) سهل وادى حلى الساحلى : يعتبر وادى حلى من أهم وديان المنطقة الساحلية ويأتى من مرتفعات عسير ، وتبلغ مساحة حوضه نحو ٦١٠٠ كم^٢ يقع نحو ثلاثة أرباعها فى منطقة الجبال الممطرة . وقد بنى فى منطقة الساحل سهلا رسوبيا واسعا على شكل مثلث تقع زواياه بالقرب من القرى التالية : شайд التى تقع على بعد ٥ كم فى شرق كباد وتمثل رأس المثلث فى جهة عالية الوادى ، ومخشوشة وتقع على بعد ١٣ كم فى جنوب غرب كباد وكذلك فى الجنوب من دلثا الوادى الحالية ، وحتامية وتقع على بعد ١٢ كم من شمال مخشوشة وكذلك فى الشمال من دلثا الوادى القديمة . وقد تكونت رسوبيات السهل الطموية من الحصى والرمل الطينى والطين توضع فوق تكوين بيض الثلاثية ، وقد علاها طمى ناعم ، وبلغ سمك الرسوبيات فى بعض المواقع ٢٠٠ م . وتبعد قاعدة السهل عن الشاطيء من ٥ - ٨ كم .

يقطع مجرى وادى حلى قبيل وصوله السهل عدة عقبات صخرية من الشست لاتبث أن تحتفى تماما قبل كباد بنحو ٦ كم فى الشرق ، تجبر المياه أن تجري كلها فوق السطح فى تلك المواقع ، ولكن معظم المياه التى تصل السهل تكون على شكل فيضانات وتبدأ بالتسرب فى الطمى قبل أن تصل كباد . وإذا كانت فيضانات قوية فإنها تجري على السطح وقد تصل الى البحر وتصب فيه .

ويحمل هذا السهل الطموى غشاء مائيا لأبأس بكميته ، ترتبط حدوده الشمالية بدلتا حلى القديم الواقع فى الشمال ، وحدوده الجنوبية بحافة الهضبة البازلتية المخاذية للدلتا الجديدة ، ويرتبط عمقه بوجود تكوينات بيض الطينية غير المنفذة والقليلة العمق فى الشرق . ويمس حدوده الغربية غشاء مائى مالح بسبب حقن مياه البحر المالحة فى الغشاء الأصيل ، كما يمس حدوده الشمالية الغشاء المائى المالح فى منطقة الخبت الواقعة بين حلى ويا .

ولذلك فالتدرج البيزومتري للغشاء المائى بطيء فى منطقة المخروط الرسوبى ويتناقص إرتفاعه باتجاه البحر مع تزايد سمك الرسوبيات . وترتسم الخطوط البيزومترية على شكل أقواس دائرية مركزها خيخ وكباد ، ونصف قطرها نحو ١٥ كم وزاوية انفرجها ٧٠° لكنها تتدرج بالارتفاع من ذلك المركز باتجاه عالية الوادى على شكل قناة طموية محددة يبطن الوادى تصل بين الجبال وكباد ، ويكون عمق الماء فيها اجمالا قريبا من السطح .

أقام المزارعون سدودا ترابية على مجرى الوادى لادخال مياه الفيضانات الى الحقول المجاورة ، وأخضعوا السهل الى زراعة « رى الحياض » التى تختص بزراعة الحبوب لاسيما الذرة والدخن ، واهتموا بتربية الحيوانات لاسيما الأبقار ، ويبدو أن السهل كان خاضعا فى الماضى لزراعة تزيد كثافة عما هى عليه الآن ، يدل على ذلك وجود أقنية الرى القديمة المهجورة وأطلال العقود الترابية القديمة المهجورة التى كانت تفصل الحقول بعضها عن البعض الآخر .

وسهل حلى الرسوبى منبسط تماما لايرز فيه سوى مواقع القرى التى شيدت على تلال ترتفع نحو ٢ أو ٣ م فقط عن سطح السهل حماية لها من الفيضان المتسبب عن الرى . وقد بلغ عدد هذه القرى ٩٧ قرية صغيرة معظمها لاتتعدى عدة أكواخ ، ولم يبلغ مجموع سكانها ١٥٠٠٠ نسمة . تستمد مياه الشرب من نحو ١٠٠ بئر قديمة . وقد حفرت وزارة الزراعة مؤخرا عدة آبار فى مواقع مختلفة مثل صفا وخيخ وسباتا وسلامة ومجازر وخضرة .

ومن أهم قرى سهل حلى قرية كباد حلى وتقع عند عالية السهل الرسولى على الجانب الأيسر لمجرى الوادى ، وهى المركز التجارى (اى السوق الذى يعقد فى يوم الأحد) والادارى (مقر الإمارة) لهذه المنطقة . ومن قراه أيضا خييع وتقع الى الشمال من كباد على بعد ٣ كم فقط ، ولكن على الجانب الآخر من الوادى . ويقع الى الغرب منهما قدوة الأعرج فى الشمال ومنجمة وعجة والسلامة والفريق وبيضين فى وسط السهل .

(ب) سهل وادى يبا (سهل القوز وحيل) : ويقع الى الشمال من سهل وادى حلى على بعد ٢٠ - ٢٥ كم ، ويشبهه من حيث اتخاذه شكل المثلث الذى يقع رأسه فى اتجاه عالية الوادى ، وذلك قرب قرية القوز التى تبعد ١٧ كم عن خط الشاطئ ، وينفجر السهل عندها بزاوية قائمة تقريبا نحو شاطئ البحر على شكل مخروط رسولى يبلغ نصف قطر دائرته نحو ١٣ كم ، وينتهى على شكل قوس يبعد عن خط الشاطئ نحو ٥ كم . ويمتد السهل باتجاه عالية الوادى مسافة ١٨ كم أخرى على شكل شريط ضيق مرتبط ببطن الوادى . وقد تكون السهل من الرمل الرمادى الطينى أو من الطين الأحمر المخلوط برمل وحصى ، يغطى طبقات من الانهيارات تقع على عمق قليل تحت سطح الشريط من حيل الى القوز تتحول فى اتجاه المصب الى رمل ورمل طينى .

تحدد الغشاء المائى فى عالية حيل ببطن الوادى ، أى أنه يقتصر على قناة ضيقة وضحلة محفورة فى الطبقات غير المنفذة لتكوين بيض بعرض ٢ كم تقريبا . وبطبيعة الحال يكون تدرجه البيزومتري قويا جدا ، لا يلبث أن يزداد عرضه عند بداية تشكل الدلتا ، ويصبح قطاع دائرة مركزها حيل ، وخطوطه البيزومترية متباعدة وعلى شكل أقواس لنفس المركز . ويحدد هذا الغشاء المائى أيضا قرب الطبقات الثلاثية من السطح عند منطقة تشكل الدلتا ، لكن الطمى يتزايد سمكه ويصبح ناعما ، ويتسع مخروط القطاع ويزداد عمق الماء حتى يبلغ ١٥٠ م فى الغرب . ويتناقص التدرج البيزومتري جدا فيما بعد القوز وحتى نهاية المخروط الرسولى .

ويشبه هذا السهل سهل حلى كذلك فى تعرضه لمياه الفيضان وتسرب مياهه وتخزينها فى الطمى ، مما هيا الظروف الى إخضاعه للزراعة التقليدية ، وفى هذه المنطقة وهى زراعة رى الحياض باقامة العقوم الترابية وإدخال المياه الى الحقول ، وبالتالي تواجد السكان الريفيين فى قرى زراعية صغيرة ومبعثرة فى ثنايا الحقول ، وقد بلغ عددها ٧٥ قرية لم يكد يبلغ عدد سكانها جميعا ١٣٠٠٠ نسمة . ومن أهم هذه القرى : الجرد وتقع فى عالية الدلتا على الجانب الأيسر للوادى ، وحيل وصهوة وتقعان عند بداية

انفراج السهل نسبيا ، والقوز وتقع عند بداية تشكل الدلتا الى الغرب من موقع القرى السابقة وعلى الجانب الأيمن من الوادى وهى قاعدة قرى المنطقة .

(ج) سهل وادى قنونة (سهل القنفذة) : ويقع الى الشمال من السهل السابق وعلى بعد يقرب من ٢٥ - ٣٠ كم منه أيضا وذلك فى الحوض الأدنى لوادى قنونة ، ويضم نهاية وادى عجة ولومة الى الشمال أيضا . وهو وإن تشابه مع السهلين السابقين فى أنه يبدأ بالتشكل حيث ينتهى الوادى من منطقة الجبال ، ويمتد مثلهما مسافة لاتقل عن ٢٠ كم يقطع فيها منطقة السهل الساحلى باتجاه المصب وينتهى قبل خط الشاطئ بنحو ٢ - ٥ كم وقد بنته الرسوبيات الطموية الحديثة المتخلفة عن الفيضانات المتتالية ؛ إلا أنه يختلف عنهما فى أنه لايتسع اتساعهما بالاتجاه الغربى . حتى وإن اتخذ مثلهما شكل المثلث ؛ إلا أن زاوية انفراجه بعد الرأس فى العالية حادة كثيرا ، وتقل بذلك مساحة المخروط الرسوبى الزراعى .

ويبدو أن وجود انكسار يتجه شرق - غرب ، ويمحاذى المجرى من جهة الجنوب ويحدده ؛ قد تسبب فى ظهور صخور القاعدة المتكونة من صخور الجرانوديواريت فى جنوب خط الانكسار على بعد ٢٠ كم من البحر فى حين أنها تظهر على بعد ٤٠ كم فى شماله . واجمالا فسمك الطمى يقل عما هو فى الواديين ، إذ توضع فى وسط الدلتا (منطقة سوق الأحد) حصى وحصباء وطين أحمر بسمك ٣٥ م فى هوة على شكل أحواض تقع بين الصخور القديمة (الثلاثية) ، مما تسبب فى ردم تلك الهوة التى أوجدها الانكسار . وقد بلغت مساحة سطح القطاع الطموى نحو ثلث مساحة أحد السهلين السابقين .

وقد تسببت الفيضانات التى تتردد على وادى قنونة فى تسرب المياه فى الطمى ووجود غشاء مائى يتناسب مع صغر مساحته وقلة عمقه ، ويلاحظ أن تدرجه البيزومتري شديد جدا فى جهة العالية ، لايثبت أن يضعف شيئا فشيئا فى جهة الشاطئ . وقد استثمر هذا السهل كغيره فى الزراعة وظهرت الحياة المستقرة على شكل قرى عديدة وصغيرة بلغ عددها نحو ٤٠ قرية وبلغ تعدادها نحو ٦٣٠٠ نسمة . وكانت هذه القرى تعتمد فى التزود بالماء للاستعمال المنزل على آبار قديمة كانت محفورة فى الطمى بلغ عددها ١٣٦ بئرا ، وكانت تسحب المياه منها بالمتح (أى بواسطة الحيوانات) ؛ ولذلك كثيرا ما كانت تتعرض للتلوث . وقد حفرت عدة آبار حديثة (أى بالحفارات) لتمد القرى والقطعان بالماء منذ أواخر الستينات ، وبدأ الناس يهجرون الآبار القديمة بالتدريج .

وقد يكون من أهم قرى هذا السهل : فرشة وتقع في عالية السهل ويليهما باتجاه الدلتا قرية عيانة فسوق الأحد ، وهى المركز التجارى للمنطقة أى السوق الاسبوعى وكذلك المركز الإدارى وتقع في وسط السهل المزروع تقريبا ويليهما باتجاه البحر قريتا الحصن والقاع . أما مدينة القنفذة فتقع قرب المصب على شاطئ البحر وبعيدا عن السهل الساحلى .

(د) سهل أحسبة - الدوقة : ويقع الى الشمال الغربى من سهل القنفذة وذلك في سافلة الوديان : أحسبة وناوان وقرما والدرقة وينحصر بين شاطئ البحر ونجود قضاء نيرا التابع لتهامه الباحة .

وتعتبر هذه المنطقة انتقالية من ناحية جيولوجية بين السهل الجنوبى والشمالى حيث تقترب صخور القاعدة الأركية وصخور الزمن الثالث من شاطئ البحر ، وترتفع الأخيرة فتقترب من سطح الأرض ، ويقل بذلك سمك الرسوبيات الطموية التى تمثل التربة الزراعية وخزان المياه الجوفية ، وقد تتلاشى في بعض المواقع .

ويتميز حوض وادى الدوقة - بالاضافة الى ذلك - بوجود طبقات الانهيارات الناتجة عن التبخر في عصور الجفاف ، وقد أثبت الحفر أنها موجودة على عمق ٤١ م قرب قرية مشرف^(١) ، ويتزايد سمكها باتجاه الغرب . وتقترب مخاريط الإنصباب الطموية من خط الشاطئ حيث تتكاثف السهول الطموية في الشريط الساحلى الذى يقع على بعد يتراوح بين ٥ - ١٥ كم حول نهايات الأودية وفروعها .

وجد أن عمق الطمى الرسوبى يتراوح بين ٥ - ١٠ م فقط في وادى الدوقة الذى يعتبر أهم هذه المجموعة من الأودية . ولو أن سمكه يزداد باتجاه البحر حتى يبلغ ٢٠ م (مقارنة مع ٢٣٠ م جنوب جيزان) . ويتكون الطمى في اتجاه العالية من الرسوبيات الخشنة أى من الحصى والحصباء ثم يزداد دقة باتجاه السافلة حتى يتكون من الرمل فالرمل الطينى فالطين .

وتتميز هذه المنطقة عن السهول الساحلية الواقعة الى الجنوب منها بتناقص تأثير موسميات المحيط الهندى تدريجيا ، ولكن الى درجة لاتزال الأمطار وجريانات الأودية لإبان الفيضانات ملاحظة ولو بنسب تقل عن الجنوب . إذ تقل معدلات الأمطار السنوية عن

(1) Sogreah, Ibid, P. 217.

١٠٠ ملم (فى عسيلة ٧٣ ملم ، وفى الدوقة ٩٣ ملم) . ورغم ان الفيضانات تحصل نتيجة أمطار المناطق الجبلية العالية فهى أقل ترددا وتصل الى السهل ضعيفة .

يقل مخزون المياه العذبة فى الطمى فى العالية حتى تصبح محصورة فى قناة ضيقة وقليلة العمق . ويتغذى هذا المخزون بالماء من ترشح مياه الفيضان فقط ، ويجف عادة بعد انتهاء الفيضان بفترة قصيرة ، ما عدا قرب سرير الوادى (مثل بئر القديح فى شمال دلتا الدوقة) . ولكن يزداد هذا الخزان اتساعا وعمقا باتجاه المصب ، غير أنه يتعرض هناك لحقن ماء البحر المالح ، مما يسبب تراجع سمك الطبقة الحاملة للمياه العذبة .

وتساهم هذه الطبقة المالحة بالتعاقد مع قرب الطبقات الثلاثية - فى تحديد حجم الخزان المائى والذى تزداد ملوحتة - لاسيما بمحلول كلوريد الصوديوم - فى اتجاهين ، أى بالاقتراب من خط الشاطئ أو بالتعمق فى داخل الأرض . وهذا يعنى أن ممارسة الضخ من الآبار باستمرار يكتنفها مخاطرة زيادة ملوحة الماء .

وقد أمكن استثمار بقع واسعة ومتناثرة من الأراضى فى نهايات الأودية المذكورة ، غير متصلة معا قرب بعضها من البعض الآخر . فنشأت فيها الحياة المستقرة بحيث بلغ عدد سكانها جميعا ١٥٠٠٠ نسمة موزعين فى عدد كبير من القرى الصغيرة فى وسط تلك السهول ويضمها جميعا وحدتان إداريتان فرعيتان تابعتان لإمارة القنفذة هما :

١ - قضاء المظيلف : ويشمل المساحات الواقعة بين وادى لومة وادى أحسبة وناوان وقرما ، ويوجد فيها نحو ستة مواقع زراعية متباعدة يفصلها عن بعضها سهول قاحلة . وحتى أن احداها وهى المحيطة بالمظيلف هى جزء من سهل الخبث الذى يقع بين وادى ناوان وقرما . توجد الطبقات الثلاثية فيه على عمق قريب من السطح يعلوها طبقة من الطمى ، وقد أدى وصول وتسرب مياه الوادين اليه الى وجود غشاء رقيق من الماء العذب فوق طبقة الماء المالح ، مما جعلها المنطقة الوحيدة من سهل الخبث التى أمكن استثمارها وزراعتها على نطاق كبير .

وأهم المواقع البشرية فى هذا القضاء بلدة المظيلف ، وتقع فى وسط السهل المشار اليه وعلى بعد ١٢ كم من شاطئ البحر . وهى المركز الإدارى والتجارى للمنطقة ، إذ يعقد فيها سوق اسبوعى يرده سكان المنطقة وما يحيط بها . وتعتبر المظيلف عقدة مواصلات جيدة حيث تربط بين الطريق الساحلى والطرق المؤدية الى الجبال . ويقع الى الشمال

الغرى منها الآن مثلث المظيلف الذى يتفرع عنده الطريق الساحلى « المزفلة » ، فيتجه الخط شرقا الى الخوة فالعرضيتين ثم الى محال فالدرب فى الجنوب الشرقى .

ومن القرى الهامة الأخرى فى المنطقة : قرية الفلق وتقع فى سهل وادى أحسبة والعقدة فى سهل وادى ناوان ، والرطبة فى سهل وادى قرما . وقد بلغ مجموع سكان هذا القضاء نحو ١٠٠٠٠ نسمة جميعهم من الريفيين .

٢ — قضاء القديح : ويقع فى حوض وادى الدوقة الأدنى حيث بنى دلتا واسعة بالقياس الى الوديان السابقة الذكر . أى أنه يأتى بالدرجة الثانية بعد دلتا قنونة ، بالرغم من التقهقر التدريجى فى الشروط المناخية والجيولوجية للمنطقة . ويمتد السهل الزراعى المزروع مع امتداد الوادى نحو ٢٠ كم ، وفى حين أنه ضيق فى اتجاه العالية يتسع فى الاتجاه الآخر حتى يبلغ نحو ١٠ كم . وقد انتشرت القرى الزراعية فى وسط الحقول المزروعة

بلغ عدد سكان منطقة القديح نحو ٤٠٠٠ نسمة أو أكثر ، وظهر فيها عدد من القرى الهامة ، فى مقدمتها قرية القديح وقد عرفت باسم بئر القديح وتقع فى شرق السهل ، أى فى قمة المخروط وعلى الطريق الساحلى الذى يبعد عن شاطئ البحر فى هذه المنطقة نحو ١٥ كم . وهى قاعدة القضاء إداريا . ويليهما باتجاه المصب قرية مسيلم ومشرف والدوقة وتقع عند بدء توسع المنطقة السهلية . وتقع بئر الحامضة وقرية عسيلة الى الشمال من منطقة الدلتا . إن تواجد هذا العدد من القرى الهامة والكبيرة نسبيا رفع معدل عدد أفراد القرية الواحدة فى هذه المنطقة الى ١٢٠ فردا للقرية الواحدة . ومن الجدير بالملاحظة ان بيوت الأكواخ المصنوعة من أغصان الشجر المجدولة والتى تتواجد فى سهل جيزان لاتزال تظهر متفرقة فى الحقول الزراعية لهذه المنطقة .

٢ — سهول الخبت :

ويطلق تعبير الخبت محليا على السهول الساحلية والواسعة والتى تفصلها بعضها عن بعض السهول الفيضية التى بنتها الوديان وهى فى طريقها الى البحر . والخبت سهل رملى شبه مستو يظهر سطحه على شكل دكاكة طويلة الشكل ، وأنواع مختلفة من سافات رملية متموجة متأثرة باتجاهات الرياح السائدة ، وبوجود بقع نباتية متفرقة ساعدت على تجميع الرمال حول جذورها وجذوعها ، فعملت على تثبيتها . وتحوى هذه السهول مياهها باطنية مالحة . لأن شدة التبخر تسبب تركيز الأملاح على السطح من ناحية ، ومن

ناحية أخرى فإن قليلا من المياه العذبة تصل غشاءه المائى الباطنى فى كل مرة ، لكنها لاتصله قبل أن تتملح بسبب إذابتها الأملاح التى انتشرت على السطح ، إما بفعل التبخر السابق أو بفعل ماتضعه رياح البحر على الأرض والنبات من أملاح .

ولذلك لم يكن بالمستطاع استثمار هذه السهول الواسعة فبقيت صحراوية جرداء خالية من الحياة البشرية المستقرة ، ويصعب على البدو أن يعيشوا فيها لخلوها من المياه العذبة ، إلا فى بعض المواضع التى تطولها مياه الفيضانات على أطراف الأودية كسهل المظيلف مثلا ، حيث يقام فيها أحواض مسيجة حتى تستفيد من مياه الفيضانات فى الزراعة .

٣ - المناطق الشاطئية :

يلى السهول الطموية وكذلك سهول الخبت باتجاه الغرب منطقة منخفضة وعرة يصعب الوصول إليها أو عبورها بسبب طبيعتها الرملية أو كثافة الغطاء النباتى الطبيعى وهو من النوع الذى يتحمل الملوحة أو الجفاف ، وهى لاتصلح للزراعة بسبب ملوحة تربتها وملوحة ماء الغشاء الباطنى فيها . ويلى هذه المناطق كما يلى سهول الخبت أيضا من جهة الغرب مناطق مستنقعية تحاذى شاطئ البحر وتعمق فى الداخل ما بين ٣ - ٥ كم ، وهى أكثر انخفاضاً من المناطق السابقة ولا ترتفع كثيرا عن مستوى سطح البحر . وقد تغمر مياه المد الأجزاء الأكثر انخفاضاً وأيسر اتصالاً بمياه البحر . وقد شغلتها المستنقعات التى يختلف اتساعها من وقت لآخر ، أو السبخ المالحة والسبخ الجافة . فبالإضافة الى أن نباتها نادر فهى عرضة لانتشار الأوبئة والحميات بفضل المستنقعات وكثرة الحشرات . ولذلك أصبحت منفرة للحياة البشرية ، وكانت شبه خالية من السكان رغم وفرة الأملاح التى يمكن استثمارها منها ورغم قربها من البحر .

ونظرا لانتشار الأرصفة والشعاب المرجانية بكثافة تشكل خطرا على الملاحة وتمتد كحاجز متصل امام الشاطئ يعوق الاستيطان ، وجدنا أن شاطئ هذه المنطقة الذى يمتد نحو ٢٠٠ كم أو يزيد لا يوجد فيه قرى شاطئية لاستثمار الثروات البحرية سوى مدينة القنفذة التى تتوسط هذا الشاطئ .

مدينة القنفذة (٨ - ١٩° شمالاً ، ٤ - ٤١° شرقاً) :

وهى مرفأ القسم الأوسط من السراة ؛ أى سراة الحجر وغامد وزهران ، وكانت مرفأ ولاية عسير فى العهد العثمانى . وتقع فى النهاية الجنوبية لخليج يتجه نحو الغرب ويقع

بين شبه جزيرة منخفضة في الشمال ورأس دائري قصير في الجنوب وجميعها تقع في نهاية دلتا وادي قنونة وعلى طرفه الأيسر .

كان المرفأ يتكون من مرسين داخلين قليلي العمق محميا من الغرب بشعاب مرجانية تتجه من الرأس الجنوبي باتجاه الشمال الغربي . ويتصل شبه الجزيرة الشمالية أيضا بشعاب مرجانية تحصر المرفأ وتحميه . وقد اغلقت القناة التي تعبر من خلال الشعاب الى المرفأ بحطام السفن الا من مدخل يبلغ نحو نصف ميل في جنوب غرب المدينة في جانب من شعاب بعيدة عن الشاطئ .

والقنفذة بلدة قديمة لانعرف الكثير عن تاريخها ، وقد وصفها نيبور (Niebuhr) بعد أن زارها في سنة ١٧٦١م بأنها مدينة كبيرة ، وأنه كان يحكمها وال يتبع شريف مكة . وكان أتباعه يقفون عند المدخل المذكور يجمعون الضرائب من السفن الحاملة بالبئ والقادمة من موانئ اليمن الى جدة (١) . وقد وصفت بعدئذ بأنها بلدة صغيرة يحيط بها سور ، ولايزيد عدد سكانها عن ٢٠٠٠ نسمة .

وتتكون القنفذة بشكل رئيسي من سوق ومسجد تحيط بها الأكواخ ، كانت تجلب لها المياه العذبة من الحفير الواقعة على بعد ٤ كم ، وتجمع في خزان بالقرب من الشاطئ . غير أنها تشرب الآن من أنابيب مدت اليها من قرب قرية سوق الأحد . وتضخ الى خزان أسمنتي مرتفع يقوم بتوزيع المياه الى البيوت . كانت القنفذة تعتبر محطة على طريق القوافل البرية وتبعد عن جدة ٣٤٠ كم وعن جيزان ٣٢٠ كم وعن أبها نحو ٢٥٠ كم . يعيش معظم سكان القنفذة من الصيد أو التجارة أو من بعض المهن البدوية ، والقليل منهم يعملون في الزراعة . وبالرغم من أن ظهير المدينة القريب يعتبر زراعتها إلا أن الفعاليات البحرية هي السائدة . إذ تم في القنفذة منح ٥٣٢ رخصة عمل بالبحر من صيادين وبحارين وغير ذلك في سنة ١٤٠٢هـ (٢) .

وقد دخلت القنفذة في الفترة الاخيرة بحكم أنها قاعدة إدارية لمنطقة واسعة ومنعزلة عن الادارة المركزية في مكة عهدا جديدا من التطور ؛ فقد توسعت مساحتها وزاد عدد سكانها ، فبعد أن كان يقدر بنحو ٤٠٠٠ نسمة في أوائل السبعينات ارتفع الى نحو

(1) Naval Intelligence Division, Ibid, P. 544.

(٢) الكتاب الاحصائي السنوي . العدد ١٨ ص ٢٣٠ .

٦٠٠٠ نسمة في أواخره . نشأت فيها بلدية تشرف على تطويرها وتمددتها ، فبنت الشوارع المستقيمة التي تتقاطع بزوايا قوائم وتمنح رخص البناء على أن يتم بالاستمىة أو الطوب الأسمىة . إذ أنها منحت ٦٤٠ رخصة تشييد و٥٢ رخصة ترميم في سنة ١٤٠١ هـ (١) معظمها من البلوك والطوب الأسمىة . وافتتحت فيها معظم الدوائر الحكومية التي يرجع اليها سكان إمارة القنفذة كلها وفيها شبكة هاتف تخام ١٠٠٠ مشترك .

٦ - اقليم سهل الليث الساحلى :

وهو القسم الشمالى من سهول الواجهة البحرية لجنوب غرب المملكة . ويمتد من حافة وادى الشاقة اليمانية الجنوبية جنوبا حتى حافة وادى سعديّة الجنوبية شمالا . أى أنه يمتد امتدادا طويلا بمحاذاة شاطئ البحر يبلغ نحو ١٥٠ كم ، وينحصر فيما بين خط الشاطئ غربا واقدام مرتفعات تهامة الليث شرقا بعرض يبلغ بين ٢٠ - ٣٠ كم تقريبا . فتبلغ مساحته حسب هذا التحديد نحو ٤٠٠٠ كم^٢ . ويقع إداريا ضمن حدود إمارة الليث الفرعية والتي تتبع إمارة مكة .

فهو وإن تشابه مع السهول الساحلية الواقعة الى الجنوب منه ؛ فإن موقعه المتطرف كثيرا نحو الشمال فيما بين خطى عرض ٤٢ - ١٩° ، ٣٧ - ٢٠° ش . جعل الصفات الانتقالية التي رأيناها فى الجنوب تزداد حدة ، حيث أنها جميعا تتكون من رسوبيات حديثة تشكلت عقب حادث الانهدام الكبير . الا أن الحدود الغربية لصخور القاعدة الأركية تقترب بانتظام من الشاطئ ، ويضيق الشريط الرسوبى حتى يقل عن ١٠ كم فى شمال الليث . وتظهر فى السهل قطع صخرية تمتد بمحاذاة قاعدة الجبال على شكل أشربة تتكون من الصخر الامغيوليتى والاردواز الشستى والكوارتزيت والجرانيت الجنايسى . وتقترب الطبقات الثلاثية كذلك من سطح الأرض حتى تظهر عليه على شكل أشربة طولية تقع فيما بين مجارى الوديان مثل جبل صاعد شمال وادى خضرة وجبل أبو رواث وجبل بشام فى جنوبه . ويتغطى السطح فى المواقع الاخرى بغطاء غير سميك من الرسوبيات الحديثة الخشنة .

ويساهم فى تعقيد جيوفيزيائية هذا السهل عاملين آخرين ، الأول : وجود انكسارات عديدة لم ينتج عنها فى عالية الوديان سوى قدرة بسيطة على امتصاص الماء ،

(١) الكتاب الاحصائى السوى العدد ١٨ ص ٢١٢ .

الا أنها تقطع في المنطقة الساحلية الطبقات الثلاثية باتجاه عمودى على خط الشاطئ وتجعل أطراف الطبقات المختلفة متجاورة . والثاني : وجود قباب الملح الناتجة في الأصل عن التبخر في المناطق الشاطئية .

غير أن أهم تأثيرات الموقع تتضح في المناخ حيث يمثل هذا السهل نهاية المنطقة المتأثرة بالرياح شبه الموسمية الجنوبية الصيفية والقادمة أصلا من المحيط الهندى ، كما يمثل نهاية المنطقة المتأثرة بالغريبات الشتوية ، أى أعاصير البحر المتوسط المتقدمة مع امتداد حوض البحر الأحمر باتجاه الجنوب الشرقى . وتصل كلتا هذه التأثيرات - سواء الصيفية أم الشتوية - ضعيفة منهكة . ولذلك يتصف مناخ هذا السهل بالقسوة ؛ فهو شديد الحرارة حتى في الشتاء وترتفع فيه الرطوبة في جميع الفصول وتقل فيه الأمطار حتى على جبال تهامة المجاورة للسهل .

اذ لم يتجاوز معدل الأمطار السنوية في قلو الواقعة في تهامة الباحة بمحاذاة جنوب شرق هذا السهل ١٢٥ ملم فقط . وبلغت في شواق في جنوب السهل ٩٥ ملم ، وفي الليث في وسطه ٨٣ ملم وفي محيرة في شماله ٥٥ ملم . ولم يرتفع معدل الحرارة القصوى في أشهر الصيف عن 40°م ، ولم ينخفض معدل الحرارة الدنيا في أشهر الشتاء عن 19°م . ولذلك فإن مستوطنى هذا السهل في غنى عن أى نوع من أنواع التدفئة في منازلهم بل هم في حاجة الى استعمال وسائل التبريد في معظم أيام فصل الشتاء . وقد نتج عن ذلك نقص في معدلات صبيب الأودية وعدد فيضاناتها وأهمية تلك الفيضانات وانتظام حدوثها . حتى أنه قد تمر سنة أو أكثر على بعض الأودية دون أن يحدث فيها أى فيضان معتبر . كما نتج تضائل في امتداد الرسوبيات الفيضية ، وهزلت دالات الأودية إن وجدت . بل وقد تلاشت الوديان الضعيفة في السهل لأنها لم تقو على تجريحه بعدئذ فضاعت معالمها دون أن تترك أثرا على طبوغرافية الأرض ، ولم تظهر على خرائطها ؛ مثل وادى عيار ووادى الفقه ووادى الخضراء ووادى سعية .

سيطرت اذن سهول الخبت على مساحات أوسع مما في الجنوب ، وهى سهول قاحلة ولو أنها تحمل غطاء من النباتات العشبية شبه الصحراوية التى سرعان ماتجف ، وتساهم في استنزاف رطوبة التربة بفعل نتج النبات وتبخره ، كما تحمل أحيانا بعض الشجيرات نصف الشوكية التى تعيش في الرمل وتتحمل الملوحة وقد عملت على تثبيت الرمال . وقد برزت فيها هنا وهناك بعض التلال الصخرية كالجزر .

كما سيطر وجود شريط السبخات المالحة حيث يبلغ عرضه في منطقة الليث نحو ٥ كم ، ويمتد طوليا بامتداد خط الشاطئ ويفصل كلا من الخبت والسهول الطموية عن البحر ، وقد تشكلت بفعل غزو مياه البحر وانخفاض التضاريس وبفعل المد أو تجفيف المستنقعات الشاطئية . وقد نبتت فيها بعض الأنواع النباتية الهزيلة التي تتحمل الملوحة في بعض أجزائها حيث تخف نسبة الملوحة . ومع ذلك فتعتبر قاحلة جدا .

يشكل خط الشاطئ في هذه المنطقة جزءا من تقوس كبير يجعل مياه البحر تدخل في وسط القوس الى مسافة أبعد باتجاه الشرق بالقياس الى التقوسين المعاكسين لهذا الاتجاه ، والذي يقع أحدهما الى الشمال حتى مدينة جدة ، ويقع الآخر الى الجنوب حتى البيرك والشقيق . ويلاحظ ان خط الشاطئ هنا كثير التعاريج عامة ويزداد أكثر في شمال الليث . ويجاوره بحر ضحل ، اذ أن خط الأعماق (٢٠٠ م) يتعد ما بين ٣٠ - ٨٠ كم عن الشاطئ . وينتشر على الثلاثين كيلومترا الأولى منه عدد لا يحصى من الجزر الصغيرة وغير المأهولة ومن الشعاب والأرصفة المرجانية ، بحيث خلق وجودها صعوبات جمة أمام الملاحة منذ العصور القديمة . وحرمت المنطقة من تواجد مرافئ طبيعية ما عدا مرفاً الليث .

وقد ساعدت هذه العوامل : الأجواء الشديدة الحرارة والعالية الرطوبة والقليلة الأمطار ، وتوفر المياه الراكدة في الشواطئ والسبخ على كثرة الحشرات وتوطن الأوبئة خاصة الملاريا ، وتضافرت مع اختفاء المرافئ الطبيعية بسبب انتشار الأرصفة والشعاب المرجانية ، ومع عدم وجود أراض زراعية بسبب شريط السبخ المجاور لخط الشاطئ ، وانتشار سهول الخبت في معظم المساحة باستثناء البقع المحدودة في السهول الطموية للوديان ؛ في عدم توفر الظروف الملائمة لاستقرار السكان ، فكانت المنطقة - على اتساعها - شبه خالية من السكان إلا في بعض المواقع المحدودة .

وقد ساهمت صعوبة المواصلات في انعزال هذا الاقليم وتأخره وضعف موارده ؛ إذ لم يكن في المنطقة سوى طريق القوافل القديم الذي يسلكه حجاج وتجار اليمن وكان طريقا وعرا وخطرا . وكانت القوافل الى الشمال من الليث تتجنب السهل وتسلك طريقا جبليا الى مكة وذلك من بئر خضراء الى سعدي (يللم) والى وادى أبيض فوادى نعمان . وقد سلكت السيارات بصعوبة بالغة هذا الطريق فيما بعد ، حتى تم إنشاء طريق الجنوب « المزفلت » والذي عاد ليسلك المعبر الساحلى وتجنب الجبال . وهذا ما

أضفى عليه من أهمية بالغة فى ربط هذه المنطقة وتحويلها الى معبر لسكان منطقة جيزان وماوالاها فى الجنوب وحتى سكان اليمن ، خاصة وأنه لا يوجد أى اتصال جوى فيما عدا جيزان وجدة .

لم يتجاوز عدد مستوطنى هذا السهل الواسع ١٢٠٠٠ نسمة فقط ، بما فيهم سكان بلدة الليث ، والجماعات التى بقيت على حالة البداوة والذين يبلغون نحو سدس هذا الرقم . وهذا يجعل كثافة السكان تقل عن ٣ أفراد للكيلومتر المربع الواحد . ومع أن نشاط السكان لم يختلف فى هذا الاقليم عن نظيره فى السهول الجنوبية ، وهو يعتمد بالدرجة الأولى على الانتاج الزراعى وعلى تربية الحيوانات . وان النمط الاجتماعى السائد هو النمط الريفى المختلط حيث يتواجد الناس فى قرى صغيرة ، ولم يتوفر نمط الحياة المدنية . وعاش افراد القرى الشاطئية القليلة والصغيرة على الصيد ؛ الا أن هذا النشاط تتناقص أهميته أيضا باتجاه الشمال ، حتى تكاد الزراعة تختفى تماما فى شمال دلتا الليث وتستمر كذلك حتى قرب جدة . ويعيش هذا العدد من السكان ضمن حدود وحدتين صغيرتين هما شواق والليث .

(أ) قضاء شواق : ويقع فى حوض وادى الشاقة اليمنية والشاقة الشامية الأدنيين ، الى الشمال والشمال الغربى مباشرة من وادى الدوقة وفى جنوب سهل الليث وذلك فى جنوب خط عرض ٢٠°ش مباشرة . وينحصر بين شاطئ البحر وبين نجد منطقتي قلوة والحجرة التابعتين لتهامة الباحة .

استقر سكان هذا القضاء فى السهل الطموى الذى شكله هذان الواديان ، بفضل ما يحملانه من مياه وطمى يجلبانه بواسطة مجاريهما العليا من سفوح سراة زهران وبنى مالك ، ومن جبال تهامة العالية مثل جبل نيس وأطراف شدا وريع المنقض وغيرها ، والذى يحوى غشاء من المياه العذبة لأبأس بكميته . فأقاموا الحقول الزراعية وسكنوا بيوت العرائش المصنوعة من القش والشبيبة بعرائش منطقة جيزان . وقد يكون هذا السهل آخر أماكن ظهور هذا النوع من البيوت باتجاه الشمال . وعاش بعضهم فى بيوت الطوب . وزرعوا الدخن والذرة واعتنوا بتربية الأغنام والأبقار .

بلغ عدد سكان هذا السهل نحو ٨٢٠٠ نسمة منهم ٦٥٠٠ فرد عاشوا فى قرى زراعية بلغ عددها ٨٢ قرية صغيرة الحجم بمعدل ٨٠ فردا للقرية الواحدة . وأهم مواقع الاستقرار هذه قرية شواق قاعدة هذا القضاء وسوقه الأسبوعى الذى يرد اليه سكان

المنطقة ، وتعود أهميتها الى وقوعها في السهل على طريق القوافل الساحلى القديم والذى كان طريقا للحجاج أيضا ، وأنه يسهل الوصول منها الى مناطق الاستقرار القريبة في جبال تهامة الباحة عن طريق الوديان مثل الحجرة والشعراء وقلوة ، وكذلك الجازرة . وقد استفادت من إنجاز الطريق الساحلى « المزفلة » الذى يتجنب خط السباخ في الغرب وقد مرّ بالقرب منها .

ويتبع قضاء شواق منطقة الخبت التى تمتد فيما بين وادى الشاقة ووادى عيار مسافة ٣٠ كم تقريبا . وهو سهل مجذب بالرغم من انتهاء الأودية القصيرة عنده ولو أن بعض البدو الذين يبلغ عددهم نحو ١٨٠٠ نسمة يستفيدون من أعشابه الهزيلة في تربية حيواناتهم .

(ب) قضاء الليث السهلى :

ويقع الى الشمال والشمال الغربى مباشرة من قضاء شواق ، وذلك في نهايتى وادى عيار ووادى الليث . ويجرى وادى الليث في مجراه الأوسط في منطقة تأثرت بعدة انكسارات وفواصل ، حركت أطراف الطبقات الجيولوجية . ومع ذلك فإن نسبة ترشح الماء منها منخفضة جدا ، مما يؤدى الى استمرار الجريان السطحى حتى تصل منطقة السهل فتترشح المياه في الرسوبيات الطموية التى فرشها الودادى في المجرى الأدنى ، على شكل مخروط انصباب بعد موقع غميقة ، يناظر سهول الوديان الواقعة في الجنوب ولو أنه أقل مساحة وامتدادا منها . وبعد الترشح في الطمى ينذر الجريان السطحى ولا تصل المياه الى البحر إلا عقب فيضانات قوية جدا .

وقد امتد هذا السهل الطموى نحو ١٥ كم بامتداد الودادى وفي السهل قبل الوصول الى شريط السباخ الذى يبعد المنطقة الزراعية عن شاطئ البحر . وقد تشكل طمى السهل من توضع رسوبيات خشنة في الغالب تتكون من الحصى والحصاء والرمل ، ويندر وجود الطين . يزداد سمك الطمى في بعض المواقع بسبب التعرية في طبقات الشست التى سحقتها الأحداث التكتونية السابقة حتى يزيد عمقها أحيانا عن ٣٠ م . ويقل السمك في باقى المواقع .

يستهلك معظم الماء في منطقة غميقة ، التى تقع في عالية السهل عند خروج الودادى من منطقة النجود ، في إنبات غيضات شوكية ، ولم يتمكن الناس من استثماره . وفي حالة الفيضانات القوية ؛ يتجاوز الفائض من الماء هذه المنطقة الى السهل ، فيترشح

القسم الأكبر منه في الطمى ، وإذا حدث وتجاوز السهل فانه يتبخر في منطقة السباح الشاطئية ، ويضيع سدى دون أن يستعمل في الزراعة أو في المنازل .

فالمنطقة الوحيدة من السهل الساحلي الواسع التى يمكن استثمار الماء فيها وزراعتها بالرى هو مخروط الانصباب الطموى الذى يقع بين غميقة ومناطق السباح المالحة ، والتي يكون الجريان الباطنى للماء فيها أقل اضطرابا من الجريان السطحي ، ويكون خزاناء للماء يزداد أهمية كلما اتسع الوادى وزاد سمك الرسوبيات .

وقد استفيد من هذه المياه بحفر آبار ضحله بجوار مناطق الزراعة أو القرى أو مواقع البدو . ويعتبر هذا المورد المائى ضعيفا ، نظرا لأن ملوحة الماء تزداد بسرعة إذا ابتعدنا عن مجرى الوادى ، وتزداد نسبة التوصيل الكهربائى فيها ، وهذا يفسر صغر مساحة الأراضى الزراعية وعدم امتدادها بالقياس الى مناطق الزراعة فى سهول الجنوب ، وقد استمر هذا السهل كغيره من سهول الجنوب فى زراعة الدخن والذرة وغيرهما . وقد يكون هذا السهل آخر مظاهر الزراعة للسهل الساحلى باتجاه الشمال حيث ينعدم وجودها شمالا لمسافة تزيد عن ٢٠٠ كم أى حتى وادى فاطمة .

ونظرا لضيق الأرض الزراعية وقلة عدد السكان بدت كمية المياه الضئيلة وكأنها تزيد عما يستثمر منها . وحرصا على الاستفادة من هذه الكمية الزائدة فكر المسئولون فى استثمارها فى تزويد مدينة مكة المكرمة بالمياه العذبة بسبب النقص الذى تعانيه فى مواسم الحج ، وقدروا انه بالإمكان حفر الآبار وتركيب الأنابيب وضخ ما مقداره ٢٠٠ ل/ث على أقل تقدير .

لم يتجاوز عدد ساكنى السهل الساحلى لمنطقة الليث نحو الخمسة آلاف نسمة ، منهم ٣٢٠٠ فرد يعيشون فى ١٨ قرية مبعثرة فى أطراف السهل الطموى ، بما فيها بلدة الليث ذاتها التى تضم أكثر من نصف هذا العدد . ولم يتواجد أحد من البدو فى هذا السهل بسبب قحولته . وهذا يجعله من أفقر السهول إنتاجا وأقلها سكانا . وينتمى سكان هذه المنطقة الى بنى شهاب الذين يرجعون الى بنى شعبة الكنانيين ، كما ينتمى سكان الأطراف الشمالية منها الى رحمان من بنى شعبة أيضا(١) .

(١) عاتق البلادى - أودبة مكة ، مجلة العرب ج ٩ ، ١٠ ، السنة ٩ نيسان ١٩٧٥ ص ٦٤٥ .

والليث هي المركز المدينى الوحيد على الشاطئ فى منطقة تمتد نحو ٢٠٠ كم الى الجنوب من مكة وجدة ، وتعتبر عقدة مواصلات ترتبط بالمدينتين المذكورتين بطريق ساحلى تم تعبيده « وزفلته » ويستمر جنوبا ليربطها بجيزان ثم بالسهل اليمنى . وتقع الليث عند طرف السهل الزراعى من جهة الشمال الغربى منه والى الجنوب مباشرة من مجرى الوادى . ويفصلها عن شاطئ البحر أرض سبخية مالحة يبلغ عرضها نحو ١ ¼ كم ويزيد عرض السبخ عن ذلك الى الشمال والى الجنوب من موقع البلدة .

تمتد الحقول الزراعية الى الشرق من هذا الموقع وذلك فى السهل الطموى الذى بناه الوادى ، ويحوى غشاء مائيا يتزود من الفيضانات . وكان يستفاد من مائه عن طريق الآبار الخاصة التى تزود القرى بماء الشرب . وتتزود بلدة الليث بالمياه من بئر حريق وتقع فى عالية الوادى وتنقل اليها بواسطة الأنابيب .

تعود أهمية بلدة الليث بالاضافة الى كونها قاعدة منطقة زراعية فى سهل الوادى ، وسوق سكان المنطقة الاسبوعى ؛ فهى مركز إمارة الليث التى تتبع إمارة مكة المكرمة التى يرتبط بها سكان منطقة واسعة تصل الى وادى الدوقة جنوبا والى الجازيزة وإضم شرقا والى يلملم ومستابة شمالا فى الشؤون الإدارية والمعاملات الرسمية ، وكانت تقع على طريق القوافل الساحلى وطريق الحجاج القديم . وقد مر من ظاهرها الطريق « المزفلت » الساحلى الحديث ، ويمكن الوصول منها الى المناطق الجبلية عن طريق الوديان . هذا بالاضافة الى أن مرفأها القديم كان المرفأ الوحيد الواقع بين جدة والقنفذة ، وتبعد عن الأولى ٢٠٠ كم وعن الثانية ١٦٠ كم .

بلغ عدد سكان الليث فى سنة ١٩٧٤م ١٧٨٠ فردا ، توسعت فيما بعد وزاد عدد سكانها بسبب ظهور عدد من المشاريع الإنشائية ، وافتتاح عدد من الدوائر الحكومية واستحداث بلدية فيها ؛ وما يتبع ذلك من توفر مجالات العمل واستقطاب عدد من القادمين اليها بسبب العمل ، وهجرة عدد من سكان اقليمها اليها . بالاضافة الى توجيههم الى تطوير استثمار ثروات البحار ؛ يدل على ذلك أن البلدية منحت فى سنة ١٤٠١هـ ٢٠٠ رخصة عمل جديدة فى البحر ، منها ١٦٢ للصيد و ٥٢ لقيادة الهوارى (وهى نوع من القوارب) (١) .

(١) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٧ . ص ٢٢٧ .

ويتبع قضاء الليث السهل الواقع فيما بين وادى الليث ووادى عيار الذى تبدأ روافده العليا مثل منساح وقرارة من سفوح جبل بجالة ، وتضيع معالمه فى رسوبيات السهل على بعد ١٠ كم من خط الشاطئ . غير أن مياهه المتسربة فى الرسوبيات ساعدت على ظهور عدد من الحقول الزراعية على جانب طريق الجنوب . وقد نشأت قرية الوسقة على بعد ٤٠ كم فى جنوب شرق الليث بعد انشاء الخط « المزفلت » واكتسبت أهمية خاصة كمحطة على الطريق ، حيث ازدانت بالمطاعم والمقاهى والبقاليات ومحطات البنزين وجراجات السيارات .

ويتبع قضاء الليث أيضا سهل الخبت الواقع الى الشمال الغربى منها وحتى نهاية وادى سعية ، أى مسافة تزيد عن ٥٠ كم . وهو يعتبر من أكثر السهول جفافا وقحولة وهو خال من المواقع البشرية الثابتة ، إلا ما ظهر كمحطات خدمات على الطريق ، بالرغم من وصول المنطقة عدد من الوديان : مثل وادى حريق البير ، ويبلغ طوله نحو ١٥ كم ويقع الى الشمال من الليث بمسافة ١٠ كم ، ووادى الفقه ويقع الى الشمال من السابق باقل من ١٠ كم ويبلغ طوله نحو ٢٥ كم ، وينتهى فى السهل قرب بئر العبدلية على بعد ٢٠ كم عن بلدة الليث ، وذلك فى جهة الشمال الغربى منها . ووادى الغالة ويقع الى الشمال الغربى من السابق بنحو ٢٠ كم ، ويبلغ طوله نحو ٥٠ كم ، وله روافد عديدة وهامة مثل وادى الخضراء ، واخيرا وادى سعية الذى يتكون من التقاء عدد من الروافد الهامة ايضا مثل وادى مركوب ويبلغ طوله نحو ٣٠ كم ، وفى حوضه عدد من العيون الحارة . وتغور جميع هذه الوديان فى رمال ورسوبيات السهل ولا تصل مياهها الى البحر .

ومن المظاهر البشرية التى تسترعى الانتباه فى هذه المنطقة وجود عدد من الآبار القديمة التى كانت القوافل أو بعض الجماعات البدوية التى تستأثر بالمنطقة تستخدمها مثل : بئر العبدلية فى وادى الفقه على بعد ٢٠ كم فى شمال غرب الليث ، وبئر الخضرة فى وادى الفقه ، وبئر مجبرمة فى نهاية وادى سعية الى الشمال من هذا الاقليم . وبئر الخضراء فى وادى الخضراء على بعد ٤٠ كم فى شمال غرب الليث . وآبار وادى حريق البير فى شمال بلدة الليث . وقد طمرت الرمال عددا من هذه الآبار ، كما نشأ حول بعضها قرى مستقرة تعيش على تربية الحيوانات والخدمات لا الزراعة .

لا يعتبر بدو هذه المنطقة قليلى العدد فحسب ، بل إنهم آخذون فى التناقص فى الوقت

الحاضر نتيجة استقرار عدد منهم حول الآبار الواقعة على مفارق الطرق ، أو نزوح أعداد منهم الى بلدة الليث أو الى مدن الحجاز كمكة وجدة أو الى الرياض وغيرها . وقد زاد من سرعة نزوحهم تكرار سنوات الجفاف القاسية من ناحية وتوفر فرص العمل والخدمات في مناطق الهجرة بحيث تغريهم على الاستفادة منها .

كانت وديان هذه المنطقة تمثل ديارا لفروع من قبيلة خزاعة وهي أزدية قحطانية الأصل وقد نزح معظمهم الى مكة ، وكان يسكنهم في نهاية وادي عرنة بطن من الموركة من البقوم ورحل معظمهم أيضا . ويسكن بنو صاهلة الهذيلية الأصل نهاية وادي يلملم(١) .

(١) عائق البلادى - المصدر السابق ونفس المكان .

الفصل السادس

منطقة سروات عسير

ونقصد بهذا التعبير منطقة المرتفعات الواقعة ضمن عسير بمعناها الواسع وليس ضمن حدود حلف قبيلة عسير ، أى ضمن حدود إمارة عسير الحالية . وتمتد من حدود الإمارة مع اليمن فى النطاق الجبلى وتنطبق على حدود المملكة معها جنوبا ، وحتى حدود الإمارة مع إمارة الباحة شمالا . وهى فى الواقع صلة الوصل بين المجموعتين : مرتفعات اليمن ومرتفعات الباحة ، وامتداد طبيعى بينهما . وتقع بين خطى عرض ٢٥-١٧° ش ، ٥٠-١٩° ش . وتبلغ هذه المسافة نحو ٣٠٠ كم من الجنوب الشرقى عند خط طول ٥٠-٤٣° ش الى الشمال الغربى عند خط طول ٥٠-٤١° ش . ويتراوح عرضها بين ٣٥ - ٤٥ كم . وبذلك تبلغ مساحتها حسب هذا التحديد نحو ١٢٠٠٠ كم^٢ .

اطلق سترابو (Strabo) اسم ILASARR على البلاد الجبلية الواقعة بين بحر العرب والحجاز . وقد دعا بتولى Ptolmy سكان هذه البلاد باسم ELESORY . وكما هو واضح ان هناك صلة بين هذين التعبيرين وتعير « عسير » الذى يحتل جزءا من ذلك الموقع حاليا . وقد ذكر بعض الباحثين وجود صلة بين تعير عسير المذكور واسم آشور ASSUR الشعب السامى المعروف . وهو احتمال ممكن ، ولو أنه ينقصه ما يدل على وجود مستعمرات آشورية فى المنطقة .

غير أن تشارلس فورستر يؤكد هذه الصلة بطريقة أخرى ؛ وهى استيطان القبائل العربية الثلاث : العمران وعبيدة وعسير فى السلسلة الجبلية التى تجاور بعضها بعضا وذلك الى الشمال من صنعاء ، والتى يرجع أولئك الباحثون أنها تنتمى الى أحفاد قاطورة Keturah من مدين^(١) ، وهى الزوجة الثالثة لابراهيم الخليل عليه السلام .

(1) Charles Forster, Historical Geography of Arabia. Vol. 1 p. 332.

ومن الغريب ان لايرد اسم « عسير » كاسم بلاد في تقاسيم بلاد العرب المعلومة . فقد جعل كتاب العصور الوسطى من العرب حدود اليمن في تقاسيمهم متصلة بالحجاز من ناحيتى الجبال والسهل الساحلى . قال ابن خرداذبة مثلا : وفيما بين سrooms راح والمهجرة طلحة الملك ، شجرة عظيمة تشبه القرب ، غير أنها أعظم منه ، وهى الحد ما بين عمل مكة (أى المناطق التابعة لمكة) ، وعمل اليمن^(١) والمهجرة بلدة فى أول أعمال اليمن ، بينها وبين صعدة اليمنية عشرون فرسخا^(٢) .

غير أن اسم عسير كاسم لقبيلة ، عرف منذ القرون الوسطى ، ثم أطلق على حلف من القبائل كانت تسكن سراة عنز التى تمتد من « تمنية الى شعار » . وتمنية هى جبل ومنطقة تقع فى جنوب أبها بما لايزيد عن ٥٠ كم . يمثل الجبل خط تقسيم المياه بين الوديان بيشة ويش . وشعار اسم عقبة تشكل المجرى الأعلى لودى طية (رافد حلى) التهامى وتقع فى شمال أبها بما لايزيد عن ٣٠ كم . ولما كانت تنتسب هذه القبائل اليمنية الى « أسلم الأزدي » دعيت البلاد باسم « سراة الأزدي » أيضا^(٣) .

قويت شوكة قبيلة عسير وتأهلت لقيادة حلف القبائل ، فتسمى الحلف باسمها . وكان يضم قبائل قد لا تنتمى اليها ولا ترتبط بها بصلة النسب بل بصلة الجوار أو الخضوع . وامتد نفوذ الحلف بعيدا خارج السراة ، فسيطر شرقا على الهضبة والوديان ، وغربا على مناطق الإصدار وجبال تهامة التى أطلق عليها « تهامة عسير » وحتى الى السهل الساحلى أحيانا . طغى اسم عسير على أسماء قبائل الحلف بالاضافة الى أسماء القبائل الخاضعة له أيضا ، وأصبحت تعرف جميعا باسم عسير .

ولما جاءت الحكومة التالية ، وجدت قبيلة عسير أشد قبائل تلك المنطقة الواسعة مراسا ، وأعظمها هبة ونفوذا ، وأكثرها عددا وعدة ، فأطلقت عليها وعلى البلاد الموالية لها اسم « عسير » . ومن ذلك أن أطلقت الدولة العثمانية ضمن تقسيماتها الإدارية اسم « متصرفية عسير » على المقاطعة التى جعلتها تشمل البلاد الواقعة الى الجنوب من مقاطعة مكة والتى كانت تصل حدودها الى غامد ، أى على المقاطعة التى تقع بين غامد

(١) ابن خرداذبة - المسالك والممالك . ص ١٣٥ - ١٣٧ .

(٢) ياقوت الحموى - معجم البلدان . المجلد ٨ . ص ٢٠٨ .

(٣) الهمداني - صفة جزيرة العرب - ص ٦٨ - ٧١ .

واليمن . وكانت متصرفية عسير في العهد العثماني تشمل المنطقة الجبلية والساحلية حتى البحر وتشمل هضبة الوديان في الداخل (١) .

وقد خضعت المنطقة الجبلية المذكورة كلها لنقوذ دولة آل عايض العسيرية بعد خروج العثمانيين من البلاد عقب الحرب العالمية الأولى ، كما نشأت في الجزء الجنوبي من ساحل المقاطعة وجبال تهامة المجاورة لها دولة الأدارسة وذلك في « منطقة جيزان » أو « منطقة المخلاف السليماني » . وحينما خضعت جميع هذه المناطق للدولة السعودية تشكل فيها ثلاث إمارات هي :- إمارة عسير واحتلت المنطقة الجبلية بين حدود اليمن وغامد ، وضمت جزءا من تهامة يجاور السراة يطلق عليه الآن اسم تهامة عسير ، وضمت الهضبة في الشرق أى حوض تثليث وبيشة . وإمارة جيزان في الجنوب الغربي وإمارة نجران في الجنوب الشرقي في منطقة الهضبة أو حوض نجران وحبونة (انظر شكل ٣٦) .

ومنطقة سروات عسير اذن تشكل القسم الجبلي من إمارة عسير حسب حدودها الحالية ، وهى بمثابة القلب بالنسبة لتلك الإمارة . وهى في نفس الوقت تشكل القسم الجنوبي من مرتفعات جنوب غرب المملكة ، وهو القسم الأكثر ارتفاعا والأشد تعقيدا ووعورة من تلك المرتفعات أو « السروات » أو « الطود » كما يطلق عليها . ولذلك فهى تتميز بشخصية جغرافية فريدة يحسن التعرض لأهم معالمها :

ظروف البيئة الطبيعية في سروات عسير :

تشكلت سروات عسير شأن مرتفعات غرب الجزيرة العربية نتيجة الانهدام الرئيسى الذى خضعت له الهضبة العربية - الأفريقية خلال الزمن الجيولوجى الثالث ، والذى نتج عنه هبوط الجزء الذى يلى خط الانكسار باتجاه الغرب ، وارتفاع حافة الهضبة في شرق خط الانكسار ؛ الا أن هذا الجزء (الشرق) لم يستقر على ارتفاع واحد ، ولم تكن حافته على امتداد مستقيم .

ومع أن حافة الانهدام تعرضت لتعرية متبادية دامت عشرات الملايين من السنين ، وذلك منذ أن برزت كسطح مرتفع ومتميز عما يجاورها ، الا أنها مازالت ماثلة في طبوغرافية المنطقة كحائط هائل يسقط بشكل قائم أو شبه قائم أحيانا باتجاه الغرب أى

(١) انظر فؤاد حمزة ، المصدر السابق . ص ٨٥ - ٨٨ .



باتجاه تهامة . وبرز الحد الفاصل بين السفوح الشرقية والغربية ظاهرا كحد السيف يشكل أعلى القمم . وقد أطلق المواطنون على هذا الحد القائم اسم « الشفا » أو « الشعف » جمعها « شعاف » . وسنستعمل التعبير الثانى - فى الصفحات التالية - للإشارة الى المناطق التى يبدأ عندها الانحدار الشديد نحو الغرب ، لأن التعبير الأول كثيرا ما اقتصر على مناطق محددة من الشعاف ، عرفت بها .

وينحدر سطح الكتلة الجبلية فى خلف خط تقسيم المياه باتجاه الداخل انحدارا تدريجيا بتأثير الميل العام الذى اتخذته حافة الهضبة نحو الشرق فى شرق منطقة الانهدام . وقد نتجت طبوغرافية الأرض الحالية من تعرية الكتلة الهضابية بعد ارتفاعها وميلها باتجاه الشرق ، فحفرت الوديان التى اتجهت نحو الداخل بتأثير الميل العام بعمق وانتهت إلى الهضاب الداخلية .

أما الجانب الغربى فقد ظهرت نتيجة الهبوط كالسد المنيع الذى لايمكن ارتفاعه أو عبوره ، إلا من فجوات محدودة حفرتها رؤوس الأودية الغربية وطورتها نتيجة النحت المتراجع فكسرت حواف الشعاف ، أطلق عليها اسم « العقبات » . ولاتكون هذه العقبات صعبة وحسب ؛ بل أنها تصبح خطرة جدا فى أوقات سقوط الأمطار وعقب جريان السيول والفيضانات لكثرة الانزلاقات الصخرية . وقد عملت هذه الطبوغرافية على منعة هذه البلاد ، فظلت بعيدة عن أطماع الفاتحين والغزاة .

ولم يكن ثمة من بد أن تفرض هذه العقبات نفسها على مواضع الطرق الحديثة التى تصل المناطق الجبلية بتهامة ، لأنه يستحيل إقامتها فى أماكن أخرى ؛ مثل عقبة ضلَع فى جنوب غرب أبها (أبها - الدرب - جيزان) ، وقد تعطلت عدة أشهر عقب أمطار فجائية على عسير فى ربيع ١٩٧٢م وتعرضت لتخريب شديد . وطريق عقبة (أبها - شعار - محایل) وعقبة الأبناء (بلجرشى - عقبة الأبناء - نمره) . ويجرى العمل الآن على إنشاء طريق (الباحة - عقبة الباحة - وادى راش - المخوة) .

تقع الكتلة الجبلية ضمن إقليم الدرعى الذى يتكون من الصخور النارية الأركية البلوتونية والمتحولة ، ولا تخلو من بعض البقع الصغيرة من صخور البازلت البركانية . وتتصف هذه الصخور بالاضافة الى صلابتها بأنها كتلوية تجاور بعضها بغير نظام وأنها كثيمة لاتمرر المياه ولا تحتفظ بها . غير أن أهم الصخور السائدة فيها الجرانيت ومجموعة صخور الجرانيت الأخرى والشست بأنواعه والديوريت والحجر الأخضر .

ورغم صلابة هذه الصخور فقد أزالَت عوامل التعرية منها كميات هائلة وشقت فيها شعابا كثيرة جدا . ومن الطبيعي أن تنتظم الشعاب تبعا للبنية في اتجاهين ؛ اذ شَرَّق بعضها نحو الهضاب الداخلية ، وغَرَّب بعضها نحو تهامة فالسهل الساحلى فالبحر . مما حول طبوغرافية الاقليم الى مجموعة من القمم الشاخنة أو الطامنة ، والوديان السحيقة أو المفتوحة ، وبين هذه وتلك فراع واسعة (هضاب مرتفعة واسعة) ، وقد تكون هذه الفراع والسفوح العالية مأهولة بالسكان ومستثمرة بالزراعة أو تشغلها النباتات الطبيعية الدائمة الخضرة ، ونادرا ماتكون جرداء كالسفوح الشديدة الانحدار .

وإجمالا يقع معظم إقليم سروات عسير على ارتفاع يزيد عن ١٩٠٠ م عن سطح البحر ، ويتراوح ارتفاع الشعاف التى تشرف على اقليم تهامة المنخفض بين ٢١٠٠ - ٢٥٠٠ م ، ويرتفع جبل « سودة » الذى يعتقد أنه أعلى قمة فى المملكة العربية السعودية والذى يقع الى الشمال الغربى من مدينة أبها ٣١٣٣ م . وقد اقيم بالقرب منه قرية سياحية حديثة كمجزء من مشروع تطوير مصايف مدينة أبها .

ونظرا لأهمية تقدم الرؤوس العليا للوديان بعملية النحت المتراجع من كلا الجانبين يبدو من المفيد ، ذكر أهم هذه المجارى فى كل جانب على حدة . فمن أهم الوديان التهامية^(١) (شكل رقم ٣٢) :

(أ) روافد وادى ييش : كالمجارى العليا للوديان : الدفاع وضبعة والقاعة وعطف ورجا وتهبط من شعاف جبال وادعة . وروافد الوديان : ييشة (التهامى) والعوراء وتهبط من جبال قحطان ، وعقبة القرون وتهبط من سراة عسير الجنوبية .

(ب) روافد وادى عتود : وتبدأ بعدد من العقبات الشديدة الانحدار هى العقبات^(٢) : المسقى (فى شمال تمنية) ، وآل يزيد ، وعتود ، وعضاضة ، والهضبة وضلع ، وتهبط من سفوح سراة عسير وتنتهى الى وادى ضلع . والعقبات : خيمة (من الملصة) ولولاه (من الباطنة) ، وخثيعة (من المهل) ، وآل الحارث ، والصلييف ، وريدة (من السقا) ، وضفضاف ، والطهار ، والقرون (من جبل سودة) ، وتهبط جميعها من سراة عسير الى وادى مربة .

(١) انظر خرائط المنطقة خاصة لوحتى 216B, 217B مقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠ .

(٢) انظر فؤاد حمزة - فى بلاد عسير . ص ٩١ - ٩٢ .

(ج) روافد وادى حلى : : وتبدأ بالعقبات : توالب والصماء وفودة ووساناب وتنتهى الى حلى فى بلاد رجال ألمع . والعقبات : قضا (من شعف آل عاصم) ، ورجم (شعف آل حارث) وشعار (على بعد ٢٨ كم شمال أبها) وتبدأ من شعاف شمال عسير وتنتهى الى وادى طية (رافد حلى) . وتنحدر عدة عقبات من بلاد بالأحمر (مثل عقبة فتاح) الى بلاد مشول ثم طية . وعدة عقبات أخرى من بلاد بالأحمر وبنى شهر الى وادى بقرة فى جنوب البارق فوادى حلى .

(د) روافد وادى يبا : وتهبط من بلاد بنى شهر وبنى عمرو وبالقرون عدة عقبات من كل منها وتنتهى الى وادى شراء ووادى الخطوة ، ثم وادى ختبة ووادى غط ، ووادى قرية كالذى ينتهى الى غط فوادى يبا (شكل ٣٤) .

(هـ) روافد وادى قنونة : وتهبط من بلاد بالقرون عدة عقبات تنتهى الى وادى قنونة .

أما الوديان الداخلية فبالرغم من كثرتها فانها تلتقى مع بعضها فى عدد محدود من الأودية نظرا لامتدادها الكبير فى الهضبة الداخلية وأهمها ابتداء من الجنوب :-

(أ) روافد وادى نجران : ويبدأ قسم منها من داخل الحدود اليمنية ، ويبدأ القسم الآخر من سفوح سراة وادعة الشرقية مثل الوديان : ذى كحل وثعبان وحصن ويتجه شرقا .

(ب) روافد وادى جبونة : وتبدأ من السفوح الشرقية لسراة وادعة وقحطان الى الشمال من روافد الوادى السابق مثل الوديان : الحاجر وقتام والعرين (ويمر من ظهران) والعيل ، وقرن وطلحة ورشاد . ويتجه الوادى بعد اجتماع هذه الروافد شرقا مثل نجران .

(ج) روافد وادى تثليث : وتبدأ من سراة قحطان أهمها الوديان (١) : المجمع ، وجناب وينتهيان الى القصب ، وسروم وراحة سنحان وراحة شريف ، والخرجة وملاحة ويعوص والوتيرة والحظيرة وطريب (من سراة عبيدة) ، والهيج (من بنى طلق) ، والمسيرق (من بلاد شهران) ، والقاعة (من عقدان) .

(د) روافد وادى ييشة : وتصرف سفوح السراة من شمال بلاد قحطان حتى بداية سراة الحجاز وأهمها الوديان : تندحة (من سراة عبيدة ورفيدة) ، الخميس (من آل

(١) انظر فؤاد حمزة - نفس المصدر ، ص ١٤٣ - ١٤٧ .

المنسيرة) ، وأبها « الخبيبي » (السقا) ، وحمرة (من تهليل) ، والملاحة (من غلکم) ، وأتانة (من الطلحة) وجوحان ، وعتود في شمال أبها وكلها من سراة عسير .

وتنحدر اليه عشرات الروافد من سراة الحجر تجتمع كلها في :

١ - وادی ترج وأهمها الوديان^(١) : ترجس (من منطقة الثماص) ويصب فيه نحيان وحضر ووادى الباحة وتصب فيه : زيد ، والسرو ، والقيمة ، والجارة (من الخضراء) . ووادى غوص وتصب فيه : طريف وغضار ، ورثما ، وعياش ، والحصباء (من السهوة) ، ووادى ماسرة وتصب فيه : آل سلمة ، وآل الزارية والحنيك وثعبة وآل سلمان ، ودحيم وسبت حجاب .

٢ - وادی تبالة وتنحدر روافده من بلاد بالقرن مثل غنطار وشيبانة ومهرة والعلايا .

٣ - وادی بطنة الحبيب ويقع بين تبالة وشواص .

(هـ) عالية وادی رنية : (وادی شواص) وتنحدر من بلاد خثعم وشمران مثل وادی دمة .

يقع إقليم سروات عسير ضمن خطوط عرض مدارية وفي غرب شبه الجزيرة العربية ، لكنه يتميز عن غيره من المناطق المدارية المجاورة والداخلية ضمن حدود المملكة وذات المناخ الصحراوي الجاف ؛ بارتفاع التضاريس كثيرا ومواجهة تلك التضاريس للرياح الجنوبية الغربية والرياح الشمالية الغربية ، اللتين تحملان الرطوبة من الأصل وتزداد رطوبتهما بمرورها من فوق البحر الأحمر ، وتمثل هذه المناطق معبرا لتقدم المنخفض السوداني باتجاه الشرق ، وموطنا لتقابلها بكتل هوائية قطبية شرقية وشمالية شرقية - في كثير من الأحيان - فينتج عن تقابلها الاضطرابات الجوية وسقوط الأمطار .

ولذلك وجدنا أن هذه المناطق الجبلية شكلت إقليما مناخيا مميزاً يختلف عن الأقاليم المناخية في شتى أرجاء المملكة سوى الأقليم المتكون من امتداد هذه المناطق الجبلية باتجاه الشمال وذلك في جبال الحجاز لأنه يعتبر مكماً لها .

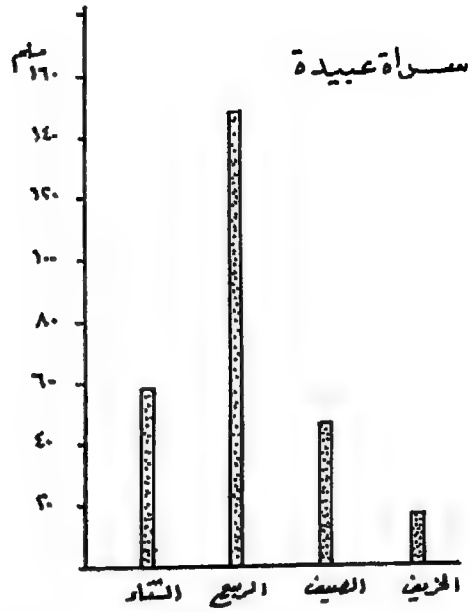
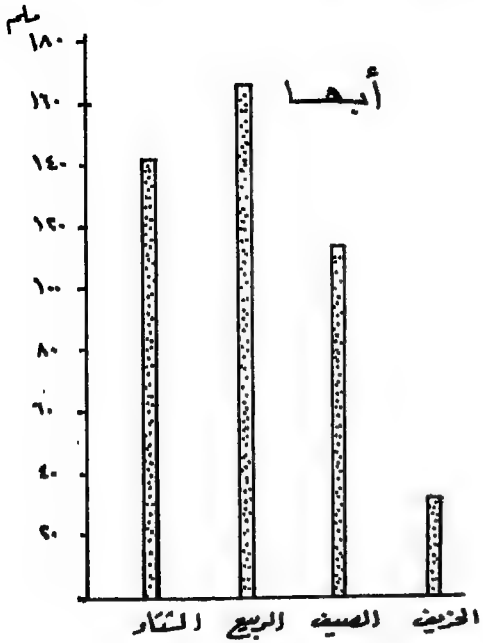
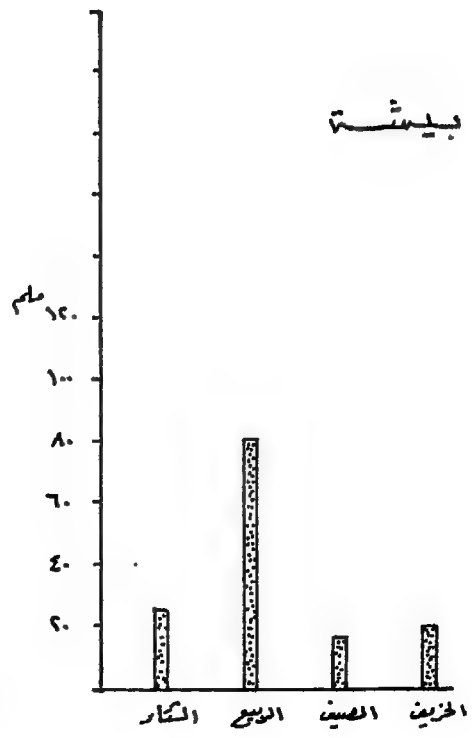
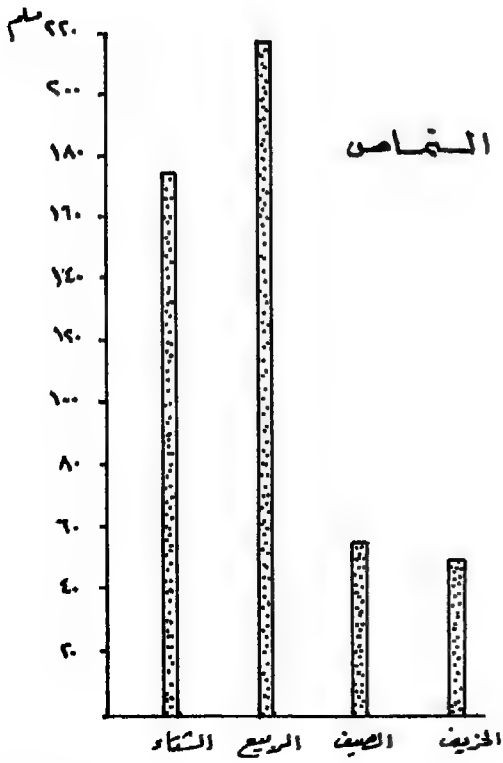
(١) عمر العمري - في بلاد بني عمرو ومايجاورها ، مجلة العرب ج ٧ ، ٨ ، السنة ٨ ، ص ٦٢٩ - ٦٣٥ .

وأهم ما يميز مناخها اعتدال جميع معدلات الحرارة في الصيف وفي الشتاء لدرجة صار معها أكثر أقاليم المملكة اعتدالا في حرارته صيفا ، وصار باردا في الشتاء . ولو أنه لم يبلغ أبدا بسبب قلة الفروق الحرارية السنوية بالقياس الى الإقليم الشمالى القارى الصفات ، والذي سجل أبرد مناطق المملكة شتاء . فقد انخفض معدل درجة الحرارة السنوية في أبها الى 16°م ، وفي بالأسمر الى 14°م ، وفي الثماص 15°م ، في حين أن المعدل يزيد عن 20°م في جميع محطات المملكة غير الجبلية ، بل ويزيد في بعضها عن 30°م . وبلغت معدلات الحدود القصوى في المواقع الثلاثة السابقة 22°م ، 20°م ، 20°م على الترتيب ، ومعدلات الحدود الدنيا فيها 11°م ، 9.5°م ، 8°م على الترتيب . وبذلك بقيت الفروق الحرارية السنوية معتدلة القيمة . فالمعدلات الحرارية والفروق الحرارية تشبه الى حد كبير محطات تلال حوض البحر المتوسط القليلة الارتفاع .

وتستقبل هذه المرتفعات تساقطا من الأمطار متوسط الكمية ، يتراوح بين 300 - 500 ملم . ولكن هذه الأرقام المتواضعة تجعلها بالنسبة للمحطات الأخرى أغزر مناطق المملكة بالأمطار . وتمتاز بأنها تسقط في جميع فصول السنة ، ولو أن أكثرها يسقط في الربيع وأقلها في الخريف . وتجلبها صيفا الرياح الجنوبية الغربية شبه الموسمية التي تهب عليها بفعل تأثير تمرکز الضغط المنخفض الصيفى على هضبة الحبشة ، كما يجلبها في الشتاء والربيع تقدم أعاصير جنوب شرق البحر المتوسط عبر حوض البحر الأحمر ، وتقدم المنخفض السودانى باتجاه الشرق ومقابلته الكتل الهوائية الباردة القادمة من الشمال أو الشرق خاصة في فصل الربيع (انظر شكل 37)

وقد بلغت المعدلات السنوية للأمطار الساقطة للفترة بين 66 - 1982م في بعض المحطات العالية : 475 ملم في تمنية ، 350 ملم في العامر ، 347 ملم في أبها ، 531 ملم في السودة ، 445 ملم في العين ، 471 ملم في بالأسمر ، 447 ملم في الثماص ، 453 ملم في العلايا . ولكن هذه المعدلات تقل بشكل واضح في منقلب السراة بالاتجاه الشرق حيث تنخفض الأرض وتتوارى خلف الشعاف العالية . أى أنها تسير حثيثا لتصبح في ظل المطر . وعلى سبيل المثال فقد بلغت المعدلات السنوية في بعض المحطات الخلفية : 195 ملم في ظهران الجنوب ، 242 ملم في الحرجة ، 239 ملم في سراة عبيدة ، 247 ملم في خميس مشيط ، 236 ملم بنى مالك (عسير) .

وعلينا أن ندخل في الاعتبار بالاضافة الى هذه الأمطار قيمة التساقط غير المسجل ، والتمثل في الضباب والندى اللذين يحدثان كثيرا في المرتفعات الجبلية . وندخل في



المعدلات الفصلية للأوطار في بعض موطنات إمارة عسير

الاعتبار ، كذلك تباطؤ التبخر بالقياس إلى لأقاليم الأخرى بسبب اعتدال معدلات الحرارة ؛ الأمر الذى يجعل هذا الاقليم يتمتع بميزات مناخية فريدة فى المملكة لافى اقليم جنوب غرب المملكة وحده ، لايشاركه فيها سوى اقليم سروات الحجاز ، كما ذكرنا .

وقد انعكست هذه الظروف المناخية المميزة على مراحل نضج التربة على السفوح الجبلية وعلى الغطاء النباتى الكثيف ؛ إذ تحولت الأرض الى مناطق دائمة الخضرة ، وقد تتكاثر الأشجار فى بعض المساحات مشكلة الغابات ، وقد تتباعد الأشجار فتسمح بتشكيل غطاء عشبي غنى . ويملك هذا الاقليم مع مرتفعات الحجاز ومرتفعات تهامة معظم ثروة المملكة من الأشجار ، كما تملك هذه المناطق أهم ثروة عشبية فيها .

وتقع بلدة الرباع قاعدة بنى حسن فى رحبة متسعة من الأرض كثيرة التجمج فى عالية وادى رسباء وذلك فى غرب هذه المنطقة وتسود أشجار العرعر فى المناطق الأكثر ارتفاعا أو الأفضل مواجهة للرياح التى تجلب الرطوبة ، وتزداد أهمية الأكاسيات فى المناطق التى يتقهقر فيها العرعر ، فيظهر الطلح والسمر والسلم . كما تكثر أشجار السدر والزيتون البرى (العثم) والبطم البرى ، والشث (الديدونيا) والأثل العرى والتين الشوكى وغيرها .

لقد تعرض كثير من مناطق الغابات القريبة من مواقع استقرار السكان للقطع الجائر بسبب الاحتطاب واستعمال الأخشاب وإنتاج الفحم وزيت الخشب والقطران ، وبسبب التوسع الزراعى فى أماكن الغابات أحيانا ، وبسبب رعى الأشجار الصغيرة أو قضم الأوراق والأغصان الغضة وبراعمها فى السنوات الجافة ، وكذلك قطف الأوراق لبعض الاستعمالات كقطف أوراق الشث لدباغة الجلود أو غيرها لتقدم أعلافا للحيوانات .

ولا يخفى أن فى إزالة الغابات محاذير كثيرة ، ليس أقلها تعرض التربة للانجراف لأن الأرض الخالية من النبات تسهل نحت السيول الجارفة أو عسف الرياح . فتعمل السيول على طمر السدود فتفقد فاعليتها نتيجة ترسب الطمي . ومن محاذيرها سرعة جفاف الوديان بعد انتهاء موسم الأمطار . فضلا عن أهمية الغابات فى تعديل الطقس ، وفى إضفاء المناظر الجميلة على الأقليم بالاضافة الى الثروة الخشبية التى توفرها ، فقطعها يلغى هذه الخصائص .

ولاتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية هذه الثروة الوطنية من التدهور والانقراض أنشئ قسم الغابات بوزارة الزراعة في عام ١٩٦٢م ليقوم بهذه المهام . ومن الجدير بالذكر انه أدخل الى هذه المنطقة عدد من أنواع الأشجار الخشبية السريعة النمو . مثل اليوكالبتوس والكازورينا والصنوبر والسرو لتحسين نوعية الخشب وزيادة الإنتاج الحرجي في فترة قصيرة .

وتؤوى هذه الغابات العديد من أنواع الحيوانات البرية آكلة اللحوم والأعشاب منها : الثور والذئب والثعلب والقردة والغزلان والأرانب البرية وأبو النيص والقناقد ، والكثير من أنواع الزواحف كالثعابين والسحالي ، والحيوانات البرمائية والطيور ، وحتى الأسماك النهرية وجدت في بعض الجداول والغدران التي تغذيها ما يسقط على الغابات المجاورة لها من أمطار . ويذكر في الماضي وجود الأسود والفهود والضباع والنعام ويبدو أنها انقرضت منذ قرون .

ونظرا لطبيعة تركيب صخور هذه المناطق ؛ فقد كانت عوامل النحت أبطأ من عوامل النقل والترسيب في ظل المناخ السائد . فظهرت مساحات واسعة من الجبال مجردة من التربة ، لاسيما على السطوح الشديدة الانحدار . ومع ذلك فقد حفرت المجارى العليا للوديان بعمق شديد وجرفت كميات هائلة من فئات التعرية وطمرت به بعض قطاعات من مجاريها بالإضافة الى المنخفضات . وبنيت سهولا رسوبية خطية تسير مع سير الوديان ، استطاعت أن تنبت غطاء نباتيا لا يقل كثافة عنه في السفوح العليا . ولكن يلاحظ أن هذا الغطاء تتناقص كثافته بسرعة إذا ابتعدنا عن المجارى .

نشاط السكان في سروات عسير :

تفسر هذه الخصائص الطبيعية التي امتازت بها مناطق المرتفعات الجبلية سبب أسبقيتها بالقياس الى أقاليم الجزيرة العربية الأخرى ، في إغراء السكان على الاستقرار وهجرهم حياة الترحل . فمنذ عهود بالغة القدم استطاع مستوطنوها تحويل سفوح المرتفعات العليا الى مدرجات جبلية باقامة جدر حجرية للحفاظ على التربة من الانجراف لتقوم عليها الزراعة . كما استطاعوا تحويل بطون الأودية ، خاصة الأودية الهامة ذات التربة الطموية ، الى مصاطب مجاورة للمجارى ومرتفعة عنها ، لتقوم عليها الزراعة أيضا .

وقد اعتمدت الزراعة في الأولى اعتمادا كاملا على الأمطار ؛ لأن كمياتها كافية الى حد ما ، ويسقط معظمها في فصل الربيع والصيف ، أى في فصلى النمو والإنبات ، ولا

ينقطع سقوطها تماما في الفصول الأخرى . والأهم من هذا أنه لا توجد موارد مائية أخرى بديلة . وإذا انحبس سقوط المطر فترة ما ، فإن كثرة تشكل الندى والضباب يعوضان النباتات عما تحتاجه من المياه حتى تقوم بوظائفها الحيوية دون أن تتعرض للجفاف . وقد زرع الفلاحون النباتات التي لا تحتاج الى كثير من الرطوبة كالقمح والشعير والعدس .

ولكنها اعتمدت في الثانية جزئيا على الأمطار ، لأن الأمطار وحدها غير كافية لإقامة الزراعة لولا الاستفادة من المياه المنحدرة من السفوح الى الوديان والتي تتجمع في المجارى الرئيسية لاسيما في أوقات الفيضانات فتزود المجارى بالمياه وبالتربة الطموية . وقد أقام المواطنون عقوما ترابية في المجارى لإدخال مياه الفيضان في المصاطب المجاورة لها .

وإذا تعرض الاقليم لمرور سنوات جدد تنحبس فيها الأمطار لمدة أطول تعذرت حتى زراعة الحبوب في الأماكن التي لاتصلها مياه الآبار التي تحفر في طمى الوديان ، والتي كانت تسحب منها المياه بالطرق التقليدية باستخدام الحيوانات أى « السوانى » . ونظرا لضآلة المخزون من المياه فإن مياه الآبار ذاتها تقل في سنوات الشح بحيث تتعذر الاستفادة منها أيضا ، بل أن الكثير منها ينضب في مثل تلك السنوات .

واحتما لظروف سنوات القحط كان أهل السراة يعملون الى خزن الحبوب في مخازن خاصة تحت الأرض وبعيدا عن الرطوبة بحيث لا يتسرب اليها السوس ، ليقتاتوا بها ويحتفظوا بقسم منها كبذار للمواسم الجديدة . وعلى العكس من ذلك تكثر الخيرات من المنتوجات الزراعية والحيوانية في سنوات الامطار الغزيرة .

لقد بلغت مساحة الارض الزراعية في مناطق الجبال وواحات السفوح - وهذه تشمل جبال الباحة أيضا - ٢٤٥٠ ٪ من مساحة الأرض الزراعية في المملكة في سنة ١٩٦٨م^(١) ، وهذا يجعل نصيب مرتفعات عسير لاتقل عن ١٥ ٪ . في حين أن نتائج التعداد الزراعى الشامل لعام ٧٣ / ١٩٧٤ أوضحت أن مساحة الأرض الزراعية لم تتجاوز في إمارة عسير ٣٨٨٠٠ هكتار^(٢) أى أقل من ١٠ ٪ من المجموع .

(١) حسن حمزة حجرة - إمكانية التنمية الزراعية ، ص ١٧

(٢) وزارة الزراعة . شعبة الاحصاء الزراعى - نتائج التعداد الزراعى الشامل ٧٣ / ١٩٧٤ . الرياض ١٩٧٧ .

غير أن بيانات وزارة الزراعة أعطت أرقاما متضاربة عن مجموع المساحة المحصولية في إمارة عسير في سنوات مختلفة (وإمارة عسير تضم أراضي بيشة وتهامة عسير معها أيضا) . ولو أنها تراوحت بين ٥٠٠٠٠ - ٦٥٠٠٠٠ دونما في السنوات الأخيرة . وقد بلغت نسبتها الى مجموع المساحة المحصولية في المملكة في السنوات الزراعية ١٩٧٧/٧٦ ، ١٩٧٨/٧٧ ، ١٩٨٠/٧٩ ، ١١٧٪ ، ١١٦٪ ، ٨٥٪ على التوالي (١) . ومع ذلك فإن هذه النسب تبلغ خمسة أمثال ما كانت عليه سنة ١٩٧١/٧٠م (٢) .

وإذا غضضنا الطرف عن تضارب الأرقام السابقة ، واعتمدنا أرقام السنوات الأخيرة فقط ، والتي أبدت اتزاناً واضحاً في تغييرها ؛ سنلاحظ أولاً : قلة المساحة المحصولية بالقياس الى مساحة الأرض الزراعية ، وهذا طبيعي جداً بسبب اعتماد معظم أراضيها على انتاج محصول واحد في السنة فقط ، وهو في الغالب المحصول الشتوي لأنها تعتمد في زراعتها على الأمطار من ناحية ، وبسبب برودة فصل الشتاء حيث تتعطل فيه عملية الإنبات من ناحية أخرى .

وسنلاحظ ثانياً أن نسبة المساحة المحصولية في عسير بالقياس إلى مجموعها في المملكة تتراجع باضطراد . ولا يعود ذلك الى تناقص مساحة الأرض الزراعية فيها بقدر ما يعود الى تزايد مساحة الأرض الزراعية في مناطق أخرى ، وتكثيف الزراعة في بعض المساحات المزروعة سابقاً ، دون أن يحصل شيء من ذلك في مناطق الجبال .

لقد أشارت تقارير الشركات الاستشارية التي عملت مع وزارة الزراعة منذ الستينات الى عدم قدرة هذا الإقليم على زيادة مساحة الأرض المزروعة فيه ؛ ولكنها أشارت الى قدرتها على رفع الانتاجية في الأراضي المزروعة سابقاً . ولكن لا يستبعد أن يعزى تراجع المساحة المحصولية — ولو جزئياً — الى اتجاه بعض الفلاحين الى هجر العمل الزراعي وسفرهم للتفتيش عن أعمال أخرى في مناطق أخرى من المملكة ، لأن إقليم الجبال هو الإقليم الزراعي الوحيد تقريباً الذي تعتمد الزراعة فيه على الأمطار وهي قليلة ومتذبذبة وغير مضمونة .

(١) حسب هذه النسب من الأرقام التي أوردها الكتاب الإحصائي السنوي . العدد ١٧ ، ص ٤٨٩ .

(٢) ملخص نتائج بحث المساحة والانتاج للعام الزراعي ٧٠ / ٧١ . إدارة الأبحاث والتنمية الزراعية ، في ٢٠ / ٢ / ١٩٧٤ .

وعلى أية حال فقد ساهمت إمارة عسير (وهى كما ذكرت تضم بيشة وتهامة عسير) فى الموسم الشتوى ١٩٨٠/٧٩ م بإنتاج ١٨٪ من قمح المملكة و٣١٪ من شعيرها ، و ٢١٪ من دخنها (الشتوى) ، و ٩٥٪ من الذرة الشتوية . وساهمت أيضا بإنتاج ٤٧٪ من الذرة الصيفية لذلك العام (١) . وانتجت كذلك نسب مختلفة من الخضروات خاصة الباذنجان والبطاطس والكوسى ، والفواكه خاصة الموالح والتفاح والعنب . بالإضافة الى نسبة كبيرة من البرسيم والاعلاف .

ونستدل من مطالعاتنا لبيانات الانتاج لسنوات مختلفة أن إنتاج منطقة الجبال لايسير على وتيرة واحدة ، بل هو شديد التذبذب ، ويعود ذلك بالدرجة الأولى الى اعتماد الزراعة على الأمطار . ونستدل كذلك على أن أهم المحاصيل الزراعية فيها هى الحبوب الغذائية خاصة القمح والشعير والدخن والذرة . فالحبوب هى الغذاء الرئيسى للسكان . ولابد من انتاج كميات وافرة منه ، حتى يتم تأمين الأسرة من المواد الغذائية على مدار السنة . ولاينزل الأسواق بعد مواسم الحصاد سوى مايفيض عن حاجة الأسرة منه لمدة عام كامل على الأقل .

وقد بدأ مؤخرا الاهتمام بزراعة الخضروات فى الموسم الشتوى والموسم الصيفى بعد أن التفت الى الخضروات كمواد غذائية ، وبعد زيادة الطلب عليها فى الأسواق المحلية . وبدأ الاهتمام كذلك بالإكثار من زراعة الفواكه والأشجار المثمرة كالرمان والتين والعنب والخوخ والتفاح وغيرها بقصد الربح المادى ، وذلك بعد أن زاد الطلب عليها أيضا فى الاسواق القريبة ، وبعد تحسين طرق المواصلات التى ساعدت على تسويق الانتاج . ولكن لاتزال حاصلات الفواكه فى السروات قليلة بشكل عام ولاتغطى سوى جزء من حاجة الأهلىين .

ومن المنتجات الهامة فى جبال عسير : العسل بفضل اعتناء المواطنين بتربية النحل . والعسل فى عسير عدة أنواع لبعضها شهرة خاصة . فقد ذكر فؤاد حمزة أن منها نوعاً يجنى منه عسل ناصع البياض بلون السكر النقى يسمى « مُجْرِيٌّ » وهو طيب النكهة والمنظر . ونوع آخر عسله أحمر يسمى « شوكة » (٢) .

(١) استخلصت جميع هذه النسب من البيانات الواردة فى الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٧ ، ص ٤٨٩ وما بعدها .

(٢) فؤاد حمزة ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

ومثلما استطاع سكان مرتفعات عسير اخضاع مساحات من بلادهم — سواء على سفوح المرتفعات العليا أو في بطون الأودية — للإنتاج الزراعى ؛ فقد أخضعوا المساحات الأخرى للعمل الرعوى . وذلك لضيق المساحات الزراعية وعدم قدرتها على إنتاج الكثير من المواد الغذائية من ناحية ، ولغنى الإقليم عامة بالثروة العشبية ، ومن المعروف ان تربية الحيوانات يمارسها كل من المستقرين والبدو .

وهذا يفسر تفوق المرتفعات من بين مناطق المملكة بامتلاك الثروة الحيوانية وإنتاجها ، بالرغم من صغر مساحتها ومن انتشار مهنة الرعاية فى جميع أقاليم المملكة . كما يفسر ارتفاع نسبة البدو من بين سكانها فى الوقت الذى تعتبر فيه أول الاقاليم الزراعية فى المملكة .

وأهم المنتوجات الحيوانية فى مرتفعات عسير الأبقار والأغنام والماعز . ولا توجد الإبل فى المناطق الجبلية كثروة حيوانية نظرا لصعوبة التضاريس ووعورة الأرض وشدة البرد وضيق المراعى . وتدل الاحصائيات أن إمارة عسير — وهى تضم مساحة واسعة من الهضبة — تملك ٢٨٪ من أبقار المملكة و٣٤٪ من أغنامها و٢٩٪ من ماعزها و١٤٪ من جمالها ، وملك كذلك ٣٨٪ من دواجنها (١) . وبذلك فان عسير وجيزان تملكان معظم ثروة المملكة الحيوانية .

وجبال عسير غنية بمختلف المعادن الفلزية ، وكان يستثمر قسم منها بطرق بدائية لكنها الآن غير مستغلة إطلاقا . فقد عرف وجود الحديد مثلا فى جبل تَهْلَل بجوار السوده وفى سوقه . كما عرفت مناجم الرصاص الفضى والمركبات الكبريتية فى مناطق متعددة ، وعرف منجم للنحاس بجوار بنى شهر ، واستخرج الملح الصخرى من السفوح الغربية لهذه السلسلة . إلا أن استثمار هذه المواد بشكل اقتصادى يحتاج الى إجراء دراسات جيولوجية دقيقة للتثبت مما هو موجود منها وللتأكد من درجة ربحيتها .

وتبعاً لذلك فان النشاط الصناعى ضعيف جدا فى عسير ويقتصر على وجود عدد محدود من الوحدات الصناعية الصغيرة وعدد من الصناعات الريفية أو الحرف اليدوية . وبعد أن كان يندر وجود وحدات تستخدم أكثر من عشرة عمال بدأ بعضها يظهر تباعا مثل المخابز الاتوماتيكية والمطابع ومعامل المشروبات الغازية والمنتجات الاسمنتية .

(١) استخلصت هذه النسب من الكتاب الإحصائى السنوى . العدد ١٧ . ص ٥٠٦ .

لقد سبق وأن رأينا أن صعوبة المواصلات كانت سببا من أسباب انعزال وتأخر اقليم نجد تهامة، فالوضع يعتبر أكثر صعوبة بالنسبة لجبال عسير بسبب شدة الانحدار والارتفاعات الشاهقة واعتراض الوديان السحيقة، والعمق الجغرافي بسبب العزلة من جميع الجهات مما يعيق إشادة جميع أنواع الطرق. ولذلك استعصت هذه البلاد على الطامعين ونأت عن الفاتحين، شأنها في ذلك شأن اليمن، وعاشت مستقلة معظم تاريخها الطويل.

لم يكن في مناطق الجبال من وسائل الاتصال سوى طرق القوافل باستخدام الحيوانات. وكانت طرق القوافل تقطع الجبال طوليا وعرضيا. فبالنسبة للأولى كانت عسير— وعبر قرون طويلة— ممرا لطريق قوافل التجارة وقوافل الحجاج بين اليمن والحجاز وكانت الطرق تسلك حافة الجبال وتوازي خط الشعاف تقريبا. وكان يتصل بهذه الطرق الرئيسية طرق فرعية كثيرة؛ يهبط بعضها من العقبات الى تهامة فالسهل الساحلي فالبحر، ويسير بعضها مع الوديان باتجاه الهضبة فداخل شبه الجزيرة العربية. ومن أشهرها طريق تبدأ من أبها فعقبة الصماء غربا الى بلاد رجال المع ومنها الى جيزان. وطريق أخرى من أبها الى عقبة ضلع فالدرب ومنها الى جيزان. وطريق ثالثة تتفرع من الطريق الرئيسى عند عقبة شعار فوادى طية فمحاليل فالقنفذة أو جيزان. وكان للطريق الأخيرة أهمية خاصة زمن الاحتلال العثماني عسكريا. وطريق رابعة تتجه شرقا الى خميس مشيط ومنها قد تتجه جنوبا الى قحطان ونجران أو تتجه شمالا عبر وديان الهضبة الى داخل البلاد خاصة الى بيشة أو تثليث.

ولما كانت المواصلات واحدة من أهم الانشاءات التحتية، وركنا من أركان أية نهضة اقتصادية واجتماعية حديثة، فان الدولة أولتها أهمية خاصة، وقد تم اتصال هذا الاقليم الجبلي ببقية أقاليم المملكة فزالت عنه عزله السابقة. اذ تم تمديد الطريق من الطائف— أبها— نجران مخترقة السراة وتدعى « طريق الجنوب » التى ربطت عسير بالحجاز من جهة ونجران واليمن من جهة أخرى. وقد تبعها توصيل هذا الخط بالساحل فى موضعين: الأول من أبها— الدرب— جيزان. والثانى عقبة الشعار— محاليل— القنفذة. كما تم انشاء عدد من الوصلات الصغيرة تتفرع من هذا الخط من الجانبين فتوصل بالمدن والبلدات المتناثرة. وقد أنشئ مئات الكيلومترات من الطرق الممهدة « الزراعية » لخدمة مناطق الإنتاج الزراعى.

اقيم مطار محلي الى الجنوب من خميس مشيط— وهى اكبر مدينة فى هذا الاقليم—
لخدمة حركة الطيران المدنى فى مناطق جبال جنوب المملكة ، وكان يقوم بعملية
الاتصالات الداخلية ، وكانت أكثر اتصالاته مع جدة فالرياض فجزان فالطائف وقد
ساهم فى نقل أكثر من ٥٠٠٠٠ راكب فى سنة ١٩٧٢ (١) . وقد أنشئ مطار آخر
بديل عنه فى موقع متوسط بين أبها وخميس مشيط ويقع على الجانب الجنوبى من الطريق
الواصل بينهما هو « مطار أبها » يعتبر أكثر حداثة وتجهيزاً واستعداداً من المطار السابق .
فقد شارك فى نقل ٣٤٧١٦٤ راكبا من أبها الى مختلف مطارات المملكة ونقل
٣٣٦١٣٢ راكبا الى أبها (٢) من مختلف مطارات المملكة فى سنة ١٩٨٠ م .

أقسام السراة :

نظرا لامتداد اقليم سروات عسير طويلا فقد تألف من مجموعة من السروات ، تنسب
كل سراة الى قبيلة أو فرع من قبيلة استوطنتها واستقرت فيها مدة من الزمن ، خاصة وأن
انتقال القبائل كان محدودا نظرا لصعوبة التضاريس وشدة الانعزال . ومع ذلك كان لابد
أن تتغير أسماء السروات تبعا لتغير القبائل وتداخل سكانها واختلاطها حتى تكاد تفقد
بعض الأسماء القديمة أهميتها ومعناها . ويمكن جمعها الآن تحت اسمين فقط هما :

١ — سراة عسير وكان يقتصر هذا الاسم فى السابق على حدود نفوذ قبيلة عسير .
وهى مساحة محدودة من السراة لايتجاوز طولها ٧٠ كم وتبدأ من تمنية جنوبا الى عقبة
شعار شمالا وقاعدتها مدينة أبها وتقع فى وسطها . وكان يطلق عليها اسم « سراة عنز » .
وقد توسع الاسم باتجاه الجنوب الشرقى فضم سراة قحطان ووادة حتى وصلت الى
حدود اليمن .

٢ — سراة الحجر وتقع الى الشمال مباشرة من سراة عسير وتشمل بلاد قبائل بالاحمر
وبالاسمر وبني شهر وبني عمرو . وقد توسع الاسم أيضا حتى ضم ماكان يسمى بسراة
باه وبنو القرن (بالقرن) ، وبنو الخالد وسراة الحال وتقع كامتداد شمالى للموقع السابق
أو الى الجنوب من بلاد الحجاز أو ما كان يسمى « سراة غامد وزهران » .

(١) مصلحة الاحصاءات العامة - الكتاب السنوى . العدد التاسع ص ٢٦٢ - ٢٩٣ .

(١) مصلحة الاحصاءات العامة - الكتاب السنوى العدد السادس عشر ص ٣٧٠ .

وتتكون هذه السروات من أقسام عديدة تتميز بسكانها وبظروفها الخاصة ،
وسنشرح فيما يلي بدراسة أقسام هذه السروات بادئين من الحدود الجنوبية ومتجهين نحو
الشمال والشمال الغربى ، أى بنفس الترتيب الذى اتبعناه فى منطقة تهامة .

١ — بلاد وادعة :

وهى جزء من اقليم السراة استوطنته قبيلة وادعة فسميت « سراة وادعة » وتقع فى
منتهى حدود المملكة العربية السعودية الجنوبية فى النطاق الجبلى ، وكان يطلق عليها وعلى
بلاد قحطان التى تليها شمالا « سراة جنب » (١) .

وقبيلة وادعة من نسل همدان بن زيد ، وبلادهم هى بلاد ظهران ، وقاعدتها ظهران
الجنوب . يحدها من الجنوب بلاد سحار الشام (فى شمال اليمن) ، والفاصل بينهما راس
علبين وعقبة « العلب » التى تبدأ منه ، ويقابلها فى حدود اليمن عقبة « الشطبة » ،
وتحدها بلاد قحطان من الشمال الغربى . وتمتد شرقا مسافة تتراوح بين ٣٠ - ٤٠ كم
فتجاور بلاد قبيلة يام من هذه الجهة . وتزيد مساحتها عن ٣٠٠٠ كم ٢ .

وتقع بلاد وادعة عمليا فى عالية وادى حبونة ، وتضم اليها بعض الاجزاء الواقعة فى
أراضي المملكة من عالية وادى نجران . وتشكل عالية وادى حبونة من مجموعة من
الروافد تبدأ من خلف خط الشعاف الذى يتجه من الحدود اليمنية من جهة الجنوب الى
الشمال مسافة ٣٥ كم ، وترتفع فيه بعض القمم الى مايزيد عن ٢٥٠٠ م عن سطح
البحر مثل جبل « آل مخطيء » و « المُستى » .

يهبط خط الشعاف باتجاه تهامة غربا على شكل جرف عظيم شبه قائم لكنه ينحدر
انحدارا تدريجيا باتجاه الشرق تبعا للبنية الجيولوجية . غير أن عوامل التعرية شوهت هذا
الشكل النموذجى تشويها بالغا . فبالاضافة الى إزالة كميات هائلة من الصخور النارية
والمتحولة للمنطقة ، فقد حفرت فيها الوديان بعمق وانتظمت فى شبكة كثيفة من المجارى
تنجّه إجمالا نحو الشرق تتمثل فى المجرى الرئيسى لوادى حبونة .

وقد تكونت هذه الشبكة من اجتماع الرافد الجنوبى الغربى الناتج عن التقاء وادى
حرشف ووادى هلال (هَدادة) ووادى بطا ، والرافد الغربى وهو وادى الحاجر أو
مصلولة ، والناتج من التقاء عدد من الروافد أهمها العرين الذى تقع فى عاليته مدينة

(١) حمد الجاسر : فى سراة غامد وزهران . ص ٣٥٣ - ٣٥٧ .

ظهران الجنوب ، والرافد الشمالى الغربى الناتج من التقاء عدد آخر من الروافد أهمها وادى الغيل ووادى رشاد (شكل ٣٨) .

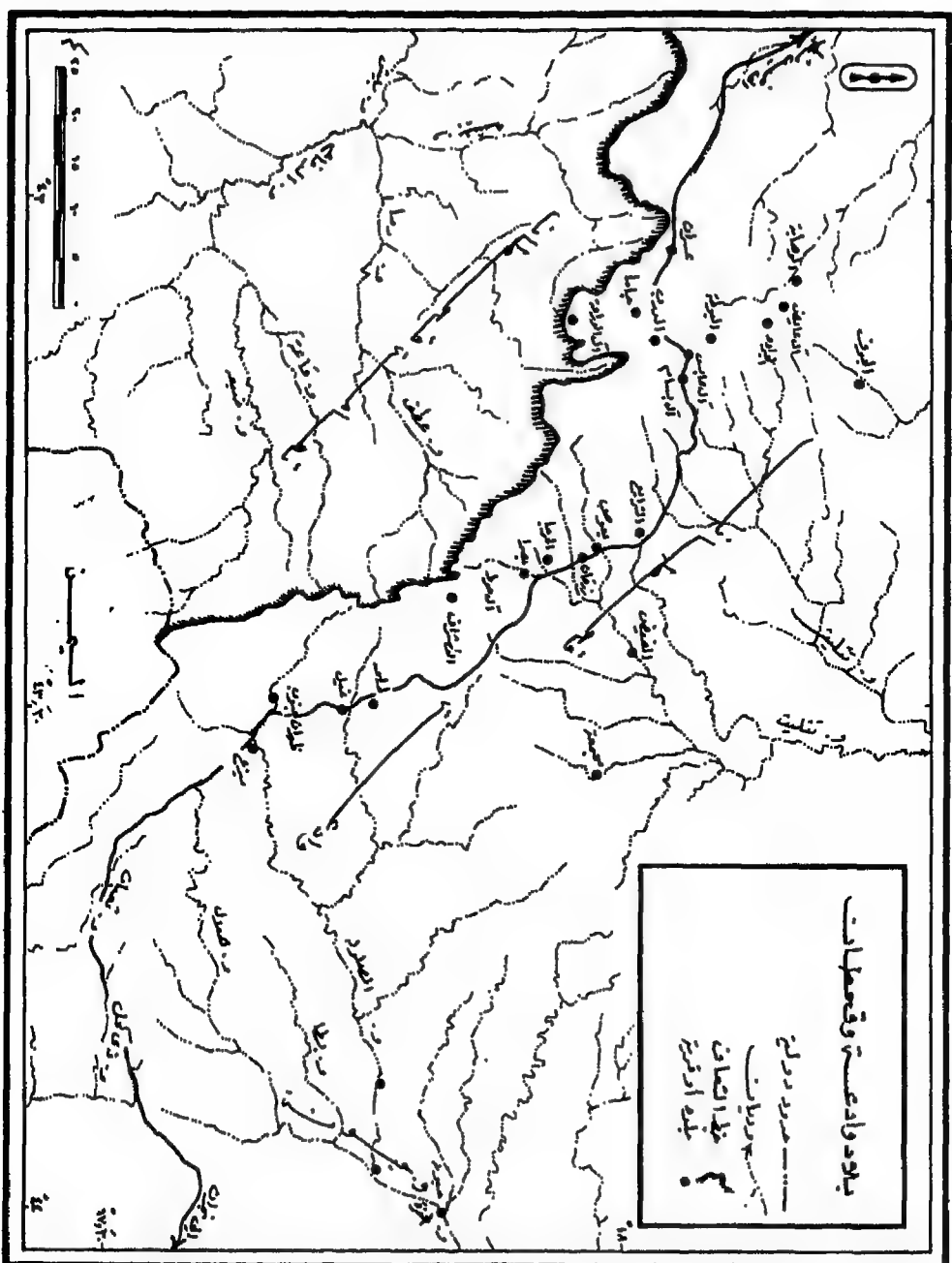
وتتميز بلاد وادعة بأنها اكثر المناطق الجبلية فى المملكة بعدا نحو الجنوب ونحو الشرق ؛ اذ أنها تبدأ من نقطة تقاطع خطى عرض ٣٠-١٧° ش وطول ٣٠-٤٣° ش تقريبا ، أى أنها تقع عند خط طول يزيد بمقدار درجة كاملة عن خط طول مدينة أبها وعند خط عرض يقل بمقدار $\frac{2}{3}$ درجة عن عرض مدينة أبها .

كما يتميز موقع بلاد وادعة كذلك بأنه أكثر مواقع السروات فى المملكة بعدا عن البحر الأحمر بسبب اتساع منطقة نجود تهامة التى تتخللها وتبرز فيها كتل جبلية عالية قد تضاهى مرتفعات السراة فى ارتفاعها .

ولذلك فالبرغم من ارتفاع خط الشعاف كثيرا بالقياس الى باقى السروات (من ٢٤٠٠ - ٢٥٠٠ م) ؛ الا أن مواجهتها للرياح الغربية والجنوبية الغربية القادمة أصلا من البحر الأحمر ليست جيدة ولا مباشرة ، بل وصارت فى « ظل المطر » تقريبا بالنسبة لبعض مرتفعات تهامة العالية . فقلت الرطوبة فيها ونقصت الأمطار ، وزادت تذبذبا واضطرابا (١٩٥ ملم فى ظهران الجنوب) . فهزلت المساحات المغطاة بالاشجار الدائمة . وحتى أن الأعشاب تقهقرت فى حجمها ونضارتها عن المناطق التى تشابهها فى الارتفاع .

وقد تأثرت حركة الاستيطان البشرى بسبب ضعف إمكانيات السفوح العالية على الإنتاج الزراعى ، أو على تغذية الحيوانات . ومع أن السكان حاكوا المناطق الأخرى فى إنشاء المدرجات الجبلية وفلاحتها لإنتاج الحبوب كالقمح والشعير ؛ إلا ان مساحاتها كانت صغيرة ومتفرقة بعضها عن بعض ، ولم تظهر فيها المساحات الممتدة .

وبالرغم من أن نحو ٥٥٪ من سكان هذه المقاطعة عاشوا فى قرى معتمدين فى حياتهم على انتاج الارض من مواد زراعية وحيوانية ، فقد غلبت على هذه القرى صفة صغر الحجم ، حيث بلغ عدد الريفيين نحو ١٦٠٠٠ نسمة وبلغ عدد القرى نحو ٢٠٠ قرية أى أنهم توزعوا بمعدل ٨٠ فردا للقرية الواحدة . وقد تبعثرت هذه القرى فى مجارى الوديان أكثر من تواجدها فى السفوح العليا ، مثل حَرَشَف فى وادى هلال ، وقتام فى وادى قتام ، وميزع فى وادى عرين وتقع الى الشرق من ظهران الجنوب بنحو ٥ كم ، وطلحة وغيل فى وادى غيل .



ولم يظهر في هذه المنطقة الواسعة من المواقع المدنية سوى بلدة واحدة هي ظهران الجنوب ؛ وهي بلدة قديمة كانت على مفترق طرق القوافل . حيث تتفرع منها الطرق الى اليمن والى نجران والى عسير والى تهامة . وقد استفادت كثيرا من توصيل خط الجنوب ومروره منها ، وكان قد اقتفى أثر طريق القوافل . كما استفادت من قيامها بدور المركز الادارى كقاعدة لهذه المنطقة ، فنشأ فيها عدد من الدوائر الحكومية التى بنيت من الأسمنت على جانب الطريق فساهمت فى نموها ، وتوسعها .

وبعد أن كانت مبنية من الطين ، وعاش فيها ٢٨٥١ فردا فى سنة ١٩٧٤م ظهرت فيها الشوارع والمباني الأسمنتية الحديثة والدكاكين ، وأثيرت بالكهرباء بمحولات خاصة . وبعد أن كانت تشرب من آبار محفورة فى رسوبيات الوادى الطموية سحبت المياه من الآبار الى خزان اسمنتى مرتفع ووزعت منه المياه بالأنابيب على البيوت والمحلات . فتضاعفت مساحتها وعدد سكانها فى الفترة التالية ، وذلك فى معظم الحالات على حساب القرى التابعة لها ، لأنها أصبحت مركز جذب لأولئك الأفراد .

وعاش باقى سكان المنطقة — أى نحو ١٠٠٠٠ فرد ، أو أكثر من ٣٥٪ من مجموع السكان — على حالة البداوة مستفيدين من كثرة مناهل المياه المحفورة فى رسوبيات الوديان والتى بلغ عددها فى سنة ١٩٧٤م ، ٧٩ منها ، ومستفيدين من أعشاب الوديان ذاتها لأنها لم تخضع للزراعة .

٢ - بلاد قحطان :

يعيش أفراد قبيلة قحطان بن عامر على قسم من سارة عسير يدعى أيضا « سارة قحطان » ويقع الى الشمال الغربى من سارة وادعة مباشرة ، وتتكون القبيلة من عدد كبير من الفروع والبطون والأفخاذ ، بعضها متحضرة وتعيش فى قرى تسمى - فى أغلب الأحيان - بأسماء فروع وأفخاذ القبيلة ، وبعضها الآخر ما زالت على حالة البداوة ، وتعيش فى أطراف السارة أو خارجها فى الهضبة الشرقية أو فى تهامة فى الجنوب الغربى من موقع لإخوانهم فى السارة فى « تهامة قحطان » .

وتقسم قبيلة قحطان فى السارة الى مجموعتين كبيرتين الأولى : عبدة وتسكن الجزء الجنوبى الشرقى من سارة قحطان وتحتل الحوض الأعلى لودى تثليث ، وفيما بين الشعاف جنوبا وهضبة آل الشواط شمالا ، ولا تبلغ مساحتها نحو نصف مساحة بلاد وادعة التى تجاورها من الجنوب الغربى وتجاور بلاد يام من الشرق وبادية قحطان من

الشمال الشرقى والشمال . والثانية رُفيدة وتسكن الجزء الشمالى الغربى فتحتل الحوض الأعلى لوادى بيشة فتشارك وتجاور بعض فروع شهران فى حوض هذا الوادى ، مثل تلك الفروع التى تسكن شعاف جنوب عسير فى الغرب ، وتلك الفروع التى تسكن الوادى الى الشمال مباشرة .

٣ - سراة عبيدة :

بالرغم من مجاورة سراة عبيدة لسراة وادعة ومشابهتها لها فى معظم الظروف الطبيعية ؛ الا أن تعديلا بسيطا طرأ على حافة السراة كان له أثر بالغ فى إحداث شىء من الاختلاف على المناخ خاصة الأمطار ؛ هو : أن خط الشعاف الذى كان يتجه جنوب - شمال انحرف الى الاتجاه من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ؛ ثم انحرف اكثر نحو الاتجاه الغربى . ثم ان حافته ارتفعت الى (نحو ٢٤٠٠ م عن سطح البحر) ، وأصبحت السراة بذلك فى وضع أنسب من حيث مواجهة الرياح الرطبة التى تصله عبر منخفض روافد وادى بيش الشمالية الشرقية ، فبلغت معدلات الأمطار السنوية فى الحرجة ٢٤٥ ملم وفى سراة عبيدة ٢٤٠ ملم ، اى تزيد قليلا عما هى فى سراة وادعة .

إنها اختلافات محدودة فى الواقع ، لكن أثرها يتضح فى المنظر العام للأرض حيث يشعر المرء بزيادة كثافة النبات الطبيعى ؛ فتتواجد الاشجار على السفوح وفى بطون الأودية بكميات أكثر وبأحجام أكبر ، وتنتشر الأعشاب عقب سقوط الأمطار مشكلة بساطا أخضر . وأمكن السكان إخضاع مساحات من السفوح العليا للزراعة المطرية لاسيما فى الجزء الشمالى الغربى . كما تمكنت المجارى العليا للوديان من تشكيل مصاطب رسوبية أمكن اخضاع قسم منها للزراعة المروية من الآبار المحفورة فى تلك الرسوبيات ، لاسيما فى الجزء الجنوبى الشرقى من المنطقة . ومع أن هذه الأراضي المزروعة صغيرة المساحة ومتفرقة ، لكنها تزيد عن المساحات فى بلاد وادعة وتفوقها تكاثفا .

وأهم الحاصلات الزراعية فى مناطق السفوح أو الوديان العليا هى الحبوب الغذائية ، خاصة القمح والشعير فى الموسم الشتوى والذرة الرفيعة والدخن فى الموسم الصيفى . بالاضافة الى الأعلاف . وقد بدأ الفلاحون يمارسون زراعة الخضروات والفواكه كالعنب بعد أن زاد الطلب على حاصلاتها ، الا أن ذلك مازال فى مراحله الأولى . لكنهم يعتمدون على منتوجات حيواناتهم الى جانب الانتاج الزراعى . وقد كان لإنشاء طريق الجنوب ومرورها منها وإنشاء عدد من الوصلات تتفرع من والى مجموعات القرى

المتجاورة أثر على تنشيط الانتاج الزراعى فيها مثل طريق قحف . ويمارس السكان بعض الحرف كصناعة الخارث والتجارة .

وتتكون قبيلة عبيدة من فروع وأفخاذ عديدة يعيش كل منها فى مجموعة من الروافد العليا للوادي ، ومع ذلك يمكن جمعهم فى ثلاثة بطون رئيسية^(١) يسكن كل منها قسما من المنطقة ؛ الأول : بطن سَنحان الحباب ويسكن وادى سروم ويتكون من خمس أفخاذ ، والثانى بطن شَريف ويتكون من ستة أفخاذ ومنهم أمير قحطان بن دليم ، والثالث بطن عبيدة ويتكون من ثلاث أفخاذ تشمل ٢٣ عشيرة ، هى : فخذ آل الصقر ويسكنون فى أربع عشرة قرية ، وفخذ آل معمر ويسكنون فى خمسة وعشرين قرية ، وفخذ آل طلق (بنى طلق) ويسكنون عشر قرى . ولكل من هذه البطون والأفخاذ أتباع فى تهامة فى الجنوب الغربى من المنطقة وأتباع آخرون فى بادية قحطان فى الشمال الشرقى وذلك فى حوض وادى تثليث فيما يلى عالية الوادي .

يعيش أفراد البطينين الأول والثانى فى مجموعة قرى فى الحوض الأعلى للرافد الجنوبي لوادى تثليث ، والذي يتكون من التقاء عشرة وديان صغيرة تبدأ جميعها من خلف خط السراة هى من الجنوب الشرقى : وادى مجمع وفيه قريتان إحداهما مجمع ، ووادى جُناب وفيه ثلاث قرى ، ووادى سروم وفيه ست قرى ، وراحة سَنحان وفيه أربع قرى ، وراحة شريف وفيه ثمانى قرى منها الأشراف والحوط والفيض وآل سيف ، ووادى الحَرَجَة وفيه قريتان إحداهما بلدة الحرجة ، ووادى محلاة وفيه ثلاث قرى إحداهما زرقان ، ووادى يعوص وفيه إحدى عشرة قرية منها يعوص ، ووادى الوفيرة وفيه ثلاث قرى ، ووادى الحظيرة وفيه أربع قرى منها الشرايع .

ويعيش أفراد بطن عبيدة فى « سراة عبيدة » الى الشمال الغربى من الموقع السابق فى الحوض الأعلى للرافد الجنوبي الغربى لوادى تثليث ، والذي يتكون من التقاء مجموعة كبيرة من الوديان الصغيرة أيضا . وقد أمكن تمييزهم الى مجموعتين الأولى : احتفظت باسم عبيدة وتقتن الطرف الشرقى من المنطقة ومن قراهم الهامة : آل عابس وآل ثابت وآل بسام والبوطة ، وجوف آل معمر ، والربعة ، وآل جرادة ، وآل عايض ، والوهابة ، وآل قرن .

(١) انظر فؤاد حمزة - المصدر السابق . ص ١٤٠ وما بعدها .

والمجموعة الثانية هي : بنى بشر وتقطن الطرف الغربى من المنطقة وذلك فى ٣٣ قرية ومن قراهم الهامة : آل خلف والعُسران التى يقطن فيها شيخ القبيلة ، وآل عبيدية ومثاب وآل درامة ، وسبت بنى بشر التى يوجد فيها السوق الاسبوعى للقبيلة (سوق بنى بشر) ، وشياع وزهرة والجهمة والدرب وآل مكر الشبرمة والمحافظ وآل عطيف .

وبالرغم من صغر المساحة التى تحتلها هذه المقاطعة حيث أنها تقل عن نصف مساحة سراة وادعة فإنه يعيش فيها نحو ٢٣٠٠٠ فرد ، يستوطن ٧٢ر٥٪ منهم ٨٥ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، الا أنها إجمالاً اكبر من قرى سراة وادعة ويغلب عليها الحجم المتوسط . إذ يبلغ معدل عدد أفراد القرية الواحدة ٢٢٢ فرداً ، وقد يهبط المعدل الى ٢١٠ اذا استثنينا البلدات . وبهذه الأرقام فإن متوسط عدد أفراد القرية يزيد بقدر ٢٠ر٥ مرة عنها فى بلاد وادعة . وهذا بدوره يلقي ضوءاً على إمكانات الموارد الانتاجية لإعاشة عدد أكبر من السكان فى القرى .

وقد اتخذت قرية البوطة لتكون قاعدة إدارية لبلاد عبيدة بمعناها الواسع أى قاعدة الامارة الفرعية وتعرف الآن باسم مدينة سراة عبيدة . وقد استفادت من هذه الميزة فتمت واتسعت حتى صار فيها نحو ١٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤م ، ثم استفادت اكثر فيما بعد بسبب مرور طريق الجنوب منها (طريق أبها - نجران) حيث تقع على بعد ٦٠ كم عن خميس مشيط ، ومن بناء عدد من المنشآت الحكومية : كمبنى الامارة ومستوصف ووحدة زراعية وبلدية وهيئة ومحكمة وبريد وشرطة ، والمباني السكنية الجديدة والمحلات التجارية من الاسمنت المسلح والطوب الأسمنتى . وقد اتسعت وتضاعف عدد سكانها وامتدت على طريق الجنوب بعد انشاء الشوارع الحديثة .

وقد تطورت قرية الحرجة أيضاً وأصبحت بلدة عامرة خاصة وأنها قاعدة قبيلة شريف وسنحان الحباب ، وتقع على طريق الجنوب أيضاً فى وسط المسافة بين سراة عبيدة وظهران الجنوب . وكانت على طريق القوافل من السابق ، كما كانت تمثل مركزاً تجارياً خاصة لتجارة البن . وقد ظهرت فيها المنشآت خاصة مدارس البنين والبنات وقد تقرر إنشاء مجمع قروى فيها ليشراف على تطورها وتطور القرى التابعة لها .

وباقى السكان ويبلغون نحو ٤٠٠٠ فرد فهم ما زالوا على البداوة وقد توزعوا فى اتجاهين الأول : بادية قحطان فى الشمال الشرقى من موقعهم فى السراة ، وتهامة قحطان

في الجنوب الغربى منه . ويستفيدون من وجود ٤٦ منهل ماء ، فيعيشون على تربية الحيوانات التى تشكل من الماعز والاغنام والجمال بالدرجة الأولى .

٤ - عالية وادى بيشة (سراة رُقيدة وشعف شهران) :

وتقع هذه المقاطعة في أقصى جنوب حوض وادى بيشة حيث تبدأ مجاريه العليا في منطقة السراة من خلف خط الشعاف الذى يتجه فيها من الشرق الى الغرب ثم ينحنى نحو الشمال الغربى . وتجتمع هذه المجارى في رافدين رئيسيين ؛ يجاور الأول عالية وادى تثليث في السراة (منطقة بنى بشر) ، وبالتالي يقع في شرق المقاطعة ويتجه نحو الشمال الغربى ، وتسكنه قبيلة رفيدة ، وكانت تسلكه طريق القوافل من خميس مشيط الى نجران وقد سلكته طريق الجنوب « المزفلت » . ويقع الرافد الثانى الى الغرب من السابق ويتجه نحو الشمال الى أن يلتقى مع الرافد الأول في جنوب خميس مشيط ، وتسكنه فروع من قبيلة شهران . وتقرب مساحة الحوضين مايعادل مساحة سراة عبيدة (١٤٦٠ كم^٢) .

ونظرا لتعرج خط الشعاف وبروزه في هذه المنطقة على شكل زاوية تقدم رأسها نحو الغرب ، فاقتربت أكثر من غيرها من شاطئ البحر الأحمر حيث تبعد بمسافة ٨٠ كم (كخط مستقيم) عن ساحل عتود . وأشرفت على تهامة المنخفضة من ارتفاعات تفوق ارتفاعات المناطق الأخرى نسبيا (ارتفاع الشعف ٢٣٧٠ م) . وذلك عبر واديين عظيمي الحفر والامتداد هما وادى بيش ووادى عتود اللذان يتجهان اجمالا نحو الجنوب الغربى ؛ فقد كانت في وضع يتميز عن غيرها من مناطق السراة من ناحية مواجهتها للتأثيرات البحرية ، لاسيما الرياح الجنوبية الغربية والرياح الغربية التى تسود على هذه المنطقة ، خاصة في الصيف وتجلب اليها الرطوبة .

وقد عملت هذه الظروف على تلطيف مناخها واعتداله وزيادة رطوبة الجو وغزارة الأمطار حيث عدت هذه المنطقة من أكثر مناطق المملكة أمطارا ، اذ بلغت معدلاتها في تمية ٤٤٤ ملم ، وفي الشعف ٤٧٥ ملم .

وقد تأثرت العمليات الحيوية بهذا المناخ فظهرت الاشجار الدائمة الخضرة بكثافة كبيرة تفوق ما شاهدناه في كل القطاع الجنوبي من السراة حتى الحدود مع اليمن . وتحولت هذه الأشجار الى غابات حقيقية في بعض المناطق مثل « غابة تمية » وغابة القرعاء اللتين تتكونان بالدرجة الأولى من أشجار العرعر . لكنها تقل في السفوح الداخلية الأقل رطوبة وتكثر بدلا منها الأكاسيات والسدر والعنبر وغيرها . وظهر فيما

بين الأشجار وفي خارج الغابات بساط غنى من الأعشاب الفصلية كان لها الفضل في تغذية قطعان واسعة من الماشية سواء من قبل الريفيين أو البدو .

وقد ساعدت هذه الظروف أيضا على تحويل مساحات كبيرة من السفوح العليا الى مدرجات جبلية خضعت لزراعة الحبوب اعتمادا على الأمطار . وتحويل مساحات اخرى من مصاطب الوديان الى الزراعة المروية من آبار محفورة في طميا ، وتخصصت بزراعة الحبوب أيضا خاصة القمح والشعير والذرة . وقد تفوقت هذه المناطق المروعة في مساحاتها على نظيرتها في السراة الى الجنوب من هذا الموقع وحتى الحدود مع اليمن . وقد بدأ المزارعون بالاعتناء بزراعة الخضروات والفواكه بعد أن زاد الطلب عليها خاصة في خميس مشيط وأبها ، وتحسنت طرق المواصلات اليهما . وقد استمر اهتمام المزارعين بتربية الحيوانات داخل المزارع رغم التحول التدريجي نحو استعمال الآلات .

وتفسر هذه الاختلافات تميز هذه المنطقة عن المناطق السابقة لها بعظم الاستقرار البشرى وارتفاع الكثافة البشرية . فبالرغم من أن مساحة هذه المقاطعة لاتزيد عن مساحة بلاد عبيدة ، فقد عاش فيها نحو ٣٦٠٠٠ نسمة ، معظمهم من الريفيين وهم مستقرون في قرى زراعية مختلفة الحجم والأهمية .

وتتكون هذه المقاطعة من إمارتين فرعيتين تتبعان إمارة عسير ، وتضم كل وحدة إدارية منهما فروعا من قبائل مختلفة ولو أنها تشترك في حوض نفس الوادى . الوحدة الأولى هي : أحد رفيدة . ورفيدة هي فرع من قحطان وتسكن الجزء الشرق من هذه المقاطعة ، والوحدة الثانية هي : شعف شهران وأهلها فرع من قبيلة شهران وتسكن مناطق الشعاف الغربية ومن ذلك اكتسبت اسمها . وتختلف مساكن قحطان عن مساكن شهران حيث تتميز الأولى بأنها على شكل قصور عالية طينية بينها الحجر الرقيق .

يبلغ عدد أفراد أحد رفيدة أكثر من ٢٥٠٠٠ نسمة يعيش ٧٨٪ منهم في ٨٢ قرية مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها الحجم المتوسط والكبير . اذ بلغ معدل عدد افراد القرية ٢٣٥ فردا للقرية الواحدة . ويحتفظ أفراد رفيدة بعلاقاتهم القبلية ، اذ أنهم يتوزعون في القرى حسب الانفاذ بحيث يملك كل فخذ عددا من القرى المتجاورة ، كأن تكون في واد صغير أو أكثر وهي (١) :

(١) انظر فؤاد حمزة . المصدر السابق . ص ١٠٠ - ١٠٣ .

- ١ — فخذ الخاف ويملكون خمس عشرة قرية منها آل عامر والقرن والسبارين .
٢ — فخذ آل الجمل ويملكون سبع قرى منها الصفراء وتقع الى الشمال من السابقة .
٣ — فخذ وقشة ويملكون اثنتى عشرة قرية وتقع شمال عقبة مبسوطة منها مبسوطة والعيص .

٤ — فخذ قيس ويملكون خمس قرى تقع فى الجزء الشمالى المجاور لمنطقة خميس مشيط منها الدرب والربة .

- ٥ — فخذ مستير ويملكون ثلاث قرى .
٦ — فخذ ذعبي ويملكون تسع قرى منها الكامل وآل سالم .
٧ — فخذ جارمة وخطاب ويملكان سبع عشرة قرية فى شعاف جارمة وخطاب ، التى تقع فيما بين سراة عبيدة وأحد رفيدة بجوار حدود بنى بشر منها آل زهير والدريين .

ويتبع رفيدة نحو ٥٦٠٠ من البدو الرحل يعيشون فى الجزء الشمالى من المنطقة حيث تقل الأمطار ويتعذر قيام زراعة مستقرة . ولكن هذا العدد الكبير من البدو يدل على غنى هذه المنطقة بالأعشاب سواء فى الوديان أو فى السفوح . ويتجمع هذا العدد من البدو فى الفصول الجافة حول عشرة مناهل مائية حفرت فى رسوبيات الوديان الطموية .

وأكبر قرى رفيدة قرية الكامل التى اتخذت منذ وقت مبكر قاعدة لإمارة فرعية ، وتمتع من السابق بموقع يعتبر عقدة مواصلات على طريق القوافل المتجهة الى الجنوب ، وفيها سوق اسبوعى يعقد كل يوم أحد . ونظرا لأهمية هذا السوق فقد طغى يومه على اسم القرية فعرفت باسم « أحد رفيدة » كما عرفت الإمارة أيضا بنفس الاسم . وقد انتعشت بلدة أحد رفيدة مؤخرا بسرعة عندما مرت طريق الجنوب (أبها - نجران) منها ، وبسبب قربها من مدينة الفيصل فأتجه اليها عدد من أسر الموظفين للسكن فيها . فبنيت فيها الشوارع وظهرت فيها بعض المباني الاسمنتية وشيد عدد من الدوائر الحكومية وبعض المشاريع الأهلية ، فاختلطت البيوت الاسمنتية بالبيوت الطينية ذات الرقف . فتوسعت باتجاه الطريق العام وتضاعف عدد سكانها ، وكانوا نحو ٩٠٠ فرد فى سنة ١٩٧٤ م . ومن قرى رفيدة : القرعاء والمضيق وآل داحس على حدود بنى بشر والوادي الأبيض .

ويبلغ عدد أفراد إمارة شعف شهران نحو ١١٠٠٠ فرد يعيش ٧٠٪ منهم في ٤٠ قرية منتشرة على السفوح الجبلية وفي عالية الوديان في مناطق الشعاف، تعتمد حياتها على انتاج الارض من الزراعة والحيوانات. ولا يزال باقي سكانها على حالة البداوة، ولكن في منطقة تهامة الى الجنوب الغربى من الشعف، ويتصلون ببعضهم عن طريق العقبات. ويجمع البدو في أوقات الجفاف حول ٤٤ منهل ماء.

ومن أشهر مناطق الشعف تمنية التي تقع عند زاوية انحناء خط الشعاف (أى جرف السراة الرئيسى)، وهى نجد عظيم يرتفع ٢٢٩٠ م عن سطح البحر تحيط به ذرى ترتفع نحو ٢٠، ٣٠ م عن سطح النجد. وهو على شكل مستطيل تبلغ أبعاده ٨ كم ٢٥ كم تقريبا ينتهى طرفه الجنوبي الغربى بعقبتي وادى ركان والردوم اللتين تشقان جرفا سحيقا يبلغ عمقه ٤٠٠ م، ٥٠٠ م، تحده من الجنوب الشرقى حزون غنية بالأشجار، ومن الشمال الغربى أكام جرداء، وتحف به وبالعقبات والسفوح الغربية غابة كثيفة من الأشجار. ويمتد بامتداد النجد خمس قرى هى آل عمان وآل ينفع، والمعلى والقرن والقاع، وتبعد الواحدة عن الأخرى قدر ١ ١/٢ كم وهى عامرة بالمزارع التى تعتمد فى الرى على آبار قديمة محفورة فى الصخور الرملية. وينتهى النجد فى جهة الشمال الشرقى بمضيق الصفراء على شكل عقبة، والذى ينتهى الى صفراء ريفية اليمن (١).

ومن القرى الاخرى والقرية من تمنية سوق الاثنين والمسكى والقرعاء. وقرى آل يزيد وقرى آل الحارث وقرى آل جابر. ومن المنتظر تحويل هذه المناطق الى أماكن تصريف فى إمارة عسير نظرا لما تتمتع به من خصائص فريدة. وقد تم توصيل شبكة من الطرق إليها وينتظر توسيع هذه الشبكة أكثر، لاسيما وأنها لا تبعد عن خميس مشيط أكثر من ٣٥-٤٠ كم. وقد وصل خط «مزفلة» الى قرية القرعاء فى وقت مبكر، يصل الى طرف غابة القرعاء، ويوجد فيها على حافة الشفا قصر قديم مهجور والقرب منه مهبط للطائرات العمودية. وقد جرى تمديد فرع لهذه الطريق الى تمنية فى الجنوب.

٥ - منطقة أبها وخميس مشيط:

وهى أهم منطقة فى جنوب غرب المملكة وبمناخ القلب لإقليم عسير، وتمتد على شكل مستطيل يبلغ عرضه شرق - غرب من ٤٠-٥٠ كم وذلك من خط الشعاف

(١) شفيق كمال. بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال. مجلة العرب الجزء ٩ السنة ١٩٧٢. ص

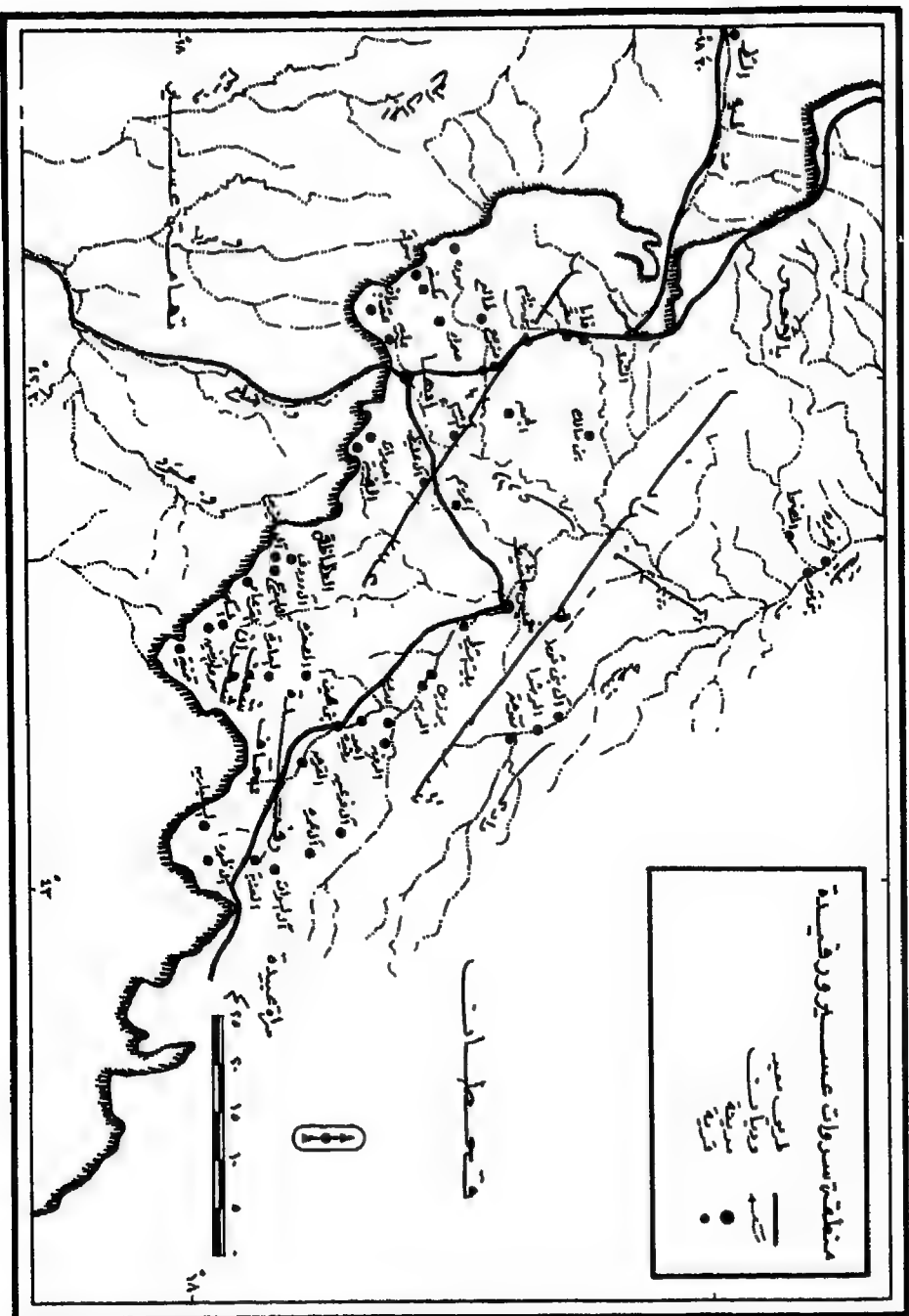
الذى يشرف على ادى عتود ووادى حلى غربا حتى شرق حوض وادى بيشة ، ويبلغ طوله جنوب -شمال من ٤٠- ٥٠ كم فيما بين شعف شهران ورفيدة جنوبا الى بلاد بالحرر شمالا ، وتبلغ مساحتها حسب هذا التحديد نحو ١٨٠٠ كم ٢ .

وتحتل الجزء الأكبر من بلاد قبيلة عسير الأصلية ، وما كان يطلق عليه سابقا اسم « سراة عنز » ، وقسما من بلاد قبيلة شهران . إذ كان يعيش أفراد قبيلة عسير فى الأصل فى القرى المنتشرة فى منقلب السراة اعتبارا من خط الشعاف باتجاه الشرق ، وذلك فى المجارى العليا لقسم من روافد وادى بيشة . وكان يعيش أفراد قبيلة شهران فى حوض وادى بيشة فيما يلى الروافد العليا فى السراة والتي يعيش فيها أفراد قبيلة رفيدة من جهة الجنوب وقبيلة عسير من جهة الغرب . وتحد بلادهم كذلك من الجنوب الشرقى ومن الشرق قبيلة قحطان ومن الشمال قسم آخر من قبيلة شهران .

ويتصف خط الشعاف فى هذه المنطقة أيضا بالتعرج ، ويبرز على شكل زاوية ثانية يتجه رأسها الى الغرب ، تاركة الى الجنوب منها ما يشبه الفجوة بين البروزين توهم بأنها نتجت عن حفر حافة الانهدام بفضل النحت المتراجع لمجارى وادى عتود العليا . ويتصف هذا الخط بالإضافة الى ذلك بالارتفاع الكبير عن مستوى سطح البحر لاسيما فى مناطق البروز حتى استأثر بأعلى قمم المملكة (جبل السودة ٣١٣٣ م) ، (شكل ٣٩) .

نشأت المنطقة فى الأصل نتيجة الانهدام الكبير بحيث تحولت الى هضبة عالية جدا تميل بشكل عام ابتداء من أعلى الانهدام فى الغرب من ارتفاعات تتراوح بين ٢٣٠٠ - ٣٠٠٠ م عن مستوى سطح البحر . وكانت عوامل التعرية تنشط أكثر وأكثر كلما زاد الارتفاع ، وكانت سببا فى وجود عقبات شديدة الانحدار من جهة الغرب ، كما كانت سببا فى وجود شبكة كثيفة من المجارى العليا على سطح الهضبة تسير مع اتجاه ميل السطح نحو الداخل لتصب فى وادى بيشة وتشكل جزءا من حوضه .

وقد ساهمت هذه الظروف فى جعل المنطقة تتمتع بوضع متميز يشبه منطقتي الشعف ورفيدة فى الجنوب ، إن لم تكن فى وضع متميز عنهما . وتمثل الأفضلية فى اعتدال الحرارة فى مساحة واسعة يبلغ عرضها بضعة عشر كيلومترا ، تفوق مساحة الشريط المعتدل من رفيدة والشعف فى الجنوب . وتوزعت الأمطار الغزيرة نسبيا على هذه المساحة الواسعة أيضا ، ولم تقتصر على شريط ضيق فى مناطق الشعاف . فقد بلغت



معدلات الأمطار السنوية في السودة على سبيل المثال ٥٢٧ ملم ، وفي علكم الواقعة الى الشمال منها ٤٤٨ ملم ، وفي أبها الى الشرق حيث يقل الارتفاع الى ٢١٠٠ م ٣٨١ ملم . ولكن هذه الأمطار تقل أكثر في الجهة الشرقية من المنطقة ، فتبلغ ١٩٤ ملم في خميس مشيط في شرق أبها ، و ٢٨١ ملم في زهرة ، و ٢٢٠ ملم في بنى مالك (عسير) الواقعتين الى الشمال من أبها ، و ١٨٤ ملم في تندحة الى الشرق من الخميس .

ونظرا لأن أمطار عسير موزعة على جميع فصول السنة ، ولو أن أكثرها يسقط في الصيف والربيع ، واتصاف الاقليم بسيطرة الرطوبة النسبية العالية ، مما يؤدي الى كثرة تشكل الضباب والندى التي تساهم في التساقط غير المنظور ، والذي يضاف تأثيره الى الأمطار ؛ تهيأت الظروف لزيادة الطاقة الإنبائية ، وكانت جبال عسير واحدة من أكثر مناطق المملكة بالاشجار الدائمة الخضرة ، والتي تسود فيها أشجار العرعر . وتكثر في بعض المساحات مشكلة غابات حقيقية مثل غابة السودة مما حدا بالمسؤولين للتفكير في تنميتها وإنشاء قرى سياحية وتحويلها الى مناطق تصنيف للمملكة كلها . وقد اغتنت هذه المناطق الجبلية بالأعشاب التي كانت سببا في ازدهار الثروة الحيوانية ، حتى صارت المنطقة أغنى مناطق المملكة بالابقار والأغنام والماعز ، وتكاد تكون المنطقة الوحيدة في المملكة التي ترى فيها الأبقار في المراعى دون أن يقدم لها الأعلاف .

وقد استطاع مستوطنو هذه المناطق الجبلية منذ القدم تحويل السفوح العليا الى مدرجات جبلية فزرعت الحبوب خاصة القمح والشعير والذرة اعتمادا على ماء المطر . واستقروا حولها فأنشأوا القرى الزراعية الصغيرة ، وعاشوا في بيوت حصينة كالقلاع ، نجدها مبعثرة في وسط الحقول طلبا للحماية والأمان .

أما السفوح الأبعد نحو الشرق والتي لاتحظى بالامطار أو الرطوبة بقدر ما تحظى به المناطق السابقة ، فقد تناقصت فيها كثافة الأشجار وصغر حجمها وتغيرت أنواعها ، فاختفت أشجار العرعر والعم ، وكثرت الأشجار نصف الشوكية كالأكاسيات : الطلح والسلم والسمر ، وكالسدر والشث وغيرها في الوديان ، وتضاءلت أهمية الأعشاب أيضا في هذا الجزء من الهضبة .

وبالمقابل فقد استقبلت وديان هذا الجزء - نظرا لطبوغرافيته واتجاه ميل السطح نحوه - كمية أكبر من المياه ، خاصة في أوقات الفيضانات وهي كثيرة التردد ، وأنشأت

في مجاريها مصاطب رسوبية مختلفة السماكة تحول بعضها الى خزانات جيدة للمياه الجوفية وساهمت في زيادة رطوبة التربة . ولذلك تمكنت من إنبات الأشجار والأعشاب بكثافة مرتفعة مثل أشجار وادى محالة ووادى بيشة ذاته . ومن ناحية ثانية أمكن مستوطنو هذه الوديان من إقامة زراعات متفرقة اعتمادا على مياه الري من الآبار ، فنشأت القرى الزراعية على جوانب تلك الوديان . وتم مؤخرا إقامة سدود على بعضها لتجميع مياهها مثل سد أبها على وادى أبها ، وسد عشرين على وادى عشرين على بعد ١٠ كم في شمال أبها .

وثمة ميزة أخرى وهى أن استواء تضاريسها نسبيا حدا بالسكان الى تمرير طرق القوافل منها حينما تقتضى الظروف تجنب المناطق الجبلية الوعرة فتحولت بعض مواقع الاستقرار فيها الى محطات قوافل هامة مثل خميس مشيط وتندحة .

وبالاجمال فان منطقة أبها وخميس مشيط من أكثر مناطق المملكة كثافة بالسكان بسبب غناها بالمواد الأرضية . اذ يزيد عدد سكانها بالتقدير عن ١٨٠ الف نسمة ، وقد كانوا ١٣٣.٠٠٠ في سنة ١٩٧٤م اى نحو خمس عدد سكان إمارة منطقة عسير على اتساعها وصغر مساحة الأولى ، وتحوى أهم مدينتين فيها ، بل وأهم تجمع بشرى في اقليم جنوب غرب المملكة بكاملة .

وبناء على بعض الظروف البشرية ، وبالتالى الإدارية ، يمكن أن نقسمها الى منطقتين متميزتين : الأولى منطقة أبها وتقع في القسم الاكثر ارتفاعا في الغرب وتسكنها قبيلة عسير وأحلافها ، والثانية منطقة خميس مشيط وتقع في القسم الأقل ارتفاعا في الشرق وتسكنها بعض فروع شهران .

أ — القسم الغربى : يبلغ عدد أفراد القسم الغربى نحو ٨٥ الف نسمة وكانوا ٦١٣٣٠ نسمة في سنة ١٩٧٤م . كان مايقرب من نصف هذا العدد يعيش في مدينة أبها وحدها ، وانتشر نحو ٢٤١٠٠ فرد في ٤١٣ قرية معظمها من القرى الصغيرة الحجم ، وهذا ماينتصف به قرى السفوح العليا التى تعتمد في حياتها على الزراعة المطرية وتربية الحيوانات ، إذ لم يتجاوز معدل عدد أفرادها ٥٨ فردا للقرية الواحدة . وعاش بين ظهرانهم عدد كبير من البدو يبلغ عددهم نحو ٧٢٠٠ فرد يستفيدون من تربية حيواناتهم على الاعشاب الغنية في المنطقة . ومع ذلك يعتقد أن معظمهم يعيشون في مناطق تهامة التابعة لمنطقة أبها رغم أنه لم يرد ما يؤكد ذلك في إحصاء السكان أو في النشرات التى تفسره .

يضم حلف قبيلة عسير-بطنين ينسبان الى أسلم الأزدي ويلتحق بهما فرق من شهران وقحطان متحالفين معهم منذ زمن بعيد . ويعايش هؤلاء وأولئك بعض الجماعات التي تعتبر دون أفراد العشائر في المركز الاجتماعي يقومون بالاعمال التي يترفع عن القيام بها أفراد العشائر أنفسهم ، رغم تشابه الفئتين من حيث الغنى والدخل الاقتصادي وطرز المعيشة وما الى ذلك . ولا ينظر لأفراد الفئة الثانية على أنهم على شاكلة واحدة بل على أنهم طبقات أيضا ، فيحتل ادنى هذا السلم الطبقي فئة الغجر ، رغم أن قسما من الغجر يعملون بالحرف المفيدة ؛ كالصناعات الجلدية اى الخرازة وصنع الجعب والسروج ، أو الحدادة أو الحياكة أو الخياطة .. ويعمل قسم آخر منهم في الخدمة .

يتوزع الريفيون في القرى حسب بطون الحلف ، فيكاد كل بطن من بطون عسير يستقل في وديانه وقراه عن البطون الأخرى . ومن قرى عسير ما لها شهرة خاصة بسبب اتخاذها مركزا إداريا في وقت من الأوقات : مثل طيب التي كانت مركزا لحكم ريفية وريعة ، والسقا التي كانت مركزا لحكم آل يزيد ، وريدة التي كانت مركزا لحكم آل عايض ، وحرملة بلدة آل عايض ، وأبها المركز الإداري خلال العهد العثماني ومابعده . ويمكن توزيع قرى قبيلة عسير حسب بطونها على النحو التالي(١) :

١ — قرى بنو مغيد : وبنو مغيد أكثر البطون عددا ، ومنه رؤوس القبيلة منذ احتلال العثمانيين للولاية . ويتكون من أربعة أفخاذ تختلط قراها مع قرى البطون الأخرى ، ولو أنها تتمركز في وادي أبها وفي الجنوب الشرق منه حيث توجد شعاف آل يزيد والردوم ويبلغ عددها نحو ٤٠ قرية تعتبر أبها قاعدة لها من أهمها : الحصن ، وجوحان وقاعدة ، والعرين ، والنصب ، والعتربان ، والسحرة ، وآل عكاش ، والشبارقة ، والقوزة وآل مفرح ، وآل سكران ، وقرى شعف آل يزيد ، وحرملة ، وريدة ، وعثمة .

٢ — قرى علكم (من عسير) ويتكون من ست أفخاذ يعيشون في نحو ٢٥ قرية تقع في جنوب شرق أبها وفي شمالها الغربى منها : العين ، آل طرفة ، العطف ، القصير ، قرى وادى البيح ، قرى وادى الطالع ، السوداء ، السوق ، الذيبة ، الباطنة ، عضاضة . ويتبع علكم أربع قرى في تهامة .

(١) فؤاد حمزة - المصدر السابق ، ص ١١٩ - ١٢٤ .

٣ — قرى ربيعة (من عسير) ، وتتكون ربيعة من أربعة أفخاذ يعيشون في نحو إحدى عشرة قرية أهمها : المسقوى ، مصاولى ، النجمة ، الزهر ، زنبه ، الزهرة ، الرمدة ، الدغل .

٤ — قرى رُفيدة (من عسير) : وتتكون رُفيدة من خمس أفخاذ ، كانت تشكل مع ربيعة بطنا واحدا ، ويعيشون في اثنتى عشرة قرية منها ططب التي كانت مركزا للإمارة في الماضي . ومن أهم قراها الاخرى : آل سعلى ، آل محمود ، آل مجمل ، العطف ، الطلحة ، آل بجاد . ويتبع رُفيدة ثمانى قرى في تهامة .

٥ — قرى بنو مالك من عسير . وتتكون بنو مالك من ثمانى أفخاذ يسكنون في شمال أبها ويعيشون في نحو ٤٠ قرية من أهمها : حجلة والغليص ولعصان وآل جرجر والعطف والمجزعة والجنفور والعين والحالة واللصبة وشوخط والقعوة وآل الشلفا وصعبان وسوق السبت والملاحة والفية وحياد والعطفان والعطفة وقرين .

يبنى القرويون في عسير بيوتهم من الطين والحجارة ، وتكون المنازل متصلة بينها أزقة ضيقة بحيث تظهر القرية بمجموعها وكأنها قلعة قائمة بذاتها . وتتكون المنازل من طابقين أو ثلاثة تطل من الداخل بالجير (بالنورة) ، ويرز من الجدر الخارجية المصنوعة من الطين صفوف من الحجارة الرقيقة (الرقف) لحماية الجدر من الأمطار (صورة رقم (١) .

كانت عاصمة عسير في الماضي البعيد « مدينة جُرش » الدارسة ، وتقع عند تقاطع خطى عرض ١٥ - ١٨ ° ش ، وطول ٤٣ ° ، وذلك على بعد ٤٤ كم في جنوب شرق أبها ، وعلى بعد ١٥ كم في جنوب شرق خميس مشيط ، وبعد ٥ كم في شمال أحد رُفيدة (١) . غير أن عاصمة عسير الحالية وأهم مدنها هي مدينة أبها :

مدينة أبها :

وتتميز بأنها أكثر مدن المملكة ارتفاعا عن سطح البحر ، واعتدالا في طقسها وجمالا في منظرها ، ومن أكثرها تحولا وتطورا ونموا . كانت أبها قاعدة لحكم آل عايض فترة ، وكذلك مركزا لمتصرفية عسير زمن حكم العثمانيين ، وصارت مقرا لإمارة عسير في العهد السعودي حسب النظام الإدارى القديم منذ عهد الملك عبد العزيز ، واستمرت

(١) سعد بن عياش ، مدينة جرش الأثرية ، مجلة العرب ، حـ ٤ ، السنة ٦ ، ص ٢٤١ .

مقرا لإمارة عسير حسب النظام الإداري الحالي حيث تمددت حدودها الإدارية شمالا بشرق فضمت جميع المناطق التابعة لبيشة وتثليث .

وأبها في الأصل مدينة سوق من الأسواق المشهورة في السراة ، كان يعقد يوم الثلاثاء من كل اسبوع في ساحة متوسطة بين مجموعة قرى الوادى التى تألفت منها المدينة بعد أن تحولت الى أحياء . وتقع في وادى أبها المنحدر من خلف شعاف عتربان وجنوب السوداء ويسير داخل أراضي قبيلة بنى مغيد .

كان اسم أبها التى يقع فيها السوق « مناظر » . ومناظر حلّة من حالات المدينة بعد توسعها الحالي ، وبعد أن شملت قرى أخرى لم تكن منها وهى مرتبة من جهة عالية الوادى باتجاه سافلتة : مقابل وتقع على الجانب الغربى للوادى بعد موقع السد الحالي ، وكان فيها مسكن المتصرف العثماني ، النصب ، الخشع ، البديع ، مناظر ، شذا وفيها قصر ابن عايش وقصر الحكومة الذى اقيم على انقاض الثكنة العسكرية ، والربوع وكان فيها سوق يعقد يوم الأربعاء ، ونعمان ، والقرى ، والمفتاحة .

ازدهرت أبها زمن العثمانيين بسبب كونها مركزا للحكم في السراة ومقرا للفرقة العسكرية ، ولكنها منيت بنكبات كثيرة ألحقت بها أفدح الاضرار وأخرتها الى الوراء . ثم بدأت بالانتعاش من جديد بسبب استتباب الأمن واستقرار الحكم حتى بلغ عدد سكانها بعد الحكم السعودى نحو ١٥٠٠٠ نسمة وذلك إبان اتخاذها قاعدة للأعمال العسكرية ، غير أنهم تراجعوا الى ثمانية آلاف بعد أن انتهت تلك الأعمال . ثم بدأت بالتطور التدريجى والتوسع الحثيث كصدى لحركة تطور ونمو مدن المملكة في العهد الحالي حتى قدر عدد سكانها في سنة ١٩٧٠م بـ ١٧٥٠٠ نسمة ، وبلغ حسب تعداد ١٩٧٤م ٣٠٣٥٤ نسمة . وقد زاد بعدها زيادة هائلة حتى يقدر أنه قد بلغ الضعف الآن .

بنى العثمانيون سلسلة من القلاع على رؤوس الجبال في منطقة أبها ووصلوا بينها بأبراج للمراقبة وأصبحت من أمنع المدن ومن أشهرها : قلعة ضلع وتشرف عليها وعلى وادى ضلع وتتحكم في العقبة الصاعدة من تهامة ، وقلعة ذرة وتقع على رأس جبل في الشمال الشرقى من السابق ، وقلعة شميمسان وتقع في شمال أبها وتتحكم في الطريق الشمالى القادم من عقبتى شعار أو الصماء . وبنوا كذلك سلسلة من الخافر على رؤوس التلال بين القلاع لحراسة الطرق الموصلة الى أبها ، وللدفاع عن القلاع مثل مخفر جبل أبوخيال بين قلعتى ضلع وذرة ، ووصلوا بين أبها والقلاع بطرق متعرجة في أعلى الجبال وجعلوها مزدوجة للذهاب والإياب .



(صورة ٧١)

القديم والحديث جنباً الى جنب في موقع قريب من مبنى إمارة عسير في مدينة أبها : الأول بنى من أحدث المصانع من الطراز الحديث ، والثاني بنى من الحجر والطين على الطراز القديم الذى يبرز فيه (الرقف) الذى يحمى البيت من الأمطار



(صورة ٧٢)

بني على وادى الحصى لجميع الناس في عالية مدينة قبا ، ومن ثم يعاجله ويربده بالأنابيب على الصخور

كان يستقى أهل أبها من الآبار المحفورة في الوادى ، ثم أقيم السد على الوادى لتجميع المياه وتوزيعها بالانابيب لاستعمالها في الشرب في المدينة وفي عدد من قراها (صورة ١٢) . وقد تطورت أبها فأنشأت فيها الشوارع الحديثة المرصوفة والمشجرة وذات الأرصفة ، وشيدت المباني الاسمنتية العالية والأسواق المتخصصة والمحال التجارية الضخمة ، وظهرت الفنادق والمصارف والمؤسسات والمباني الحكومية . وكان أكبر توسع لأبها باتجاه خميس مشيط حيث نشأت المحطة الرئيسية لشركة كهرباء الجنوب ، وبنيت كليات جامعة الملك سعود وعدد كبير من المؤسسات ووكالات الشركات الأجنبية في هذا الاتجاه .

ب - القسم الشرقى ويبلغ عدد أفرادہ نحو ١٠٠.٠٠٠ نسمة وكانوا ٧٢ ألفا في سنة ١٩٧٤م ، غير أن أكثر من ثلثي هذا العدد تواجدوا في مدينة خميس مشيط التي تطورت وأصبحت أكبر مدينة في منطقة جنوب غرب المملكة كلها . وكان باقى السكان ريفيين عاشوا في قرى تعتمد في حياتها على إنتاجها من الحبوب خاصة القمح لدرجة أن وادى بيشة سمي في هذا القطاع وحتى عاليته باسم « بيشة القمح » تميزا له عن القطاع التالى باتجاه سافلتة والذي سمي « بيشة النخل » . ويزرع القرويون كذلك الشعير والذرة بأنواعهما والدخن وغيرها ، وتوسعوا بزراعة الخضروات والفواكه .

كانت حياة الإيفيين بسيطة بدائية ، ينتجون ما يحتاجون اليه من مواد غذائية من الحاصلات الزراعية أو الحيوانات ، ويتجمعون في قرى عرفت في الغالب بأسماء ساكنيها ، شأن معظم قرى إقليم جنوب غرب المملكة مثل قرية آل حارث وقرية آل منصور وقرية آل بنى ثور . وتتكون أكثر القرى من بيوت واطقة متواضعة ضيقة .

وقد اعتنى القرويون كثيرا ببناء بيوتهم لأسباب أمنية . ولذلك سميت البيوت قصورا أو حصونا . وهى محصنة فعلا ، وتتكون من جدر مرتفعة تحيط بساحة واسعة من الأرض اقيمت في اطرافها أبراج عالية لولبية ، وأخرى مربعة هرمية الشكل تضيق كلما ارتفعت الطبقات ، الى أن تنتهى بحرف علوى مسنن لها نوافذ ضيقة لا تتسع لمروء شخص متوسط الحجم . ويتكون القصر من طابقين أو ثلاثة ونادرا من أربعة . ويبنى من اللبن الجفف ، ويسقف بخشب الأثل ، وتبنى درجات سلم القصر متسعة في أسفله ، تضيق كلما ارتفعت وضائق مساحة البناء .

كان يهتم سكان القرى بزينة المنازل من الداخل ، فتلون الجدران وأرضية الغرف

وادراج السلم بالاصباغ النباتية ، وأكثر الألوان انتشارا الأخضر الذى يؤخذ من عصارة
البرسيم . ومع ذلك لا تتبع الأبنية قاعدة هندسية منظمة ، وليست البيوت متشابهة من
حيث الشكل والبناء والحجم . وقد انتشرت بيوت الاسمنت والطوب الاسمنتى فيما بينها
واختلطت معها ، وأصبحت هى الطاغية فى مناطق التوسع .

بلغ عدد قرى منطقة خميس مشيط ١١٣ قرية تقع فى المصاطب الرسوبية الواقعة فى
وادي بيشة وروافده فى هذا القطاع ، وكذلك فى وادى تندحة على بعد (١٠ - ١٢
كم) الى الشرق من الخميس معتمدين فى حياتهم على الزراعة المروية من آبار محفورة فى
رسوبيات الجرى . ووادى تندحة من روافد وادى بيشة اليمنى ويبدأ من شمال رفيدة
ويسير فى طريق كثير التعاريج مسافة ٨٠ كم قبل أن يصب فى بيشة قرب غرياء ، وقد
نقص عدد القرى بالقياس الى القسم الغربى ، ولكن زاد عدد أفراد القرية الواحدة ، إذ
بلغ معددها ١٩٦ فردا للقرية الواحدة ، أى أكثر من ثلاثة أمثال معددها فى القسم
الغربى . وقد تواجدت هذه القرى فى قطاع من الجرى يبلغ طوله ٢٠ كم منها تندحة
والرشدا وآل بنى ثور .

مدينة خميس مشيط :

غير أن أهم تجمع بشرى فى هذه المنطقة هو مدينة خميس مشيط ، وقد تطورت من
قرية صغيرة قديمة ، كانت قابضة على الجانب الغربى لوادى بيشة على بعد نحو ٤٠ كم عن
عاليته فى بلاد رُفيدة والشَّعَف . ولذلك تمتعت القرية بموقع متوسط فى قطاع من عالية
الوادى ، فنشأت بعد أن يصب فيه عدد وافر من الروافد المنحدرة إليه من مناطق
السروات ، والتي تغذيه بكمية كبيرة من المياه ، وتُرسب فيه كميات من الطمى ،
فتحولت الرسوبيات الى خزان جوفى للمياه . وتهبأت الظروف أن تنشأ القرية فى وسط
منطقة غنية بالزراعة المروية ؛ فاتسعت وزاد عدد سكانها وانتشرت على جانبي الوادى
وتحولت الى بلدة صغيرة اتخذت قاعدة لقبيلة شهران التى تسكن قطاعا من الوادى .

واستفادت البلدة من طبوغرافية الأرض حيث وقعت فى متسع منفتح من الأرض
عند انتهاء السلاسل الجبلية وعلى مجرى الوادى ، فسهل الوصول اليها ، كما سهل اتصالها
بالمناطق الاخرى . فاخترتها القوافل القديمة لتكون محطة على الطرق وصارت عقدة
مواصلات رئيسية ، فدعيت البلدة باسم « الدَّرب » . وكانت تقع فعلا على مفترق
الدروب . وصارت سوقا من أهم الاسواق الاسبوعية فى المنطقة .

كان يعقد سوق الدرب صباح كل خميس في برحة متسعة مكشوفة ، تظلل جوانبها يوم السوق بالخيش ونحوه على أعواد . وكان الأكثرية ييسطون بضائعهم في العراء . ويخصص جانب من السوق لبيع الحطب والفحم وأعلاف الحيوانات ، وجانب آخر لبيع المواشى . وكان يشتهر بين الأسواق الأخرى بكثرة العارضين والمشتريين من الجنسين ، وكانت أكثر البضائع المعروضة من المواد الغذائية .

ويوم السوق هو يوم العيد الأسبوعى في المنطقة ، هو يوم المقاضاة والمحكمة وإبلاغ إعلانات الحكومة على الناس ، وهو يوم تنفيذ الأحكام وتأديب المجرمين وغير ذلك من الأعمال . ولما كانت الأسواق تنسب في العادة إلى القبيلة أو إلى أميرها ؛ نسبت الدرب إلى أمير شهران ، وهو ابن مشيط فسميت « سوق خميس ابن مشيط » ، ثم « خميس مشيط » للتخفيف .

ونظرا لهذه الميزات ، ولكون خميس مشيط تقع على حافة السراة ومنفذاً وبوابة لها ، وليست بعيدة عن حدود اليمن ، وعند ملتقى طريق هضبة عسير في الشرق وفي متسع من الأرض لاحتججها الجبال ، اتخذت منذ تأسيس المملكة وفتح عسير ، ومنذ أيام الحروب مع اليمن قبل نصف قرن مقراً للمعسكرات الحربية . وقد أنشئت فيما بعد على الحدود بينها وبين رفيدة المدينة العسكرية .

وفي الخمسينات من هذا القرن أنشئ مطار أبها إلى الجنوب من خميس مشيط فأصبحت البلدة البوابة الرئيسية للسراة فعلا . وفي أوائل السبعينات وصلها طريق الجنوب « المرفلت » (طريق الطائف - أبها - خميس مشيط - نجران) ، فأصبحت بوابة القسم الجنوبي من البلاد أيضا . ثم أنشئ مطار أبها الحديث فيما بين مدينتي أبها وخميس مشيط ، وإلى الجنوب من الطريق الموصل بينهما والذي يفوق الأولى في التجهيز والامكانيات .

اتسعت المدينة ونمت في وقت مبكر بالنسبة للإقليم الجنوبي فاحتلت المرتبة الأولى في الإقليم في المساحة وعدد السكان ، وسبقت أبها في هذا المجال وفي الفعاليات المدنية . فقامت البلدية بالاستعانة بالوزارة وبشركات التخطيط العاملة في المملكة على تنظيم المدينة ، فظهرت الشوارع الحديثة « المرفلت » ، ونشأت المباني الأسمتية المتعددة الطوابق والأسواق المتخصصة والأحياء المختلفة الاستعمال ، وكثرت المؤسسات الإنشائية الكبرى والفنادق والمصارف والمباني الحكومية والمدارس ومحلات تجارة الجملة ، وتميزت منطقة الأسواق المركزية ، والمنطقة الصناعية عن المناطق السكنية .

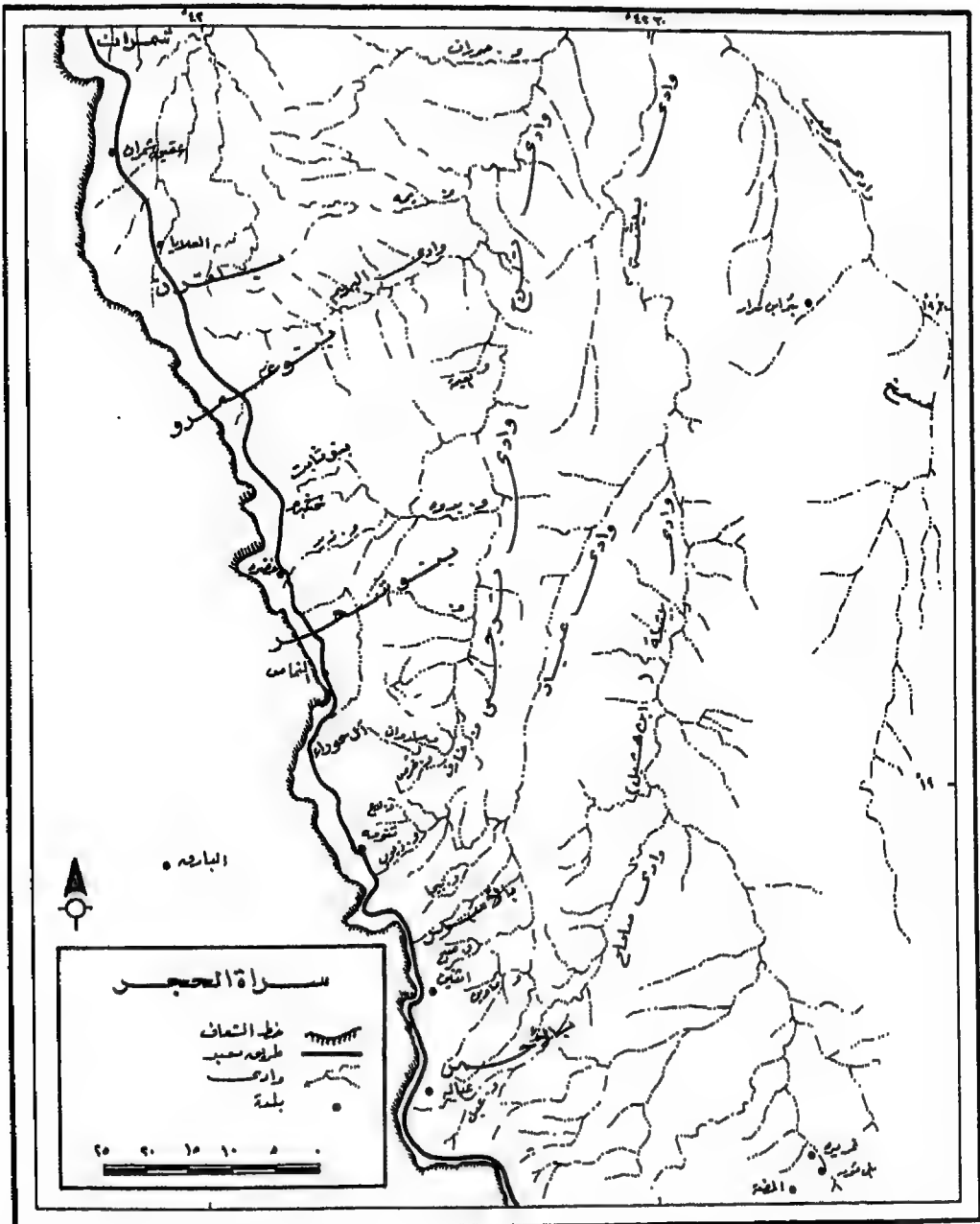
بلغ عدد سكان خميس مشيط ٥٠٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٧٤م ، فاحتلت المرتبة العاشرة في المملكة من حيث الحجم ، ومع ذلك فقد دخلت مرحلة جديدة تنصف بسرعة النمو والتطور بعد ذلك العام ، بحيث تضاعف عدد سكانها خلال هذه الفترة المحدودة وتوسعت باتجاه أبها خاصة بعد إنشاء المطار الجديد مثلما توسعت أبها باتجاهها . ونشأت محطة كهرباء الجنوب الرئيسية في موقع بينهما ، وتوسعت المؤسسات ووكالات الشركات الكبرى على هذا الخط حتى تكاد المدينتان تلتحمان بعضهما ببعض وتشكلان مجمعا مدنيا واحدا ، بعد أن كانا يبعدان عن بعضهما قدر ٣٠ كم .

٦ - سراة الحجر :

كان يطلق على البلاد الجبلية العالية التي يسكنها اليوم أفراد قبائل بالحمر وبالسمر وبنو شهر وبنو عمرو اسم « سراة الحجر » ، وتقع الى الشمال مباشرة من سراة عنز (أو سراة عسير) . وتبدأ من شمال عقبة شعار وبالقرب من خط عرض ٣٠° - ١٨° ش وحتى خط عرض ٣٠° - ١٩° ش تقريبا . وتنحصر بذلك بين بلاد عسير الواقعة في الجنوب وبلاد بلقرن وخثعم في الشمال ، وبين بلاد شهران في الشرق وبلاد قبائل محایل وبارق في تهامة غربا . وقد يضم إليها من جهة الشمال بلاد بلقرن وخثعم والتي تتبع إداريا إمارة بيشة فتتمدد لتصبح مجاورة لسراة غامد (سراة الباحة) عند خط عرض ٥٠° - ١٩° ش تقريبا ، فتصبح بالتالي في موقع متوسط بين سراة عسير وسراة الباحة .

وببلاد الحجر في الأصل جزء من السراة التي تبدأ غربا بحافة الشعاف (الجرف الانهدامي الذي يهبط كالحائط القائم باتجاه تهامة) ، والتي يزيد ارتفاعها عن ٢٢٠٠ م ، وتصل في منطقة النماص الى ٢٧٠٠ م . وتنحدر تدريجيا باتجاه الشرق والشمال الشرق ، فتنتظم جميع المجارى المائية خلف خط الشعاف في هذه الاتجاهات ، فتصرف مياه أمطار مناطق السراة وتلتقي مع بعضها البعض مشكلة ثلاثة روافد رئيسية في هذه المنطقة تصب جميعها بالتتالي في وادى بيشة قبل وصوله قلعة بيشة وهي : من الجنوب الى الشمال : وادى صلح وادى عياد وادى ترج (وعاليته ترجس وخارف وبدة والبهيم) . (شكل ٤٠) .

ولذلك فسراة الحجر تشبه باقي السروات من حيث ارتفاعها وتعقد تضاريسها ووعورتها ، واعتدال مناخها وقد تتفوق عليها من هذه النواحي ، فتستقبل سفوحها المواجهة للرياح الجنوبية الغربية والغربية الرطبة كميات من الأمطار قد تكون من أكثر



كميات الأمطار الساقطة في المملكة . فقد سجلت محطة النماص على سبيل المثال أرقاما مرتفعة كان معدلها السنوى : (٤٩٥ ملم) ، وارتفعت معدلات الرطوبة النسبية التى تسبب حدوث الضباب والندى .

وقد انعكست هذه الظروف في غنى هذه المناطق بالغطاء النباتى ، فانتشرت تجمعات الأشجار على مساحات واسعة من السفوح العليا ، وشكلت غابات حقيقية شبيهة بغابات عسير والباحة مثل : غابة بيهان وجبل الجعد فى بالحر ، وغابات الخضوة والجاضع وشعف اثنين وبنى منيح فى بالسمر ، وغابات جبلى حرفة والمطلي فى بنى عمرو ، وغابات السرو بمائل وشعف بنى التيم ومرير والعوامر فى بنى شهر ، وتتكون معظم أشجارها من العرعر ، وتتواجد أشجار الزيتون والبن والكادى والصفصاف والسدر كلما اتجهنا شرقا ، وتتكاثر فى الوديان أشجار الأكاسيات كالسلم والسمر والطلح ، وكذلك الشيخ والبرك والحناء والثالب والغرب . واعتنت باقى الأراضى بالأعشاب الحولية التى كانت عماد الحياة الحيوانية فى هذا الاقليم .

وقد حول مواطنو هذه المناطق الجبلية السفوح العليا الى مدرجات « ركبان » كما عمل إخوانهم سكان السروات الأخرى ، وأخضعوها للزراعة العثرية (على الأمطار) وانتجوا الحبوب بأنواعها خاصة القمح والشعير (فى الموسم الشتوى) والذرة والدخن والسيلان والسيال والبلسن (العدس) ، وزرعوا بعض الأشجار المثمرة كالغنب والمان والتين بنوعيه والخوخ والحبوب والبصل وبعض الاعلاف فى الموسم الصيفى . وعاشوا فى وسط الحقول فانشأوا القرى الصغيرة وظهرت القرى وكأنها مبعثرة فيما بين الحقول . وبقي بعضهم على حالة البداوة يستثمرون أعشابها الغنية للرعاية .

غير أن سكان هذه القرى المبعثرة وحتى بواديهما تجمع بينها وتوحيدها رابطة القرابة والنسب ، حيث نزل هذه المنطقة وحل بها منذ القدم أبناء حجر بن الهنوء بن الأزد من قحطان ، فتشبت كل فخذ أو فرع أو عشيرة فى حوض أو واد أو قطاع من أحد الوديان لم يبرحه . ومن هنا اطلق عليها جميعها اسم « سراة الحجر » . وقسمت المنطقة الى أربعة أقسام اطلق على كل قسم منها اسم أحد أبناء حجر بن الهنوء الأربعة .

يعيش فى هذه المناطق الواسعة التى تبلغ مساحتها بين ٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ كم^٢ ما يقرب من ٨٠٠٠٠ نسمة ، يستقر نحو ٧٠٪ منهم فى قرى مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها طابع القرى الصغيرة لكثرة قرى السفوح العليا . لذلك ارتفع عددها الى

مايزيد عن ٦٠٠ قرية ، يعتمد سكانها جميعا على الزراعة وعلى تربية الحيوانات في حياتهم ولذلك فإن المنطقة تستحق بجدارة وصفها بأنها منطقة ريفية . إذ لا يوجد فيها ولا مدينة حقيقية واحدة ، ولو أن كل مجموعة منها تتمحور حول إحدى القرى الكبيرة ، فتتخذ منها سوقا أسبوعيا لتبادل المنتجات . وقد نما بعضها وتطور بفعل السوق وتحسّن وسائل النقل من ناحية ، وبسبب اتخاذها مركزا إداريا مما اقتضى بناء عدد من المنشآت الحكومية لتشغلها الدوائر والمدارس ، وظهرت فيها بعض الخدمات ونشأت المباني الأسمتية بعد أن كان البناء يتم من الطين أو الحجارة المسقفة بالخشب ، وشقت فيها الشوارع « المزفلته » فتحولت الى بلدات تميزت عن باقي القرى .

ونظرا لضآلة مساحة الأراضي الزراعية نسبيا فقد استغل الفلاحون باقى الأراضي فى تربية الحيوانات بسبب غناها بالأعشاب . أما الأجزاء الشرقية والتي تندرج فيها الأراضي الصالحة للزراعة فقد استغلت من قبل الجماعات التي بقيت على حالة البداوة وذلك برعى حيواناتهم . وقد بلغ عددهم نحو ٢٠٠٠٠ نسمة أى مايقرب من ٣٠٪ من مجموع السكان . ومن المعروف أنهم يستقرون فى فصول الجفاف حول مناهل مائية معروفة فى أحواض وديان المنطقة .

وسنستعرض أقسام سراة الحجر فيما يلى :

أ — بلاد بالخمير : وتقع فى الطرف الجنوبى لسراة الحجر ، أى أنها أقرب أجزاء هذه السراة الى عسير ، وتقع فى حوضى وادى صلح وادى عياف من جهة العالية ، وهى من روافد وادى بيشة (ابن هشبل) . وتبدأ حدودها من عقبة شعار وشمال بلاد بنى مالك (من عسير) الى أن تتصل ببلاد قبيلة بالسمر شمالا . فتمتد مسافة ١٥ كم شمال جنوب من جهة الغرب غير أنها تمتد أكثر من ٢٥ كم فى الجهة الشرقية ولذلك فإنها تضم مساحة واسعة من البادية وتبلغ مساحة القضاء نحو ٨٠٠ كم ٢ .

اعتبرت بلاد بالأحمر إداريا كإمارة فرعية تتبع إمارة عسير ، واتخذت قرية حجدل القريبة من صبح لتكون قاعدة لها وتقع فى عالية وادى صبح . فاستحدث فيها عدد من الدوائر الحكومية ، وأنشئت فيها المدارس الابتدائية للبنين والبنات ، ومر بالقرب منها طريق الجنوب .

وتنتسب هذه القبيلة الى جدّها وهو^(١) أحمر بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان ابن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان . فسميت البلاد التي يسكنها بنوه باسمه ، أى « بنى الأحمر » ولكنها تنطق محليا بلفظ بالأحمر . ونظراً لانعزال سكان المناطق الجبلية وصعوبة وبطء اختلاطهم بالأقوام المجاورة لهم ، وجد أن كل مجموعة من قبائلها تلك تتصف بملاخ انثروبولوجية تميزهم عن مجاورهم من القبائل ؛ حتى ان سليمان شفيق كمالى لاحظ منذ مطلع هذا القرن « أن سحن أفراد قبيلة بالأحمر أقرب تشابها لسكان الجبال الهندية منهم للعرب »^(٢) .

يتوزع بنو الأحمر في وديان المنطقة سواء في قرى زراعية يغلب وجودها في الجهة الغربية أو في البادية التي تقع في شرق البلاد . وغالبا ما يتبع هذا التوزيع صلة القرابة ، فتكون القرية أو مجموعة القرى المتجاورة لأسرة أو عشيرة واحدة ، وتبنى من الحجارة بملاط طيني . وتقسم قبيلة بالأحمر في السراة الى ثلاثة أقسام هي : المجنب وآل محمد ونازلة . وينتمى اليهم سكان البادية شرقا كما أن لهم أتباعا في تهامة غربا مثل عسير وقحطان . ويتكون كل قسم من هذه الأقسام من أفخاذ وفروع ، ويستقر كل فخذ أو فرع في أحد الوديان أو بعضها أو عدد منها على النحو التالى : (٣)

١ - المَجْنَب : ويسكنون وادى صَلْحَلَح وأطراف وادى عيأ ويتكونون من :-

● بنو ثعلبة والخَلَّة وتسكن الأولى قريتين في سافلة وادى عَبل الذى يصب في وادى صَلْحَلَح ، وتسكن الثانية قريتي الخَلَّة والطَّرْفَة وتقعان في وادى الماوين الذى يصب في صَلْحَلَح أيضا بعد أن يلتقى بوادى عَبل .

● بنو سفار ويتكونون من ثلاثة أفخاذ هي : آل زيان ويعيشون في عدد من القرى تقع في الطرف الجنوبي لبلاد بالأحمر ، فيجاورون بلاد عسير . وآل لَصْلَع ويعيشون في خمس قرى تقع في السفوح العليا المشرفة على وادى عَبل . وآل قاسم ويعيشون في سبع قرى في عالية وادى عَبل .

(١) انظر عمر غرامة العمروى . المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية . الجزء الثالث بلاد رجال الحجر . دار النيابة للبحث والترجمة والنشر ص ٥٢ - ٥٥ .

(٢) سليمان كمالى باشا - بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمالى . مجلة العرب الجزء ١٠ السنة ٥ . حزيران ١٩٧١ م . ص ٩٠٨ .

(٣) عمر غرامة العمروى - نفس المصدر ونفس المكان .

● آل لَعْبَانْ ويعيشون فى ثمانى قرى فى وادى العيص ووادى لَعْبَانْ وهما رافدان صغيران يصبان فى وادى عَيَاء .

٢ — آل محمد : ويسكنون حوض وادى عَيَاء وينقسمون الى عشرين : الأولى وتتكون من فخذين هما آل صَدَامْ وآل مَعْلُوى والثانية المَآوِينَ :

● آل صدام وآل مَعْلُوى ويعيشان فى عشر قرى فى منطقة الشعاف وفى وادى آل صدام الذى يصب فى وادى بيحان أحد روافد وادى عَيَاء .

● المَآوِينَ وتعيش فى سبع قرى فى منطقة الشعاف التى تشرف على وادى الماوين وهو أحد روافد وادى صَلَحْلَحْ أى إلى الجنوب من موقع العشيرة السابقة ويجاورون بلاد المَجْنِب .

٣ — نَازِلَة وتسكن الوديان:صبح وآل حسين وآل عمر وهى من روافد وادى عَيَاء الجنوبية وتنقسم الى ثلاث عشائر هى :

● بنى بَجَاد ومنهم آل حسين الذين يعيشون فى وادى آل عمر القادم من ذيب . ويصب الوادى المتكون من التقاء الاثنين فى وادى عَيَاء . ويعيش قسم من بنى بجاد على حالة البداوة فى سافلة الوديان الى الشرق .

● البَهْشَة ولهم قرية بَهْوان بوادى بهوان الذى يصب فى وادى المَآوِينَ والواقع الى الجنوب من وادى صبح .

● بنو هشام ويعيشون فى ١٤ قرية تقع فى وادى صبح ووادى شَطْطَى بالاضافة الى قرية هَبْهبة الواقعة فى رأس جبل هَبْهبة المطل على تهامة والذى يبدأ منه وادى بِيحان .

تعتبر بلاد بِالْحَمَرِ بأكملها منطقة ريفية - كما سبق ذكره - إذ يعيش أفرادها إما فى قرى تعتمد على الانتاج الزراعى مثل قرى بلاد عسير وقحطان أو فى البادية . وقد بلغ عدد قراها ١١٧ قرية وبلغ عدد ساكنيها نحو ٧٥٠٠ فرد ، أى بمعدل ٦٥ فرداً للقرية الواحدة . فهى - كما هو واضح - قرى صغيرة ولا يوجد بينها مدينة صغيرة واحدة وقد اتخذت قرية جحدر ليقوم فيها سوق أسبوعى يعقد فى كل يوم أحد ، ثم اتخذت قاعدة إدارية للمنطقة فتحوّلت الى بلدة .

وقد عاش باقى سكان هذه الإمارة الفرعية والبالغ عددهم نحو ٤٣٠٠ فرد فى سافلة الوديان فى الجهة الشرقية من البلاد ، والتي لاتصلح للإنتاج الزراعى ، غير أنها غنية بنباتاتها وأعشابها وبمواردها المائية الباطنية والناجمة عن تسرب مياه الفيضان ، فاستغلت فى تربية الحيوانات وبقي سكانها على حالة البداوة ، واستفادوا من وجود ٣٩ منهل ماء يلجأون إليها فى فصل الجفاف .

ينتمى أفراد بادية بالحمر الى نفس الأفخاذ والعشائر التى ينتمى إليها الحضر فى القرى وهى : المَجْنَب وآل محمد ونازلة وفروعها المختلفة ويشكلون ما نسبته ٣٦٦٪ من مجموع سكان القضاء وهى - كما هو واضح - من أعلى نسب تواجد البدو فى المناطق الجبلية .

ويتبع بالحمر فريق آخر يسكن تهامة المنخفضة فى الغرب مثل سكان قرية فرشاط الواقعة فى آخر ما يمتد إليه بصر الواقف فى أعلى عقبة شعار الى جهة مجرى وادى طية على طريق محاليل .

ب - بلاد بالأسمر : وتقع فى جنوب بلاد الحجر ، ولكن الى الشمال مباشرة من بلاد بالحمر ، وتمتد فى إقليم السراة مسافة ٢٠ كم جنوب - شمال تقريبا ، وتصل حتى وادى سدوان عند حدود قضاء تنومة . أى أنها تحتل حوض وادى خارق وهو الرافد الجنوبي لوادى ترجس (عالية وادى ترج) وكذلك جزء من حوض وادى عيأ أيضا . وتبدأ فى الغرب من خط الشعاف الذى تنحدر من سفحه الغربى (حافة الجرف) بعض المجارى العليا لوادى حلى قبل أن تجتمع مع بعضها فى منطقة إصدار بالأسمر وينحدر سطح المنطقة من خلف خط الشعاف تدريجيا باتجاه الشمال الشرقى حيث تشغله أو تحفر فيه المجارى العليا لوادى خارف المشار إليه . ومن الجدير بالملاحظة ان بلاد بالأسمر تضيق مساحتها باتجاه الشرق حتى تنتهى على شكل رأس مثلث فلا تضم الا مساحة ضيقة من إقليم البادية . وإجمالا لاتصل مساحة البلاد نصف مساحة بالحمر .

وقبيلة بالأسمر وثيقة بقبيلة بالحمر حيث ان جدها هو أسمر^(١) بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان ، فهو أخو أحمر . وقد سميت البلاد التى يسكنها بنوه. باسمه أيضا أى « بنى الأسمر » وتنطق محليا باسم « بالأسمر » .

(١) عمر غرامة العمروى - نفس المصدر ص ٧٠ - ٧٢ .

يتصف أفراد القبيلة بملاخ تجعل تقاطيع وجوههم ، كما قال المتصرف العثماني شبيهة بتقاطيع الجنس القوقازي الآسيوي . ويفسر ذلك بأن اختلاف الملاخ الانثروبولوجية لسكان السراة عن بعضهم يعود الى الانعزال بعد الهجرات ، حيث كانت بلاد عسير إجمالاً ممراً لمن يقصد اليمن^(١)

وقد اعتبرت بلاد بالّسمر في الوقت الحاضر إمارة فرعية تابعة لإمارة عسير يقع مركزها على جانب وادي ذيوب من جهة العالية . وذلك في بلدة « السوق » والتي يطلق عليها اسم « اثنين بالّسمر » . وهي فعلاً مركز سوق يعقد كل يوم اثنين . ثم بنى فيها عدد من المنشآت الحكومية بسبب إيجاد بعض الدوائر الحكومية كما أنشئ فيها مدارس ابتدائية للبنين والبنات .

ويتوزع أفراد قبيلة بالّسمر بين القرى الزراعية المنتشرة على السفوح العليا أو في الوديان ، وبين البادية الواقعة الى الشرق شأن إخوانهم بالّحمر . وينقسم بنو الاسمر الى قسمين هما : بنو مُنَبِّح وبالْعُدْمَة وينقسم كل منهما الى اقسام أيضاً على النحو التالي :

١ — بِالْعُدْمَة ويتواجدون في جنوب بلاد بالّسمر بجوار بلاد بالّحمر وهم قسمان :

● آل تُحْزِم ويعيشون في ثلاث عشرة قرية في أعلى وادي ذيوب وادي آل عُمَيْر والمُطَرَف اللذين ينحدران الى ذيوب ووادي عمق وتنتهي جميع هذه الأودية الى غيَاء .

● بنو قاعْد وهم عشيرتان : السَّقْف ويعيشون في خمس قرى تقع في وادي خرص ووادي العُطْفَة . والشَّعْف ويعيشون في ثمانى قرى تقع بوادي كُبْدَا وآل عَيْنَيْن اللذين يسيلان في وادي العُطْفَة ثم المُطَرِّق فغِيَاء .

٢ — بنو مُنَبِّح اليمن : وهم سكان جنوب بلاد بالّسمر (بنو جنادة) وينقسمون الى قسمين :

— آل عُيَيْد ويعيشون بمناطق الشعاف فيقال لهم آل عبيد الشعف ، ويستقرون في إحدى عشرة قرية فيها . ولهم أتباع في إصدار تهامة يعيشون في عشرين قرية أخرى هناك .

● المضافة ويعيشون في خمس قرى كبيرة نسبياً تقع بالقرب من الشعاف وفي جنوب بلاد بالّسمر وفي وادي العيص وفي وادي عِبالة .

(١) سليمان شفيق كمالى - نفس المصدر ونفس المكان .

٣ - بنو مُتَبِّح الشام* ويتكونون من أربع عشائر هي :

• آل حَوَراء وتتكون من خمسة أفخاذ هي : آل بُشَيْثَة ، وآل الصَّدْر ، وآل مَارد ، وآل عِثْمَة ، وآل مُحَرِّز . ويعيشون في خمس عشرة قرية تقع في وادي حوراء ، وفي أربع قرى أخرى تقع في وادي خُرَص ، وهما أبعد روافد وادي ترج باتجاه الجنوب وبالتالي فهما أطولها ، إذ ينبعان من قمم السراة لبنو مُتَبِّح ، ويصبان بعد التقائهما بوادي خارق (عالية وادي ترجس) .

• آل زيد ويعيشون في خمس قرى تقع في سافلة وادي سدوان ، ويختلطون مع آل سريع في وسط ذلك الوادي الذي ينحدر أيضا من قمم سراة بني منبج الى الشمال من وادي حوراء ، ويصب بعد اجتماعه بوادي تنومه في وادي ترجس فترج .

• آل سَرِيع ويعيشون في سبع قرى تقع وسط وادي سدوان مختلطين مع قرى آل زيد ، وكذلك في عالية الوادي وفي قرى أخرى تقع في وادي خُرَص .

• آل الفَيَّج ويعيشون في أربع قرى تقع في سافلة وادي خرص وذلك قبل أن يلتقى بوادي حوراء .

تعتبر بلاد بالَّسمر مثل سابقتها منطقة ريفية ، إذ يتوزع السكان في قرى تعتمد على الإنتاج الزراعي وعلى تربية الحيوانات ، وتقع في السفوح العليا في قمة السراة وفي جوانب الوديان ، حيث نجد أن منظر الخضرة الناتج عن انتشار النبات الطبيعي والحقول المزروعة يمتد من بلاد بالَّحمر الى بالَّسمر وحتى بلاد تنومة بدون انقطاع . وقد بلغ عدد القرى في بالَّسمر نحو ١٠٠ قرية ، يعيش فيها نحو ٨٠٠٠ فرد ، أي بمعدل ٨٠ فرداً للقرية الواحدة ، مما يعني أن معظمها قرى صغيرة ، ولو أن معدل حجمها يزيد نسبيا عن معدل حجم قرى بالَّحمر ، وهذا شأن قرى السفوح العليا . وقد استفادت إحدى هذه القرى من اتخاذها مركز السوق الأسبوعي للمنطقة نظرا لتوسط موقعها وسهولة الوصول اليها ، فيجتمع في السوق سكان القرى الأخرى للتسويق والمبادلات التجارية ، وهي قرية اثنين بالَّسمر والتي نمت وتحولت الى بلدة ضمت في سنة ١٩٧٤م نحو ٨٠٠ فرد .

* يتكرر تعبير « الشام » كثيرا في تمييز أسماء المواقع ويقصد به « الشمال » . كما يتكرر تعبير « اليمن » بنفس الأسلوب ويقصد به « الجنوبي » .

أما البدو الذين يتبعون بالسمر فيتكونون من ثلاث عشائر هي آل جبل وآل حَمَامَة وآل غِيَاء ، ويعيشون في سافلة الوديان التابعة للقبيلة حياة ترحل وانتقال ، معتمدين على تربية حيواناتهم المتكونة بالدرجة الأولى من الاغنام والماعز والجمال، وقد استفادوا من وجود ١١ منهل ماء . ورغم صغر مساحة هذه البادية فقد بلغ عددهم نحو ١٥٠٠ فرد وقد اتجه هذا العدد للتناقص لكثرة هجرهم حياة البداوة .

ويتبع بلاد بالسمر من ناحية ادارية وعشائرية نحو ١٢ عشيرة تعيش في تهامة ، خاصة في مناطق إصدار بالسمر منهم : آل مطير سكان الخميس وحول جبال مناطق الإصدار العالية مثل جبل هادا وضرم .

ج - بلاد بنى شهر : وتقع في وسط سراة الحجر وتغطي مساحة واسعة من اقليم السراة تبلغ نحو ٢١٠٠ كم^٢ اذ تمتد بين ٤٥ - ٥٠ كم من الجنوب الى الشمال ، وقد يكون اكثر من ذلك في الاتجاه الآخر (غرب - شرق) .

وتمتاز هذه المنطقة من السراة بتوسط موقعها وبارتفاع خط الشعاف أكثر من الأجزاء الأخرى القريبة منها ، حيث تزيد ارتفاعات قسم منها عن ٢٥٠٠ م . وهي في وضع يبرز باتجاه الغرب بحيث تواجه الرياح الغربية والجنوبية الغربية بشكل يتميز عن مواجهة الأقسام الأخرى ، فزاد نصيبها من الأمطار السنوية كما سبق ذكره وزادت اعتدالا في الحرارة والرطوبة أيضا . فانتشرت النباتات الدائمة الخضرة لاسيما الأشجار وامتدت امتدادا عظيما خاصة أشجار العرعر والاعم والطلع والشث والطباق والأركوض والجوير والضرم والعثرب والغرب ، ويستعمل خشب معظمها في تسقيف البيوت . وفي صنع الأبواب .

حول المستوطنون قسما من السفوح العليا الى مدرجات (ركبان) وأخضعوها للزراعة المطرية بكثافة قد تفوق نظيراتها في مناطق السراة الأخرى بحيث تمتد عشرات الكيلومترات دون انقطاع .

وتشتهر بلاد بنى شهر بانتاجها الوفير كالحبوب مثل : القمح والشعير والذرة . وكالفواكة مثل : العنب والتين والرمان والتفاح والتين الشوكي والتوت واللوز . وقد بدأ الاتجاه لزراعة الخضروات ، ولم يتضاءل الاهتمام بالثروة الحيوانية رغم توقف استعمالها في العمل الزراعي . وهي كمناطق السراة الأخرى تنتهى غربا بحافة الانهدام

التي تهبط بشكل فجائي باتجاه تهامة ، وتنحدر من قمة الحافة بالاتجاه الآخر انحدارا تدريجيا بحيث انتظمت مجارى الوديان في هذا الاتجاه مشكلة حوض وادى بدوة الأعلى قبل أن يلتقى مع وادى ترجس عالية ترج .

لقد اعتبرت بلاد بنى شهر في التقسيم الإدارى زمن الحكم العثماني « قضاء » ، وكان يقيم « القائم مقام » في بلدة النماص ، وهو يتبع إداريا المتصرف الذى يقيم في أبها . والنماص هي أكبر قرى المنطقة وأكثرها توسطا للريف الزراعى المحيط بها وبالتالي أسهلها للوصول منها واليها . وقد اتبعت في وقت ما بعدئذ لدولة السيد الإدريسي الذى كان يتخذ مركزا له في منطقة عسير . وقد اتبعت الى إمارة عسير منذ العهد السعودى الحديث . وقد قسمت الى إمارتين فرعيتين تتبعان عسير كما تُظهر ذلك نتائج تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ وهما : إمارة بنى شهر ومركزها النماص ، وإمارة تنومة ومركزها سبت تنومة .

وينتسب السكان الى قبيلة بنى شهر التي تنتمى هي وجيرانها بالبحمر وبالسمر وبنى عمرو الى نفس الأصل حيث ينحدر أربعتهم من أربعة إخوة هم أبناء حجر . فجند القبيلة هو شهر بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان . وقد سميت البلاد التي يسكنها بنوه باسمه فقليل لها « بنى شهر »^(١) .

وينقسم بنو شهر في السراة الى خمسة أقسام هي :

١ — بالحارث وتسكن منطقة تنومة الواقعة في جنوب بلاد بنى شهر والى الشمال مباشرة من بلاد بالسمر ، وقد اتخذت إمارة فرعية مثلها مثل باقى بنى شهر وتتكون من ست عشائر هي :

- آل دَحْمَان وتعيش في ثلاث قرى كبيرة تقع في منطقة تنومة .
- الشَّعْفَيْن وتتكون من فرعين هما آل محمد بن يزيد وبنى غراب ويعيشون في ثلاث عشرة قرية في منطقة تنومة وفي شفا تنومة .
- آل الصَّعْدِي وتعيش في سبت قرى بمنطقة تنومة أيضا .

(١) عمر غرامة العمروى . نفس المرجع ص ١٠٢ - ١٠٨ .

● العُمَرَة : وتعيش في قرية كبيرة يتبعها أربع قرى صغيرة في الأودية المَلَح والغُبَر والشُعَبَ والحصون ، وذلك بين جيلي البضعة والمشارك .

● الجهاضيمَة (قريش) وتعيش في خمس قرى تقع في عالية وادى تنومة في أقصى حدود بنى شهر من جهة الجنوب أى بجوار بالسمر .

● جَبِيهَة : وتعيش في أربع قرى تقع في السفوح المشرفة على وادى الدهناء الذى يصب في وادى تنومة وذلك بجوار بالسمر أيضا .

وينتسب الى بالحارث أيضا سكان قرية العَوْصَاء الكبيرة والتي تتبعها قرية آل محمد وتقعان بالقرب من الشعفين . وينتسب اليهم كذلك سكان قرية أُرَوَى وهم بنى جَار (آل جُهَيْل) .

٢ — العوامر : وتقع بلادهم في شمال بلاد بالحارث تنومة وفي جنوب منطقة التماس وذلك في قرى زراعية في الغرب أو في حالة البداوة وحول مناهل المياه في الشرق . ويتكونون من خمس عشائر هي :

— آل بالحُصَيْن وتعيش في ثمانى قرى تقع في شمال وادى العَرّ وعلى جبال العفار والقامة .

● بنو مَشْهُور ويعيشون في خمس قرى تقع في وادى مشهور الذى ينتهى الى وادى نحيان قبل أن يصب فيه وادى التماس .

● بنو لَام ويعيشون في أربع قرى تقع في وادى غيب ووادى الشعب اللذين ينتهيان الى وادى صليح ثم نحيان .

● دُحَيْم وهم فخذان : آل بهيش ويعيشون في خمس عشرة قرية ، والنَّهْي ويعيشون في ست قرى تقع في وادى العَرّ وعلى جبلي لنيش والقامة في منطقة الشعف المطلة على تنومة .

● كِنَانَة وتعيش في ثمانى قرى تقع على جبل ثابت وبعلية وادى نحيان .

٣ — شهر ثَرَامِين : وتقع بلادهم في وسط بلاد بنى شهر وذلك الى الشمال من بلاد بالحارث تنومة ومن بلاد العوامر . وأرضهم على شكل فرعة متسعة تقع خلف خط الشعاف ترتفع نحو ٢٢٠٠ م عن سطح البحر . يربطها غربا بتهامة ست عقبات :

أولها في الجنوب عقبة تنومة ثم عقبة القامة التي تفضي الى واد وعر معوج مغطى بالاشجار ثم عقبة سنان التي تقع غرب النماص والتي تستعملها المشاة والماشية وتبعد نحو ١٥٠ كم عن أبها في جهة الشمال ، يليها شمالا عقبة وادى خياط ثم عقبة وادى سراعى ثم عقبة وادى يبا الذى تعيش فيه قبائل بدوية مترحلة (١) .

وتنحدر أرض هذه الفرعة بشكل عام نحو الشمال الشرق فتصفى مياهها في وادى النماص الذى ينتهى إلى نحيان فبدوة . وتقع على جانبه في وسط الفرعة بلدة النماص وكان اسمها في الأصل « القرية » ، وقد غلب اسم النماص على الوادى وعليها بسبب غنى الوادى باشجار النخس (الحلفا) . وقد نمت البلدة بفضل موقعها المتوسط وبسبب مركزها الإدارى وكانت مقر السوق ، وقد اتخذت مركز الإمارة الفرعية (إمارة بنى شهر) .

وتتكون شهر ثرامين من خمس عشائر هى :—

● آل بن رِيّاع وهم ثلاث أفخاذ :الدّحض والشهوم وآل ليمان . ويعيشون في ست عشرة قرية منها ثلاث في جَبلي منعاء ولنبش في شمال تنومة ، والباقية في حوض وادى نحيان شرق النماص .

● بنو بَكْر ويعيشون في خمس قرى تقع بأعلى وادى النماص وجنوب وادى عاكسة .

● بنو جُبَيْر ويعيشون في ثلاث قرى كبيرة تقع على وادى رُدَيْحَة الذى يقع في شمال النماص ويصب في وادى نحيان .

● بنو قُشَيْر ويعيشون في أربع قرى تقع على جوانب وادى النماص ووادى رديحة ووادى نحيان .

● الكَلَايِمَة ويعيشون في بلدة النماص وأربع قرى أخرى في وادى رديحة وقرية واحدة على وادى نحيان .

٤ — بنو التَّيْمِمْ ويستقرون الى الشمال من بلدة النماص وذلك في أحواض الوديان : زيد وخشرم والعيمة ، ويتكونون من أربع عشائر : هى :

(١) سليمان شفيق كمال - المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

- نُحْشَرُم ويعيشون في ثلاث قرى تقع بعالية وادى خشرم ولهم اتباع في تهامة .
- آل زَيْدَان ويعيشون في خمس قرى تقع بأعلى وادى حَضْرِين ووادى حَضْر والحبي والعيمة والقيم ، ولهم اتباع في تهامة .
- آل لَيْلَح بن على ويعيشون في ست قرى تقع في وادى زيد وجبل مرير . ومن قراها المشهورة بلدة الخضراء .
- آل وَلِيد ويعيشون في ست قرى تقع في وادى زيد والعيمة ووادى الرحمة وشوحطة .
- ٥ — شهر الشام وقد احتلوا الجزء الشمالى من بلاد بنى شهر ، إذ يحدهم من الشمال بنو عمرو اليمن ومن الجنوب بنو التَّيْمِ وانتشروا بين الشعف والبادية وهم ثلاث عشائر هى :
- بنو ثابت ويعيشون في ست قرى تقع في وادى السَّرو ، وبأعلى منطقة السَّهْو وهى أقصى بلاد بنى شهر شمالا .
- بنو يُوْسُ ويقال لهم « عابس » ويعيشون في أربع قرى كبيرة بمنطقة حلباء ووادى العيمة .
- بنو هاشم ويقال لهم « القَبَل » نسبة الى القرية الكبرى بمنطقتهم . ولهم قرستان كبيرتان تقعان في شمال حلباء وشمال شرق العيمة .
- يعيش أفراد قبيلة بنى شهر مثل أقاربهم بالْحَمَر وبأَلَسْمَر وبنى عمرو إما في قرى زراعية صغيرة الحجم تقع في السفوح العليا للسراة وفي جوانب الشعاف ، أو في قرى متوسطة الحجم أو كبيرة في مجارى الوديان المنحدرة من السراة . أو أنهم غير مستقرين وبقوا على حالة البداوة يتجولون في الأطراف الشرقية للمنطقة ، أى في سافلة الوديان حيث تقل الأمطار ويزداد الجفاف وتضعف صلاحية الوديان للزراعة . ويتبعها مثل أولئك أيضا بعض سكان تهامة بنى شهر الواقعة في الغرب من السراة .
- ونظرا لما تمتعت به منطقة بنى شهر من صفات مميزة عما جاورها من السروات ، ارتفعت نسبة الاحتلال البشرى فيها ، فبلغ عدد سكانها نحو ٣٦٠٠٠ نسمة موزعين في إمارتين فرعيتين إداريا كما سبق ذكره ، هما تنومة وفيها نحو ١١٥٠٠ نسمة والخاص وفيها نحو ٢٤٥٠٠ نسمة .

وقد عاش من هذا العدد ٢٨٥٠٠ فرد في نحو ٢٥٠ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، نحو ثلثها في تنومة والباقي في منطقة النماص أى بمعدل ١١٥ فرداً للقرية الواحدة . وهذا يزيد عن معدل عدد أفراد القرية في القضاءين السابقين ، بل ويقرب من ضعف معدلها في بالحمير . ويبدو أن وجود مدينة النماص وعدد آخر من البلدات أو القرى الكبيرة من ضمن قرى المنطقة قد عمل على رفع المعدل عن نظيره في القضاءين السابقين .

وتمتد بادية بنى شهر امتدادا واسعا في شرق السراة فتصل في الشمال الشرق حتى وادى ترجس وترج ، وتحاذي بادية شهران التي تستوطن وادى بيشة (ابن هشبيل) . وتنقسم الى ستة بوادى هي : بادية أثلة وبادية آل بريّاع وبادية بنى بكر وبادية العُمرة وبادية بنى قشير وبادية الكلاثمة . يختلطون في الشمال مع بادية بنى عمرو (في ترجس وترج) ، ففي البادية الواقعة في شرق منطقة تنومة يعيش نحو ثلاثة آلاف من البدو الرحل وفي شرق منطقة النماص اكثر من اربعة آلاف يردون ٦٣ منهل ماء تقع في سافلة وديان المنطقة ، وبذلك ترتفع نسبة بدو بنى شهر الى نحو خمس سكانها .

وأهم قرى منطقة تنومة هي « سبت تنومة » وقد تحولت بفضل السوق الذي يعقد في كل يوم سبت ، وبفضل اتخاذها مركز الإمارة الفرعية الى بلدة عامرة سميت باسم السوق ، فالتسعت ونمت حتى بلغ عدد سكانها نحو ١٠٠٠ نسمة أو يزيد . ومن قرى تنومة في الشعاف : آل جُدى وآل جُميرة وقرش . .

أما قاعدة منطقة النماص فهي بلدة النماص التي يعيش فيها نحو ١٥٠٠ فرد أو يزيد . وقد أنشئ فيها مختلف الدوائر الحكومية مثل : محكمة شرعية وكتابة عدل وهيئة ، ومركز شرطة ومكتب جوازات ، ومركز بريد وبرق وهاتف ، ومركز ضمان وفرع للداخلية . وقد أسس فيها بلدية ووحدة زراعية وبنك تسليف زراعى . وبالإضافة الى مدارس الذكور والاناث من جميع المراحل فقد اقيم فيها معهد للمعلمين ومندوبية تعليم البنات ، وفتح فيها مستوصف . وكانت في الأصل سوقا اسبوعية يعقد كل يوم ثلاثاء . وقد استفادت النماص كذلك من مرور طريق الجنوب منها (طريق الطائف - ابها) وأصبحت محطة هامة على الطريق تقدم مختلف أنواع الخدمات للمسافرين ، وسهل اتصالها بالقرى والمناطق المجاورة لها .

ومن القرى القديمة الهامة أيضا العروش وتقع الى الشمال من النماص ، ووعدة وتقع الى الجنوب منها ، والخضراء وتقع الى الشمال وذلك على جانب وادى زيد .

ونظرا لاتساع بلاد بنى شهر فى قضائى تنومة والتماص ووفرة انتاجها وارتفاع عدد سكانها فقد نشأ فيها منذ وقت مبكر من هذا القرن سبعة أسواق اسبوعية تعقد بالتناوب على مدار أيام الاسبوع وهى كما ذكرها فؤاد حمزة منذ نيف ونصف قرن (١) :-

١ - سوق تنومة ويعقد فى قرية آل صفوان فى يوم السبت

٢ - سوق عبس ويعقد فى يوم الاحد

٣ - سوق المجازة ويعقد فى يوم الاثنين

٤ - سوق التماس ويعقد فى قرية العسائلة فى يوم الثلاثاء

٥ - سوق شهرة الأمين ويعقد فى السرو فى يوم الأربعاء

٦ - سوق بنى التيمم ويعقد فى قرية الخضره فى يوم الخميس

٧ - سوق أثرب ويعقد فى قرية أثرب فى يوم الجمعة

د - بلاد بنى عمرو : وتحتل القسم الشمالى من سراة الحجر وذلك الى الشمال من بلاد بنى شهر . وتمتاز باتساعها أكثر من الأقضية السابقة فى امتدادها العرضي ، أى باتجاه شرق - غرب فتبلغ نحو ٣٥ كم وذلك من حافة السراة الى وادى بيشة بالرغم من ضيق امتدادها بالاتجاه الطولى جنوب - شمال حيث لاتتجاوز كثيرا ١٠ كم . ويبدو أن طبوغرافية الأرض ساعدت على هذا الامتداد العرضي حيث يبتعد وادى بيشة عن حافة السراة كلما تقدم بالاتجاه الشمالى ويبلغ أقصى بعد له عنها ضمن بلاد الحجر فى جزئها الشمالى أى فى بلاد بنى عمرو ، فتتحدروا فاده مسافة أطول فى طريقها قبل أن تصل إلى المجرى الرئيسى ، ولذلك تتم الزراعة إما على الأمطار وذلك فى السفوح العليا خاصة القمح ، أو على الرى من الآبار البلدية وكانت تستعمل السوانى وتزرع الحبوب بأنواعها ، أو على الرى من الوديان أو العيون وهى ضعيفة بسبب تعرضها للجفاف . وقد توسعت زراعة الخضروات مؤخرا وكذلك الأشجار المثمرة .

ويمتاز سكان بنو عمرو بانتشارهم بالاتجاه الغربى ، أى فى اقليم تهامة اكثر من اخوانهم حيث ينتمى اليهم قسم كبير من سكان قضاء المجاردة . وهم مثلهم يعودون بصله قوية الى نفس الأرومة . فجد القبيلة هو عمرو بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن

(١) فؤاد حمزة - فى بلاد عسير . ص ١٦٢ .

كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان . وقد سميت البلاد باسمه أى « بلاد بنى عمرو » . وقد اعتبرت هذه البلاد فى التقسيم الإدارى للمملكة قضاء ، أى إمارة فرعية تتبع إمارة عسير أيضا ، ومركزها قرية الشيخين الواقعة فى سراة عمرو الشام وذلك على جانب وادى عياش (١) .

يعيش بنو عمرو فى حوض وادى البهم بروافده الرئيسية : عوص والعرين ورنماء وبروافدها العليا العديدة التى تهبط من قمة السراة . وبذلك فهم يشتركون مع بنى عمومهم بنى شهر فى حوض وادى العوص ، وتمتد بلادهم الى الشمال منهم مباشرة . وتقسم الى قسمين رئيسيين : عمرو اليمن (الجنوب) ، وعمرو الشام (الشمال) .

١ — عمرو اليمن ويسكنون جنوب البلاد مجاورين بلاد بنى شهر وقد تختلط قرى القبيلتين فى بعض المواقع ، وذلك فى جزء من حوض وادى بدوة وفى وادى العيمة وعوص . وينقسمون الى ثلاث عشائر هى :—

● كَعْب وتكون من خمس أفخاذ يستوطنون إحدى عشرة قرية تقع على الأودية الصغيرة : صدر أيد وعاكسة وقفعة وبدوة والعطف . أى فيما بين منطقة النخاس وبلاد بنى كريم وذلك فى أقصى حدود بلاد بنى عمرو جنوبا ، ومن هنا اختلطت قراهم مع قرى بنى عمومهم بنى شهر ، كما اختلطت مزارع الفريقين .

● بنو كَرِيم ويستوطنون سبع قرى تنتشر فى أودية حَضْرَيْن والمعدة وذا المظر وقوان وصدر أيد التى تصب فى وادى بدوة ، وفى قريتين بمنطقة حلباء ووادى العيمة ، وبذلك فهم يعيشون أيضا فى وسط قرى بنى شهر .

● بنو عِمَارَة ويستوطنون إحدى عشرة قرية تنتشر فى وادى عيمة ووادى حلباء وفى شعف حلباء ، وفى وادى العين الذى يصب فى وادى السرو وهذا يعنى أنهم يعيشون الى الشمال مباشرة من قرى بنى شهر .

٢ — عمرو الشام : ويستوطنون باقى روافد وادى البهم أى تلك التى تقع الى الشمال من الروافد المذكورة ، أى العرين ورنماء ومجاريهما العليا ، فتقع قراهم فى القسم الشمالى من بلاد بنى عمرو عامة ، أو الى الشمال من قرى بنى عمرو اليمن . ويتكونون من خمس عشائر هى :

(١) عمر غرامة العمروى — نفس المصدر ص ١٥٨ - ١٦١ .

● آل الشيخ ويتكونون من ثلاث أفخاذ هي : آل حسيكة والشيخين وآل طلحة ويستوطنون عددا من القرى تقع على جوانب وادى عياش الى الشمال من بلاد الشق مباشرة . ومن أهم هذه القرى قرية الشيخين التى اختيرت لتكون قاعدة إمارة بنى عمرو . فقد أنشئ فيها معظم الدوائر الحكومية ومدارس ابتدائية للبنين والبنات وفيها سوق اسبوعى يعقد يوم الثلاثاء وكانت مقرا لأسرة آل عثمان .

● عُضَيْدَات وتتكون من ثلاث أفخاذ هي الضفيرة والعاسرة ونايط ؛ ويستوطنون أربع عشرة قرية تقع فى الوديان : عياش وشث والعاسرة ، أى الى الشمال من بلاد الشق ، وآل الشيخ .

● آل سليمان : ويستوطنون احدى عشرة قرية وهى فى نفس الوقت موزعة بين ثلاثة أفخاذ :

. آل عطيقة ويسكنون شعف آل سليمان والشق وعالية وادى عياش .
. الأصفاء (تصفاء) فى وادى طريف وفى جنوب شرق جبل المطفى .
. الكتهيلة ويسكنون عددا من القرى تقع بين المجموعات الأخرى قرب قرى الشق .

● الشق : ويتكونون من ست افخاذ يستوطنون تسع عشرة قرية تنتشر فى أحواض الوديان : السهوة وغطار وعالية وادى عياش ووادى الفرشة ووادى شث وجبل المطفى ، ووادى ذا الخورم ، اى الى الشمال مباشرة من بلاد آل سليمان وفى جنوب بلاد آل الشيخ .

● بنو رافع ويستوطنون ثمانى قرى تقع فى أقصى بلاد بنى عمرو من جهة الشمال وعلى حدود بلاد بالقرن ، وذلك فى وادى الحصباء الذى ينحدر من جبال حرفة ويافع وقمة السراة (شعف بنى رافع) .

ويعتبر قضاء بنى عمرو امتدادا طبيعيا لقضاء بنى شهر نحو الشمال وجزءا مكملًا لسراة الحجر وهو نهايتها الشمالية ، حيث تحدها جميعا بلاد شهران التى تستوطن وادى بيشة شرقا ، كما تحدها تهامة غربا . ويتوزع سكانها مثلها بين مستقرين فى قرى تعتمد على الإنتاج الزراعى وعلى تربية الحيوان فى السفوح العليا للسراة ، وقرب مناطق الشعاف وفى المجارى العليا للوديان قبل اجتماعها فى وادى القرين ووادى رثماء اللذين يصبان فى امتداد وادى العوص ، فيتشكل منها جميعا وادى الهميم وهو آخر الروافد الهامة

لوادى ترج الهابطة من السراة ؛ وبين بدو رحل تعيش وتتجول فى سافلة تلك الوديان فى شرق المنطقة ، أى فى حوض وادى البهم .

يبلغ عدد سكان هذه المنطقة - التى لا تتجاوز مساحتها ٦٠٠ كم^٢ تقريبا - ١٨٠٠٠ نسمة منهم أقل من ٦٣٪ مستقرين فى قرى بلغ عددها نحو ٩٠ قرية بمعدل ١٢٠ فرداً للقرية الواحدة ، أى بمعدل يزيد قليلا عما هو فى بلاد بنى شهر ويزيد كثيرا عما فى بلاد بالآحمر وبالآسمر ، وذلك بسبب وجود عدد من القرى الكبيرة .

ويتوفر فى منطقة البادية الواقعة فى الشرق ٦٦ منهل ماء ، يلجأ إليها البدو فى فصل الجفاف فتعتبر مستقرا لهم ، وقد ساعد هذا على زيادة عدد البدو بحيث ارتفعت نسبتهم الى نحو ٣٧٪ من مجمل سكان المنطقة .

ومن الملاحظ أنه يتوسط بلاد بنى عمرو فى منطقة السراة متسع كبير على شكل فرعة تقع خلف الشعاف ويرتفع نحو ٢٢٠٠ م عن سطح البحر ، ويشرف عليه بعض المرتفعات العالية من جوانبه مثل جبل المَطْلَى وهو متسع السهوة^(١) الذى يبدأ من خط الشعاف غربا بحيث تهبط منه العقبات الى تهامة وينحدر سطحه باتجاه الشمال الشرقى ، فيصفى مياهه وادى السهوة . فهو يشبه بذلك متسع سنان الذى يتوسط بلاد بنى شهر وتقع فى وسطه مدينة النماص ، ويبعد عنه مسافة ١٥ كم باتجاه الشمال . ويقع بينهما متسع حلبا الذى يوجد فيه عدد من قرى بنى شهر وبنى عمرو .

٧ - سراة بالآقرن وشهران وخثعم :

وهى احدى السروات وتقع الى الشمال مباشرة من سراة الحجر وتصل بينها وبين سراة غامد وزهران ، وذلك فيما بين خطى عرض ٢٨ - ١٩° ش ، ٥٤ - ١٩° ش ، تقريبا وتحتل جزءا من عالية كل من تباله وشواص . فالأول هو أبعد روافد بيشة نحو الشمال الغربى ، والثانى هو أبعد روافد رنيه نحو الجنوب الغربى .

يبدأ خط الشعاف لهذه السراة فى الجنوب بالاتجاه نحو الشمال الغربى حتى خط عرض ٣٣ - ١٩° ش ، ثم يعتدل الى الاتجاه (جنوب - شمال) مسافة ٢٥ كم وتهبط الحافة خلال هذا الجزء باتجاه الغرب بحرف قائم كالجدار يشرف على جانب وادى

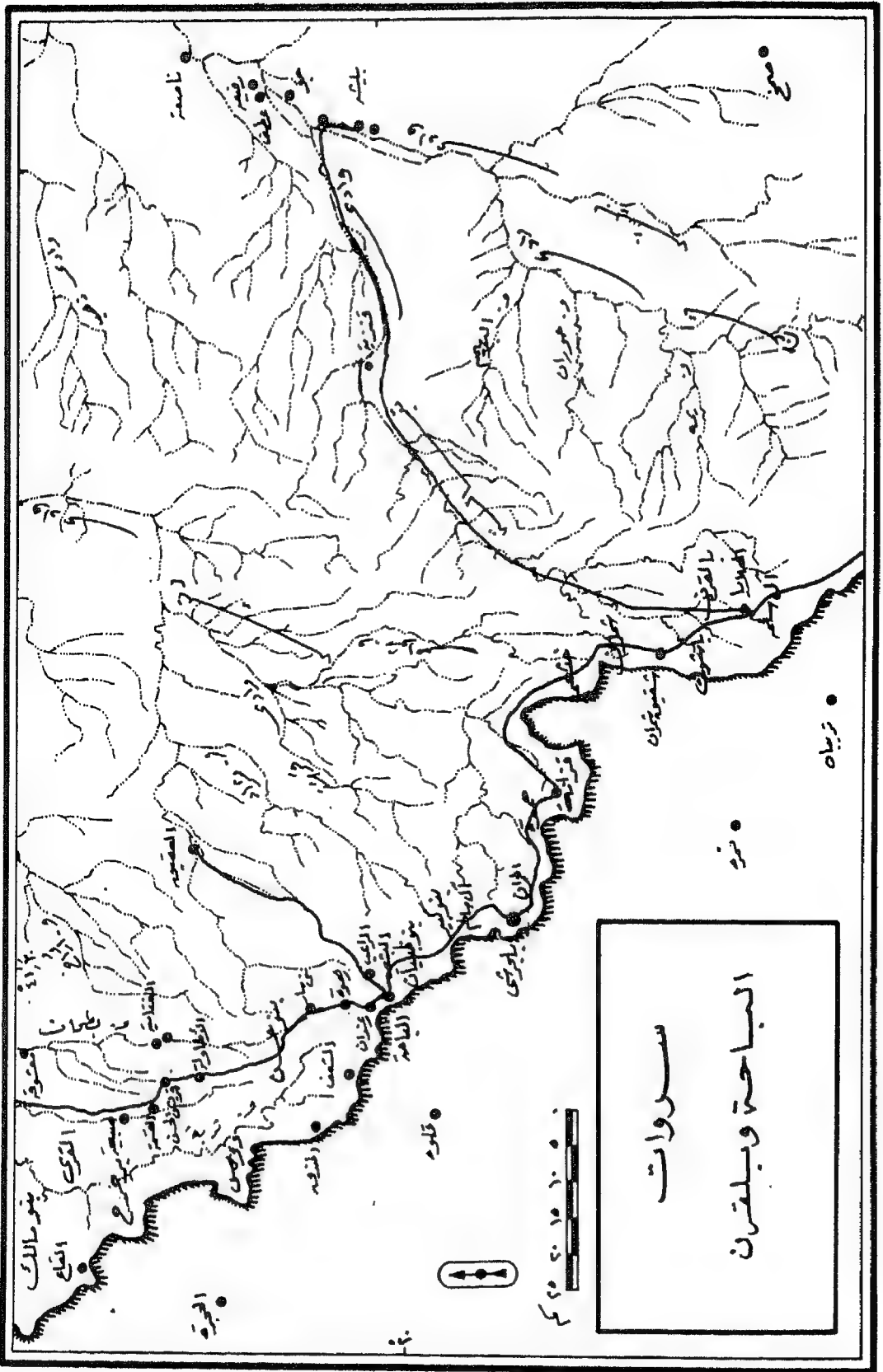
(١) عمر العمروى الخطاط . فى بلاد بنى عمرو وما جاورها . مجلة العرب ج ٧ ، ٨ السنة ٨ ، شباط ١٩٧٤ م ، ص ٦٢٩ - ٦٣٥ .

الحفيان ، أحد روافد وادى قنونة العليا ، والذي يتجه عند اقدام لإصدار الحافة وموازيا لها من الشمال الى الجنوب متأثرا بوجود انكسار فى هذا الاتجاه . وتشكل السراة خلف هذا الخط هضبة صغيرة تنحدر ببطء من حافة السراة باتجاه الشمال الشرقى ، ويشغلها ويحفر فيها وادى تبالة بروافده العليا الرئيسية الثلاثة .

بعد هذه المسافة يغير خط الشعاف اتجاهه فينحني على شحلى زاوية حادة نحو الغرب ، ويبدو ان النحت المتراجع لأحد روافد وادى الحفيان الشمالية الشرقية فى صخور الديوريت والجابرو ، هو الذى سبب تراجع الحافة على شكل زاوية ، والتي لا تلبث أن تنحني على شكل قوس معاكس ، مسببة اعتدال الاتجاه نحو الشمال ثانية ، مما يجعل عالية وادى الحفيان ذاتها تقوم بالنحت المتراجع حتى تعمل فجوة كبيرة فى الشعاف على شكل فيورد (انظر الشكل ٤١) . وتعتبر هذه الفجوة هى الحد الفاصل بين سراة خثعم وسراة غامد . وتشكل السراة خلف هذا الخط الهضبة الصغيرة الثانية والتي تنحدر ببطء من حافة السراة باتجاه الشمال ويشغلها ويحفر فيها وادى شواص الأعلى الذى يتجه نحو الشمال .

يتراوح ارتفاع خط الشعاف فى هذه المنطقة بين ٢٠٠٠ - ٢٢٥٠ م عن سطح البحر ، ولذلك فان ارتفاعها يقل نسبيا عنه فى مناطق أخرى ، ويضاف الى ذلك أن معظمه يأخذ الاتجاه جنوب - شمال مما يجعله منحرفا عن التأثيرات الموسمية القادمة من الجنوب الغربى ، ومع ذلك فان مجاورته لوادى الحفيان تجعل الطريق مفتوحا أمام تلك التأثيرات ، ولكنه غير مفتوح أمام التأثيرات الشمالية الغربية الربيعية والشتوية . وقد نتج عن ذلك وجود اختلاف طفيف فى صفات الطقس ؛ فارتفعت معدلات الحرارة نسبيا ، وقلت معدلات الأمطار عن مثيلاتها الى حد ما (بلغ معدل العاليا ٣٢١ ملم) .

وقد اتضح هذا من ضالة انتشار النباتات الطبيعية وصغر حجم الأشجار وتباعدها ، وفى ضيق مساحات الأراضي الزراعية بالقياس الى مناطق السروات الأخرى سواء الى الجنوب مثل سراة الحجر وعسير أو الشمال مثل سراة الباحة . حيث نجد بها متفرقة على السفوح العليا وبالقرب من خطوط الشعاف وغير متصلة الى مسافات كبيرة ، وتوجد بكثافة ضئيلة فى أحواض الوديان العليا حيث تنقطع وتصبح مواطن للبدو فى اتجاه سافلة الوديان .



وتعتبر هذه الخصائص ظروفًا غير مواتية لاستغلال الإنسان للبيئة ، فضغفت الموارد التي يعيش منها الإنسان فانخفضت الكثافة السكانية لاسيما كثافة الريفيين . وهذا ما رفع نسبة البدو الى المستقرين ، لأن البدو قادرون على استغلال الموارد العشبية التي لم يتمكن الريفيون من تحويلها الى أراض زراعية .

يعيش في هذه المنطقة التي تزيد مساحتها عن ٣٢٠٠ كم^٢ ما يقرب من ٤٠ ألف نسمة منهم ١٢٥٠٠ من البدو الرحل أى بنسبة ٣٢٪ وهى من أعلى نسب تواجد البدو في المناطق الجبلية . والباقي ريفيون يسكنون قرى صغيرة أو متوسطة الحجم يعيشون من الزراعة وتربية الحيوانات ، ولا يوجد فيها مدن . غير أن سبت العاليا وهى حاضرة قديمة وعقدة مواصلات نمت مؤخرًا وتحولت الى بلدة عامرة . وكانت المنطقة باكملها - ولانزال - تابعة لإمارة يشة التي فقدت مركزها ، واتبعت الى إمارة عسير اعتبارًا من سنة ١٣٩٤هـ وأصبحت جزءًا منها . ويمكن تقسيم هذه المنطقة حسب العوامل الطبيعية والبشرية الى ستة أقسام يمكن أن تجمع في وحدتين هما بلاد بالقرن وبلاد شمران وختعم :

١ - بلاد بالقرن :- وتقع الى الشمال من بلاد بنى عمرو ، أى الى شمال خط عرض ٢٨° - ١٩°ش ، وذلك في حوض وادى تباله الأعلى . وينتمى معظم سكانها الى قبيلة بالقرن . يعيش (١١٣٠٠ فرد) منهم حياة ريفية تقليدية فقيرة في عدد كبير من القرى الصغيرة الحجم يقومون بزراعة السفوح العليا القريبة من خط الشعاف ، أو في جوانب الأودية اعتمادًا على الآبار المحفورة في رسوبياتها . ويزرعون الحبوب بالدرجة الأولى خاصة القمح والشعير والذرة ، ويربون أعدادًا متواضعة من الحيوانات . ويعيش قسم منهم (يبلغ عددهم نحو ٧٨٠٠) على حالة البداوة في نفس الوديان باتجاه سافلتها ويستفيدون من وجود ٢٨ منهل ماء . أى أنهم يشكلون ما نسبته ٤١٪ من مجمل سكان المنطقة . ويقسمون الى ثلاث مجموعات تحتل كل منها أحد الروافد الرئيسية لعالية وادى تباله هى :

أ - منطقة العاليا وتقع في حوض وادى تباله الأعلى الذى يبدأ رأسه على بعد ٤ كم عن خط الشعاف . وحيث أنه يتجه نحو الشمال فانه يبتعد عن حافة الشعاف شيئًا فشيئًا حتى لا يلبث أن يصبح على بعد ٩ كم في الجزء المعمور من الودى .

يهبط الوادى من ارتفاع ٢٠٠٠ م الى ١٨٠٠ م ويشكل مصاطب رسوبية على جانبيه ، وقد أمكن إخضاع مساحات واسعة منها للإنتاج الزراعى ، فنشأ عدد كبير من القرى من أهمها العلايا التى اتخذت قاعدة إدارية للمنطقة ، وكانت تستفيد من موقعها المتوسط ومن مرور طرق القوافل .

وقد استفادت مؤخرا من مرور طريق الجنوب منها (الطائف - أبها) ، وقد تفرع من الطريق فرع يتجه من العلايا الى بيشة ، فنشأ فى العلايا عدد من الدوائر الحكومية والمدارس منها مدرسة متوسطة وأخرى ثانوية ، وظهر فيها عدد من المباني الحديثة ، فتمت وأربا عدد سكانها على الفى نسمة وتحولت الى بلدة .

تقع العلايا على الوادى وتتوسط بذلك مجموعة من القرى تتابع وبشكل خطى فى الاتجاهين ؛ ففي جنوبها توجد : آل جابع وآل طلحة والحيفة والرجمة والروحان والقرين والمشايعة والقضيف ، ويوجد فى شمالها آل كامل وآل يمانى والدار والبظاظه وآل هيثم ، وفى شمالها الشرقى الحادية والحصن . أما البدو فيعيشون فى اتجاه الشمال والشمال الشرقى فى سافلة الوادى .

ب — منطقة باشوت وتقع فى حوض وادى شيبانه (وادى باشوت) . ويقع الى الغرب من الأول ويبدأ من جبل القزعة ويصرف مياه السفوح الأقرب لحافة الشعاف ويرفده الى الشمال من هذه المنطقة ، وكذلك فى حوض وادى مهرة الأعلى ، ويقع الى الشمال الغربى من الثانى ويرفد الوادى الأول بعد الموقع السابق . فالمناطق التى تلى خط الشعاف الذى ينحنى على شكل قوس واسع وبارز ، ومواجه للتأثيرات الغربية ويرتفع بين ٢١٥٠ - ٢٢٥٠ م والتى تمتد بعرض نحو ٣ كم ، تتمتع بظروف مميزة عن غيرها . وقد أمكن إخضاع مساحات واسعة (ولو أنها متفرقة) من سفوحها للعمل الزراعى ؛ فانتشرت الخضرة فيها سواء من النباتات الطبيعية أو الحقول الزراعية أكثر من أى مكان فى هذه المنطقة ، ولمسافة تبلغ نحو ١٠ كم شمال جنوب يمكن اعتبار بعضها غابات صغيرة . وقد انتشرت فى وسطها القرى الزراعية ذات الحجم المتوسط والتى بلغ عددها ١٦ قرية ، وقد توسطتها قرية قرن ابن ساهو وصارت قاعدة لها ومركز تسويق لسكانها ، بعد أن كانت مقر سوق يعقد يوم الاثنين . وظهر فيها عدد من الدوائر الحكومية ومدارس للبنين والبنات ، ووصلها طريق طوله ٤ كم يتفرع من طريق الجنوب فكبرت ونمت حتى بلغ سكانها نحو ٨٠٠ نسمة . ومن القرى الأخرى فى جنوبها ابتداء

من الجنوب : الطوف والحصن وآل هلجام وزاع ليسن والحريقة والعامر (دار عامر)
والشقيقة . وإلى الشمال منها : الحبيل (حبيل الملك) وفيها مقر سوق يعقد يوم
الجمعة ، وآل سعاد وآل عمار . وتبعد جميعها عن خط الشعاف مسافة
تتراوح بين $\frac{1}{4}$ الى $\frac{1}{3}$ كم فقط ويبلغ مجموع سكانها نحو خمسة آلاف نسمة . ونظرا
لقرب موطنهم من الشعاف لم يتواجد فيه مايزيد عن ٤٥٠ فرداً من البدو .

ج — آل سلمة : وتقع في عالية وادى تباله في جنوب بلاد بالقرن فيما بينها وبين بلاد
بنى عمرو ، وذلك في منطقة مرتفعة وعلى مقربة من خط الشعاف وتحتل مساحة صغيرة
على طريق الجنوب . لايزيد مجموع سكانها عن الف نسمة يتواجدون في ثلاث قرى منها
قرية آل سلمة التي نمت وتحولت الى بلدة صغيرة بلغ عدد سكانها ٧٥٠ فرداً ، وهي
وإن كانت لاتزال ريفية المظهر تعتمد على المزارع المحيطة بها فقد تحولت الى مقر تسويق
للمنطقة المحيطة بها ، وظهر فيها بعض المرافق الحكومية ، بسبب اتخاذها مقرا إداريا
لإمارة فرعية صغيرة جدا .

٢ — بلاد شمران وخثعم : وتقع الى الشمال والشمال الغربى من بلاد بالقرن وذلك في
الحوض الأعلى لوادى شواص وروافده وهو أبعد روافد وادى رنية من جهة الجنوب ،
وتبدأ من الفرعة الفاصلة بين حوض تباله وشواص وجبلى النصلة والدامك . ولا تختلف
ظروفها كثيرا عن المنطقة السابقة لها . وقد عاش فيها نحو عشرة آلاف نسمة ، نحو
٢٧٪ منهم غير مستقرين وعلى حالة البداوة ويتواجدون في الجزء الشمالى من هذه
المنطقة . والباقي يستقرون في ٦٣ قرية مختلفة الحجم ، يغلب عليها الحجم الصغير ،
ويعيش سكانها حياة ريفية متواضعة . يركزون اهتمامهم على زراعة الحبوب وتربية
الحيوانات . وقد بلغ تعدادهم نحو ٧٣٠٠ فرد ، أى بمعدل ١١٥ فرداً للقرية الواحدة .
أما البدو فيستفيدون من ٢٧ منهل ماء يتواجد معظمها في مجارى وديان المنطقة .

ومن طبيعة الاحتلال البشرى فيها يمكن أن نقسمهم الى ثلاثة أقسام متفرقة عن
بعضها هي :

أ — شقيق شمران : وتحتل فرعة مرتفعة (اذ يتراوح ارتفاعها بين ٢١٠٠ - ٢٢٥٠ م
عن سطح البحر) تقع فيما بين خط الشعاف الذى يحدها من الغرب ووادى مهرة الذى
يحدها من الشرق وجبلى دامك والنصلة من الشمال . وتشكل هي وهذان الجبلان

منطقة تقسيم المياه بين وادى بيشة (تبالة) ووادى رنية (شواص) . وفى حين أن حافتها الغربية تنحدر بشدة باتجاه وادى الحفيان فى تهامة فإن سطحها قليل التضرس ، وقد تحول قسم كبير من سفوحها العليا الى حقول زراعية متفرقة ، والا كانت مردانة بالنباتات الخضراء حيث يظهر امتداد الخضرة فيها نحو ٧ كم بدون انقطاع وبعرض يتراوح بين ١ - ٢ كم . وقد انتشرت القرى الصغيرة والمتوسطة الحجم فى وسط هذا القطاع الأخضر ، ومن أهم تلك القرى من الجنوب الى الشمال : الحصن والفرعة الأعلى وشقيق الأعلى وشقيق شمran وهى اكبرها ، والركبة وآل عليان والزنوب ودار العطف والعقبة .

ب - بلاد شمran : وتقع فى شمال شقيق شمran على بعد ٤ كم ويفصلهما جبل الدامك ، وذلك فى الحوض الأعلى لوادى دمة أحد روافد وادى شواص العليا ، حيث يتشكل بالقرب من الزاوية التي يبدأ عندها خط الشعاف بتغيير اتجاهه نحو الغرب على بعد $\frac{1}{2}$ كم عنها فيتجه الوادى نحو الشمال ، ويتجه خط الشعاف نحو الشمال الغربى مشكلا الفجوة الأولى التى نتجت عن تراجع رأس أحد روافد وادى الحفيان العليا كما ذكرنا ، ولذلك فإن بعد الوادى عن خط الشعاف يتزايد باتجاه الشمال حتى يصل الى ٩ كم فى شمال المنطقة .

يبلغ ارتفاع خط الشعاف نحو ٢٠٠٠ م عن سطح البحر ، ويتراوح ارتفاع المنطقة بين ١٧٥٠ - ٢٠٠٠ م تقريبا ، غير أنها تواجه التأثيرات الجنوبية الغربية شبه الموسمية بسبب وجود حفرة وادى الحفيان الى جوارها فى الغرب ، فقد عمل الوادى بمثابة معبر وممر لتلك التأثيرات ، فناها قسط من الأمطار بحيث تحول قسم من السفوح العليا فيها الى حقول زراعية منتجة ، كما زودت وديانها بقسط من مياه الفيضان ، رغم أن ارتفاعاتها تقل عن معدل ارتفاعات السفوح التى تخضع للزراعة البعلية . فوجد فيها ١٦ قرية متقاربة ومختلفة فى حجمها وأهميتها ، ولو أنه يغلب توافر القرى الصغيرة الحجم ؛ اذ يعيش فيها نحو ٢٧٠٠ فرد فقط بما فيها قرية القعرة (شمran) التى تمثل مركز المنطقة الإدارى والتى يعيش فيها نحو ٤٠٠ فرد ، وتقع فى وسط هذه المنطقة على الجانب الأيمن من الوادى . وهذا يعنى أن معدل عدد أفراد باقى القرى يعادل ١٥٠ فرداً للقرية الواحدة . ويصل القعرة وصلة تتفرع من طريق الجنوب العام طولها ٧ كم ، وفيها مستوصف ومركز بريد ومدارس حتى المرحلة الثانوية .

ومن قرى شمران الهامة الأخرى ابتداء من عالية الوادى فى الجنوب : الحبيل والنجاجير وظهابة والمعاصرة وآل غريبة والشاعن . ويقع فى شمال القعرة : أدمة شمران وآل صفية . وقد عاش قسم من سكان هذه المنطقة الى الشمال من هذه المواقع على حالة البداوة ، مستفيدين من عدد من الآبار المحفورة فى طمى الوادى يبلغ عددهم نحو ١٦٣٠ فرداً أى نحو ٣٨٪ من سكان المنطقة وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى المناطق الجبلية .

ج — بلاد خثعم : وهى اقرب من منطقة شمران الى حافة السراة بل تفصلهما عن بعضهما وتحتل الزاوية الشمالية الغربية من هذه المنطقة وذلك الى الشرق من خط الشعاف الذى يعتدل اتجاهه ثانية نحو الشمال حتى يشكل الفجوة الثانية الناتجة عن تراجع رؤوس مجارى وادى الحفيان . وتهبط الحافة من خط الشعاف بشدة نحو عالية وادى الحفيان الذى يسير محاذيا اصدار هذه الحافة غربا .

وتتشكل المنطقة التى تلى خط الشعاف شرقا وتبدأ من جبل بلس جنوبا من هضبة قليلة التفضن يشغلها حوض وادى شواص الأعلى الذى يتجه نحو الشمال مجاورا خط الشعاف ومبتعدا عنه شيئا فشيئا . والمنطقة بمثابة نهاية الاقليم الجبلى التابع لإداريا لإمارة عسير فى جهة الشمال الغربى وتفصلها عن المناطق الجبلية التابعة لإمارة الباحة المجاورة لها .

لايزيد ارتفاع خط الشعاف فى هذه المنطقة عن ٢٠٠٠م الا لماما ، ويتراوح ارتفاع الهضبة من ١٧٠٠م فى الشمال الى ٢٠٠٠م فى الجنوب والغرب . الا أنها تتعرض للتأثيرات الجنوبية الغربية شبه الموسمية بسبب وجود حفرة وادى الحفيان ، فاعتدل مناخها واغتنت بالنباتات الطبيعية ، وانتشرت الحقول المزروعة على السفوح العليا ، ولو أنها متفرقة فى نطاق يبلغ عرضه ٤ كم ويقع خلف الحافة مباشرة بامتداد ١١ كم . وتزداد كثافة الحشائش والشجيرات فى الوديان .

وقد تسبب هذا فى ظهور عدد كبير من القرى الصغيرة الحجم والأكثر تباعدا بعضها عن بعض بالقياس الى المناطق الجبلية الأخرى . إذ وجد فيها نحو ٤٧ قرية لم يبلغ مجموع سكانها خمسة آلاف نسمة ، أكبرها قرية آل قادم الواقعة فى جنوب المنطقة بين شمران والحافة التى لا تبعد عنها اكثر من $\frac{1}{4}$ كم وذلك عند زاوية انحنائها . وقد استفادت

من مرور طريق الجنوب (طريق الطائف - أبها) منها فسهل الوصول اليها وصارت مركزا للقرى الأخرى . وقد بلغ عدد سكانها ٣٤٢ نسمة لكنها نمت وتوسعت . ومن قرى هذه المنطقة أيضا : آل سعدان والرجمة وآل الصايد وآل شهوان والمبنى وآل شافع والبلس والفرسة والرباحين وآل سكن والنبا والفوقا .

ويعيش قسم من سكانها في سافلة المجرى الى الشمال على حالة البداوة يبلغ عددهم نحو الف نسمة ويردون عددا من مناهل المنطقة .

الفصل السابع

منطقة سروات الحجاز

نعنى بهذه التسمية المناطق الجبلية الواقعة في شمال الشمال الغربى من سروات عسير ،
والتي تعتبر امتدادا طبيعيا لها في هذا الاتجاه ، وذلك من بداية سراة غامد في منطقة قزاة
عند خط عرض ٤٧ - ١٩° ش وخط طول ٤٧ - ٤٠° ش وحتى سراة بنى سعد الواقعة
في جنوب شرق الطائف عند خط عرض ١٠ - ٢١° ش وخط طول ٤٠ - ٤٠° ش .
ويزيد البعد الخطى لهذه المسافة عن ٢٠٠ كم (شكل ٤١) .

تنحصر هذه المنطقة فيما بين خط الشعاف ، وهو جرف الانكسار الرئيسى الذى
يحددها غربا وبين بداية اقليم الهضاب الداخلية ، ويتراوح عرضها بين ٣٠ - ٤٠ كم
تقريبا ، وتضم السفوح العليا للمرتفعات والتي تنحدر اجمالا باتجاه الشرق كما تضم
الأحواض العليا للوديان التي تبدأ منها . وتبلغ مساحتها حسب هذا التحديد نحو ٧٥٠٠ كم^٢ .

البيئة الطبيعية :

يرتفع خط الشعاف في جميع هذا الاقليم من ٢٠٠٠ - ٢٣٠٠ م عن سطح البحر ،
ويصل ارتفاع بعض القمم الجبلية القريبة من هذا الخط أكثر من ذلك ؛ مثل جبل ابراهيم
الذى يشرف على وادى تربة من جهة وعلى وادى الجرداء في تهامة من جهة أخرى
(٢٦٣٠) ، وجبل بيضان الذى يشرف على رعدان ٢٥٣٠ م .

يهبط خط الشعاف باتجاه الغرب أو الجنوب الغربى بشكل فجائى ، ويشرف كمحائط
مرتفع باتجاه اصدار أودية تهامة التى تستمد روافدها العليا من هذه السروات مثل :
قنونة وأحسبة والدوقة والشاقة والليث . ويقترّب الهبوط من الوضع الرأسى في بعض
الأماكن . ولذلك يتعذر اجتيازه الا من أماكن محدودة هى العقبات .

ولكن ومثلما رأينا في سروات عسير ، فإن المرتفعات تنحدر انحدارا تدريجيا باتجاه الداخل بسبب عمليتي الانهدام والنهوض التي تعرضت لها هذه الحافة . غير أن التعرية التي نشطت عقب هاتين العمليتين فحفرت المجارى العليا للوديان بعمق شديد في الصخور الأركية المتكونة في الغالب من الجرانيت والسيانيت والديوريت والجنائيس والجابرو والشست بأنواعه ؛ ساعدت على تشويه طبوغرافية الأرض وعملت على زيادة وعورتها ، ولو أن هذه الوعورة لم تصل الى مستوى وعورة مرتفعات تهامة بسبب البنية .

ونظرا لامتداد الوديان مع اتجاه الميل العام للهضبة المائلة نحو الشرق والشمال الشرقى ، وبدئها من منطقة معتدلة الأمطار ؛ فقد تمكنت من أسر بعضها وتشكيل شبكات تصريف متطورة جدا ، وانتظمت في القسم الجنوبي منها في واديين رئيسيين هما وادى رنية وادى تربة ، أما القسم الشمالى فلم تتمكن من ذلك بسبب قلة المياه التي تصل إليها فبقيت منعزلة بعضها عن بعض صغيرة وضعيفة ، وانتهت في الهضبة الصحراوية التي تحاذيها شرقا وهى هضبة الجرد وأطراف ركة .

لا تختلف الصفات المناخية في مرتفعات الحجاز كثيرا عنها في مرتفعات عسير ، فهما تشابهان من حيث تباين معدلات الحرارة واعتدالها وتباين الأمطار حسب الارتفاعات ، وحسب مواجهة المكان للرياح السائدة خاصة تلك التى تجلب الرطوبة . وفى حين ان موقعها الى الشمال من السابقة جعلها أكثر بعدا عن تأثير الرياح الجنوبية الغربية شبه الموسمية ، إلا أنه جعلها أكثر قربا وأفضل مواجهة لتأثير الرياح الشمالية الغربية الناتجة عن منخفضات البحر المتوسط الشتوية والريعية ، وفى موضع أكثر مناسبة لتقابل الكتل الهوائية الناتجة عن تلك الرياح مع الكتل المتقدمة للملكة نتيجة سيطرة منخفض السودان وحركته باتجاه الشرق .

ومع ذلك لا يخفى تأثير هذه المؤثرات إذا قارنا جنوب هذه الكتلة بشمالها ، حيث يلاحظ أن الأمطار تتناقص والجفاف يزداد إجمالا بالاتجاه الشمالى ، وهذا بدوره يفسر تطور التصريف المائى فى القسم الجنوبى الى واديين هامين هما رنية وتربة ، فى حين أنه لم يستطع الوصول الى هذه المرحلة فى القسم الشمالى ، رغم أن الأمطار تميل لأن تكون ربيعية وشتوية وتقل الأمطار الصيفية فى الاتجاه الشمالى . فقد بلغت معدلاتها فى بعض محطات هذا الاقليم على سبيل المثال :

٣٣١ ملم فى قرانة ، ٤٢٣ ملم فى بلجرشي ، ٣٨٤ ملم فى المندق ، ٣١٠ ملم فى حداد بنى مالك ، ٢٣٦ ملم فى بقران ، كما بلغت نحو ١٨٠ ملم فقط فى الطائف . والشكل ٤٢ يوضح المعدلات الفصلية فى بعض المحطات ويقارنها مع محطة الطائف التى تقع شمال هذه المنطقة مباشرة .

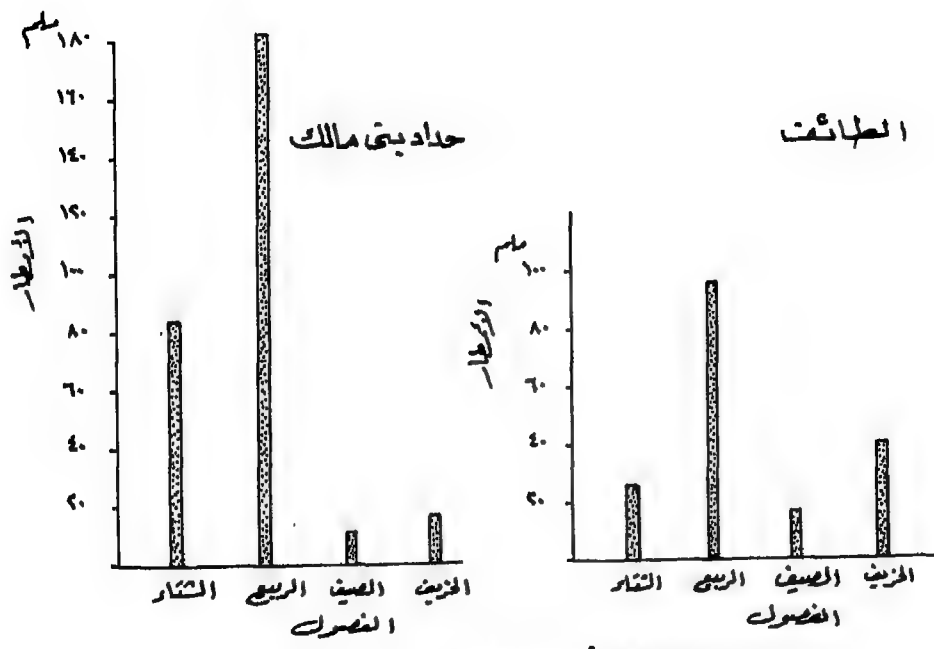
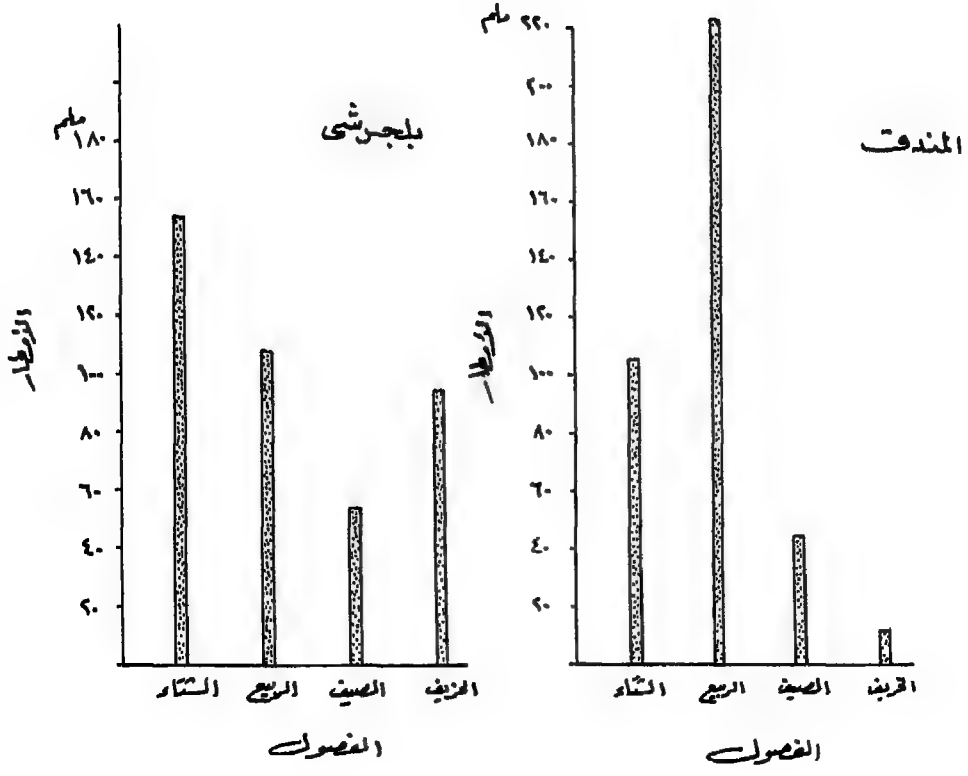
ولما كانت الأمطار تنصف بالفجائية وعدم الانتظام ، وصخور المنطقة من النوع الذى لا يمتص سوى القليل جدا من المياه ، ومعظم الجبال مجردة من التربة ؛ لذلك وجدت معظم المياه الناتجة عنها سبيلها - رغم قلتها - الى الوديان شرقا أو غربا . والجزء الباقي الذى اتجه الى تزويد جذور النباتات بما تحتاج اليه من رطوبة كانت كميته متواضعة ، ولو أنه يختلف من مكان الى آخر .

ففى بعض المواقع التى تستأثر بكميات أكبر من الرطوبة ظهر غطاء نباتي كثيف قوامه أشجار دائمة ، تتكاثر أحيانا فتغطي مظهر الغابات الحقيقية ، مثل تلك الغابات التى رأيناها فى مرتفعات عسير ومن أمثلتها : غابة الحمران وفيق ، والطيقة (رَغْدان) والشهباء ، وبرحرح وغمضان وغمدة والموقر . ويعتبر العرعر أهم أشجار هذه الغابات ، ويوجد الى جانبه العتم والطلح والشث والشبارق والعرب والرين وغيرها . ومن الملاحظ ان هذه الأنواع - خاصة الأكاسيات - تتكاثر فى الوديان المنخفضة .

وتكتسى الأرض بغطاء عشبي كثيف فى المواقع الأخرى عقب سقوط الأمطار ، خاصة فى الأودية ، كانت عماد حياة رعوية جيدة سواء من قبل الريفيين أو البدو . كما استغلت أشجار الغابات فى أعمال التحطيب لاستعمالها كوقود أو فى الاستعمالات الخشبية الأخرى . وتحوى هذه المناطق الشجرية بعض الأنواع الحيوانية التى يصعب وجودها فى مناطق أخرى من المملكة مثل القردة والنسانيس وأنواع من والزواحف والطيور .

نشاط السكان :

ومثل مرتفعات سروات عسير تحول قسم من السفوح العليا - أى الأقل حرارة والأكثر أمطارا - إلى مدرجات جبلية تخصصت بزراعة الحبوب بالطرق التقليدية ، كما تحول قسم من مصاطب الوديان ، وهى المصاطب ذات التربة الطموية العليا أو الوسطى ، الى مزارع تعتمد على الري من مياه الفيضان ، مهما كانت كمية الأمطار التى تسقط فيها ، أو على مياه الآبار المحفورة فى طبقة الطمي ذاتها والتى سبق وأن تسربت اليها من مياه الفيضان .



المعدلية الفصلية للأمطار في بعض محطات سروات الجواز

وكانت هذه الزراعة منذ القدم العامل الرئيسي لاستقرار السكان في تلك الأصقاع ، وصارت الزراعة عماد حياتهم ، ولذلك اعتبرت مناطق الجبال من ضمن المناطق الريفية التى تقل فيها البداوة وتخلو من ظاهرة المدن .

غير أن الريفيين مارسوا تربية الحيوانات الى جانب الزراعة حتى تساهم في رفع مستوى دخلهم ، وحتى يستعينوا بالحيوانات في القيام ببعض أعمال الفلاحة .

وأهم إنتاج هذه المناطق الجبلية : القمح والذرة الرفيعة والشعير والعدس . وقد اهتم مزارعو بطون الأودية بزراعة الأشجار المثمرة كاللوز والمان والخوخ والعنب والتين الشوكى . وبدأوا مؤخرا بزيادة الاهتمام بزراعة الخضروات المتنوعة كالطماطم والبطيخ والشمام والبصل وغيرها . وأهم أنواع المنتجات الحيوانية الأغنام والماعز والأبقار .

وكان انتاج هذه المناطق وفيرا ويزيد عن حاجة سكان الاقليم . ولذلك فان الفائض من هذه المنتجات النباتية والحيوانية كانت تسوق في مدن الحجاز ، مثل الطائف ومكة لاسيما في مواسم الحج . والان ، وبالرغم من تزايد حاجة المنطقة الى المواد الغذائية النباتية والحيوانية واعتمادها في تلبية حاجتها منها على الاستيراد ، فان بعض المنتجات الفائضة في مواسم الحصاد والجنى لاتزال تجد سبيلها الى تلك الاسواق بالاضافة الى أسواق جديدة أبعد منها مثل : جدة والرياض بسبب سهولة المواصلات .

يبلغ عدد سكان هذه المنطقة الجبلية نحو ١٨٠٠٠٠ نسمة توزعوا في نحو ٩٠٠ قرية وبلدة ، أى بمعدل ٢٠٠ فرد للقرية أو البلدة الواحدة ، مما يدل على سيادة القرى الجبلية الصغيرة التى تتكون الواحدة منها من بضعة أكواخ بسبب ضيق الأراضي الزراعية وتباعدها بعضها عن بعض ، مما يقتضى استقرار عدد محدود من الناس حول مساحات محدودة من الأرض الزراعية .

وبالمقابل لم تظهر في هذه المنطقة مدن كبيرة أو متوسطة الحجم ، أما البلدات المتوفرة فهى قرى تميزت بموقعها المتوسط أو بسهولة الاتصال بها ، فالتحت أسواقا لتبادل المنتجات المحلية ، ثم قام بعضها بالوظيفة الإدارية حينما اتخذت قاعدة لإمارة صغيرة . وبدأت تنمو وتتسع حينما اتسعت فيها الوظيفة الإدارية بإنشاء عدد من الدوائر الحكومية ، ونشأت فيها وظيفة الخدمات ، حتى تحول بعضها الى مدن صغيرة مثل بلجرشي والباحة .

وقد استقرت في تلك البلدات منذ ما اتخذت مراكز اتصال بين الناس ووظيفة المهن التقليدية التي توجد عادة في المدن مثل : الصناعات الجلدية كالدباغة وصنع القرب والحذيان والسروج ، والصناعات الخشبية كالأبواب والنوافذ والسقوف ، وصناعة الجريد والليف كالحبال والمراوح والقبعات والأوعية ، وصناعة القطران والفحم وزيت الخشب ، والصناعات الصوفية كالبيسط والأكسية والجيب والأخراج . ومن أهم هذه المراكز المهنية الباحة وبلجرشي .

وبالرغم من غنى المنطقة بالمعادن ، حيث ثبت وجود المعادن الفلزية في كثير من نواحي هذا الاقليم ، ووجود آثار لمناجم قديمة فيه أو بالقرب منه كان الاقدمون يستثمرونها في الماضي ، مثل مناجم النحاس والزنك في بطحان ، ومناجم الذهب في العقيق وغيرها ؛ فانه لا يستثمر منها شيء في الوقت الحاضر . ومع ذلك فان وجود هذه الثروة تبقى امكانيات كامنة ، ومجالا من مجالات التنمية الاقتصادية في المستقبل .

ولكن يجب أن لانغفل ان لجبال سروات الحجاز مستقبلا واسعا في مجال السياحة واستثمار التصنيف ، حيث أنها تتميز مثل مرتفعات عسير بطقس معتدل جميل ، وينتشر في كثير من ربوعها مناظر الأشجار المتكاثفة والظليلة ، والمروج الخضراء والمدرجات المزروعة ، ومناظر القمم الجبلية الشاخنة والوديان التهامية السحيقة ، وجمال الطبيعة الفنان .

ومن المعروف أن تطوير السياحة وتشجيع مجالات التصنيف يرتبط ارتباطا وثيقا بتطوير شبكة المواصلات الحديثة وتوفير الخدمات والحاجات التي يتطلبها المصطافون لاسيما الفنادق والمطاعم والاستراحات . وقد بدأ عهد الطرق في جبال الحجاز بانشاء طريق الجنوب التي تبدأ من الطائف الى أبها ومنها إما الى جيزان على ساحل البحر أو الى نجران في الداخل . وقد أضيف الى هذه الطريق عدة وصلات على اليمين وعلى اليسار لربط المدن والمواقع المجاورة ، مثل الطرق التي تتفرع الى ميسان أو الى تربة أو الى العقيق أو الى الأزاهرة . غير أن طريق الجنوب تتجنب المناطق الجبلية العالية لوعورتها في كثير من المناطق ، لاسيما في القسم الأول حيث تتجنب جبال بلحارث وثقيف وبنى مالك وزهران . ولذا كان لزاما أن يجرى العمل على انشاء الطريق المحاذية لخط الشعاف ، والذي يكمل وصلة ميسان بلحارث وعبر تلك الكتل الجبلية المذكورة الى الباحة . وقد تم انشاء مطار العقيق الذي يبعد ٤٣ كم عن الباحة في عام ١٤٠١ هـ ليخدم سكان هذه المناطق الجبلية أو الذين يأتون اليها .



(صورة ١٣)

أقيم سد على وادى الصلبر (عالية وادى تربة) لرفع مستوى الغشاء المائى فى الوادى لخدمة المزارع التى ترى فى الصورة بعد موقع السد .



(صورة ١٤)

قرية الملد هى حصن يشرف على وادى الملد وعلى أراضيها الزراعية ، وهو امتداد وادى جوب القادم من الباحة . وقد أخذت الصورة من فوق شلال الملد .

يضم اقليم جبال الحجاز اذن عدة سروات يدعى كل منها باسم القبائل التي تستوطنها ، وهذا يفسر تغير اسماء السروات عبر القرون . هذه السروات من الجنوب الى الشمال هي : سراة غامد وزهران ، ويشار اليها الآن باسم سراة الباحة بعد اطلاق الاسم على الإمارة ، وسروات بنى مالك ، وثقيف ، وبلحارث وبنى سعد . كانت هذه السروات تتبع في معظم تاريخها المتأخر - لاسيما خلال العهد العثماني الذي استدام مدة طويلة - ولاية مكة المكرمة . ومن هذه التبعية ورثت هذه المنطقة اسم الحجاز .

وحينما تشكل في القسم الجنوبي من هذا الاقليم وحدة إدارية قائمة بذاتها هي إمارة غامدة وزهران حسب التنظيم الادارى للدولة السعودية ؛ بقى الجزء الشمالى منها تابعا لإمارة الطائف ، والتي تعتبر بدورها إمارة فرعية أو تابعة للإمارة المركزية في مكة . وقد أشرنا في أكثر من موضع من هذا الكتاب الى ذلك القسم الجنوبي اى منطقة الباحة باسم « الحجاز الجنوبي » ، ورغم ارتباطاته الإدارية القديمة بمكة فقد تطور منعزلا عنها وبرزت له شخصية مميزة .

ومن ذلك رأينا تقسيم هذه المنطقة الجبلية الى قسمين : الأول سراة الباحة والثانى الاقليم الجبل في جنوب الطائف ، أى سراة بنى مالك وثقيف وبلحارث وبنى سعد .

أولا : سراة الباحة :

كانت إمارة الباحة حتى عهد قريب إمارة فرعية تابعة لإمارة الطائف . ثم فصلت عنها وصارت إمارة قائمة بذاتها تتصل بالنيابة العامة بمدينة مكة . وأطلق عليها اسم إمارة غامد وزهران باسم السراة وأصبحت منذ صدور التنظيم الادارى لسنة ١٣٧٣هـ الموافق سنة ١٩٥٢ إمارة رئيسية ترتبط بوزارة الداخلية بالرياض^(١) ، وبقيت كذلك حتى الآن ؛ وكانت قاعدتها في الأصل بلدة الظفير ، وانتقلت في سنة ١٣٧٣م الى بلجرشي ثم عادت في أواسط الثمانينات الهجرية الى بلدة الباحة المجاورة للظفير من جهة الشمال بسبب توسط موقعها بالنسبة لموطن فرعي الإمارة : غامد وزهران . وعمليا عادت القاعدة الى الباحة والظفير في آن واحد بعد أن توسعت البلدتان واتصلتا معا واصبحتا مدينة واحدة . واطلق على الإمارة اسم « إمارة الباحة » باسم المدينة .

(١) حمد الجاسر - فى سراة غامد وزهران ، ص ٨٣

تضم هذه المنطقة الإدارية - بالإضافة الى سراة غامد وزهران - مساحة كبيرة من اقليم مرتفعات تهامة في الجهة الغربية ، كما تضم مساحة اخرى من اقليم الهضبة الداخلية في الشرق . ولكن الاقليم الجبلى أو « السراة » هو الموطن الرئيسى لهاتين القبيلتين ، وكان ثابتا مهما مختلف نفوذهما سلبا أو ايجابا .

يحد إمارة الباحة شمالا بلاد بنى مالك من بجيلة وبلاد بلحارث وذلك الى الشمال من مجرى وادى تربة حينما ينحرف اتجاهه نحو الشرق بالقرب من جبل ابراهيم . كما يحدها من الشرق بلاد البقوم (الحرة) وشمران . ويحدها من الجنوب بلاد خثعم (جنوب شرق قزاة) ، ومن الغرب الشريط الساحلى الذى يتبع قسمه الجنوى قضاء القنفذة وقسمه الشمال قضاء الليث وهما يتبعان إمارة مكة .

كانت هذه الإمارة تتكون من تسع وحدات فرعية يقع أربع منها في اقليم السراة ، ومثلها في اقليم مرتفعات تهامة وواحدة في اقليم الهضبة ؛ ثم تغير التقسيم وزاد عدد الوحدات بعد أن انفصلت إمارة دوس آل نعمة وإمارة بنى حسن (الصغرة) وإمارة عنازة والجماجم عن إمارة المندق ، وبعد أن استحدثت إمارة غامد الزناد (آل عاطف في تهامة ، وإمارة ناوان في تهامة أيضا ؛ وصارت تتكون من ١٦ وحدة ادارية أو إمارة فرعية . وقد سبق التعرف على سبع منها ضمن منطقة تهامة الباحة ويوجد وحدتان في اقليم الهضبة الداخلية وسبع وحدات في اقليم المرتفعات الجبلية (السراة) . والوحدات الأخيرة هي محور دراستنا الآن .

بلغ عدد سكان هذه الوحدات الفرعية في اقليم السراة ١١٣٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٧٤ م . ولما كانت مساحة كبيرة من مقاطعة بلجرشى تقع في اقليم الهضاب الداخلية ، وقد بينت أرقام احصاء ١٩٧٤م وجود ٣٥٠٠ فرد من البدو في تلك المقاطعة ؛ لذلك أمكن الافتراض أن عدد أفراد منطقة السراة لم يكن يتجاوز ١١٠٠٠٠ في ذلك الوقت . ولا ينتظر أن يكون العدد قد زاد الآن عن ١٣٠٠٠٠ فرد رغم ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية والخصوبة بسبب نزوح قسم من أفراد هذا الاقليم الى مناطق أخرى في المملكة . ويتوزع هذا العدد في ٣٧٥ قرية مختلفة الحجم بالإضافة الى مدينتين صغيرتين هما : بلجرشى والباحة .

وهذا يشير الى أن معظم سكان هذا الاقليم كانوا يعيشون من الإنتاج الزراعى والذى يتضمن تربية الحيوان . وحتى أن المدن هي مدن زراعية بالدرجة الأولى . وكان يمارس

بعضهم التجارة أو المهن اليدوية والخدمات المهنية . وأخذت تتقلص أهمية الانتاج الزراعى كثيرا خلال العقد الأخير فى حين زادت أهمية التجارة والنقل والخدمات المهنية والشخصية والوظائف الحكومية وأعمال الإنشاء .

ومع ذلك فإن توفر فرص العمل الجديدة هذه لم تكن بالقدر الذى توفرت فيه فى مدن المملكة الكبرى وفى بعض المناطق النامية ، مما حمل قسما كبيرا من شباب هذه المنطقة للنزوح الى تلك المناطق . وقد نالت الهجرة ممن كانوا يمارسون العمل الزراعى أو من أبنائهم أكثر من الفئات الأخرى ، بسبب انخفاض مستوى الإنتاج الزراعى وعدم ضمانته بسبب اعتماده على الأمطار وهى شديدة التذبذب والاختلاف . وصار من المألوف وجود مدرجات زراعية « دامرة » أى مهجورة .

ورغم تقدم الأنظمة الحكومية وسيطرتها فى تسيير دفة المجتمع فإن العلاقات الاجتماعية تتم على أساس قبلى ، لاسيما وان الاستيطان تم من البدء على ذلك الاساس ، إذ ان لكل قبيلة أو فخذ أو عشيرة قرية أو مجموعة من القرى يعيشون فيها أو لهم أراض ينتفعون منها دون غيرهم ، حتى أن كثيرا من القرى سميت باسماء العشائر . ولكل منها شيخ يتولى حل جميع المشكلات التى تنشأ بين أفراد جماعته ، ويقوم بالربط بين الدولة وأفراد الجماعة ؛ فهو الذى يعرض على الدولة حاجاتها ومختلف شئونها العامة ويتولى رفع الظلمات عنها ، وبالمقابل تنقاد القبيلة لشيخها وتخضع لرأيه .

وكان للنظام القبلى سلبيات كثيرة حينما كان بمنأى عن الإدارة الحكومية ، فكان ينشر الحزازات ويذكى روح العداوة بين القبائل والأفخاذ . ويشاهد أثر ذلك فى اقليم السراة متمثلا فى كثرة الحصون التى تحيط بقرى كل قبيلة ، بل أن الحصون كانت تنتشر فى وسط المزارع ، حيث كانت تبنى من الحجارة وتشاد فى قمم الجبال أو التلال لتحكم المراقبة على السهول المجاورة (صورة ١٤) .

ينتمى أفراد سراة الباحة الى قبيلتين هما : غامد وزهران تنتميان الى الأزد من بجيلة ، وكان أصلهما قبيلة واحدة ؛ إذ قيل أن زهران كان عم غامد ، واستوطن أبناء غامد فى القسم الجنوبى من المنطقة ، واستوطن أبناء زهران فى القسم الشمالى والشمالى الغربى منها .

ويتكون القسم الجبلى لسراة غامد وزهران ابتداء من الجنوب من الأقسام التالية :

١ - مقاطعة بلجرشي : وقاعدتها مدينة بلجرشي وتحتل مساحة واسعة (تزيد عن ١٠٠٠ كم^٢) في جنوب سرة غامد فتجاور بلاد خثعم التي تقع الى الجنوب الشرقي منها ، ويحدها اقليم تهمامة (مناطق الاصدار) من الجنوب والغرب ، وتمتد شرقا باتجاه الهضبة الداخلية في مناطق تشكل الروافد الرئيسية لوادي رنية .

يرتفع سطح الهضبة عند حافة الشعاف بين ٢٠٠٠ - ٢٤٠٠ م وترتفع بعض القمم الجبلية قرب الشعاف الى ٢٢٠٠ م واكثر ، ويرتفع جبل حوالة الواقع جنوب قرانة في اقصى جنوب شرق هذه المقاطعة ٢٤٠٩ م . وينحدر ببطء باتجاه الداخل أى نحو الشمال الشرقي حيث تبدأ الروافد العليا لوادي رنية ، في حين ينحدر بشكل فجائي نحو ١٠٠٠ - ١٢٠٠ م باتجاه الجنوب والغرب خلال مسافة لا تزيد عن ٥ كم ؛ باتجاه الجنوب نحو وادي الخيطان والمجاري العليا الأخرى لوادي قنونة الأعلى ، وباتجاه الغرب نحو الوديان : راش وظيان وبطاط وهي المجاري العليا لوادي الخوارة (أحسبة) .

يتصف مناخ هذه المنطقة بالاعتدال وتزيد كمية الامطار فيها عن ٣٠٠ ملم وترتفع فيها نسبة الرطوبة ، ولذلك انتشرت في بعض جوانبها مساحات واسعة من المناطق الشجرية (الغابات) الكثيفة لاسيما من أشجار العرعر وشارق وبعض الأكاسيات . وقد استطاعت المجاري العليا للوديان المتجهة نحو الداخل أن تشكل مصاطب رسوبية سمكية قادرة على تخزين كمية من المياه الساقطة عليها ، وقد حولها المواطنون منذ القدم الى مدرجات جبلية ، واخضعوها للزراعة خاصة الزراعة المطرية المتخصصة بانتاج الحبوب . وهذا يفسر انتشار الخضرة على خرائط هذه المنطقة بدون انقطاع سواء الناتجة عن النباتات الطبيعية أو المزروعة . كما يفسر وجود سلسلة متصلة من القرى الكبيرة والصغيرة والمتجاورة على مسافة قريبة من خط الشعاف وتقع في نطاق من المعمور لا يتجاوز عرضه ٥ كم ويقع الى الشرق من خط الشعاف مباشرة .

وتمتد مقاطعة بلجرشي في اتجاه الشمال الشرقي من خط المعمور مسافة تقرب من ٥٠ كم ، فتشكل جزءا من أحواض روافد وادي رنية العليا وهي : وادي الجوف وادي البصرة وادي رنية ، التي تتجه إجمالا نحو الشرق أو الشمال الشرقي . ويمكن أن نصف أرضها بأنها هضبة مرتفعة تنحدر إجمالا من خط الشعاف أو من خط المعمور في الغرب والجنوب باتجاه الداخل بشكل تدريجي من ارتفاع يقرب من ٢١٠٠ م الى ١٧٠٠ م عن سطح البحر .

غير أن المجارى العليا لروافد وادى رنية شوهت استواء سطحها وحفرت فيه بعمق ، وهبطت احيانا ٥٠ م أو اكثر عن مستوى سطح الهضبة . وبالرغم من تفاهة هذا الانخفاض إلا أن حساسيته للمناخ واضحة ؛ فارتفعت معدلات الحرارة ونقصت معدلات الأمطار بشكل فجائى الى معدلات صحراوية .

وتحول سطح الهضبة شرقا الى منطقة جرداء قاحلة خالية تماما من مواقع الاستقرار . ولولا أن الوديان لا تزال تتميز بغناها بالأعشاب فأصبحت موطننا صالحا لحياة البدو الرحل لكانت خالية من السكان . وهذا ما يبرز اقتطاع الجزء الشرقى من قضاء بلجرشى من اقليم المرتفعات وضمه الى اقليم الهضاب الداخلية .

بلغ عدد المستقرين فى قضاء بلجرشى فى سنة ١٣٩٤هـ ٣٥٠٠٠ نسمة ، كان ٥٠٠٠ فرد منهم يسكنون مدينة بلجرشى ، وتوزع الباقى فى ٩٤ قرية معظمها من القرى الكبيرة أو المتوسطة الحجم ، حيث بلغ معدل عدد افراد القرية ٣٢٥ فردا للقرية . وفى حين يتوقع زيادة عدد أفراد مدينة بلجرشى إلى مثلى ماكانوا عليه ، فإنه لا يحتمل أن يزيد عدد افراد القضاء كله بهذا القدر ، لأن قسما من تضخم مدينة بلجرشى كان على حساب سكان القرى أو البادية المجاورة .

وتتكون المنطقة المعمورة فى مقاطعة بلجرشى من الأقسام التالية ابتداء من الجنوب :

أ — منطقة قرآنة : وتقع فى أقصى جنوب شرق هذه المقاطعة على حدود بلاد خثعم وذلك فى أحواض الوديان : السكران والفرح والقمع وقرآنة وهى من الروافد العليا لوادى رنية ويحدها من جهة الجنوب جبلا أثرب وحوالة المرتفعان واللذان ينحدران بشدة نحو وادى الخيطان بتهامة . ويعيش سكان هذه المنطقة من الإنتاج الزراعى فى مساحات تزيد ارتفاعاتها عن ١٩٠٠ م تقع فى أحواض الوديان وكانوا يعتمدون على زراعة الحبوب وعلى تربية الحيوانات . وتوجد فيها عدة قرى أهمها قرآنة وحوالة والفرح فى جنوب الخط « المزفلت » والقمع ، والأزاهرة فى شماله ، والأخيرة يصلها خط فرعى يبلغ طوله نحو ٣ كم ، وينتسب سكانها الى بالشهم ، وتتبع إداريا بالشهم المستوطنة فى الحميد . وتقع القرى ضمن منطقة لا تزيد أبعادها عن ٦ كم .

ب — منطقة الحميد : وتتكون من عشر قرى مختلفة الحجم تقع فى حوض وادى آل زارع (الملقاة الأعلى) الذى يبدأ من قمة السراة من شمال جبل العين ويتجه الوادى نحو

الشمال الشرقى محاذيا خط الشعاف ثم مبتعدا عنه شيئا فشيئا مسافة ٩ كم ويتكون من اجتماع عدد من الوديان الصغيرة هى : بنى هلال وسد العتم والجحافين وغيرها ، ويقع فيما بين خط الشعاف فى الجنوب وجبل الجويف وجبل ام الصلى فى الشمال . ولايزيد عرض المنطقة المعمورة بالمزارع والقرى عن ١ كم إلا نادرا ، ولايزيد امتداد البقع الزراعية عن ١ كم ، ويتراوح بعد القرية عن الأخرى ما بين ١ ، ٢ كم ، ومن أهم القرى فيه الحميد وفيها مركز إمارة فرعية والفُرّة الى الجنوب منها ، ويليهما الى الغرب الميراباه وآل زارع والجحافين وجبر وبنى هلال والحلية .

ج - منطقة الحمران : وتقع فى حوض الرافد الغربى لوادى البصرة الأعلى ويتكون من التقاء وادى البكير ووادى عبدان . ويبدأ الحوض من قمة السراة فى شمال منطقة المكربة ، ويتجه نحو الشمال مسافة ٦ كم وهو يجاور خط الشعاف مباشرة قبل أن يصب فى وادى البصرة فى شمال قرية الفرشة .

تمتد الأرض الزراعية فى منطقة يبلغ عرضها نحو ٥ كم ، كبقع واسعة مثل تلك المحيطة بقريتى الحمران والأبناء ، تفصلها عن بعضها أراض غنية بالنباتات الطبيعية لاسيما نبات العثرب والعرعر والأكاسيات يزداد تكاثرها فى غابة الحمران . وتنتشر القرى فى هذا السهل المرتفع بحيث يتراوح بعد الواحدة عن الأخرى من ١ - ٢ كم فتتوسط المساحات المزروعة . ومن أهم قرى هذه المنطقة : الحمران وعبدان القريتان من خط الشعاف فى جنوب المنطقة ، وقد توسعت الأولى وتطورت حتى كادت تصبح بلدة . ومنها شابور والصدتين وتقعان فى شمال شرق طريق الجنوب .

يتفرع من طريق الجنوب فى هذه المنطقة وصلتان تتجه إحداهما نحو الشمال الشرقى الى قرية الفرشة على بعد ٥ كم ، وتتجه الثانية نحو الجنوب الغربى الى عقبة الأبناء فتتهبط سراة غامد قرب جبل حلحال الى تهامة فتربط السراة بمنطقة الخواة والقنفذة .

د - منطقة بلجرشي : وتقع الى الشمال الغربى من منطقة الحمران . بل تشكل هى والحمران منطقة واسعة على شكل بيضاوى قطره الكبير من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى نحو ١٠ كم وذلك لأنها تبدأ من خط الشعاف الذى يتخذ الشكل الدائرى فى هذه المنطقة من جهتي الجنوب والغرب . ويمتد قطرها الاخر باتجاه الشمال الشرقى مسافة ٨ كم حتى بداية وادى البصرة (احد روافد وادى رنية العليا) .

وتتكون المنطقة من هضبة شبه مستوية السطح يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٥٠ - ٢١٠٠ م عن سطح البحر وتبرز فيها أحيانا بعض التلال الأكثر ارتفاعا مثل جبل الفقهاء في غرب بلجرشي (٢٢٤٨ م) ، وجبل خياصة في شمالها الغربى (٢١٨٧ م) . وتبدأ من هذه الهضبة الروافد العليا الغربية لوادى البصرة . ونظرا لارتفاعها وقربها من الشفا وبالتالي تعرضها للرياح الرطبة اعتدل مناخها ، وسقط بها كمية من الأمطار يزيد معدلها عن ٣٠٠ ملم ؛ مما حول مساحات واسعة من جوانب الوديان الى أراض زراعية تنتشر كبقع منفصلة إنما متقاربة تتخللها المساحات الغنية بالأشجار وحتى بالغابات ، كما تتخللها الكتل الصخرية الجرانيتية الضخمة والجرداء .

وقد انتشرت القرى الكبيرة الصغيرة في وسط هذه المساحات بحيث تبعد الواحدة عن الأخرى ما بين ١٥ - ٤ كم . وتمر بالقرب من الطرف الشرق لهذه المنطقة طريق الجنوب والتي تنحنى أيضا على شكل قوس من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ، مما كان له أكبر الأثر على اخراج هذه المنطقة وقراها من عزلتها السابقة .

وقاعدة هذه القرى هى مدينة بلجرشي التى كانت تتكون من مجموعة من القرى يطلق عليها اسم السوق اى « سوق بلجرشي » . وتنسب الى بلجرشي وهى فخذ من قبيلة غامد . وكانت الى فترة قريبة عاصمة إمارة غامد وزهران قبل أن تنقل فى نحو ١٣٨٥ هـ الى الباحة . وبالرغم من انتهاء قيامها بوظيفة العاصمة للإمارة إلا أنها لاتزال اكبر وأهم مدينة فى إمارة الباحة ، ولاتزال قاعدة ومرجع النصف الجنوبى من الإمارة ، وتلعب دور المركز التعليمى والتجارى الذى لا يضاويه أى مركز آخر فيها ، وكذلك مركز عدد من الشركات التى تقوم ببعض المشاريع الإنشائية فى المنطقة . ويمتاز موقعها بانه يسهل الاتصال به من الشمال والشرق والجنوب ، ولو أنه يعتبر متطرفا نحو الجنوب بالنسبة لباقي أجزاء الإمارة ، خاصة بلاد زهران فى دوس والمنطق ، وهذا ما دعا الى نقل العاصمة الى الباحة التى تبعد عنها نحو ٣٠ كم باتجاه شمال الشمال الغربى . وفى بلجرشي مستشفى حكومى ومستوصفات وعدد من المدارس والدوائر الحكومية الأخرى وقد اتصلت بالهاتف الآلى ، وقد اتسع جهازها لألف مشترك .

لقد تحول عدد من القرى القريبة من بلجرشي الى ضواح أو أحياء نظرا للتوسع العمرانى الذى تعرضت له وما شهدته من زيادة فى عدد سكانها . حيث يقدر عدد سكانها بما يزيد عن عشرة آلاف حسب أقل تقدير . ومن القرى الهامة فى المنطقة مضعة

وغيلان في جنوب بلجرشي والقمان في جنوبها الغربى ، والجلحية في جنوبها الشرقى ، والطلقية والعدبة في شرق خط الجنوب وخياصة وأم الضواحي في الشمال .

هـ — منطقة بنى سالم : وهى امتداد لهضبة بلجرشي السابقة الذكر باتجاه الشمال ، حيث يعتدل اتجاه خط الشعاف بعد بلجرشي باتجاه الشمال ، ولذلك فهى تأخذ الشكل القريب من المربع الذى يبلغ طول ضلعه ٥ كم تقريبا . يبلغ معدل ارتفاعها نحو ٢١٠٠ م ، وتشبه سابقتها فى أن بعض القمم ترتفع الى اكثر من ذلك خاصة تلك المشرفة على خط الشعاف (٢٣١٦ م فى غرب قرية بنى سعيد) حيث يبدأ الجرف باتجاه وادى ظيان فى منطقة الخواة بتهامة .

يبلغ عرض المنطقة المحصورة بين خط الشعاف وخط الجنوب المزفلت بين ٣ - ٤ كم ، وتشكل المجارى العليا لبعض روافد وادى رنية أيضا . ونظرا لانفتاحها واستوائها النسبى واعتدال مناخها وتشكل التربة فى جنباتها ، ظهرت فيها المساحات الزراعية ومناطق الاشجار الطبيعية وكتل الجرانيت الكبيرة الجرداء ، على غرار ما رأينا فى منطقة بلجرشي . وقد وجدت القرى الزراعية وسط الحقول وكان من أهمها : القرن بنى سالم ، وبنى جرة وبنى سعيد وتقع إلى شمال بلجرشي بنحو ٨-٩ كم ويقابل بنى سالم من جهة الشرق أى إلى الشرق من طريق الجنوب وادى غسل المشهور بزراعة العنب وفيه قرية العسيلة ، وإلى الشمال منه وادى عالقة . ويعيش فى هذه المنطقة أيضا أفراد قبيلة المرهوة .

و — منطقة وادى بنى كبير : وبنى كبير فخذ من غامد وتعيش فى هذا الوادى الذى سمي باسمها ولها فيه ٢٠ قرية تمتد بامتداد الوادى من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى يفصل بينها مسافة يبلغ معدلها بين $\frac{1}{4}$ الى $\frac{1}{3}$ كم . ويبدأ الوادى بالقرب من

الشعاف (على بعد ١ كم) من شمال غرب قرية بنى سعيد ، ويتجه أولا نحو الشمال الشرقى الى أن يقطع طريق الجنوب ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى فتنظم فيه القرى على النحو التالى : الحبيس والغبر والصديرة والظفير وبنى والبة والعبادل والزقاء والقليلة وظهر الحامر والكثفة والسيار والدهامشة والفلاح وآل سالم وآل سرور والنعيم وصبر والمرزوق . وتظهر هذه القرى على امتداد نحو ١٠ كم من الوادى وذلك قبل أن يلتقى بعالية وادى رنية ويقع أذناها وهى قرية المرزوق على ارتفاع ٢٠٠٠ م .

وقد عمل الوادى الذى اشتركت الانكسارات والتعرية فى بنائه على إنشاء مصاطب رسوبية على جانبه خضعت للانتاج الزراعى وأصبحت الزراعة المهنة الرئيسية للسكان ، وتشترك معها حرفة تربية الحيوانات سواء فى داخل الحقول الزراعية أو من رعاية سفوح الوادى المرتفعة . ويبلغ عدد أفراد هذه المنطقة نحو ثمانية آلاف نسمة يشكلون إمارة فرعية تابعة للباحة يقع مركزها فى قرية ظهر الحامر فى وسط الوادى رغم صغرها .

٢ — مقاطعة الباحة : وقاعدتها مدينة الباحة وهى فى نفس الوقت عاصمة إمارة الباحة الإدارية . وتحتل هذه المقاطعة مساحة صغيرة نسبيا (تقل عن ٥٠٠ كم^٢) فى وسط الإمارة وذلك فيما بين مقاطعة بلجرشى فى الجنوب الشرقى ومقاطعة زهران فى الشمال الغربى وبمحاذاة خط الشعاف الذى يتجه بشكل متعرج باتجاه الغرب فالشمال فالشمال الغربى ، والذى يختلف ارتفاعه أيضا اذ يبلغ فى قسمه الجنوبي الشرقى (شفاظبيان) ٢٤٠٠ م ، ولايتجاوز ٢٢٠٠ فى شفا الباحة .

ينحدر خط الشعاف باتجاه الجنوب الغربى مقدار ١٢٠٠ - ١٤٠٠ م دفعة واحدة على مسافة ٣ - ٤ كم وذلك باتجاه وادى الطارق (عالية المخوة) ، ويكون الانحدار أحيانا على شكل جروف قائمة يستحيل اجتيازها . فى حين ينحدر السطح باتجاه الداخل ببطء شديد مما جعله يتكون من هضبة شبه مستوية قليلة الانحدار ، وقد عملت التعرية على تخديده وتحويله الى مجموعة من المرتفعات والوديان الأقل تعقيدا ؛ مما سمح لمجرى الوديان العليا—والتي تبدأ من خلف خط الشعاف مباشرة—أن تبنى مصاطب رسوبية سمكية تغطى بعضها بالاشجار الكثيفة أو النباتات العثرة والأعشاب نظرا لغزارة الأمطار التى تسقط عليها والتى يزيد معدلها عن ٣٠٠ ملم . فظهرت غابات حقيقية فى المنطقة مثل غابة رعدان فى شمال غرب الباحة وغابة الشهباء فى شمالها الشرقى وغابة جبل الغبر المشرف على وادى فيق ووادى بنى كبير فى جنوبها الشرقى .

وتحولت السفوح القرية من سرر الوديان وبعض بطون الأودية كذلك الى حقول وبساتين زراعية منذ زمن بعيد لاسيما بعد اقامة المدرجات الجبلية فيها . فامتدت الأرض المزدانة بالحضرة سواء بالنباتات الطبيعية أو المزروعة ابتداء من بخط الشعاف باتجاه الداخل بعرض ٧ كم فى الجنوب ويزداد حتى يصل ١٢ كم فى شمال غرب الباحة ، وتتحول الأرض من هذا الحزام الأخضر باتجاه الشمال الشرقى (الداخل) الى القحولة بشكل فجائى بسبب التحول الى الصفات الصحراوية .

يعيش في هذه المنطقة الصغيرة نحو ٤٠٠٠٠ نسمة معظمهم — ان لم يكن كلهم — من المستقرين في قرى مختلفة الحجم والأهمية ينتسبون الى قبيلة غامد .

يمر طريق الجنوب الحديث من الجزء الشرق من هذا الحزام الأخضر ويتجه نحو الشمال الغربى حتى الباحة ، ثم يتجه نحو الشمال فشمال الشمال الغربى باتجاه الطائف مما يجعله يبتعد أكثر وأكثر عن خط الشعاف . ففي حين يكون على بعد ١ كم عنه في شمال غرب الباحة مباشرة نجده يبتعد نحو ١٠ كم عن الشعاف في منطقة بنى سار . ويصبح هذا الخط « المزفلت » بالتالى قليل الأهمية بالنسبة للقرى العديدة القريبة من خط الشعاف .

وبالرغم من صغر مساحة مقاطعة الباحة يمكن تقسيمها الى الوحدات الأصغر التالية :

أ — منطقة بنى ظبيان وتقع في جنوب شرق منطقة الباحة مباشرة بينها وبين مقاطعة بلجرشى وتحتل حوض وادى فيق . ونستطيع ان نجعل جبل الغبر الذى يشرف على وادى بنى كبير من جهة الجنوب وعلى وادى فيق من الشمال والذى يرتفع الى ٢٣٦٢ م حدا بين المقاطعتين .

يبدأ وادى فيق من خلف الشعاف مباشرة قرب قرى خفة وبنى حدة ولا يبتعد كثيرا عن منابع وادى بنى كبير من ارتفاع ٢٢٠٠ م ولكنه يتجه نحو الشمال مسافة ١٠ كم في مجرى ضيق وقليل الانحدار بين السفوح الجبلية المشرفة عليه والغنية بالنباتات الطبيعية لاسيما العرعر والأمكاسيات ، والتي يتكاثر بعضها على شكل غابة هى غابة وادى فيق ، وقد تحولت السفوح الدنيا فيه الى الزراعة وانتشرت فيها القرى الزراعية مثل بنى حدة وخفة الواقعتين في عاليته وقمهدة في وسطه وبجوار الطريق ، وبنى مشهور والمراصفة في شماله

حينما ينتهى طريق الجنوب من حدود بنى كبير يتجه باتجاه الشمال فيصعد مرتفعات جبل الغبر ، الذى يفصل بين وادى بنى كبير ووادى فيق اللذين يبدآن متجاورين في شمال منطقة بنى سالم وينفرجان عن بعضهما . إذ يتجه الأول نحو الجنوب الشرقى ويتجه الثانى نحو الشمال الشرقى ، ويرتفع جبل الغبر عند الطريق الى نحو ٢٣٠٠ م عن سطح البحر فيشرف على الودادين من تلال مملوءة بالأشجار ، ثم يهبط مع سفح وادى فيق تدريجيا فيقطع الوادى بميل الى الجهة المقابلة على ارتفاع ٢١٦٠ م ، ويرتقى السفوح

الغربية لوادى فيق ويتجه نحو الشمال فى بلاد بنى ظبيان الى أن يصل علو ٢٢٢٠ م وهناك يتجه الطريق نحو الغرب فالشمال الغربى باتجاه الباحة .

ويلى وادى فيق باتجاه الغرب مباشرة منطقة بنى ظبيان التى تتخذ شكل المستطيل الذى أبعاده ٦ × ٧ كم . تقع فيما بين خط الشعاف فى الجنوب وبين طريق الجنوب « المزفلت » فى الشمال وفيما بين وادى فيق فى الشرق والباحة فى الغرب ، وهى معقدة التضاريس ويرتفع خط الشعاف فيها فى الجنوب الى ٢٤٠٠ م وتنخفض باتجاه الشمال نسبيا ، بسبب انحدار الأودية فى هذا الاتجاه فتتجاوز المرتفعات والأودية بدون نظام . غير أن اعتدال المناخ وكثرة الأمطار وتحلل الصخور وتشكل الترب على سفوح الأودية ؛ أدى إلى انتشار المساحات الغنية بالنباتات الطبيعية أو الأراضى المتشكلة من صخور مجردة . ولذلك استمر انتشار الخضرة فى هذه المنطقة كامتداد يصل بين بلجرشى والباحة ، وقد توسطتها مجموعة من القرى تنتسب الى بنى ظبيان التى تشكل إمارة فرعية مركزها العشامرة وقد وصلها خط « مزفلت » فرعى يمر من معظم القرى يبلغ طوله نحو ٦ كم .

وأهم قرى بنى ظبيان : دار الرمادة وحصن الرمادة وتقع بالقرب من الشعاف المشرفة على تهامة ، ويقع الى الشمال منها على جانبي الطريق الفرعى : دار الجبل والعباس وعرى ودار العلى والطرفين ، وإلى الشمال من الخط : الجوة والعبد الله والحميدة والطارق كما يقع فى الشمال بالقرب من طريق الجنوب : العشامرة والعكشان والعطاردة والمغارزة وخويتم والسقيطة . وتقتصر بعض القرى على قلاع محصنة تتوطن أعالي الجبال . ولذلك لا تبتعد معظم هذه الحصون عن بعضها أكثر من نصف الى كيلو متر واحد .

وتلتقى سيول هذه المنطقة فى الشمال وتجتمع باسم وادى المفارجة ، وهذا يلتقى مع وادى فيق الذى يحاذيه من الشرق وذلك فى شمال شرق منطقة بنى ظبيان مشكلة معا وادى « شعيب الريمة » الذى لا يلبث أن يلتقى بوديان منطقة الباحة -والتي تقع الى الشمال من هذه المنطقة وتصل باسم « وادى الحمدة » فى شرق جبل الطويلة فتتشكل بذلك عالية وادى ثراد (رافد رنية الرئيسي) .

ب — منطقة الباحة (حوض وادى جوب) : وتقع فى شمال غرب بنى ظبيان مباشرة فى موضع يتراجع فيه خط الشعاف الى الداخل كثيرا ، ولا يزيد ارتفاعه فى هذا الموضع

عن ٢١٦٠ م عن سطح البحر ، أى أنه يقل عن ارتفاعه فى المناطق المجاورة فى الجنوب الغربى أو الشمال الغربى ، فينفتح الأفق غربا على إقليم تهامة المنخفض وذلك باتجاه وادى الطارق (المخوة) حيث ينحدر السطح بشكل فجائى وأحيانا رأسى فى ذلك الاتجاه . فى حين يتشكل سطح الهضبة من أرض غير مستوية ترتفع بعض القمم فيها الى ٢٤٠٠ و ٢٣٠٠ م عن سطح البحر .

غير أن التصريف المائى لم ينتظم بشكل عمودى على خط الشعاف باتجاه الداخل حتى ينخفض السطح تدريجيا فى هذا الاتجاه ؛ بل أنه انتظم حول وادى « جوب » الذى يبدأ من قرية بنى سعد فى جنوب قرية الزناقد الواقعة على بعد ٧ كم فى شمال الشمال الغربى للباحة ، وإلى الغرب من طريق الجنوب وذلك من ارتفاع ٢٣٠٠ م ويتجه نحو الجنوب والجنوب الشرقى فيقترب شيئا فشيئا من حافة الشعاف التى تتجه فى هذه المنطقة شرق - غرب . وعند قرى رعدان والزرعاء يرفده وادى الحاوية من الشرق ويسير موازيا لخط الشعاف ، وعلى بعد يتراوح بين $\frac{1}{4}$ الى ١ كم . وينحنى فى غرب بلدتى الباحة والظفير نحو الجنوب الشرقى فالشرق فيقطع طريق الجنوب باسم وادى الملد حيث تسقط المياه منه على شكل شلال ، فيلتقى بوادى الراعب فى شرق طريق الجنوب ، فوادى حمدة الذى يبتعد بشكل عمودى عن خط الشعاف وينتهى الى وادى ثراد فى الشرق .

ونظرا لارتفاع هضبة الباحة وانفتاحها على المؤثرات الغربية والجنوبية الغربية بسبب انخفاض خط الشعاف اعتدل مناخها ، فزادت كمية الأمطار الساقطة فيها نسبيا ، وارتفعت نسبة الرطوبة الى درجة تكرار حدوث الضباب والندى ووصوله الى حالة مضايقة فى بعض الاوقات . وقد توفرت فيه مساحات مستوية أو شبه مستوية تطور فيها تحلل التربة الى درجة أنبتت النباتات الطبيعية بكثافة كبيرة تصل الى تشكل الغابات فى بعض البقع .

ففى منطقة الباحة غابات مشهورة استعملت مؤخرا للترفيه ولقضاء أوقات الفراغ مثل : غابة الشهباء وتقع على سفوح تلال فى شمال شرق مدينة الباحة يصلها طريق معبد طوله نحو ٤ كم ، يقع فيما بين طريق العقيق وطريق الطائف ، ويصل ارتفاع أعلى قمة فى التل إلى ٢٣٧٨ م . وغابة رعدان (غابة الطفة) وتقع فى شمال غرب المدينة ، وإلى الغرب من قرية رعدان وبمحاذاة خط الشعاف مباشرة ، وهى امتداد لأشجار جبل

بيضان الذى يعتبر حدا بين بلاد غامد وبلاد زهران ، وقد وصلها أيضا خط معبد يتجه من الباحة غربا ويبلغ طوله ٣ كم تقريبا . وفرعة مهران الواقعة على التلال فى جنوب بلدة الظفير وبمحاذاة شفا الباحة ، وتشرف على وادى جوب من جهة الجنوب . وقد ظهرت أشجار متفرعة مختلفة الأنواع والأحجام على معظم الجبال الأخرى مما يكسب المنطقة منظرا مميزا عن المناطق الجرداء القريبة . وأهم أشجارها العرعر والأكاسيات والطرفيات والأثرب والاعم والسدر والشبارق والغرب والعرين والرین . وقد استغلت أخصابها فى كثير من الاستعمالات .

وقد حول المواطنون كثيرا من السفوح العليا الى مدرجات جبلية ، فزرعوها بالحبوب اعتمادا على مياه الأمطار وعملوا السواق لتجميع المياه . كما أخضعوا مصاطب الوديان التى تتكون من الطمى للزراعة اعتمادا على مياه الفيضان أو الآبار المحفورة فى الطمى . وأهم المناطق المزروعة وادى جوب ذاته الذى يعتبر من الوديان الغنية بالزراعة وبالتالي بالقرى الزراعية . أما الوديان المجاورة له فى الشمال والشرق فإن المساحات الزراعية تقل فيها امتدادا ومساحة ، وبالتالي تقل سكانا عنه وعن المناطق الواقعة الى الجنوب كمنطقة بلجرشى أو بنى ظبيان مثلا .

ومع ذلك يمكننا أن نعتبر الزراعة كانت حتى عهد قريب هى عماد حياة سكان منطقة الباحة . وهى زراعة تقليدية محدودة الدخل ، ولذلك كان لابد للمزارعين من الاعتماد على تربية الحيوان استكمالاً لمداخيلهم القليلة . وكانوا يتبادلون منتوجاتهم فى الاسواق الاسبوعية التى كانت تعقد فى القرى بالتناوب كسوق الباحة (سوق الخميس) . وقد تراجعت الزراعة كثيرا فى العهد الحالى لاسيما الزراعة « العثرية » التى تتم على المدرجات الجبلية والتى تعتمد على الامطار ، لأنها كانت غير مضمونة الأمطار فتحول معظمها الى مدرجات « دامرة » . ولا أمل كبير لتطوير الزراعة المروية لفقر المنطقة بالمياه الجوفية .

وقد نتج عن ذلك أن نقص الانتاج الزراعى والحيوانى . فبعد أن كانت المنطقة تكفى نفسها من هذه المواد وتبيع الفائض منها فى أسواق خارجية ؛ أصبحت تعتمد على المستورد من الحاصلات الزراعية والحيوانية أكثر مما تعتمد على الإنتاج المحلى ، وقد تيسر ذلك بتطور التجارة وتحسن المواصلات والقضاء على العزلة . وقد نتج عن ذلك أيضا أن أعرض كثير من الشباب فى القرى عن العمل الزراعى ، فارتحلوا الى الباحة للعمل فى

الوظائف الحكومية والخدمات العامة والخاصة ، أو في المؤسسات الانشائية والمهن التي توفرت كثيرا ، أو أنهم ارتحلوا الى مدن ومناطق المملكة الأخرى ، ففقدت القرى نسبة كبيرة من سكانها .

نشأت بلدتا الظفير والباحة كمركزين مدنيين على تلين متجاورين يعود اليهما سكان القرى المجاورة في الامور الإدارية أو التجارة ، وذلك على الجانب الايسر لوادى جوب (الجانب الشرق) ، بحيث لاتزيد المسافة المستقيمة بين مركزيهما عن $\frac{1}{4}$ كم ويفصل بينهما سيل صغير يأتي من الشرق ويصب في الوادى . وتقع الظفير الى الجنوب الشرق من الباحة ، وكانت مركزا لإمارة غامد وزهران في الزمن الماضي قبل أن تنقل الى بلجرشي ، ولذلك فانها كانت اكبر مساحة وعمرانا وسكانا من الثانية .

وقد أخذت البلدتان بالتوسع الحثيث منذ الستينات من هذا القرن حينما أعيد مركز الإمارة الى الباحة (إمارة الباحة) ، فشقت فيهما الشوارع الحديثة ونشأت المباني الأسمنتية ، خاصة الدوائر الحكومية والمحال التجارية والأسواق والمطاعم والمباني السكنية ومن ثم الفنادق والبنوك . وربطت بشبكة كهرباء الجنوب ومدت المياه بالانابيب ، وقد استفادت مؤخرا من اتصالها بالهاتف الآلى ثم من انشاء مطار العقيق الذى يبعد عنها ٤٣ كم باتجاه الشمال الشرقى . ومن الجدير بالملاحظة أن معظم الدوائر الحكومية — كمبنى الإمارة وادارة التعليم والأمن العام والبنوك — نشأت في المساحة الفاصلة بين البلديتين مما زاد في التحامهما واعتبرت مدينة واحدة سارت على طريق الثمو والتمدن خاصة على امتداد طريق الجنوب (الطائف — أبها) الذى مر من طرفيهما وربطهما بتلك الجهات . ويجرى إنشاء طريق مزفلت عبر عقبة الباحة الى تهامة .

بلغ عدد سكان الباحة في سنة ١٩٧٤م ٢١٠٤ أفراد فقط ، ويمكن اعتبار أن هذا الرقم زاد الى ما لا يقل عن ثلاثة أمثاله في أقل تقدير ، إذا أدخلنا في الاعتبار كثرة الانشاءات وانتشار الخدمات وتوفر فرص العمل لاسيما في الدوائر الحكومية المستجدة ، وتوسع التجارة وحركة النقل البرى . وقد وفد اليها الكثير من ريفها المحيط بها ومن مناطق المملكة الأخرى ومن الخارج .

وعاش في ريف الباحة نحو ٣٠.٠٠٠ فرد توزعوا في نحو ٨٤ قرية مختلفة الحجم والأهمية ولم يسجل التعداد في هذه المنطقة أحدا من البدو .

ومن قرى الباحة الهامة تلك الواقعة فى وادى « جوب » ابتداء من الشمال وبالقرب من طريق الجنوب : بالعلا والرهوة والجادية والحمض ورَّغدان والزرقاء ، وقد انشئ المستشفى المركزى على أحد التلال بالقرب من القرية الأولى والتي ترتفع اكثر من ٢٣٥٠ م عن سطح البحر ، وذلك فى غرب الطريق العام على بعد نحو ٦ كم من الباحة . ويوجد عدد من القرى فى وادى الزرقاء أحد روافد وادى جوب ويأتية من الشمال ويلتقى به عند قرية الزرقاء حيث يقطع طريق الطائف مثل : زعنْب والحيش وشو ، كما يوجد عدد من القرى فى مجموعة الوديان المسائرة لطريق العقيق مثل : الرابع والسواد والمريدى والولد ، والى الشمال قليلا الكراء .

بعد أن يصل طريق الجنوب الباحة يعتدل اتجاهه الذاهب الى الطائف نحو الشمال الغربى فالشمال تقريبا ، فى الوقت الذى يتجه فيه خط الشعاف من الشرق للغرب ثم للشمال الغربى . ولذلك فان الخطين يبتعدان عن بعضهما البعض ؛ فبعد أن يكونا على مسافة كيلو متر واحد فى شمال الباحة تصل المسافة بينهما الى ١١ كم (فى خط مستقيم) حينئذ تمر الطريق بين وادى بنى سار ووادى شبرقة التى تقع على بعد ١٥ كم عن مدينة الباحة .

ج — منطقة آل موسى وبنى سار : وهى عبارة عن سطح هضابى مستطيل الشكل يمتد الى الشمال من حوض وادى جوب المذكور وعلى بعد نحو ٥ كم فى شمال خط شعاف الباحة ويمتد مسافة ٨ كم باتجاه الشمال وبعرض نحو ٦ كم ، ويبلغ ارتفاعه ما بين ٢٢٠٠ - ٢٣٠٠ م وترتفع بعض القمم الى ٢٤٠٠ م .

ونظرا لارتفاع هذه الهضبة ووضعها بالنسبة لخط الشعاف وانفتاحها على المؤثرات الجنوبية الغربية القادمة عبر خط الشعاف المنخفض فى منطقة الباحة : سمح لهذه التأثيرات أن تصل لمسافة بعيدة عن الخط تزيد كثيرا عن المناطق الأخرى ، ولذلك وجدنا ان الخضرة الناتجة عن النباتات الطبيعية والمزروعة امتدت بدون انقطاع الى نحو ١٢ - ١٣ كم شمالا . ويسير طريق الطائف القادم من الجنوب بجوار الطرف الشرقى لهذه المنطقة فى الجزء الجنوبى منها فاصلا منطقة آل موسى وشبرقة فى غربه عن بلاد بنى سار فى جهة الشمال الشرقى منه .

وينتمى آل موسى وبنى سار الى زهران وتقع منطقة آل موسى من بنى حسن الى الشمال مباشرة من حوض وادى جوب والى الغرب والجنوب من طريق الطائف والى

الشرق من التلال المشرفة على وادى الصدر (عالية وادى تربة) ، وتتكون المنطقة من وهاد متفرقة فيما بين التلال المرتفعة بدون نظام ، غير أنها في الجزء الشمالى منها تنتظم في وادى شبرقة الذى يأتى من قرب وادى بنى سار ويتجه غربا ليصب في وادى الصدر . وقد انتشرت الحقول الزراعية في هذه الوهاد والسفوح مما سمح بتشكيل مجموعة من القرى الكبيرة والصغيرة ، والتي تعتبر امتدادا مكملا لوادى جوب باتجاه الشمال . ومن أهم هذه القرى : الريان في الجنوب والمفرح والبديرى والفارسية وآل هيان ومليكة وآل سلامة والقريع والقحف وآل موسى وشبرقة . وقد استفادت هذه المنطقة من طريق الطائف وبدأت القرى تتمدد بجوار الخط بسبب التوسع في الخدمات كالمحطات والمطاعم والمحلات التجارية .

أما منطقة بنى سار فتقع الى الشرق من طريق الطائف وتنتظم حول وادى بنى سار الذى يتجه أولا من الجنوب إلى الشمال ثم الى الشرق حيث يلتقى أخيرا مع وادى ثراد . والمنطقة تعتبر امتدادا مكملا لمنطقة آل موسى في هذا الاتجاه فهى مثلها تتكون من وديان ترتفع نحو ٢٢٠٠ م عن سطح البحر ، وتبرز التلال التى ترتفع ٢٣٠٠ ، ٢٣٥٠ م بجوارها ، وتنتشر في هذه الاحواض مساحات واسعة ومتفرقة خاضعة للإنتاج الزراعى الذى كان عمادا لوجود حياة ريفية مستقرة ، ولو أنها على بعد يزيد عن ١٠ كم عن خط الشعاف . وقد ظهرت فيها قرية كبيرة واحدة هى بنى سار وعدة قرى صغيرة متفرقة مثل : الطفيح والصدر والحجرة . وينتمى السكان الى بنى سار من زهران ، وتقع المنطقة على بعد ١٣ - ١٥ كم عن الباحة في جهة شمال الشمال الغربى .

وينحرف طريق الطائف في منطقة بنى سار نحو الشمال الغربى ويسير على أرض شبه مستوية ترتفع ٢٢٦٠ - ٢٢٨٠ م ، وتعتبر منطقة لتقسيم المياه بين ثلاثة أودية مختلفة الاتجاه : الأول هو وادى بنى سار الذى ينتهى الى الاتجاه الشرقى حتى يرفد وادى ثراد عالية رنية ، والثانى وادى بطحان (بيده) الذى يبدأ من محاذة الطريق ويتجه شمالا محاذيا للطريق التى تسير الى الغرب منه حتى يرفد تربة ، والثالث وادى شبرقة الذى يبدأ من وديان مختلفة في غرب الطريق وينتهى الى الاتجاه الغربى ليرفد وادى الصدر (الرافد الأعلى لوادى تربة) .

٣ - سراة زهران :

وتمتد محاذية لخط الشعاف في شمال غرب الباحة نحو ٥٠ كم حيث ينحني الخط على

شكل قوس ، ويتجه اجمالاً من شمال الشمال الغربى الى جنوب الجنوب الشرقى . كما تمتد المنطقة باتجاه الداخل مسافة ١٢ كم فى الجنوب و ٣٠ كم فى الشمال . وتقسم الى ثلاثة اقسام متباينة هى :

أ — منطقة بنى حسن والمندق : وتلى منطقة الباحة مباشرة باتجاه شمال الشمال الغربى مسافة تزيد عن ٢٥ كم (كخط مستقيم) وتلى خط الشعاف مباشرة وتمتد فى الداخل نحو ١٢ كم . ويفصلها عن منطقة غامد سلسلة من الجبال العالية تبدأ من جبل بيضان المشرف على تهامة من ارتفاع ٢٥٣٠ م وذلك من طرفه الجنوبى حيث يهبط بشكل فجائى الى وادى الطارق (الخواة) ، والذى يشرف على غابة رغدان من جهته الشرقية . وجبل ظنبدى (٢٥٦٥ م) ويقع الى شماله . ثم جبل الدار الى الشمال (٢٤٠٥ م) . وتعتبر هذه الجبال خطاً لتقسيم المياه بين وادى جوب (رنية) ووادى الصدر (تربة) .

أما خط الشعاف الذى يحد هذه المنطقة من الجهة الجنوبية الغربية فان ارتفاعه يهبط من ٢٤٠٠ م فى منطقة بنى هريرة فى الجنوب الشرقى الى ٢٠٥٠ م فى منطقة المندق فى الشمال الغربى . وينتظم سطح المنطقة خلف خط الشعاف وخلف تلال الجنوب الشرقى المذكورة فى حوضي وادى الصدر ووادى رسباء ، وهما الرافدان الرئيسيان فى عالية وادى تربة . ويقع وادى الصدر الى الشرق من وادى رسباء . ويتجه الواديان باتجاه الشمال والشمال الغربى قبل أن يلتقيا فى شرق المندق على بعد نحو ٤ كم (كخط مستقيم) ويكون ارتفاع بطن الوادى ١٨٥٠ م عن سطح البحر .

فالمنطقة وان كانت قليلة الاختلاف فى ارتفاعاتها ومنتظمة التصريف المائى فانها تعتبر من اكثر مناطق السراة تعقيدا فى تضاريسها ووعورة فى اجتيازها ، حيث تتكون صخورها من الشست الكلورايتى الذى يتحلل الى غبار ناعم أصفر ، مما ساهم فى انعزالها عن مناطق العمران الأخرى ، وتأخر مشاريع إنشاء الطرق فيها . ومع ذلك فقد بدأ إنشاء أول طريق « مزفلت » فى سراة زهران وبنى مالك .

غير أن هذا الارتفاع ساعد على تلطيف مناخها : كاعتدال الحرارة وغزارة الأمطار نسبيا وبالتالى على غناها بالنباتات الطبيعية ، وتوفر المجموعات الشجرية والأعشاب ، وأمكن بالتالى تحويل السفوح العليا الى مدرجات جبلية خضعت للزراعة المطرية المتخصصة بزراعة الحبوب ، كما أمكن استغلال بطون الأودية ومصاطبها فى الزراعة

المروية لتوفر المياه في تربتها الطموية ، فتخصصت بزراعة الأشجار كالرمان والنخوخ في وادى الصدر . واستغلت الأعشاب في تربية الحيوان . فقامت حياة ريفية مكثفية بما تنتجه من مواد زراعية أو حيوانية ، وهى حياة فقيرة بطبيعة الحال . وانتشرت القرى الزراعية في وسطها . وكانت وسيلة الاتصال والاختلاط فيما بينها يتم عن طريق الأسواق الأسبوعية التى كانت تعقد في القرى الرئيسية بالتناوب على مدار الأسبوع .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة ٢٢٠٠٠ سنة ١٩٧٤م ولا ينتظر أن يكون العدد قد زاد كثيرا عن ذلك لأنها منطقة ريفية فقيرة تعرضت لفقدان عدد كبير من سكانها ، ولم تكن ذات جذب بشرى . ووجد فيها ٩٤ قرية زراعية مختلفة الحجم والأهمية . ولم يسجل تعداد ١٩٧٤م أى فرد من البدو الرحل في هذه المنطقة . وينتمى السكان الى ثلاثة فروع من قبيلة زهران ينحصر كل فرع في جزء منها ، هذه الاجزاء هى :

١ — بنو حسن : وقد تواجدوا في الزاوية الجنوبية الشرقية من هذه المنطقة وذلك في حوض وادى الصدر وفي عالية وادى رسباء ، ولذلك فهى تجاور منطقة الباحة باتجاه الشمال الغربى . ونظرا لطبوغرافية وشكل هذه المنطقة نجد أن أطرافها من الشرق (منطقة التلال) والجنوب والغرب (مناطق الشعاف) غنية بالأشجار الطبيعية وبالمساحات الزراعية وبالتالي بالقرى الكثيفة بالسكان وذلك بعرض يتراوح بين ١ - ٢ كم . في حين كانت المنطقة الوسطى — وهى السفوح المتجهة نحو وادى الصدر — جافة جرداء قليلة الخضرة . الا في بطن الوادى حيث تمكن من تشكيل مصاطب رسوية جيدة التربة وغنية بالمياه الجوفية فظهرت فيها الزراعة المروية وانتشرت في وسطها القرى الزراعية بكثافة مناسبة .

يبلغ عدد افراد بنى حسن نحو ١٠٠٠٠ نسمة يتوزعون في ٥٠ قرية معظمها قرى كبيرة ، يزيد عدد أفراد الواحدة منها عن ٢٠٠ نسمة : ومن هذه القرى ظنبدى والخنادير والبارك وهى قرى كبيرة تقع على التلال المرتفعة في جنوب شرق هذه المنطقة . ويوجد بالقرب من خط الشعاف في جنوبها عدد من القرى المتوسطة الحجم مثل : قره وبنى هريرة والخنادير ونعاش .

وتقع بلدة الرباع قاعدة بنى حسن في رحبة متسعة من الأرض كثيرة النموذج في عالية وادى رسباء وذلك في غرب هذه المنطقة . وهى غنية بالمساحات المغطاة بالأشجار والمساحات الزراعية والتى ينتشر في وسطها عدد كبير من القرى المختلفة الأحجام مثل : الوفاء

والسبأ والسهلة وصقرة والركبة والمسامر والعصاء وحميم والمشايعة . وقد توسعت قرية الرباح فضمت قرية الصقرة .

ويوجد في صدر وادى الصدر عدد من القرى منها : مراوة والصدر والصخارتين والشريق والزربا وتعتمد على الزراعة المروية وتربية الحيوان .

٢ - بلخزمر : وهى إمارة فرعية صغيرة استحدثت فى جزء من سراة زهران تقع فيما بين إمارتى بنى حسن فى الجنوب الشرقى والمندى فى الشمال الغربى ، وذلك فيما يلى خط الشعاف الذى يرتفع هنا ٢٢٠٠ م عن سطح البحر والتى تنحدر باتجاه تهامة نحو أحد روافد وادى الشعراء (الشاقة اليمانية) ، وتمتد شرقا لمسافة لاتزيد عن ٣ كم حتى حوض وادى رسباء .

لايزيد عدد أفراد هذه الإمارة كثيرا عن الألف فرد ويعيشون فى قريتين كبيرتين وعدد من القرى الصغيرة . والقريتان اللتان سميت المنطقة باسمهما فى الماضى هما عنيزة وتبعد ٢ كم عن خط الشعاف ، والجمامم وتقع الى الغرب منها بجوار خط الشعاف ويبدو أن التوسع الحديث ظهر فى قريتى : مولغ والأنصب . ولا تختلف حياة السكان فى هذه المنطقة عن حياة بنى حسن .

٣ - المندى : وتحتل مساحة تزيد عن مجموع مساحتى القضاءين السابقين وذلك فى شمال غرب هذه المنطقة ، إذ يزيد طول خط الشعاف فيها عن ٢٥ كم وهو ينحدر من ارتفاع ٢٠٥٠ م باتجاه تهامة بشكل فجائى الى ٦٠٠ م فى وادى الشعراء على بعد ٧ كم غربا .

ونظرا للتعوس الذى يتخذه خط الشعاف حيث يتقدم باتجاه الغرب ، والتعوس المعاكس الذى يتخذه خط الشاطيء المقابل له فى الغرب (فى جنوب الليث) بحيث أصبحت المسافة بين الشاطيء وأعلى السراة لاتزيد عن ٧٠ كم (كخط مستقيم) وهى أقصر من الأماكن الأخرى . ولذلك فبالرغم من وقوع المنطقة شمال خط عرض ٢٠°ش ، ومن اعتدال ارتفاع هضبة السراة فى المندى بالنسبة الى المناطق الأخرى إذ تتراوح ارتفاعاتها بين ٢٠٠٠ - ٢٢٠٠ م عن سطح البحر ، فقد وصلتها التأثيرات البحرية الجنوبية الغربية لاسيما وان وادى الشعراء (الشاقة اليمانية) مفتوح باتجاهها مما سبب فى زيادة الأمطار الساقطة فيها حيث سجلت المندى معدلا سنويا يتجاوز ٣٨٥ ملم . وقد ساعدت هذه الأمطار على انتشار النباتات الطبيعية على مختلف السفوح

الجبليّة ، كما ساعدت على تحويل قسم كبير منها الى مدرجات جبليّة خضعت لإنتاج الحبوب اعتمادا على الأمطار . وقد انتشرت هذه الأراضي في شريط يتراوح عرضه بين ٢ - ٦ كم محاذيا لخط الشعاف ، أو أنه يقع بين الشعاف ومجرى وادي تربة الأعلى .

وقد نشأت في هذه المساحات حياة ريفية مستقرة كبقية مناطق السراة الأخرى ، قوامها مجموعة من القرى الزراعية بلغ عددها ٣٧ قرية ينتمون الى المندق وهم فرع من فروع قبيلة زهران ، يبلغ مجموع عددهم نحو ١١٠٠٠ فرد . يعيش أكثر من عشرين في بلدة المندق ، والتي كانت من السابق مركزا تجاريا هاما ، وكان يعقد سوقها يوم السبت ، وقد توسعت وأنشئت فيها أسواق حديثة ومبان اسمنتية وظهرت مجاورة للبيوت الحجرية القديمة ، وبلطت شوارعها بالأسفلت . وفيها مركز الإمارة الفرعية ومعظم الدوائر الحكومية وعدد من المدارس للجنسين . وتقع على سفوح جبليّة منحدرّة تشرف على الأحواض المزروعة وتبعد $\frac{1}{4}$ كم عن خط الشعاف .

ومن القرى الهامة الأخرى التي تتبع المندق :

العامية والوسط ودار المسجد وبالحكم وبنى حريم وبصرة والنصباء في جنوبها ومثنية وتربة وعويرة في شمالها وشمالها الغربي .

(ب) منطقة دوس وبرحرح : وتقع الى الشمال الغربي من منطقة المندق وذلك في نهاية امتداد بلاد زهران باتجاه الشمال الغربي فتجاور بلاد بنى مالك من هذا الاتجاه . ويمتد خط الشعاف في هذه المنطقة بشكل حاد التعرج وينحدر بشدة باتجاه وادي رما في الجنوب ووادي الجرداء الى الشمال منه (رافد الشاقة الجمانية) . وخط الشعاف كما هو معروف هو الحدود الغربية لجميع مناطق السراة ، والذي يختلف مستوى ارتفاعه أيضا ما بين ٢٠٥٠ - ٢٢٥٠ م بدون نظام .

وتختلف كذلك ارتفاعات السطح خلف ذلك الخط بمدة ، فتظهر قمم جبليّة عالية صعبة الإرتقاء مثل جبل القازة (٢٣٣٥ م) ، وجبل العرين (٢٢٤١ م) ، وظهر العدى (٢٣٣٥٧ م) وتنحدر هذه الجبال وأمثالها باتجاه وديان تنخفض عنها أحيانا ٣٠٠ و ٤٠٠ م ، وتنظم كروافد عليا في السراة وتنتهي الى تربة الذي يسير محاذيا لخط الشعاف من الشرق ، ويتجه باتجاهه تقريبا نحو شمال الشمال الغربي ، ويبعد عنه مسافة خطية تتراوح بين ٥ - ٨ كم .

غير أن هذه المناطق الوعرة ازدانت سفوحها بالنباتات الطبيعية ، نظرا لاعتدال مناخها وتوفر الأمطار فيها ، وتزداد تلك النباتات كثافة في بعض المواقع الى درجة تشكيل الغابات . وقد حول المواطنون منذ القدم قسما من تلك السفوح العالية الى مدرجات جبلية لانخضاعها للإنتاج الزراعي ، كما تحولت بعض بطون الاودية كذلك الى حقول زراعية . ولذلك ظهرت المناطق الزراعية على خرائط هذه المنطقة كبقع صغيرة المساحة متناثرة بين تلك التضاريس .

ومن هنا كانت سراة دوس أيضا منطقة ريفية منعزلة ، وجد فيها ٤٤ قرية ، يبلغ عدد مستوطنينها نحو ٨٠٠٠ فرد ينتمون الى قبيلة دوس من زهران بمعدل ١٨٢ فردا للقرية الواحدة . ويمكن أن تقسم الى فرعين يسكن كل فرع جزءا منها هما :

١ - دوس بنى نهب : وتقع بلادهم في جنوب شرق هذه المنطقة ، أى فيما يلي منطقة المندق مباشرة وذلك فوق « فرعة » تبرز في خط الشعاف نحو الغرب وتعمل منه زاوية قائمة ، يبلغ عرضها في الوسط نحو ٢ كم وتمتد بشكل طولى نحو ٥ كم . ويتراوح ارتفاع هذا المتسع بين ٢٠٠٠ - ٢١٠٠ م ، يليه من الشرق جبل ظهر الغدى الذى يمتد شمال - جنوب ، وإلى الجنوب منه جبل غمضان وجبل جنبية ، يليها شرقا وديان طولية مثل وادى آل نعمة في الجزء الشمالى (٢٠٦٠ م) ، والذى يرفد وادى غمضان في الجزء الجنوبى ويرتفع ١٨٥٠ م ، يليه شرقا مجموعة من الجبال تنتهى الى وادى تربة في الشرق منها جبل دوس (٢٠٥١ م) .

وقد انتشرت في الفرعة الأولى الأراضي الزراعية بكثافة كبيرة ، ومقاربة ، وتوسطت هذه المزارع القرى الزراعية والتي من أهمها : الرمس وهى موطن أبى هريرة الصحابى المعروف ، وقرية الفرعة وتقع على ربوة في الجانب الغربى من وادى الخلصة والريحان والحبشة والقرن (قرن بنى الحشاش) والعياش وبنى على . وتوجد قرية القامة على تل منخفض في جنوب هذه المنطقة . وقد اعتبرت بنى على قاعدة دوس . وتوجد القرى : بنى يزيد والكاحلة في الشمال ، وآل نعمة في الشمال الشرقى . ويبلغ عدد هذه القبيلة نحو خمسة آلاف فرد ينتمون الى دوس بنى نهب .

٢ - دوس بنى فهم : وتقع بلادهم الى الشمال الغربى من السابقة وتمتد بمحاذاة خط الشعاف الذى يتجه في هذه المنطقة باتجاه شمال الشمال الشرقى ، ويشرف على عالية وادى الجرءاء ويرتفع بين ٢٠٠٠ - ٢١٠٠ م عن سطح البحر بشكل غير منتظم .

وكانت هذه المنطقة جزءا من بلاد دوس بنى نهب ، واستحدثت فيها امارة فرعية توطنت في قرية الجحاف التي تقع في وادى برُحرح المنحدر من سفح جبل حرف وجنوب جبل سبكان (٢٢٤٦ م) . ويعتبر الجبلان نهاية حدود زهران حيث تفصلها عن بلاد بنى مالك التي تليها شمالا بغرب .

يتجه وادى برحرح نحو الجنوب الشرقى ويلتقى مع وادى الحوية الذى يتجه نحو الشمال الغربى ، فيتجه الوادى المتكون من التقائهما نحو الشمال الشرقى ليصب في وادى تربة ، وذلك على بعد ٤ كم في شرق برحرح . وقد تواجدت مساحات زراعية متباعدة فيما بين هذه الوديان وفي الأحواض والسفوح الأخرى ، مما سمح بقيام حياة ريفية معتمدة عليها وعلى تربية الحيوانات . وقد تمثلت في مجموعة من القرى المتوسطة والصغيرة الحجم ، من أهمها : برحرح التي أصبحت قاعدة الإمارة الفرعية بعد نقلها من الجحاف ، وقد نقل اليها مقر السوق ، غير أنه صار يعقد في صباح يوم الخميس بعد أن كان بعد ظهر ذلك اليوم ، وبدأ يظهر فيها بعض البيوت الأسمنتية الحديثة وحتى بعض المحال التجارية في السوق . ومن قراها أيضا الهرة والسلطين والكاحدين والفاضل والقازة وآل جابور . وقد يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف نسمة ينتمون الى دوس بنى فهم .

(ج) القرى :

وهي امتداد داخلي من إقليم السراة ويشغل جزءا من حوض وادى تربة ، بل يشغل الهضاب الجبلية الواقعة بين وادى تربة غربا ووادى بيده شرقا . ويبلغ امتداد هذه المنطقة نحو ٥٠ كم شمال - جنوب ، ويبلغ أقصى عرض لها نحو ٢٠ كم شرق - غرب . وتقع في نهاية سراة زهران في اتجاه الشمال ، أى أنها تجاور سراة بنى مالك . ويقطعها طريق الجنوب (طريق الطائف - أبها) ويعتبر حدا لها في قسمها الشمالى .

تبعد هذه المنطقة الجبلية مسافة تتراوح بين ٩ - ١٢ كم عن خط الشعاف وتعتبر جزءا من السفوح المشرفة على وادى تربة الأعلى من الشرق في هذا القطاع من المجرى وتتراوح ارتفاعات القمم الجبلية التي تتكون منها بين ٢٠٠٠ - ٢٢٠٠ م عن سطح البحر ، وتشبه بذلك ارتفاعات القمم الجبلية على الجانب الغربى من حوض تربة أى جبال المندق ودوس ، في حين تنخفض الوديان فيما بينها الى ارتفاعات تتراوح بين ١٩٠٠ - ٢٠٠٠ م . ومن الملاحظ أن المرتفعات الجبلية تمتد بشكل طولى ، والوديان

تتخذ الاتجاه العام من جنوب الجنوب الشرقى الى شمال الشمال الغربى وهى توازى تقريبا اتجاه خط الشعاف لأسباب تتعلق بالبنية الجيولوجية . وتنتهى جميع وديان هذه المنطقة إلى وادى تربة .

وتبعاً لهذه الظروف وجدنا أن التضاريس المرتفعة - خاصة تلك التى تزيد عن ٢٠٠٠م - لاتزال تتمتع بمناخ معتدل وتسقط عليه أمطار متوسطة الكمية لاختلاف كثيراً عن مواقع الشعاف ، غير أن سفوح الوديان الدنيا تتحول نحو الجفاف بسرعة رغم ضآلة انخفاضها ، وقد نتج عن ذلك أن الغطاء النباتى أصبح فقيراً ، وسادت فيها بعض الأعشاب الفصلية والقليل من الأشجار الشوكية ، أو نصف الشوكية . وتوسعت المساحات الجرداء القاحلة . غير أنه أمكن إخضاع السفوح العليا التى تتمتع بصفات أحسن للزراعة بتحويلها الى مدرجات ، فامتدت المساحات المزروعة بشكل طولى وأحياناً خطى تبعاً لامتدادات التضاريس ، خاصة تلك السفوح المتجهة نحو الغرب .

وقد سادت الزراعة « العثرية » فى هذه السفوح وهى متخصصة بزراعة الحبوب ، وقامت عليها حياة ريفية قوامها مجموعة من القرى المتناثرة فى وسط المناطق الزراعية ، يعيش أفرادها من استثمار الأرض ومن تربية الحيوان . كما أمكن وجود حياة بدوية تعتمد على رعاية الحيوانات وحدها ، الأمر الذى لم نجده فى مناطق الشعاف .

يبلغ عدد أفراد هذه المنطقة التى تزيد مساحتها عن ٨٠٠ كم^٢ ١٣٢٠٠ نسمة ، وهذا يوحي أن انتشار السكان فيها لا يصل الى كثافة انتشارهم فى مناطق الشعاف بسبب التغير البسيط فى الظروف الطبيعية . ويعيش نحو ١٢٠٠٠ منهم فى ٧٠ قرية يغلب عليها القرى الصغيرة ، رغم وجود عدد من القرى المتوسطة والكبيرة . ويعيش بين ظهرانهم أقل من ١٠٠٠ من البدو الرحل الذين يتخذون من تربية الحيوانات وسيلة لمعيشتهم . وينتمى سكان هذه المنطقة الى ثلاثة فروع من قبيلة زهران تتوطن كل واحدة منها فى قسم من منطقة القرى وهى :

١ - الأطاوله : وتمتد بلادهم بشكل طولى على منطقة تقسيم المياه بين وادى بطحان من الشرق ووادى تربة من الغرب مسافة ٢٠ كم ، وتقع الى الشمال من بلاد آل موسى وبني حسن ، ويخترقها فى هذا الامتداد طريق الجنوب (الطائف) ، والذى يتراوح ارتفاعه فى هذه المنطقة بين ٢١٨٠ - ٢٠٠٠م على سطح البحر .

وقد استفادت هذه المنطقة من خاصية امتدادها الطولى وقلة تعقيد تضاريسها وارتفاعها عن الأحواض الوعرة المجاورة لها شرقا وغربا ، بأن تحولت الى ممر فى طريق قوافل حجاج عسير واليمن وقوافل التجارة المتجهة الى الطائف ومكة ، سواء عبر طريق شمرخ (عقبة شمرخ) أو طريق وادى بطحان . وتحولت القرى الى محطات على تلك الطريق . وليس غريبا أن ينشأ الطريق « المزفلت » فى مكان طريق القوافل القديم لنفس الميزات التى يتمتع بها .

وأمكن إخضاع السفوح العليا فى هذه المنطقة كذلك لزراعة المدرجات الجبلية فامتدت المساحات الزراعية بشكل خطى وطولى يساير الطريق وفى شريط من الأرض يتراوح عرضه بين ١ - ١٥ كم ، تلى هذا الشريط من الجانبين أراض فقيرة بالأعشاب أو جرداء ، وقد استغلت أعشابها الى حد ما فى تربية الحيوانات سواء من قبل المستقرين الريفيين أو البدو . وقد تراجع الانتاج الزراعى ونقصت الثروة الحيوانية فى الوقت الحاضر ، بسبب تحول قسم من السكان الى المهن والنشاطات الجديدة ، التى ظهرت خلال السنوات العشر الأخيرة لاسيما فى الأطاوله وقرى الطريق .

فقد استفادت بلدة الأطاوله قاعدة هذه المنطقة أكثر من غيرها من وقوعها على طريق (الطائف - أبها) الجديد ، فتمددت عمرانيا خاصة مع الخط ، وظهرت فيها المحال التجارية ، وتكثفت الخدمات ونشأت المباني الأسمنتية حتى صارت الطابع العام للبلدة . وارتفع عدد سكانها بحيث يبلغ الآن نحو ١٥٠٠ فرد ، أى نحو عشر سكان منطقة القرى ، خاصة بعد أن أقيم فيها مختلف الدوائر الحكومية وتعددت فيها المدارس . كما انتعشت جميع القرى التى مر الطريق منها أو بالقرب منها مثل : السلطان فى طرف المنطقة الجنوبي ، فالقوارير وآل سرور والشطة والحكمان والحמידان ، وتقع فى وادى دحيس المحاذى للطريق ، ثم الكسن والأطاوله والقهاد والنجارش فى وادى الأطاوله المحاذى للطريق أيضا . وقريش الحسن فى شعب الشذلة عند نقطة أنحاء الطريق باتجاه الشمال الغربى (ملف هملان) ، ثم قرية القصمة وزهران ومحوية فى شمال الطريق .

٢ - بنى حريرة : وتقع الى الغرب من الأطاوله فيما بينها وبين المندق ودوس وذلك الى الشمال والشرق من مجرى وادى تربة بعد انحنائه عن اتجاهه الأول (الشمال) الى اتجاه الشمال الغربى ، وبعد التقائه بروافده العليا الهامة : الصدر ورسباء . وهى بأجمعها جزء صغير من حوض وادى تربة تمتد طوليا من الجنوب الى الشمال .

تبدأ بنى حريرة فى الجنوب من هضبة يمكن اعتبارها امتدادا لمنطقة وادى الصدر ، ينحدر سطحها ببطء باتجاه الجنوب ، أى باتجاه معاكس لاتجاه وادى الصدر وتنصرف مياهها فى واد ينتهى الى تربة أيضا ، فى مصب يقع الى الشمال من مصب وادى الصدر الذى يعاكسه فى الاتجاه . وتنتشر فى القسم الشرقى من هذا الجزء أراض عشبية اعتبرت منذ القدم « حمى » لأفراد القبيلة هى منطقة الجنش أو حمى الجنش أو « حمى العبيدى » . ويوجد الى الغرب من الحمى مساحات زراعية محدودة ومتفرقة على السفوح الغربية وتشرف عليها من على تلال مجاورة قرىنا المكاتيم والجعصة .

وترتفع قمم التلال الى الشمال من ذلك الموضع الى اكثر من ٢٢٠٠ م مثل جبل الدعابة (٢٥٥٢ م) ، وينعكس اتجاه الانحدار العام للتضاريس ويصبح باتجاه الشمال أو الشمال الغربى أو الغرب حسب اتجاه الوديان المتجهة الى تربة . ويبدو أن صفات الطقس تتغير تبعا لذلك وتزداد أهمية الأعشاب التى تكسو الأرض ، كما تزداد مساحة السفوح العالية التى أمكن تحويلها الى مدرجات زراعية بالقياس الى منطقة المكاتيم . وتنتشر القرى بكثافة فى منطقة يختلف عرضها بين ٣ - ٦ كم ، ولو أن معظمها قرى صغيرة أو متوسطة الحجم . ومن هذه القرى : الدعابة والمشارق والدهامين والثراوين والمثيلا والحبشة وآل سعيدان والصعدان وحضى .

٣ - بنى عدوان : تعتبر منطقة بنى عدوان امتدادا لبلاد بنى حريرة باتجاه الشمال ، وتتكون من سطح هضابى يقع بين طريق الطائف شرقا والسفوح المنحدرة بشدة على وادى تربة غربا . وتشبهها فى الظروف الطبيعية ؛ حيث تتكون من مناطق أعشاب فقيرة وقد أمكن تحويل مساحات من السفوح العليا التى يزيد ارتفاعها فى الغالب عن ٢٠٠٠ م ، بل يتراوح ارتفاعها بين ٢١٠٠ م فى الأجزاء الجنوبية و ١٩٥٠ م فى الأجزاء الشمالية منها . واستطاعت هذه المساحات أن تعيل مجموعة من القرى تقل فى عددها عن قرى بنى حريرة ، ولكنها تزيد فى أحجامها عنها . ولذلك فهى أكثر تباعدا بعضها عن بعض وتنظم فى شريط ضيق بالقياس الى السابقة حيث لا يتجاوز عرضه ٣ كم . من أهم تلك القرى : الوادئ والدار والكلبة والظحوات والكرائثة والقعر . وتقع قرىنا سبيحة الدنيا وسبيحة العليا فى وادى سبيحة الذى يأتى من جمرش فى الجنوب ويتجه شمالا قبل أن ينحرف الى الشمال الغربى ويصب فى تربة وذلك بمحاذاة طريق الجنوب فى غرب جبل شمرخ .

ومن الملاحظ تناقص المساحات الزراعية في معظم هذه الأماكن في الوقت الراهن بسبب تحول قسم كبير من السكان عن مهنة الزراعة وهجرتهم مواطنهم الى مدن المملكة الأخرى للعمل في أعمال أخرى كالوظائف والتجارة والخدمات . وصارت معظم هذه القرى تعتمد في حياتها على مايردها من أبنائها في الخارج ، أو على الخدمات التي ظهرت في بعضها كالقرى الواقعة على الطرق .

ثانيا : الإقليم الجبلي في جنوب الطائف :

يعتبر جبل ابراهيم الواقع عند خط عرض ٢٥ - ٢٠°ش والذي يرتفع شامخا في شمال بلاد زهران الى ارتفاع ٢٦٣٠م عن سطح البحر ، وتنبع من جهاته الأربع عدد من روافد وادي تربة لاسيما وادي عَرْدَة ، وتنبع ليس بعيداً عن قاعدته الغربية المجارى العليا لوادي « الجرداء » ، أحد روافد وادي الشاقة اليمنية الهامة ؛ حدا فاصلا بين القسم الجنوبي من سِراة الحجاز الجنوبية (سِراة الباحة) والقسم الشمالي منها (سِراة بنى مالك ومايلها) ، ويشترك معه في ذلك عدد من الجبال المتصلة به من الشرق مثل جبل سيحان وجبل زيد ومجرى وادي تربة بعد أن يلتقى برافده الرئيسى القادم من بلاد بنى مالك وهو وادي « عَرْدَة » .

ويمتد القسم الثانى من جبال الحجاز الجنوبي من جبل ابراهيم المذكور ومجرى وادي تربة من جهة الجنوب الشرقى حتى وادي المعدن عند خط عرض ١٠ - ٢١°ش ، وبذلك فهو يمتد طويلا مسافة تقرب من ١٠٠ كم من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى . ويختلف عرض هذه المنطقة من مكان الى آخر ويتراوح بين ١٥ - ٢٥ كم تقريبا (انظر شكل ٤٣) .

وبالرغم من تشابه تركيب وبنية هذه المناطق مع مناطق السروات الواقعة الى الجنوب منها ، الا أن خط الشعاف (أى حافة الجرف الرئيسى) يتصف بأنه أقل امتدادا وانتظاما ووضوحا في التضاريس من جميع المناطق ، ويختلف ارتفاعه عن سطح البحر اختلافا كبيرا ، مع أن التشابه يندرج على انحدار سطح الهضبة المرتفعة ، وعلى شكل الجروف القائمة أو شبه القائمة عدة مئات من الأمتار باتجاه الغرب والجنوب الغربى نحو روافد وادي الشاقة اليمنية العليا وروافد وادي الليث ، وعلى انحدار سطحها ببطء باتجاه الشرق أو اتجاه الشمال الشرقى ، كما كان الوضع في معظم الأقسام الأخرى في المرتفعات الجنوبية

فتنصرف مياهها في مجار شبه متوازية تتخذ ذلك الاتجاه وتنتهى في الهضبة شرقا بالإضافة الى ماينصرف الى وادى تربة .

ونظرا لموقع هذه المنطقة الجبلية في خطوط العرض وتطرف هذا الموقع نحو الشمال بالنسبة لتأثير المؤثرات الجنوبية الغربية شبه الموسمية الصيفية ، واقترباها من المؤثرات الشمالية الغربية الشتوية ، وبالتالي استفادتها من كليهما استفادة هامة . أى أن حصيلة الأمطار السنوية فيها تقل في معدلاتها عن معدلات الأمطار في مرتفعات الباحة أو عسير ، ولا تصل بالكاد في أفضل الحالات إلى ٣٠٠ ملم .

ولكن يبدو أن تركيب هذه الكتلة الجبلية من صخور متحولة غير متجانسة ومتداخلة مع صخور الجرانيت والسيانيت السائدة ، ووجود مجموعة من الانكسارات المحلية المحدودة الطول والامتداد ، وفي أكثر الأحيان متعامدة على خط الانكسار الرئيسى (main escarpment) أو خط الشعاف ؛ ساعد على تطور التعرية عامة وتطور النحت المتراجع لروافد وادى الشاقة والليث الغربيين خاصة . فحصلت فجوات في خط الشعاف حسب تمدد رؤوس الوديان فيما بين المجارى العليا للوديان المتجهة للشرق بالرغم من ضالة الأمطار نسبيا .

وبالإضافة الى ذلك استطاعت الوديان المتجة للشرق أن تحفر بعمق في تلك الصخور السطحية ولنفس الأسباب ، وسارت مسافة أطول في ذلك الاتجاه . وقد ساهمت هذه الظواهر في زيادة التعقيد في تضاريس المنطقة وبالتالي انعزالها ، وكذلك في زيادة عرضها باتجاه (شرق - غرب) بالقياس الى المناطق الجبلية الأخرى في الجنوب ، وفي اختلاف أثر التعرية على الارتفاع بحيث يتراوح خط الشعاف بين ٢٢٠٠ - ١٧٥٠ م . وهذا مايجعل تتبعه على الخرائط أكثر صعوبة ، ويفسر تداخل مواقع بدايات الروافد الشرقية والغربية . أى يفسر اختفاء الانتظام التقريبي لارتفاع حافة الهضبة المكسورة (على شكل درجة ممتدة) ، وامتداده مسافات كبيرة .

وقد تحولت المنطقة نتيجة ذلك الى مجموعات من القمم الجبلية تتجاوز مجموعات من الوديان السحيقة في الغالب ومختلفة الاتجاهات ، مما أضفى على المنطقة طابع التعقيد في التضاريس وبالغ في انعزالها . وهذا يفسر تجنب طرق القوافل القديمة الواصلة بين الطائف (والحجاز) من جهة وبين غامد وزهران أو عسير أو اليمن أو نجران من جهة أخرى ؛ وحتى تجنب طريق الجنوب الحديث « المزفلت » هذه المنطقة ؛ أنه اتجه من

الطائف نحو الجنوب الشرقى حتى طرف الهضبة الشرقية وقطع حوض وادى تربة بمحاذاة قاعدة الكتلة الجبلية من جهتها الشرقية ، مبتعدا عن خط الشعاف مسافة ٣٠ كم عند عرض وادى شوقب و ٤٠ كم عند عرض وادى ضيراء ، متجنباً بلاد بنى مالك فى الأولى وجبال بلاد ثقيف فى الثانية ، والتي يتم الوصول الى أى منها بواسطة مسالك صعبة . ومن الجدير بالملاحظة أنه يجرى شق طريق حديث يساير خط الشعاف تقريبا وسيصل هذه المناطق بالطائف من جهة وبالباحة من الجهة الأخرى .

وتفسر هذه الخصائص أيضا ضعف الغطاء النباتى واقتصاده فى أحسن الحالات على بعض المجموعات القزمية من الأشجار الشوكية أو نصف الشوكية أو الأعشاب الفقيرة ، ماعدا مجارى الوديان حيث تتوافر ظروف أكثر ملاءمة لوجود النباتات . وحتى أن إمكانية إخضاع السفوح العليا لعمل المدرجات الجبلية اعتمادا على مياه الأمطار كانت أقل توافرا ، وإذا وجدت فتكون على مساحات أصغر وأكثر تفرقا ، وتختفى بسرعة اذا نقصت الارتفاعات . وتنعدم على السفوح الشديدة الانحدار حتى تظهر ثانية على شكل واحات فى بعض جوانب الوديان اعتمادا على الرى .

وقد انعكست هذه الظروف فى قلة وتفرق القرى الزراعية وصغر أحجامها وقلة عدد سكانها بالمجموع ، وبالتالى ضعف البيئة الريفية ، واختفاء ظهور المدن اطلاقا بالرغم من اتساع مساحتها . ولكن ظهرت بلدات صغيرة متفرقة كمراكز ادارية وتجارية فى وسط كل مجموعة من المجموعات التى تتكون منها على نحو ماسيمر معنا بعد قليل .

ويتبع هذا القسم من الكتلة الجبلية إمارة الطائف ، وهى إحدى أكبر الإمارات الفرعية التابعة لإمارة مكة المكرمة إداريا ، بل هى أوسعها مساحة . ولذلك فان موضع القسم الأكبر منها (خاصة الشمالى) - إن لم يكن كلها - على مقربة من أماكن الحج والمناسك ومن مدنها : مكة المكرمة وجدة والطائف ؛ جعلها تقع فى ظهير تلك الأماكن ، فتحفرت لأن تمدّها بالمواد الغذائية الزراعية أو الحيوانية ، وتمدّها بالطاقة البشرية للقيام بالخدمات اذا لزم الأمر ، فتأثرت بها ونمت بنموها .

وكذلك فان موقع مدينة الطائف فى منطقة جبلية معتدلة الارتفاع وعلى مقربة من أماكن الحج والمناسك ، وتمتعها بطقس معتدل نسبيا ، واحتوائها على وديان غنية بالانتاج الزراعى نسبيا ، واستفادتها من مواقعها على طريق الحج للقادمين من الجنوب فى

عسير واليمن ، ومن الشرق في نجد ومنطقة الخليج ولاسيما على طريق الرياض العاصمة التي تتعرض لنمو سريع ، وتحولها الى مركز تصييف للمملكة كلها ، والى عاصمة إدارية في فصل الصيف ؛ كل هذه الظروف بدأت تؤثر على ظهير الطائف الريفي الذي يقع إلى الجنوب منها والذي كان يتمتع بالعزلة والتأخر ، فبدأت تتخلص من عزلتها شيئا فشيئا لاسيما وأن طرق المواصلات الحديثة تقترب منها بدون إبطاء .

يبلغ عدد سكان هذه المناطق الجبلية الواسعة نحو ٦٥٠٠٠ نسمة ، وقد كان ٥٧٥٤٤ نسمة حسب إحصاء ١٩٧٤م ولاينتظر أن يكون العدد قد توسع كثيرا لما تعانيه هذه المنطقة من نزوح عدد كبير من سكانها ، وعدم اجتذابها لأعداد تعوض عن المفقود ، بسبب عزلتها وفقرها وانعدام فرص الأعمال فيها . ويتنشر هذا العدد من السكان في خمسة أفضية تجاور بعضها بعضا تبدأ من جبل ابراهيم ومصب وادي عردة في الجنوب الشرقى الى شمال بلاد بنى سعد، وتشمل سراة بنى مالك وثقيف وبالحارث وبنى سعد .

وهكذا يبدو بجلاء أن كثافة السكان في إقليم جبال جنوب الطائف هي دون مثيلاتها في المناطق الجبلية الواقعة للجنوب منها والتابعة لمنطقتي الباحة أو عسير ، بالرغم من تفرداها بالقرب من الطائف ومن مكة وجدة ومواقع الحج ، وفرصة استفادتها من هذا القرب في تسويق المنتوجات الزراعية والحيوانية وفي جذب المصطافين .

توزع السكان إذن في قرى معظمها من الحجم الصغير ، وعاشوا حياة ريفية توصف بأنها حياة عزلة واكتفاء ذاتي وفقر عام ، مقتنعين بما تنتجه الأرض من حاصلات زراعية أو حيوانية . وقد بلغ عدد هذه القرى ٥٢٤ قرية ، أى أنها حوت نحو ٥٨٪ من مجموع قرى إمارة الطائف على اتساع مساحتها وامتدادها في إقليم الهضبة الشرقية امتدادا كبيرا . إن دل هذا الرقم الكبير من عدد القرى على شيء ، فانه لا يدل على تبعثر القرى وكثافة وجودها بسبب كبر مساحة المنطقة ؛ بل أنه يدل على صغر حجم القرى ، وعدم وجود بلدات أو قرى كبيرة ، إذ يبلغ معدل عدد أفراد القرية حسب الأرقام الواردة أعلاه (بين ١١٠ - ١٢٥) فردا فقط للقرية الواحدة .

ويمكن أن نقسم هذه المنطقة الجبلية الى خمسة مقاطعات مرتبة من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ونستعرضها في نحو مايتأتى :-

١ - قضاء القرية :

ويحتل مساحة كبيرة في أقصى جنوب إمارة الطائف ، وهي أول بلاد بنى مالك ، وتقع في حوض وادى عردة وروافده (أحد أهم روافد وادى تربة) ؛ وذلك الى الشمال الغربى من بلاد دوس بنى فهم ، ويفصلهما عن بعضهما جبل ابراهيم وجبل بنى مالك . وتمتد القرية على شكل هضبة مستطيلة تتجه من الجنوب الشرقى عند الجبال المذكورة نحو الشمال الغربى حتى جبل حبيز الرضمة (٢١٢٥ م) وجبل صالح التى تفصلها عن بلاد حداد بنى مالك من الجهة الأخرى . وتبلغ أبعادها نحو ١٤ كم بالاتجاه السابق محاذية لخط الشعاف ونحو ١٢ كم بالاتجاه المعاكس .

تنصف هذه الهضبة - والتي تقع بين خطى عرض ٢٥ - ٢٠ ° ، ٣٠ - ٢٠ ° ش - بأنها أقل ارتفاعا من مناطق السروات الأخرى نسيبا ، وأكثر انحدارا منها باتجاه الشرق والشمال الشرقى وأكثر وعورة في تضاريسها . إذ أنها تنحدر من ارتفاع ٢٠٠٠ م تقريبا عند خط الشعاف الى نحو ١٦٠٠ م في الشرق والشمال الشرقى تبعا لانحدار الروافد وحفرها بشدة وعمق في هذا الاتجاه ضمن الشست الكلوريتى .

تبدأ المجارى العليا لوادى عردة من خلف خط الشعاف مباشرة وتنظم في ثلاثة روافد رئيسية : الأول ويبدأ من سفح جبل ابراهيم الغربى ويتجه نحو الشمال الغربى في وسط شريط من الأرض ، يقع بين الجبل المذكور والذي يتكون من الجرانيت غير المتحول وخط الشعاف الذى تراجع للشرق كثيرا بحيث لم يزد عرض الشريط عن كيلو متر واحد ، وليس بعيدا عن المجارى العليا لوادى الجرداء الذى يتجه (في تهامة) من سفوح الشعاف نحو الجنوب . ثم يتجه الوادى شمالا حتى يلتقى مع المجرى الرئيسى لوادى عردة عند قرية رماح . الثانى يبدأ من خلف خط الشعاف في شمال الفجوة التى تسبب فيها النحت المتراجع لروافد وادى الجرداء العليا في صخور الشست الكلورايتى ذاتها ، وذلك من شمال غرب الموقع السابق ويسير أيضا باتجاه الشمال الغربى موازيا لمجرى الوادى الأول من جهة ، ولامتداد خط الشعاف في شمال الفجوة من الجهة الأخرى وعلى بعد يبلغ ٢ كم عن كل منهما ، ويلتقى مع المجرى الرئيسى بالقرب من بلدة القرية في عالية المصب السابق . والثالث ويبدأ من جنوب فجوة ثانية لخط الشعاف المتراجع عند خط عرض ٣٠ ° ٢٠ ° ويتجه نحو الجنوب الشرقى موازيا لخط الشعاف أيضا ولكن في اتجاه معاكس للرافد السابق ويتعد في الوسط نحو ٣ كم عنه الى أن يلتقى بالمجرى الرئيسى بعيد مصب الرافد السابق في شرق القرية .



(صورة ١٥)

جانب من بلدة القريع قاعدة بلاد بني مالك وقد اختلطت المباني الاسميّة بالمباني الحجرية القديمة وذلك في ارضية مخضرة بالنباتات



(صورة ١٦)

جبل ابراهيم الذي يرتفع شاهقا الى ٢٦٣٠م عن سطح البحر ويرى من عاليته وادي عردة .

وبذلك يتشكل سطح الهضبة من مرتفعات مختلفة الارتفاع والاتجاه والامتداد ، ومجموعة من الوديان تتلوى فيما بينها ، ومعظمها عميقة مما أضفى على المنطقة وعورة شديدة في التضاريس . وزيادة على ذلك فإن خط الشعاف الذى يحدها من الجهة الغربية غير واضح المعالم تماما على خرائط المنطقة بسبب كثرة الفجوات الناتجة عن تراجع رؤوس الوديان التهامية (النحت المتراجع) ، وعدم انتظام ارتفاع الخط حيث يختلف بين ١٩٠٠ ، ٢١٠٠ م عن سطح البحر .

وقد عملت هذه الظروف - بالإضافة الى تطرف موقع المنطقة عن التأثيرات شبه الموسمية الجنوبية الغربية بالنسبة للسروات الواقعة الى الجنوب - على تدهور صفات الطقس ومعدلات الأمطار الساقطة ، ولو أنها زادت اقترابا من اتجاه التأثيرات الوسيطة الشمالية الغربية . وقد انعكس هذا التدهور على مظهر الغطاء النباتى وأصبح أقل غنى وامتدادا من المناطق الواقعة الى الجنوب إجمالا ، وعلى إمكانية تحويل السفوح العليا الى مدرجات زراعية . وإن وجدت المساحات الخضراء المغطاة بالنباتات الطبيعية أو الخاضعة للزراعة ، فهى على شكل قطع محددة المساحة غير متصلة يتواجد معظمها فى بطون الأودية أكثر مما يتواجد على السفوح العليا .

ومع ذلك كانت هذه المساحات على صغرها - ولكن لكثرتها - سببا فى وجود عدد ليس بالقليل من القرى الصغيرة الحجم مبعثرة ، إذ بلغ عددها حسب تعداد السكان لسنة ١٩٧٤ - ١٧١ قرية عاش فيها ١٢٢٠٠ فرد أى بمعدل ٧١ نسمة للقرية الواحدة يعيشون من استثمار الأرض فى الزراعة أو تربية الحيوانات بطريقة تقليدية . ولم يتطور فى المنطقة شئ من المدن .

غير أن قرية القريع التى تقع على جانب وادى عردة بالقرب من منطقة التقاء الروافد الهامة ، والتى اتخذت قاعدة الإمارة الفرعية فوجدت فيها بعض الدوائر الحكومية الأخرى والمدارس ، وكانت فى الأصل موضع سوق اسبوعية يعقد يوم الجمعة ، فظهرت فيها بعض المشاريع الإنشائية كالأسواق وبعض البيوت الاسمنتية فاتسعت وتحولت الى بلدة .

ومن القرى الكبيرة نسبيا فى هذه المنطقة : الصنادلة والوهسة والجرهاة وعوياء والقاع فى جنوب وجنوب شرق القريع ، والأشرف والحضارمة فى غربها ، والحذب

والأصافرة والطافرة في الشمال الغربي ، والدارين والطياسنة ورماح والطرف في بطن الوادى الى الشرق منها .

ينتمى سكان هذه المنطقة الى فروع من قبيلة بنى مالك التى تستوطنها وتستوطن المنطقة التى تليها في الشمال الغربى في حوض وادى شوقب الأعلى (حداد بنى مالك) ، وهى غير بنى مالك عسير . وقد أطلق اسم القبيلة على المنطقة وعلى الوادى وعلى الجبل وبالإضافة الى ذلك على السراة .

٢ - حداد بنى مالك :

وتحتل مساحة تزيد عن مساحة مقاطعة القريع في جنوب إمارة الطائف وتجاورها في الشمال الغربى منها، فتمتد نحو ١٨ كم في هذا الاتجاه . ويحدها من الغرب خط الشعاف الذى يتجه في القسم الجنوبي منه باتجاه الشمال ثم يعود للاتجاه غربا على شكل زاوية شبه قائمة بسبب فجوة أخرى سببها النحت المتراجع لعلية وادى الشاقة الشامية (الجازيرة) الذى يبدأ من هذه الفجوة نحو الجنوب الغربى في إقليم تهامة .

والقضاء عبارة عن هضبة مرتفعة يشغلها حوض وادى شوقب الأعلى ، وهو أحد روافد وادى تربة ، الذى تبدأ مجاريه العليا من خلف خط الشعاف ، حيث يختلف ارتفاعه بين ٢٠٠٠ ، ٢١٠٠ م عن سطح البحر . وتلتقى هذه المجارى بعد أن تتخذ اتجاهات مختلفة ، ويتجه المجرى الرئيسى نحو الشرق ، فتحفر في صخور الشست الكلوريتى بعمق شديد كما حصل في منطقة القريع ووادى عردة ، مما أدى الى تخديد السطح وتحويله الى منطقة شديدة الوعورة ، وتهبط باتجاه الشرق بشدة الى ارتفاع ١٥٠٠ م تقريبا عند قاعدة الكتلة الجبلية ، أو عند حافة الهضبة الداخلية على بعد يقرب من ٢٥ كم عن خط الشعاف . وعند الحافة هناك أمكن إنشاء طريق الجنوب (الطائف - أبها) المزفلت ، وكانت طرق القوافل تسير من هناك حتى تتجنب الكتلة الجبلية الوعرة ، مما كرس انعزالها .

ويمكن أن نقسم هذه الكتلة الى قسمين : الأول الذى يبدأ من خط الشعاف غربا وحتى ارتفاع ١٨٠٠ م تقريبا ، ولا يبلغ هذا القسم نصف مساحتها . فهى لموقعها وارتفاعها ووصفها العام تشكل جزءا من مناطق السراة العالية ، وتشارك معها في الصفات خاصة من حيث تعرضها للمؤثرات الجوية الصيفية أو الشتوية ، المسببة

لاعتدال الطقس وتوافر الأمطار الى حد ما ، وظهور غطاء نباتي لا بأس به ، ولو أنه على شكل مساحات صغيرة متفرقة . وأمكن إخضاع مساحات محدودة من السفوح العليا التي تجمعت فيها التربة الى حد كاف لاقامة المدرجات الزراعية ، ولكن أمكن إخضاع مساحات أكبر وأهم منها في المصاطب الرسوبية في بطون الأودية .

وقد كانت هذه المساحات المحدودة والمتفرقة عماد حياة ريفية تقليدية تكتفى بمواردها الضعيفة ، قوامها ١٢٨ قرية يعيش فيها جميعا نحو ١١ الف فرد ينتمون الى قبيلة بنى مالك كما سبق ذكره ، أى بمعدل ٨٨ فردا للقرية الواحدة . وهذا يعنى أنه يسود فيها القرى الصغيرة جدا بسبب صغر المساحات الزراعية وتفرقها ، وبالتالي ضعف الموارد بالقياس الى مآريئها في سرة عسير أو غامد وزهران .

غير أن قرية حداد بنى مالك اتخذت مقرا لإمارة فرعية تقع فيما بين مجموعة من التلال المرتفعة وتشرف على وديان منخفضة وخاضعة للزراعة المروية . فأقيم فيها عدد من الدوائر الحكومية كمقر الإمارة وعدد من المدارس ، فتوسعت السوق ونمت وقامت بعض المشاريع الإنشائية والخدمات مما ساعد على توسعها وتحويلها تدريجيا الى بلدة . وقد ساعد على وجود النشاط والحركة فيها إقامة معسكر لموظفي ومهندسي الشركة العاملة على إشادة طريق معبد يقطع المناطق الجبلية بمحاذاة خط الشعاف ، وذلك على جبل بالقرب منها ، وإقامة معسكر آخر للمعدات الثقيلة والعمال في أحد الوديان وكانت حداد مركز سوق أسبوعي من السابق .

ويتبع حداد عدد من القرى المتوسطة الحجم كما تظهر على خرائط المنطقة مثل : الحَصْبَة والمجازرة والصنوان والرافع العظيمة والمهارية في غرب حداد ، والجاهلين والرئيس ونانا في شمالها ، والنفيل والبناء والعششان في جنوبها ، والعرق والجعلان في شرقها .

أما القسم الثاني من هذه المقاطعة ويقع الى الشرق من منسوب الارتفاع ١٨٠٠م وتزيد مساحته عن نصف مساحة المنطقة ، ويمتد حتى حافة الهضبة في الشرق عند منسوب الارتفاع ١٥٠٠م تقريبا ، فيتكون من سطح جبلي كثير التضرس بالغ الوعورة صحراوى المناخ قاحل تماما ، ساهم في إبعاد وعزل المساحات المعمورة والعالية ، ولم يستطع أن يعيل حياة رعوية معتبرة حسبها ورد في إحصاء السكان لسنة ١٩٧٤م والذي سجل وجود ١٢ فردا منهم فقط .

٣ - بلاد ثقيف :

وتحتل مساحة من اقليم السراة قد تعادل أحد القضاءين السابقين وتقع الى الشمال الغربى منها ، ويفصلها عنها امتداد الفجوة الكبيرة فى خط الشعاف والتي رأيناها فى شمال المقاطعة السابقة . إذ يبدو ان ذلك الخط تراجع بعمق يبلغ نحو ١٢ كم باتجاه الشمال الشرقى بفضل النحت المتراجع الذى قام به وادى حلية (عالية وادى الشاقة الشامية) فى الصخور المتحولة : المتاديوريت والامغيبوليت ، ووصلت رؤوس الوديان الى صخور الجرانيت الأكثر صلابة . وبعد الفجوة يعود خط الشعاف ثانية إلى الاتجاه نحو الشمال الغربى ، ولمسافة ٣٠ كم تقريبا بخط متعرج يشرف من عل على باقى المجارى العليا لوادى حلية ووادى الليث (فى إقليم تهامة) .

ويشغل بلاد ثقيف حوض وادى بواء الأعلى والذى تبدأ مجاريه العليا العديدة من خلف خط الشعاف شرقا وتتجه اتجاهات مختلفة ، إلا أنها تلتقى بالمجرى الرئيسى للوادى . ولذلك ينحدر سطح هذه المنطقة ، شأن الاقليم السابق من ارتفاعات تزيد عن ٢٠٠٠م فى الغرب باتجاه حافة الهضبة الشرقية على بعد ٢٠ كم تقريبا فتنخفض الى ارتفاع يقرب من ١٤٠٠م عن سطح البحر ، وذلك بفضل الوادى وروافده التى تحفر بعمق فى صخور الشست الكلورايتى والسرسايتى اللينة نسبيا ، فى حين تفصله عن الأحواض الأخرى مجموعات من صخور الجرانيت أو الصخور المتحولة .

ولذلك يحسن بنا أن نميز بين القسم الغربى من هذه المنطقة بعرض من ١٢ - ١٣ كم ، وارتفاع لا يقل عن ١٨٠٠م ، والقسم الشرقى الذى ينخفض الى نهاية المنطقة . فالقسم الأول لا يختلف فى ظروفه من حيث الارتفاع والتعرض للتأثيرات الجوية الصيفية والشتوية ، وفى اعتدال طقسه واستقباله كمية لأبأس بها من الأمطار ، خاصة على الأماكن المرتفعة أو السفوح المواجهة للرياح الرطبة ، ولو أنها متواضعة فى كمياتها بالقياس الى مرتفعات السروات الى الجنوب من هذا الموقع . غير أن تركيبها الصخرى ساعد بفعل عوامل التعرية على تطوير تربة قليلة السمك على السفوح ، الا أنها قابلة لإنبات غطاء نباتى فى بعض المواضع الملائمة ، فنمت فيها غابات حقيقية مثل غابة غمدة وغابر الموقر بالقرب من ترعة ثقيف يمكن أن تخدم الأغراض الترفيهية وتمتد على السفوح المشرفة على عالية الوادى حتى الريع أى فى مناطق الشعاف التى تشرف على تهامة عبر عدة عقبات .

وقد اتضح أثر التركيب الصخري كذلك في النحت الذي قامت به الوديان حيث حفرت بعمق حتى في مجاريها العليا ، وفي اتساع وادي لحمة (عالية وادي بواء) الذي تنتهي إليه ، وامتلاؤه بالصخور الكبيرة والصغيرة والرسوبيات وغناه بالأشجار الضخمة من الأكاسيات والغيلة (القصب) والأعشاب وغيرها .

وكان هذا الوادي عاملا هاما في توجيه الانسان نحو استثمار الأرض ، بل إن مواقع الاستقرار اقتصر على جوانب الوديان ، فقد حول قسما من مصاطبها الرسوبية الى حقول زراعية ، واستثمر أعشابها في تربية الحيوان ، فقامت عليها حياة ريفية لا تختلف عن تلك في مناطق السروات الأخرى . فنشأت الزراعة التقليدية الفقيرة ، وعاش أصحابها حياة عزلة واكتفاء ذاتي وقد كرس ذلك صعوبة المواصلات .

بلغ مجموع سكان عالية هذا الوادي نحو خمسة آلاف نسمة ينتمون الى قبيلة ثقيف ، وقد عاشوا في ٣٥ قرية مبعثرة في جنبات الوديان . أى بمعدل ١٣٦ فردا للقرية الواحدة ، وهذا يزيد عن معدل أفراد القرية في الاقليمين السابقين بسبب انعدام وجود القرى الصغيرة جدا والمنتشرة على السفوح العليا ، واقتصارها في مواقع مرتبطة بإمكانية الوديان ومصاطبها الرسوبية على الإنتاج . ومن أهم تلك القرى : قرعة ثقيف التي اتخذت قاعدة للمنطقة ، وهي قرية زراعية وفيها سوق عامر وبعض الدوائر الحكومية ، وتحاورها قرية الدارين ، وقرية الصخرة في وادي الصخر ، وتها ، والعمار ، والجبيل ، والمجاردة .

أما القسم الشرق من هذا القضاء فقد وقع في ظل المطر ، وتقهقرت ظروفه نحو الظروف الصحراوية الجافة والقاحلة . واقتصرت الحياة فيه على أعداد محدودة من قبائل البدو الرحل الذين ينسبون الى بالحارث .

٤ - قضاء ميسان : (بالحارث) :

ويقع إلى الشمال مباشرة من بلاد ثقيف ويمتد حتى يصل إلى بلاد بني سعد في الشمال وأبو راحة في الشرق . ويشكل هضبة مرتفعة تبدأ من خط الشعاف الذي يتجه من الجنوب الى الشمال بسبب الفجوة التي عملها الحت المتراجع للمجاري العليا لوادي الليث في اقليم تهامة ضمن الصخور المتحولة وصخور الجرانيت . وينحدر سطحها باتجاه الشرق حسب انحدار روافد وادي ضراء الأعلى والذي ينتهي في الشمال الشرق الى تربة .

وهو يشبه في ظروفه قضاء « ثقيف » ويعتبر امتدادا مكملًا له ، ويقترّب حوض وادى ضراء من حوض وادى بُواء ويكمّله ، ويخضعان لظروف طبيعية متشابهة من حيث الارتفاع عن سطح البحر ومواجهة التأثيرات الملطفة البحرية خاصة المواجهة لخط الشعاف والسفوح الغربية ، وسقوط أمطار متوسطة الكمية وانتشار الأعشاب والشجيرات الخضراء على السفوح العليا ، مما جعلها جزءا من إقليم السراة ولكن بعد أن تقهقرت صفاتها كثيرا ، فقلّ النفع في السفوح العليا بسبب قلة الأمطار .

ومع ذلك فإن أهمية هذه الأمطار القليلة تظهر في تطوير وديان عريضة وهامة ، وقد شكلت على جنباتها مصاطب رسوية سمكية أمكن تطويرها بفضل مياه الفيضان وتحويلها إلى حقول زراعية تخصصت لزراعة الحبوب والخضروات . وكانت سببا في وجود حياة ريفية راسخة .

ومثل القضية السابقة يمكن تمييز قسمين : الغربى الذى يلي خط الشعاف والذى يتراوح عرضه بين ٥ - ١٠ كم فقط ، والذى يعتبر غنيا بنباته الطبيعى وسفوحه العليا الخضراء ، عن القسم الشرقى الذى يمتد حتى حافة الهضبة وقد تحول إلى منطقة جبلية وعرة صحراوية المناخ قاحلة .

ولكن يبدو أن تكوين صخور هذا الجزء من الجمرى من صخور الشست الامغبوليتى الذى تتداخل فيه راقات مختلفة قد ساعدت على توافر المصاطب الرسوية فى بعض جوانب مجرى وادى ضراء فى القسم الشرقى من المقاطعة على عكس إقليم ثقيف ، وبالتالي عملت على وجود الزراعة والقرى الكبيرة على مسافة تبعد أكثر من ٢٠ كم عن خط الشعاف شرقا .

ويبدو كذلك أن قرب مقاطعة ميسان من الطائف وأماكن الحج عموما ومن طريق الجنوب (طريق الطائف - الباحة) خصوصا ، وحتى من طريق القوافل القديم ، قد ساعد على التخفيف من عزلة هذا الإقليم ، وأمكن إعمارهم وزاد إنتاجه ، وارتفع عدد سكانه نسبيا بالقياس إلى المناطق الثلاث السابقة . اذ يبلغ عدد مستوطنيه ١٦٠٠٠ نسمة ، يعيش نحو ١٤٠٠٠ منهم فى ١١٤ قرية مختلفة الحجم ، ولو أن معظمها يرتبط بمجارى الوديان ، أى بمعدل ١٢٢ فردا للقرية الواحدة . وهذا يعنى أنه يسود فى ميسان القرى المتوسطة الحجم والتي تزيد فى حجمها عن قرى بلاد بنى مالك وثقيف المجاورة لها ، ولكن تشبهها فى أنها قرى زراعية تعتمد على إنتاج الحبوب والخضروات وتربية الحيوانات ، ويمكن أن تسوق قسما من حاصلاتها فى أسواق الطائف .

اما باقى السكان ويشكلون ١٣٪ من المجموع فهم من البدو الرحل ، يملكون ١٧ منهل ماء تقع فى الحوض الأوسط لهذه الوديان . وينتمى هؤلاء البدو كما ينتمى الريفيون فى ميسان إجمالاً الى قبيلة بالحارث التى تعيش فيها وفى المناطق المجاورة لها باتجاه الشمال والشرق اى فى إقليم الهضبة الشرقية . إذ تمتد « ديرتهم » باتجاه الشمال الشرقى فى مقاطعة قيا حتى وادى شقصان ، وباتجاه الشمال حتى « ريع النجد » وهو مرتفع يعتبر الحد الفاصل بين بلاد بالحارث وبلاد عتيبة التى تستوطن سهل الجرد وركبة ، وتمتد بلادها بعيداً فى عالية نجد .

لا يوجد مدن فى ميسان شأن جميع الإقليم الجبل فى جنوب الطائف ، غير أن قرية الشعاعيب أو ميسان - التى تقع على الجانب الأيسر لوادى ميسان (عالية ضراء) فى موضع تتسع فيه المصاطب الرسوبية الخاضعة لزراعة الحبوب والخضروات - قد اختيرت لأن تكون قاعدة بلاد بالحارث فاقامت الإمارة (الفرعية) فيها ، وظهرت بعض الدوائر الحكومية ، فنشأ فيها بعض المشاريع الإنشائية ، كاليوت الأسمتية والمدارس ، وقد انتهى إليها الخط « الزفلى » المتفرع من طريق الجنوب (الطائف - الباحة) من مكان على بعد ٢٨ كم فى جنوب شرق الطائف قبيل منطقة الملعب ، ويخترق هذا الخط بلاد بنى سعد ويبلغ طوله ٨٠ كم . ويجرى العمل الآن على ربط الشعاعيب بطريق الجنوب ثانية عبر ممر الوادى . وعندها ستخرج من عزلتها أكثر ، وتتحول من بلدة كما هى الآن إلى مدينة عامرة .

ومن قرى ميسان الأخرى : العطا والمناضح وتقعان فى الوادى بعد الشعاعيب وقد أقيمت مدرسة فى كل منهما ، وسوق الربوع وتقع عند اجتماع عدد من الروافد ، والحديث وتقع فى مرتفع على الحدود بين بلاد بالحارث وبنى سعد ، والمنامة فى سافلة الوادى .

٥ - قضاء بنى سعد :

ويقع فى شمال غرب بلاد بالحارث (ميسان) ، وفى شرق مقاطعة قيا (فى الهضبة الشرقية) ويمتد حتى منطقة الطائف وضواحي الطائف من الشمال ، وقضاء الشفا فى الشمال الغربى ، ويحده خط الشعاف الذى يفصله عن إقليم الليث فى تهامة من الغرب . يتجه خط الشعاف كامتداد لما كان عليه فى قضاء ميسان نحو الشمال أولاً ، ثم ينحنى نحو الغرب مسافة تزيد عن ١٢ كم بسبب الفجوة الكبيرة فى الخط التى أحدثتها

النحت المتراجع في عالية المجرى الرئيسى لوادى الليث ، في مركب الصخور المتحولة (الميتادوريت والميتاغابرو والامغيبوليت) إلى أن وصل خط الانكسار الذى يفصل هذه الصخور عن صخور الجرانيت المكونة للمنطقة الجبلية إلى الشمال من خط الشعاف .

تشغل هذه المنطقة أحواض عدد كبير من الوديان الصغيرة شبه المتوازية والتي تتجه اجمالا بعد خط الشعاف في شرق الفجوة ، نحو الشمال الشرق ، فتقطع بالتالى طريق (الطائف - أبها) (من ٣٥ - ٦٠ كم عن الطائف) وتنتهى قبل أن تلتقى جميعا مع بعضها البعض في طرف سهل الجرد الصحراوى . ومن أهمها : وادى بسل ووادى مظلة ووادى شقصان ووادى أم الحميطة ووادى المعدن .

ويظهر بوضوح تقهقر الظروف الطبيعية لهذا الإقليم لاسيما المناخية - نسبيا - عن نظائرها في الأقاليم الجبلية المجاورة الأخرى ، بسبب انخفاض الارتفاعات وانزوائها باتجاه الشرق الناتج عن الفجوة في خط الشعاف فنقصت معدلات الأمطار الساقطة فيها ، وتضاءل امتداد النباتات الطبيعية وهزلت أحجامها ، وتدرجت صفاتها نحو شبه الجفاف . ولو أن ظروف حوض وادى المعدن الأعلى لم تقهقر بقدر تلك الأودية .

ومع ذلك استطاعت المجارى المائية نظرا لكثرتها أن تبنى مصاطب رسوية ، ولو أنها ضعيفة المساحة ومتفرقة على جوانبها بسبب حفرها في صخور الشست الكلوريتى والرسايتى . وقد استغلها السكان فأخضعوها للزراعة ونشأت في وسطها القرى ، فوجدت الحياة الريفية التقليدية . وقد استفادت هذه القرى من ميزة قربها من مدينة الطائف في تسويق منتوجاتها الزراعية والحيوانية ، حتى وقبل تطور طرق المواصلات ، فتوجهت لزراعة الخضروات منذ وقت مبكر بسبب ارتفاع الطلب عليها .

وقد انعكست هذه الظروف في زيادة الاحتلال البشرى نسبيا بالقياس إلى مايمثلها من المناطق الجافة . فقد بلغ مجموع سكان بنى سعد نحو ١٤٠٠٠ نسمة عاش ١٢٨٠٠ منهم في ٥٧ قرية ، أى بمعدل ٢٢٥ فردا للقرية الواحدة . ويشير هذا الرقم إلى سيادة القرى الكبيرة أو المتوسطة كما يشير إلى أن معدل حجم القرية في إقليم الجبال الواقع إلى الجنوب من الطائف يتزايد بالاتجاه الشمالى ، أى بالاقتراب من مدينة الطائف . وقد يساعد على كبر حجم القرى وقوع بعضها على طريق الجنوب بحيث لعبت دور تقديم الخدمات للمسافرين بعد انتهاء الطريق المعبد ، ودور مراكز الاستراحة على الطريق .

غير أن أهم مجموعة من القرى تقع فى وادى المعدن مثل : بقران والشواطة والمعشر وأربع وغرابة والتي تقع بالقرب منها مواقع مناجم قديمة سبق أن أعطت الوادى اسمه . أما السحن - والتي تقع بين مجموعة من التلال فى عالية الوديان - فقد اعتبرت قاعدة إمارة بنى سعد ، فبنيت فيها الإمارة وعندئذ من الدوائر الحكومية ، وظهرت فيها بعض الدكاكين والمباني الأسمنتية وبدأت تتحول إلى بلدة . وقد استفادت من الطريق المعبد الفرعى الذى اخترق المنطقة . ومن القرى الأخرى : الكلادة وتقع على قمة جبل تشرف على الطريق ، والدار الحمراء وهما آخر قرى بنى سعد على هذا الطريق باتجاه ميسان . ومن القرى الجديدة والعامرة على الطريق الرئيسى : قرية الملعب ، وهى قرية خدمات للمسافرين .

وقد سجل تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م وجود نحو ألفى فرد من البدو غير المستقرين أى ٨٠٪ من مجموع سكان هذا القضاء ، كانوا يستوطنون الأطراف الشرقية منها ، أى سافلة الوديان حتى الطريق العام وكانوا يملكون منهلين للماء ، ومن المتوقع أن يكون قد تناقص عددهم كثيراً الآن .

الفصل الثامن

منطقة نجران

تحتل منطقة نجران الجزء الجنوبي من إقليم الهضاب الداخلية التابعة لجنوب غرب المملكة ، وتقع الى الشمال مباشرة من خط الحدود بين المملكة والجمهورية العربية اليمنية عند خط عرض ٢٠-١٧° شمالا ، وتمتد حتى خط عرض ١٠-١٨° ش ، مسافة تقرب من ١٥٠ كم (شمال - جنوب) ، وذلك إلى الشرق من مرتفعات قحطان ووادعة وشمال اليمن عند خط طول ٣٠-٤٣° شرقا ، إلى أن تصل هضبة الوجيد الواقعة على حافة الربع الخالي شرقا مسافة تقرب من ١٥٠ كم (شرق - غرب) أيضا ، وتبلغ مساحتها أكثر من ٢٠٠٠٠ كم^٢ .

البيئة الطبيعية في نجران :

تعتبر هذه المنطقة من حيث تركيبها جزءا من إقليم الدرع العربي الذي تتكون أرضه من صخور القاعدة النارية التي تنتمي للزمن الأركي ، وتقع على طرف هذا الدرع الذي ينتهى عند هضبة الوجيد الرسوبية . ومن أهم الأصناف الصخرية المنتشرة في هذه المنطقة : الديوريت والجرانيت والجرانوديوريت والاندسيت والجابرو والحجر الأخضر .

غير أن الانهدام الاسيوى الأفريقى العظيم (انهدام البحر الأحمر) الذى حدث منذ بداية الزمن الجيولوجى الثالث - والذى تسبب فى نهوض الحافة الغربية للهضبة العربية ، فبرزت جبال السروات العالية ممتدة بامتداد حافة الانهدام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى - تسبب أيضا فى ميل سطح الهضبة المرفوعة بالاتجاه المعاكس للإنهدام أى بالاتجاه الداخلى . وبالرغم من مرور عشرات الملايين من السنين على نحت وتعرية الأجزاء المرتفعة ، فما زالت آثار هذا الميل واضحة على طبوغرافية المنطقة .

وقد تأثرت شبكات التصريف المائي بهذه الأحداث وانتظمت في منطقة نجران في ثلاثة أحواض ذات تصريف داخلي متجاورة هي : حوض وادي نجران ويقع في الجنوب وذلك بعد الحدود اليمنية ، وحوض وادي جبونة ويقع إلى الشمال منه ، ويشترك الحوضان في أن كلا منهما يبدأ من منطقة مرتفعات السروات غربا ويتجه شرقا إلى أن ينتهي في الداخل ، وحوض وادي أدمة ويقع إلى الشمال الشرقي من جبونة فيبدأ من الهضبة بعيدا عن الجبال . تصرف وديان هذه الأحواض مياه السفوح الشرقية لمرتفعات السراة المجاورة للمنطقة وكذلك سفوح الهضبة ذاتها ، وتتجه بها نحو الداخل إلى أن تصل منطقة الغطاء الرسوي الذي يلي صخور الدرع العري في هضبة الوجيد فتختفي مياهها في صخورها الرملية المنفذة ، والتي تنتمي للعصر الكمبري .

وهذا يفسر أن تكوينات الوجيد صارت واحدة من خزانات المياه الجوفية الهامة في داخل المملكة العربية السعودية ، رغم وجودها في منطقة صحراوية قاحلة نادرة الأمطار . ومن الجدير بالملاحظة أن مياه هذا التكوين لم تستغل على الوجه الأكمل وتقع على الأطراف الغربية لرمال الربع الخالي الواسعة . ولذلك لم تستفد منطقة نجران من مياه هذه التكوينات .

يبدأ سطح منطقة نجران بالانخفاض التدريجي اعتباراً من أقدام مرتفعات السروات العالية ، من ارتفاعات تزيد أحيانا عن ١٧٠٠م عن سطح البحر في الغرب إلى أن تصل إلى ١٢٠٠م أو ١١٠٠م عند حدود الوجيد في الشرق . وأن هذا الانحدار هو في الواقع استمرار لسفوح السروات ذاتها في هذا الاتجاه .

ونظراً لما تمتاز به صخور هذه المنطقة من حيث انعدام النفاذية ، وضعف القدرة على الاحتفاظ بالماء ، وانحدار السطح باتجاه الداخل ؛ جعل المجاري العليا للوديان تحفر في منطقة الجبال وكذلك في الهضبة بعمق شديد ، مما حول الأرض إلى خنادق ضيقة ، أكسب المنطقة شكلاً كثير التضرس . وهذا يبرر إطلاق الناس عليها اسم « جبال » نجران . والأهم من هذا أن فرص ترسب مفتتات التعرية في هذه المجاري الضيقة نادرة لا تكاد تحتفظ بشيء من مياه السيول والفيضانات .

وقد وقعت هذه المنطقة الواسعة في ظل المطر بالنسبة لمرتفعات السراة ، وبالنسبة لوصول التأثيرات الجنوبية الغربية والشمالية الغربية ، فانخفضت معدلات الأمطار عن

١١٠ ملم في جميع محطات هذا الإقليم ، فقد بلغت ٦٢ ملم في نجران ، و٦٧ ملم في بني حميم ، و١٠٨ ملم في بئر عسكر . ومع أن درجات الحرارة في نجران عالية ، والفروق الحرارية كبيرة ونسب الرطوبة منخفضة ، إلا أنها تتميز بالاعتدال النسبي إذا قيست بمثيلاتها في وسط المملكة وشرقها ، وصارت بالتالي أكثر تحملاً من قبل الإنسان .

ولكن نظراً لاتساع الحوض الأعلى لكل من وادي نجران ووادي حبونة في إقليم المرتفعات الأكثر مطراً ، وعظم كمية المياه التي تنتهي إلى روافد الأودية ، والتي توصلها بدورها إلى المجرى الرئيسي فيغتنى بها ، ويحملها مسافة طويلة على سطح الهضبة . فتتاح لها الفرصة لترسيب كميات كبيرة من حمولتها الصلبة في بطون الأودية حينما يخف الميل ويتسع المجرى ، فيصبح باستطاعتها أن تحتزن كمية كبيرة من مياه الفيضانات في تلك الرسوبيات . فقد توافر بذلك أهم شرطين لنشوء الزراعة وهما التربة والماء في الحوض لهذين الوادين .

أما الجزء الغربي من هذه الهضبة - أي منطقة المجاري العليا التي تلي السراة مباشرة - فهي وإن كانت مزدانة بالحشائش وتصلح للرعاية ، فقد انعدم وجود الزراعة وكذلك الحياة المستقرة فيها . واختفت القرى أو كادت في هذا الجزء المرتفع . واقتصرت الموارد التي يمكن أن تستثمر فيها على تلك الأعشاب في تربية الحيوانات ، والتي تزداد كثافة في الوديان بالقياس إلى السفوح . فوجد فيها جماعات البدو الذين يمتلكون قطعاناً متفرقة من الأغنام والماعز والقليل من الإبل .

ففي وادي نجران تشكلت رسوبيات طموية في المنطقة التالية لمكان اتساع المجرى تتكون من الرمل والحصى والحجارة تقع تحت قناة الجريان ، ومن رسوبيات ناعمة سلتية ورملية على جانبي المجرى . وتحوى منطقة المجرى غشاء مائياً متصلاً ، كما تحوى المناطق على جانبي المجرى مياهها تحت شروط مقيدة . وقد حسبت نفاذية الرسوبيات من 10×2 إلى 10×4 م^٣ / ث . لكن معامل التخزين منخفض بسبب وجود راقات من الطين والملتفتل الرمل والحصباء . وقد قدر حجم الطمي في هذا القطاع من الوادي بنحو ٢١٠٠٠ مليون م^٣ . والطمي المبلول بالماء نحو ١٢٠٠٠ مليون م^٣ ، وكمية الماء المخزون ١٨٠٠ مليون م^٣ وتمتع بنوعية جيدة . أما مجموع سحب الماء فقد قدر بـ ٦٤٤ مليون م^٣ من جميع الواحات في أواخر الستينات ، وذلك من ٦٠٥

آبار (١) . وكان مستوى الماء يتجه للهبوط إلا إذا ترددت فيضانات قوية . ومع ذلك يمكن اعتبار أن إمكانية تطويره متوافرة أكثر من غيره من الأحواض . ويفضل حفر الآبار في شرق السهل الرسوبي للاستفادة من المياه قبل أن تضيع إلى خارج المنطقة . وقد عمد إلى تطويره بإقامة سد على المجرى قبل أن يأخذ بالاتساع إلى الاستفادة من المياه بسحبها من أقينية من ناحية ، ولرفع نسبة التخزين وزيادة منسوب الغشاء المائي بالتسرب من ناحية أخرى . ويقدر أن الأراضي الزراعية المضافة والتي يمكن أن تستفيد من هذا المشروع ما بين ١٠٠٠ - ١٥٠٠ هكتار .

وقد تشكلت رسوبيات مشابهة في وادي حبونة أيضا ، قدرت كميتها بـ ٣١٨٥ مليون م^٣ ، كما قدرت الكمية الحاملة للماء منها بـ ٢٣٢٩ مليون م^٣ ، وبلغ معدل سمكها ٤٠ م ومعدل عمق الجزء المبلل من ٢٠ - ٣٠ م ، وتقرب كمية المياه المخزونة من ٣٥٠ مليون م^٣ .. توجد بعض المساحات الزراعية في عالية السهل الرسوبي تستهلك نحو ١٣ مليون م^٣ سنويا وذلك من ١٦٠ بئرا نوعيتها جيدة . ولذلك فإن هذا المخزون لا يحتمل حفر آبار للرى (٢) .

نشاط السكان :

لقد نشأ في منطقة نجران واحات غنية مثمرة خاصة في وادي نجران (وادي مروان) ، وامتلات بالقرى المتقاربة والممتدة بشكل خطى مع امتداد المجارى وكانت بؤرة حياة مستقرة منذ آلاف السنين . يدل على ذلك الآثار التي تركها أولئك الأقدمون ورائهم ، ولا تزال بعض بقاياها ماثلة في الإقليم خاصة في قرية الأخدود . ولا تعود أهمية منطقة نجران إلى مواردها الطبيعية وغنى أحواضها المائية أو اتساع المساحات الزراعية والقرى بقدر ما تعود لأسباب تاريخية وحضارية ودينية .

وتعزى أهمية هذه المنطقة - بالإضافة إلى ماذكر - إلى موقعها المتوسط وعند معاير الطرق المؤدية إلى المواقع الداخلية في شبه الجزيرة العربية والمؤدية للمناطق الجبلية ، فقامت بدور بوابة العبور إلى هذه الأقاليم المختلفة . وتميزت نجران بأنها كانت - رغم موقعها الداخلي - أقل انعزالا من المواقع الأخرى ، وقد اجتازتها طرق القوافل القديمة .

(1) Italconsult, Agricultural and Water Resources, Final Report, Agricultural Development Surveys for Area II and III, P. 173-174.

(2) Loc. Cit.

لعبت نجران خلال فترة من التاريخ القديم دور عقدة المواصلات الرئيسية داخل الجزيرة العربية ، حيث كانت تصلها الطريق الوحيدة من عدن وتتفرع منها طريقان رئيسيان تسلك أحدهما أطراف الهضاب وأقدام الجبال من جهة الربع الخالي إلى اليمامة ، فساحل الخليج العربي ، أو اليمامة فبلاد ما بين النهرين ، أى باتجاه الشمال الشرقي . ومن الطبيعي أن تتحول بعض واحاتها إلى محطات على تلك الطرق فتتسع وتتعمر سواء كان لها أساس زراعى متين مثل نجران أو لم يكن مثل بلدة بدر ، وتتحول إلى بلدات عامرة ومدن هامة .

أما مواردها الاقتصادية فهي متواضعة ، إذ بلغت مساحة المحاصيل الزراعية الدائمة في إمارة نجران في عام ٧٣ / ١٩٧٤م ١٨١٤٢ دونما ، والمحاصيل المؤقتة ٥٩٨٣٠ دونما فقط^(١) . وقد حصل تغير سلبي لصالح الأولى وانجأ لصالح الثانية في عام ٧٧ / ١٩٧٨م إذ بلغت المحاصيل الدائمة ١١٣٥١ دونما ، والمحاصيل المؤقتة ٦٤٥٧٦ دونما^(٢) أى ما مجموعه ٧٥٩٢٧ دونما . وقد ارتفعت المساحة الزراعية الى ٧٣٤٩٠ دونما من المحاصيل المؤقتة و ٣٤٩٠١ دونما من المحاصيل الدائمة في عام ٨٠ / ١٩٨١م^(٣) . وكانت أهم الحاصلات الدائمة : التمور والحمضيات والعنب ، وأهم الحاصلات المؤقتة الحبوب بأنواعها كالقمح والذرة ، والخضروات كالطماطم ، والأعلاف . وفي حين تراجع إنتاج نجران من التمور في السنوات الأخيرة غير أنه عاد وارتفع الى ١٩٧٦٥ طناً عام ٨٠ / ١٩٨١م ، وارتفع انتاجها من الحاصلات الأخرى وبلغ ٤٥٠٤ طناً من القمح ، و ٧٣٨٠ طناً من الطماطم ، ٥٨٥٠ طناً من البرسيم ، و ١٤٢٠ طناً من العنب ، و ٤٠٤٣ طناً من البطيخ^(٤) . ومن الواضح أن هذه الكميات ضئيلة إذا قيست بالمساحة العامة للمنطقة ، ولكنها تتناسب مع المساحات الزراعية المحدودة حيث أنها لم تتجاوز ٧٧٩٧٢ دونما في سنة ٧٣ / ٧٤م . وانخفضت الى ٦٠٠٠٠ دونم في سنة ٧٩ / ١٩٨٠م^(٥) . ولو أنها تعتمد كلها على الري من الآبار . غير أنه من المنتظر ازديادها فيما بعد بسبب إتمام مشروع سد وادى نجران الذى بنى في عالية القسم المتسع

(١) وزارة الزراعة والمياه - نتائج التعداد الزراعى الشامل لعام ٧٣ / ٧٤ الجزء الأول الجدولين ٧ ، ٨

(٢) مصلحة الاحصاءات العامة - الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٦ ، ص ٤٤٩ وما بعدها .

(٣) الكتاب الاحصائى السنوى . العدد ١٨ . ص ٥٤٩ - ٥٥٨ .

(٤) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٨ . ص ٤٤١ وما بعدها .

(٥) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٧ . ص ٤٨٩ .

والمعمور من الوادى ، والذى هدف منه إلى زيادة نسبة تسرب وتخزين المياه الى طبقة الطمى فى المجرى ، الأمر الذى سيساعد على زيادة المساحة الزراعية .

يمارس القرويون بالإضافة إلى الأعمال الزراعية تربية الحيوانات التى يعتمدون على بعضها فى التشغيل كالحمل والجر ، أو أنهم يربونها للاستفادة من لحومها وألبانها ، حتى أنه يصعب علينا تخيل مزرعة خالية تماماً من الحيوانات ، وهذا يفسر ارتفاع كمية انتاج الأعلاف خاصة البرسيم فى المنطقة . أما البدو فهم يعتمدون على تربية الحيوانات اعتماداً كاملاً ، ويعيشون حياة تنقل وترحال حسب حاجة تلك الحيوانات الى الرعى أو السقاية . وقد بلغت الثروة الحيوانية فى نجران فى عام ٨٠ / ١٩٨١ م ١١٩٩٧٤ رأساً من الضأن ، و ٦٥٦٩٨ رأساً من الماعز ، و ٧٧٩٤ رأساً من الجمال ، و ٦٤٧٦ رأساً من الأبقار . وتشير الاحصائيات الى تناقص هذه الأعداد فى السنتين التاليتين^(١) .

وقد تعرض الوضع الاقتصادى والاجتماعى لمنطقة نجران الى تحولات جذرية خلال العشرين سنة الماضية ولايزال يتعرض لها . ويأتى فى طليعة العوامل الدافعة لهذا التغير ربطها بطرق المواصلات الحديثة . فقد أنشئ فى الستينات فى وادى نجران مطار حديث يقع فى المتسع القريب من العريسة فى شرق البلدة القديمة ، استطاع المساهمة فى ازالة العزلة عن سكان هذه المنطقة . يدل على ذلك تطور حجم حركة الطيران ؛ إذ أن مطار نجران استقبل ٧٠٤٥٨ مسافراً سنة ١٩٨٢ من مطارات المملكة أهمها من الرياض (٢٨٧٢٤) فجدة (٢٧١٤٧) . وغادره ٧١١٩٧ مسافراً الى مطارات المملكة سنة ١٩٨٢ أهمها الرياض (٣٠٨٥٠) وجدة (٢٧٥٢٧) مسافراً^(٢) .

وقد زاد من أهمية مطار نجران - وهو مطار داخلى - بعد المسافات التى تفصل مناطق المملكة بعضها عن بعض ، وتأخر إنشاء طرق السيارات وتطورها بالقياس الى المطارات . ورخص أجور النقل الداخلى فى الطيران .

وفى أوائل السبعينات (١٩٧٢ م) تم توصيل نجران بخميس مشيط عبر ظهران الجنوب (٢٥٥ كم) ، فاتصلت بذلك بطريق الجنوب (الطائف - أبها) والذى اتصل فيما بعد بخيزان على ساحل البحر الأحمر . ويجرى العمل حثيثاً لإنشاء خطين خارجيين

(١) المرجع السابق ، العدد ١٨ ص ٥٥٨ .

(٢) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٨ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

رئيسيين آخرين يتفرعان من نجران : يتجه الأول شرقا نحو شرورة في جنوب غرب الربع الخالي والذي سيصل الى الوديعة ، فيربط المملكة بدولة اليمن الجنوبي ، وقد تمت اربع مراحل من هذا الطريق حتى سنة ١٤٠٢ هـ مجموع أطوالها ٣٧٤ كم . ويتجه الثاني نحو الشمال والشمال الشرق عبر الحصينة فتثليت فالخماسين في وادي الدواسر ، وقد تم منه ثلاث مراحل حتى عام ١٤٠٢ هـ مجموع أطواله ٣٤٧ كم (١) . وعندئذ ستتصل نجران بخط برى بالرياض عاصمة البلاد . وتكون الطرق البرية عندها قد شيدت على مسارات وخطى طرق القوافل القديمة .

كانت الأسواق الأسبوعية في الماضي هي الوسيلة الوحيدة التي ساهمت منذ القدم في توثيق الصلة بين سكان منطقة نجران فيما بينهم . والأسواق وإن كانت دوافعها تجارية بحته ؛ الا أن ذلك لا يخفى مالها من نتائج اقتصادية واجتماعية وحضارية أخرى . ومن أهم تلك الأسواق القديمة في نجران : سوق الأحد في دحضة ، وسوق الاثنين في قرية بنى سليمان ، وسوق الثلاثاء في بلدة بدر ، وسوق الأربعاء قرب قرية العان ، وسوق الخميس في قرية مقابل ، وسوق الجمعة في صاغر (٢) . وتقع جميعها في وادي نجران فيما عدا بدر التي تقع في عالية وادي حبونة ، ومن المنطقي أن تتغير أهمية هذه الأسواق مع الزمن كما قد تتغير أماكنها ، غير أن منافسة الأسواق الحديثة في مدينة نجران وهي أسواق دائمة ستطمس معظم هذه الأسواق .

ينتسب معظم سكان منطقة نجران الى قبيلة يام . واليامية فرع مهم من فروع قبيلة همدان بن زيد بن قحطان ، وكانت اليامية من أشد القبائل شكيمة وقت الحروب ومن أحبهم للغزو والإغارة ويتكونون من ثلاث بطون : (٣)

أ - بطن آل فاطمة ويتكونون من ٣٧ قسما .

ب - بطن آل واجد ويتكونون من ١٤ قسما تسكن في وادي حبونة ونجران .

ج - بطن أدشم (أجشم) ويتكونون من ١٧ قسما .

(١) نفس المصدر ، ص ٣١٥ - ٣١٩ .

(٢) فؤاد حمزة - في بلاد عسير ، ص ١٨٧ .

(٣) فؤاد حمزة المصدر السابق ، ص ١٧٥ - ١٨٠ .

وهم موزعون بين مستقرين في قرى أو بدو رحل . ومن اليامية من يعيش خارج حدود منطقة نجران الإدارية ، وهؤلاء غالبا مايكونون على حالة البداوة ، ومنهم من يعيش في جبال اليمن المتاخمة للحدود السعودية . ويعيش في نجران عدد من فروع قبائل أخرى ، ولكنهم يوجدون في الغالب في أطراف منطقة نجران الشرقية وعلى الحدود بين نجران واليمن الشمالى واليمن الجنوبى .

لقد أوضحت أرقام تعداد السكان لسنة ١٣٩٤ هـ ، سنة ١٩٧٤ م^(١) أن عدد أفراد منطقة نجران الادارية (إمارة نجران) يقربون من ١٤٨٠٠٠ نسمة ، فإذا انقصنا من هذا العدد نحو ٢٥٠٠٠ فرد وذلك عدد أفراد المناطق الواقعة ضمن حدود الإمارة إداريا ولكنها تقع الى الشرق من المنطقة التى نحن بصدددها وقد حسبنا معها فى التعداد ، وتشكل جزءا كبيرا من إقليم الربع الخالى وهى : شرورة والوديعة والمنخلى والوجديد وخباش فيبقى نحو ١٢٣٠٠٠ نسمة هى عدد أفراد المنطقة التى تعيننا دراستها الآن .

ويعيش ٤٧٥٠٠ فرد من هذا العدد فى مدينة نجران ذاتها . ونجران هى قاعدة هذه الإمارة وأكبر مراكزها الحضرية ، وقد نمت وتوسعت مؤخرأ وضمت عددا من المراكز القروية القديمة ، بسبب قيامها بالوظيفة الإدارية بالإضافة الى وظائفها السابقة ، فاتخذت مركزا للإدارات الحكومية ، وأقيمت فيها مكاتب الشركات الاستشارية والتنفيذية العاملة فى الانشاءات ومشاريع التنمية ، خاصة شق الطرق والمباني الحكومية والمطار والسدود والكبارى وحفر الآبار وما إليها .

ولم يوجد فى منطقة نجران سوى ٣٣٠٠٠ من الريفيين يعيشون فى نحو ١٣٠ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، إذ يمكن اعتبار بعضها بلدات صغيرة . فى حين وجد فى هذه المنطقة ٤١٩٠٠ نسمة كانوا على حالة البداوة يترحلون حسب الفصول وتبعاً لمتطلبات تربية الحيوانات ، أى أن عددهم يفوق عدد الريفيين ، وهذا العدد لا يضم بدو باقى الإمارة فى الشرق مثل بدو شرورة والمنخلى والوجديد وخباش . وهذا يعنى أن البدو يشكلون ٣٤٪ من سكان منطقة نجران رغم وجود مدينة كبيرة تضم مايقرب من خمسي السكان .

(١) مصلحة الاحصاءات العامة . التعداد العام للسكان لسنة ١٣٩٤ هـ ، سنة ١٩٧٤ م .

وباستثناء المناطق الشرقية الخارجة عن حدود هضبة نجران والواقعة في إقليم الربع الخالي الصحراوي من الأراضي التي تضمها إمارة نجران الإدارية ، فإن منطقة نجران التي ندرسها الآن تضم الجزء الهام والمعمور منها . إذ توافر فيها جميع الدوائر الحكومية الفرعية التي توجد عادة في الإمارات ، كما توافرت فيها إدارات الخدمات الحكومية المطلوبة ؛ ومن ذلك مكتب للإشراف على التعليم ليكون مسئولاً عن تطور الحركة التعليمية في المنطقة ، فأشرف في سنة ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ على ٧٣ مدرسة ابتدائية و ٢٤ مدرسة متوسطة و ٦ مدارس ثانوية ، انتسب إليها ١١٢٩١ طالباً ، ٢٤٦٣ طالباً و ٦١٥ طالباً على التوالي . هذا عدا مدارس البنات التي تقل عن مدارس الذكور لحداتها .

وقد توسعت الخدمات الصحية كذلك حيث يوجد في مدينة نجران مستشفيات حكومية : المستشفى العام ومستشفى عزل نجران ، كما يوجد فيها وفي المنطقة ١١ مستوصفاً و ١٤ نقطة صحية (١) .

تتكون إمارة نجران في الأصل من ٢٦ وحدة إدارية مختلفة في مساحتها وسكانها وأهمية كل منها . جميع هذه الوحدات تتبع المركز الإداري في مدينة نجران . ولو أن معظمها وحدات أو أقضية صغيرة جداً . ولا يشكل بعضها إقليماً جغرافياً قائماً بذاته . ولذلك لن نتخذ الوحدة الإدارية أداة لتقسيم نجران إلى أقسامها الإقليمية ، بل سنتخذ في أغلب الأحيان الإقليم الطبيعي ، خاصة أحواض الوديان أو روافدها أو أقسامها أو عدداً منها في وقت واحد ، بحيث تضم الوحدة الجغرافية التي نتخذها عدداً من الوحدات الإدارية في أغلب الأحيان . ولذلك سنقسم الواحد والعشرين وحدة إدارية ، بعد استبعاد الوحدات الخمس الشرقية ، إلى ثمانية أقسام جغرافية على النحو التالي :

١ - الحوض الأعلى لوادي نجران في الأراضي السعودية : ويضم قضاءي المعائن والموفجة . ويحتل الزاوية الجنوبية الغربية لمنطقة نجران وهي على شكل مثلث تقريباً يقع رأسه بمحاذاة طرف قضاء ظهران الجنوب الجبلي عند الحدود مع اليمن وينطبق ضلعه الأول على خط الحدود من تلك النقطة باتجاه الشرق ، وتمثل قاعدته بخط يقطع وادي نجران عمودياً باتجاه الشمال وبطول يبلغ نحو ٣٥ كم وتبعد قاعدته عن رأس المثلث مسافة تقرب من ٤٥ كم ، وتبلغ مساحته نحو ١٢٠٠ كم^٢ .

(١) حسب جميع هذه الأرقام من جداول الكتاب الإحصائي السنوي - العدد ١٨ .

يتكون الحوض الأعلى لوادى نجران من عدة روافد يبدأ بعضها فى الأراضى اليمنية ، ويبدأ بعضها الآخر فى الأراضى السعودية من ارتفاعات تقرب من ٢١٠٠ م عن سطح البحر داخل قضاء ظهران الجنوب ، وتشمل أحواض الوديان : ثعبان وحصن وذى كحل التى تجتمع معا عند منسوب ١٤٤٠ م وذلك بالقرب من خط طول ٤٤° ش . ولذلك تميز سطحها بالانحدار الشديد نحو الشرق وذلك خلف جبال السراة العالية ، والتى حجبت عنها التأثيرات الغربية والجنوبية الغربية الجالبة للرطوبة ، فوقعت فى ظل المطر لتلك المرتفعات ، وتحول الطقس بشكل فجائى الى الصحراوى . بحيث يمكن ملاحظة تباينه عن طقس المناطق الجبلية المجاورة له ، بالرغم من ارتفاعه الكبير عن سطح البحر ، وذلك عن طريق تغير مظاهر النبات الطبيعى المفاجئ .

وقد نتج عن هذا الانحدار الشديد أيضا تعمق المجارى المائية فى الصخور النارية فتحولت الوديان الى خنادق شبه قائمة ، تعذر عليها أن تترك الفتات الصخرى فى جوانبها أو ترسب تربة طموية . وتعجز صخورها فى الأصل عن تخزين شئ من المياه لانعدام مساميتها وقلة سمك الصخور المتآكلة من التعرية على سطحها . وهذا يفسر تبدل مظهر النبات الطبيعى حيث تقهر عما فى الجبال العالية ، تحول الى شجيرات أو أعشاب هزيلة متباعدة ، أو أن تبقى الأرض جرداء خالية من أى نبات . مما جعل إمكانية الإنتاج الزراعى محدودة للغاية . إن لم تكن معدومة ، وجعل أسباب توافر القرى المستقرة مفقودة ، إلا فى مناطق محدودة فى سافلة مجارى الوديان بالذات . ومعظم السكان من البدو الرحل وأعدادهم قليلة بالقياس الى مساحة الأرض التى يملكونها .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة ٦٦٠٠ فرد فى سنة ١٩٧٤ ، ولايتنظر أن يكون قد زاد فى الفترة التالية ، بل من المحتمل أن يكونوا قد تناقصوا بسبب الهجرة . يعيش نحو نصف هذا العدد فى قضاء المعائن الواقع الى الغرب الاكثر ارتفاعا والاقرب للجبال (ظهران الجنوب) ، جميعهم على حالة البداوة سوى ٥٠ فردا وجدوا فى المركز الإدارى لهذا القضاء . وقد وجد فى منطقتهم عشرة مناهل يلجأ اليها البدو .

ويعيش النصف الآخر من هذا العدد فى عشر قرى ، تقع فى اتجاه سافلة الوادى الشرق ، يضمها قضاء الموفجة ، أى أنها تقع فى الجزء الأقل ارتفاعا من المنطقة وذلك على جانبى الوادى الضيق قبيل انفراجه وعند بدء تخلصه من المفتتات الصخرية التى تحملها المياه . ويعيش اكثر من ربعهم فى قرية الموفجة وحدها . والموفجة أولى القرى

العامرة فى وادى نجران من جهة عاليته بعد خروجه من مضيق مروان وعقبة رفادة .
ومن القرى الاخرى القريبة منها فى هذا الوادى الضيق : زور وادعة والمخلاف الأعلى
وزور آل الحارث .

٢ - الحوض الأوسط لوادى نجران :

ويتكون من ست وحدات إدارية صغيرة الحجم تقع الى الشرق مباشرة من المنطقة
السابقة وهى : الحصن ، وشعب بران ، والحرفية ، ونجران ، والاحدود ورجلاء .
وتحتل مساحة من الأرض فى وسط حوض الوادى على شكل مستطيل يقع أحد أضلاعه
على قاعدة المثلث فى المنطقة السابقة ويمتد نحو ٣٠ كم باتجاه مجرى الوادى ، الى الاتجاه
الشرقى ، فى حين أنه يمتد بالاتجاه الآخر ، أى من الجنوب الى الشمال ابتداء من خط
الحدود مسافة ٤٠ كم تقريبا . أى أن مساحة المنطقة لاتزيد كثيرا عن ٧٥٠ كم^٢ . غير أنها
من أكثر مناطق نجران عمراناً وإنتاجاً وسكاناً .

تنحدر الأرض فيه من ارتفاع ١٤٥٠م فى عاليته فى الغرب الى ١٣٥٠م عن سطح
البحر تقريبا فى الشرق . وتقع المنطقة كلها فى وسط الهضبة وبعيدا عن مرتفعات
السراة ، فيقل انحدار المجرى وتنسط الأرض الموجودة على جانبيه ، وتبتعد المسافة بين
سلسلتى الجبال الشمالية والجنوبية وهما فى الواقع جانبا الوادى .

وقد أدت هذه الظروف الى تخفيض سرعة التيار فسمحت للوادى بتشكيل مصاطب
رسوبية على جانبيه بالاضافة الى ترسيب المفتتات فى المجرى ذاته وذلك مما تحمله المياه من
حمولة صلبة . وتكمن أهمية هذه الترسبات بامكانية تحويل سطحها الى تربة ملائمة
للزراعة ، وبأنها قادرة على اختزان كمية كبيرة من مياه الفيضان ، فظهرت فيها الواحات
الزراعية منذ القدم على آبار تحفر فى الطمي لعمق بضعة أمتار ، وتحولت الى قرى
مستقرة . وهذا يفسر ميزة هذا الجزء من الوادى وقدم إعمارته وأسبقيته حضاريا وغناه
بالآثار القديمة ، وكذلك غناه بالموارد ، وعمرانه بالسكان نسبيا .

واسم نجران ، ولو أنه قديم ، ويذكر فى التاريخ على أنه موقع مدنى هام ؛ الا أنه كما
يبدو قد أطلق فى البدء على مجموعة من قرى هذا القطاع من الوادى ، أى على منطقة
وليس على مدينة . كانت فى كل فترة تاريخية تشتهر احدى هذه القرى اذا استأثرت
بالمركز الإدارى أو بالمركز التجارى كأن تكون المحطة الرئيسية من محطات القوافل ، ثم
تنتقل الشهرة الى قرية أخرى إذا تغيرت الظروف . وحتى بداية العهد السعودى الحديث

لم يكن لنجران كمدينة شأن يذكر ؛ بدليل أن فؤاد حمزة (وقد زارها في سنة ١٣٥٤هـ) وصف الوادى ووصف قراه بالتفصيل دون أن يتعرض لمدينة أو قرية بالذات يطلق عليها اسم « نجران » .

وقد اتخذت قرية « أبا السعود » في العهد الحديث قاعدة لإمارة نجران ، وتقع على جانب الوادى عند بداية منطقة الإتساع ، اى فى غرب المنطقة العامرة تقريبا . وقد نمت واتسعت وضمت عددا من القرى المتجاورة والقرية منها . ثم اطلق عليها اسم مدينة نجران باسم الإمارة حينما تكرست فيها الوظيفة الإدارية وتأصلت الوظائف الأخرى ، ولعبت دور المركز التجارى للمنطقة كلها فى وقت ازدهرت فيه التجارة فى المملكة ، وزادت فعالية البيع والشراء ، وقوى اقتصادها .

وقد زاد من أهمية نجران أنها استقطبت وجذبت معظم النشاطات المخصصة للإمارة أو لمركزها . ومن ذلك ان إنشاء الطريق « المزفلت » الذى ربط منطقة نجران بطريق الجنوب انتهى اليها ، وان مطار نجران أنشئ بالقرب منها ليقوم بخدمة سكانها ، وان المؤسسات والشركات العاملة فى مشاريع التنمية الهامة استشارية أو تنفيذية ؛ كشركات شق الطرق وبناء الجسور وإنشاء المباني والمشاريع الحكومية ، قد اتخذت منها مركزا وقاعدة للعمل . وقد اقيمت فيها معظم الدوائر الحكومية الفرعية ، وأنشئت بلدية لتشرف على تطورها وتنظيمه . كل ذلك زاد من الطلب على الخدمات فتوفرت فرص العمل فزادت طاقة مدينة نجران على جذب السكان اليها خاصة الأيدى العاملة ، الأمر الذى جعلها تتطور بسرعة فائقة .

وبعد أن كانت « أبا السعود » بلدة صغيرة « مبنية من اللبن أو التلك ، وبيوتها القديمة كالأبراج هرمية الشكل ذات نوافذ صغيرة جدا ، وتوجد حوانيتها على الرصيف أو تحت الخيام . وكانت تتكون من تجمعات على جانبي الوادى بحيث اذا سال بالماء قطع الطريق ... » كما وصفها أحد الزائرين قبل بضعة عشر عاما ؛ فقد أصبحت فى سنة ١٩٧٤م مدينة كبيرة ، بلغ عدد سكانها ٤٧٥٠١ نسمة ، واحتلت بذلك المركز الثانى عشر من بين كبرى مدن المملكة .

استمرت مدينة نجران فى النمو والزيادة بعد هذا التاريخ وبسرعة تفوق سرعة التطور الماضى بسبب دوام تأثير عوامل النمو السابقة ، وبفضل التشجيع الحكومى والتخطيط المدنى ، ونتيجة لتطور اقتصاد سكان المملكة عامة ؛ فضمت عددا من القرى القريبة ،

منها : العويرة والاشراف وآل سدوان والحلان . ومن المنتظر أن تستمر في التوسع وتضم جميع قرى الوادى المتقاربة في مجمع مدنى واحد . فقد استهدف التخطيط الحكومى تمديد المدينة شرقا على ضفة الوادى اليسرى الى متسع « الصعيد » الذى يمتد الى نحو ١٠ كم شرق المركز القديم فيما بين سلسلة القرى الواقعة بالقرب من الجرى مباشرة وهى مرتبة من الغرب الى الشرق : عكام والحامية وصاغر والحاشة وثبتان والمنجم ، وبين حافة الوادى الشمالية والى الجنوب والشرق من القرى المحاذية لها (أى للحافة) وهى مرتبة بعد « أبا السعود » من الغرب الى الشرق : زيتا والهنى ودحضة وال مسير وآل سودان وهتيلة والعجمة ، ويستمر الصعيد شرقا حتى الأثائية عند المفرق الذى ينتهى اليه الخط الحديث « المزفلت » القادم من خميس مشيط ، والذى يصل الوادى عبر أحد روافد وادى نجران التى تصب فيه من الشمال .

ومن المنتظر كذلك أن تتمدد نجران أيضا من بلدة أبا السعود وعبر جسر أقيم على الوادى لربطها بالضفة الجنوبية له لتضم مجموعة القرى الواقعة على تلك الجهة ، والتى تصلها الطرق المعبدة الآن : وهى مرتبة من عويرة فى أبا السعود باتجاه الشرق الى جربة وآل حمادة والقابل والاختود (القرية) وسكام (وهى مبنية من الصفيح الآن) والحصين ورجلاء . وقد اقيم مطار نجران فى متسع آخر يلى متسع الصعيد شرقا ويقع فيما بين العريسة والخضراء .

وقد بدأت حركة التوسع هذه بإنشاء المباني الحكومية فى سهل الصعيد مثل مبنى الإمارة ومبنى البلدية وحرس الحدود ، وظهر نشاط البلدية فى إقامة الشوارع الحديثة والأرصفة المشجرة والمنارة بالكهرباء ، ثم انتشرت فيما بينها مجموعات من « الفلل » والبيوت الإسمنتية ونشأت المدارس والفنادق والمؤسسات . فقد منحت البلدية فى سنة ١٤٠١ هـ على سبيل المثال ٨٢٢ رخصة بناء منها ٥٥٧ من الاسمنت و ١٩١ من البلوك ومنحت كذلك ٨٣ رخصة عمل^(١) . وتحول الشارع الرئيسى الذى يوصل بالبلدة القديمة الى شارع تجارى حديث ومركز تسويق ، حيث ازداد بالتحال التجارية والمخازن والمطاعم والخدمات المختلفة . وتحولت القرى الى أحياء أو ضواحي ، إذا مازال بعضها يحتفظ ببعض الخدمات المركزية الهامة التى نشأت فيها مثل : محطة توليد الطاقة

(١) الكتاب الإحصائى السنوى عدد ١٨ - الفصل ٤ . الخدمات الاجتماعية .

الكهربائية في دحضة ، والمحكمة الشرعية في صاغر ، والسوق القديم في أبا السعود ، وسوق الحيوانات « مجلابة » في عويرة . في الوقت الذى مازالت تحتفظ هذه الضواحي أو القرى القديمة بأهميتها الزراعية التى قامت على أساسها بفضل التشجيع الحكومى كالإعانات للمزارعين وضمان تسويق المنتجات والقروض ، وبفضل إنشاء سد وادى نجران الذى أقيم في عالية المجرى الأوسط ، أى قبل أن يأخذ مجراه في الاتساع وذلك في غرب أبا السعود ومعظم القرى الهامة ، والذي ساهم في رفع منسوب المياه الجوفية في الوادى في قطاعه الأوسط .

بلغ مجموع سكان القرى الزراعية في هذا القطاع - والتي لم تضمها مدينة نجران حتى عام ١٣٩٤هـ - ١٨٠٠٠ نسمة ، كما بلغ عددها ٥٥ قرية . وقد اتسع بعضها واكتسب أهمية خاصة ، كأن تتخذ القرية قاعدة إدارية فرعية أو سوقاً عامراً أو عقدة مواصلات جيدة ، مثل رجلاء (وفيها ٩٩٣ فرداً) ، وقرية الاخدود (٧٩٨ فرداً) والبديع (٦٣٠ فرداً) ، أم صورة (٤٠٩ أفراد) ، الجرفية (٣٩٠ فرداً) . في حين لم يتجاوز عدد البدو في هذه المنطقة ١٥٠٠ فرد يعتمدون على خمس مناهل ماء تقع في الروافد التى تصب في المجرى الرئيسى .

يوجد بين قريتي القابل ورجلاء الواقعتين على ضفة وادى نجران الجنوبية وذلك ضمن الوادى ، ولكن الى الجنوب من مستوى القريتين وضمن المتسع آثار خرائب كثيرة . ويقع ذلك الى الجنوب الشرقى من قرية أبا السعود وعلى الطريق الزاهية من الوادى الى عقبة نهوق الموصلة الى الأراضي اليمنية على جانب جبل الحمراء . يطلق على هذه الخرائب اسم حصن الاخدود وهى آثار بلدة قديمة ، ومن ضمنها قلعة فاخرة وخنق يملأ بالماء ، وبقايا السدود القديمة والأقنية المحفورة في الصخور ، ومن ضمنها أيضاً بقايا كنيسة هى آثار اسقفية نجران . وعثر بين أنقاض البيوت على حجارة مكتوبة بكتابات قديمة وعلى أدوات قديمة أيضاً . ويعتقد أن هذه الآثار هى بقايا المدينة التى ورد ذكرها في القرآن الكريم باسم « الاخدود » (١) . وقد اهتمت دائرة الآثار السعودية بتلك الآثار وخصصت لها حراسة دائمة حرصاً عليها من الضياع أو التلف قبل أن يتم التنقيب فيها .

(١) القرآن الكريم - سورة البروج .

٣ - الجرى الأدنى لوادى نجران :

ويضم قضاءى العريسة والخضراء وقسما محدودا من الأراضى التابعة لخباش ، ويقع الى الشرق مباشرة من القسم السابق حيث يشتد ميل الوادى مرة ثانية ويهبط الجرى عبر مسافة لاتزيد عن ٢٥ كم من ١٣٥٠م الى ١١٥٠م ، ويضيق حتى يزول الانفساح الذى رأيناه فى نجران ويقل اتساع المصاطب الرسوبية على جوانبه وينقص سمك الرسوبيات فى مجراه . وبالتالي تتضاءل أهمية المزارع ، وتضعف امكانية الحياة المستقرة ويقل عدد وشأن القرى . ولكن تزداد أهمية الآبار المحفورة فى الطمى التى يستقى منها الرعاة الى أن ينتهى الوادى عند عرق المهرة على طرف منطقة نجران من الجهة الشرقية .

ومع ذلك لم تختف الواحات تماما من هذه المنطقة : بل ظهرت منذ القديم قليلة متباعدة مثل واحات العريسة فى الغرب ، أى فيما يلى رجلاء مباشرة ، وواحات الخضراء على بعد ٣٥ كم فى شرق بلدة نجران . وقد حاول بعض بدو المنطقة إنشاء مزارع للحبوب اعتمادا على الآبار ، وبذلك بدأ قسم منهم بالتحول من حالة البداوة الى الاستقرار مثل بدو الشرفة والدريب .

وفى حين تبين أن عدد سكان قضاءى العريسة والخضراء بلغ فى سنة ١٣٩٤هـ ٨٥٩٠ فردا فان ٣٩٥٨ فردا منهم فقط حسبوا من المستقرين (٤٦٪) ، وذلك فى ثمانى قرى تقع فى مجرى الوادى . ويبدو أن وقوع بعض هذه القرى فى الوادى ، وبالتالى على مفارق الطرق - خاصة بالقرب من الحدود - ساعد على تضخيم أعدادها بهذا القدر أكثر مما عملت الزراعة ، خاصة قريتي العريسة وفيها ٢٨١٢ فردا ، والخضراء وفيها ٥٤٩ فردا ، وهما مركزان إداريان فرعيان فى نفس الوقت .

ويبدو أن هناك عاملا ثالثا ساعد على نمو قرية العريسة وتحويلها الى بلدة عامرة تضم ثلثى عدد المستقرين فى هذه المنطقة هو تجمع عمال وموظفى الشركات المشرفة والعاملة على إنشاء الطرق والمشاريع ، وقرب مطار نجران منها . ومع ذلك مازال البدو يشكلون ٥٤٪ من سكان هذه المنطقة الواسعة . ويمكن أن نضيف اليهم جزءا من قبيلة خباش التى يتكون سكانها من البدو وتمتد ديرتهم الى طرف هذه المنطقة . وخباش تشكل قضاء خاصا ببدو الحدود وتقع جميعها فى البادية الخالية من أى مظهر من مظاهر الاستقرار ، سوى مظهر حديثا من مواقع الخدمات التى نشأت كمحطات على الطرق . وتمتد ديرتهم فى سهل خباش (أو صحراء العرمرم) فى شرق منطقة الدراسة وهى جزء من

غرب إقليم الربع الخالى . وقد بلغ عدد المستقرين فى خباش ٧٤ فردا من بين البدو الذين تجاوز عددهم العشرة آلاف مواطن .

٤ — الحوض الأعلى لودى حبونة :

ويضم الأفضية هداة والجمع والحرشف . ويقع الى الشمال مباشرة من حوض وادى نجران الأعلى (المنطقة الأولى) ، وإلى الشرق من قضاء ظهران الجنوب (أى المنطقة الجبلية لسراة وادعة) . ويتكون حوض وادى حبونة الأعلى من مجموع احواض الوديان : هلال وبطا والمصلولة وروافدها . وتلتقى هذه الوديان فى شرق قرية الجفا بالقرب من خط طول ٤٤°ش أيضا مشكلة المجرى الرئيسى للودى .

ولذلك اشتركت هذه المنطقة مع المنطقة الأولى فى كثير من الصفات حيث أنها تقع مثلها فى منقلب السراة باتجاه الشرق حيث تنحدر الطبوغرافية بشدة فى هذا الاتجاه وذلك من نحو ١٨٠٠م غربا الى ١٣٥٠م شرقا على مسافة تقرب من ٤٠ كم - ٤٥ كم . فتحفر تلك المجرى بعمق شديد فى صخور المنطقة النارية والمتحولة فى ظل ظروف صحراوية ، مما لا يدع مجالا واسعا لترسيب مفتتات التعرية على جوانب تلك الوديان . فحرمت المنطقة من الأراضي الصالحة للزراعة ومن خزانات المياه الباطنية ؛ لأن الصخور النارية ذاتها لاتعمل على تخزين الماء .

ووقعت مثلها كذلك فى ظل المطر وتحولت الى مناطق جافة بشكل فجائى ، ولو أن غطاء خفيفا من التربة تشبث على السفوح الأقل انحدارا فتسبب فى وجود مجموعات من الشجيرات الخفيفة والأعشاب لاتقارن بما هو موجود فى المناطق الجبلية . وهذا يعنى أن مواردها صارت محدودة للغاية وسكانها قلائل جدا بالقياس الى مساحة الأرض التى يعيشون فيها ويستثمرون أعشابها . ولذلك فان معظمهم على حالة البداوة يعتمدون على تربية الحيوانات . ومن الواضح أن إمكانية تنمية هذه المناطق محدودة للغاية .

وجد فى هذه المنطقة التى لاتقل مساحتها عن ٩٥٠ كم^٢ ١٥ قرية فقط لايزيد عدد ساكنيها عن ٢٢٠٠ فرد ، ومن غير المنتظر أن يزدوا عن ذلك ، أى أنهم توزعوا بمعدل ١٤٥ فردا للقرية الواحدة بما فى ذلك المراكز الإدارية الفرعية مثل : حرشف وهداة والجمع ، التى تضخمت بسبب قيام كل منها بالوظيفة الإدارية . ومن القرى الأخرى أم الحوص والجفا .

لايكاد هؤلاء المستقرون يشكلون ٤٨٪ من مجموع سكان هذه المنطقة ؛ لأن الباقي وهم نحو ٢٣٢٠ من البدو الرحل الذين ينعمون بوجود ٢٩ منهل ماء يلجأون إليها للشرب وسقى الحيوانات .

٥ - الحوض الأوسط لوادى حبونة :

ويضم الاقضية : حبونة وبئر عسكر وشلياء ، ويقع الى الشرق مباشرة من المنطقة السابقة (الحوض الأعلى) ، والى الشمال من الحوض الأوسط لوادى نجران . وتحتل مساحة ٥١٠ كم^٢ . وبالرغم من أن ظروفه العامة تشبه الى حد كبير ظروف المنطقة المذكورة ؛ الا أن أهمية الروافد العليا لوادى نجران وما تجلبه من مياه وطمي من منطقة جبال السراة تفوق مثيلاتها في وادى حبونة . وبالتالي لم يستطع الوادى الثانى ان يعمل على تشكيل مصاطب رسوبية ذات شأن بالمقارنة بالمصاطب الرسوبية في وادى نجران . فتضاءل حجم وشأن المستوطنات البشرية وقل عددها في الحوض الأوسط لوادى حبونة ، إذ لم يتجاوز عدد قرى الوادى ٧ قرى ، وقد نمت واحدة منها وكبرت بسبب اتخاذها القاعدة الإدارية الفرعية لحبونة وضمت ١٣٠٠ فرد في العقد الماضى ومن المنتظر أن تنمو وتتسع اكثر من ذلك على حساب القرى الاخرى أو سكان البادية . ولا تكاد باقى القرى أن تضم مثل هذا العدد .

وبالمقابل فقد زاد شأن وأهمية البدو في هذه المنطقة حيث بلغوا ٤٤٦٠ فرداً ، أى ما نسبته ٦٥٪ من سكان هذه المنطقة ، وهى من أعلى نسب تواجد البدو في المملكة ، رغم أنها تحتل أنسب المواقع بالنسبة لوادى حبونة . وهذا يدعونا الى مقارنتها مع الحوض الأوسط لوادى نجران الذى لايشكل البدو فيه أكثر من ٢٠٪ فقط من مجموع سكانه . وقد أحصى في هذه المنطقة ١٣ مورد ماء .

وسكان وادى حبونة - سواء المستقرون أم البدو - ينتسبون أيضاً الى القبائل اليامية شأن سكان وادى نجران .

٦ - الحوض الأدنى لوادى حبونة :

ويضم قضاء الحُصَيْنِيَّة وجزءاً صغيراً آخر من قضاء خباش . ويقع الى الشرق مباشرة من المنطقة السابقة والى الشمال من الحوض الأدنى لوادى نجران (شمال قضاء العريسة) . ومع ذلك فظروفه تختلف عن ظروف الاقضية المحيطة به وتبرز له شخصية

خاصة به ، فهو من جهة يقع عند نهاية الاقليم الهضائى وبداية المنبسط الرسوبى ، أى منطقة الوحيد الذى يتكون من الصخور الرملية أو الرمال ، وتحتفى فيه مياه الوادى مهما عظمت . ولذا فالمنطقة تعتبر صحراوية الى حد كبير . غير أن موقع الحصينية من جهة اخرى عند منطقة الالتقاء هذا ؛ أهلها أن تتخذ مركزا تتفرع عنده طرق القوافل فى عدة اتجاهات . فاكسبت أهمية خاصة واتخذت مركز قضاء كان جميع سكانه من البدو . ولذلك فالاستقرار فيه استقرار مؤقت ، إذ لم يزد عدد أفراد قرية الحصينية عن ٦٠ فردا ، فى حين بلغ عدد البدو التابعين لها ٦٤٠٠ فرد ، بفضل اتساع مساحة هذا القضاء حيث تزيد عن ١٥٠٠ كم^٢ وليس بفضل غناه بالأعشاب .

٧ - هضبة بدر :

وتضم الوحدات الإدارية : بدر المضمار وثار وحما ، وتشغل أحواض الروافد الشمالية الغربية لوادى حبونة ، وقد اطلقنا عليها هضبة بدر لتوسط بدر لتلك الهضبة ، وهى مستطيلة الشكل ، وتضم هذه الوحدات فى الأصل ، بالإضافة الى أحواض روافد وادى حبونة الشمالية الغربية والشمالية ابتداء من أقدام جبال قحطان ؛ المساحات الواقعة بين حوض وادى حبونة من الجنوب ، وحوض الجزء الجنوبى من وادى تثليث ، وتمتد حتى بداية هضبة الوحيد فى الشرق مسافة تبلغ بين ١٠٠ ، ١٢٠ كم . وتقع بالنسبة لمنطقة نجران أيضا فى الشمال والشمال الغربى وذلك الى الشرق من مقاطعة الحرجة التابعة لقضاء ظهران الجنوب .

تحتل هذه المنطقة مساحة واسعة تبلغ نحو ٣٥٠٠ كم^٢ أى مايزيد عن ثلاثة أحماس مجموع مساحة المناطق الست السابقة . وينحدر سطحها بالقرب من الجبال من ارتفاع ١٧٠٠م عن سطح البحر فى الشمال الغربى عند خط تقسيم المياه بين روافد تثليث ورافد حبونة الى ارتفاع ١٢٠٠م تقريبا فى الشرق عند حافة هضبة الوحيد . ويميل معظم سطحها نحو الجنوب الشرقى حسب الاتجاه العام لروافد حبونة .

ولذلك وجدنا أن هذه الروافد حفرت بعمق شديد ضمن الصخور النارية والمتحولة فى أعاليها ، رغم أنها جرت فى منطقة تتميز بأمتارها القليلة ابتداء من منابعها . إذ تتميز مناطق شعاف السراة التى تقع هذه المنطقة فى شرقها باتخاذها الاتجاه الجنوبى - الشمالى ، وبالتالي بتباعدها التدريجى عن شاطئ البحر وانحرافها عن اتجاه التأثيرات

الجنوبية الغربية الحاملة للرطوبة . فتراجعت خصائص المناخ في هذه السراة كما مر معنا في الفصل الخاص بمنطقة عسير وذلك بالمقارنة مع نظائرها من السروات الى الجنوب أو الشمال منها .

ولما وقعت « هضبة بدر » في ظل المطر بالنسبة لسراة قحطان فتراجعت صفات المناخ فيها كثيرا حتى تحولت الى منطقة جافة بشكل فجائي . وقد ساعد على قحولتها أكثر أن معظم المجارى العليا لهذه الأحواض لم تبدأ من إقليم السراة شأن المناطق السابقة (عالية حبونة ونجران) ، بل بدأت من حدود الهضبة ذاتها ، فزودت وادى حبونة بالقليل من الماء والطمى . وتضاءلت فرصة تشكيل ترسبات نحتية أو مصاطب طموية ، وبالتالي تلاشت إمكانية وجود أراض قابلة للاستثمار الزراعى ، وضعفت مظاهر الاستقرار البشرى خاصة الاستقرار الذى يعتمد على الزراعة .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة على اتساع مساحتها ١٣٢٦٦ نسمة في سنة ١٩٧٤م ، ولا ينتظر أن يكونوا قد زادوا خلال الفترة التالية إن لم يكن الاحتمال الأكبر تناقصهم لتعرضهم للهجرة . ولم يشكل المستقرون من هذا العدد سوى ٢٢٤٧ فردا (١٧٪) ، عاش مايقرب من ثلثهم في بلدة بدر المضمار وهى بلدة قديمة جدا ، وكانت مركزا إداريا خلال فترات طويلة في الماضى ، بفضل ما تتميز به من موقع مناسب على مفترق الطرق ، فكأنها بوابة الولوج الى المناطق الجبلية ومنها الى مناطق مختلفة فى الداخل . ويتوزع باقى السكان المستقرون فى ٢٨ قرية صغيرة أى بمعدل ٥٧ فردا للقرية الواحدة .

وهذا يعنى أن البدو ويبلغ عددهم ١١٠٢٠ فردا يشكلون ٨٣٪ من سكان هذه المنطقة ، وهذه النسبة تعتبر من أعلى نسب تواجد البدو فى المملكة . ويعيشون على استثمار الأعشاب التى تتواجد فى مجارى الوديان فى تربية الحيوانات التى يأتى فى طبيعتها الأغنام والماعز والجمال ، ويستقرون مؤقتا حول ٢١ موردا ثابتا للماء .

٨ — حوض وادى يدمة (ادما) .:

وادى يدمة هو ثالث وديان منطقة نجران ويقع الى الشمال والشمال الشرق منهما ، وهو أصغرهما وأقلهما أهمية ، لأن جميع روافده تنبع من منطقة الهضبة القليلة الأمطار والواقعة فيما بين روافد وادى حبونة من الجنوب وروافد وادى تثليث من الغرب والشمال الغربى ، وتبعد أطرافها العليا نحو ٥٠ كم عن خط الشعاف .

يتجه الوادى إجمالاً من غرب المنطقة باتجاه الشمال الشرقى وينتهى عندما تختفى مياهه عند حافة هضبة الوجيد . ويتخذ حوضه شكلاً قريباً من المستطيل ويمتد بنفس الاتجاه ، ويحتل مساحة واسعة تبلغ نحو ٣٠٠٠ كم^٢ ، ويتراوح ارتفاعها بين ١٦٠٠ م عن سطح البحر تقريباً فى عالية الوادى أى فى جنوبها الغربى و ١٠٠٠ م تقريباً فى سافلتة عند حافة الوجيد ، ذات الصخور الرسوبية فى حين تتكون أرضه من الصخور النارية والمتحولة .

فلا غرابة اذن ألا تكون هذه المنطقة صحراوية المناخ فحسب ، بل إنها أكثر جفافاً وقحولة وفقراً بالموارد المائية الباطنية وبالتربة من جميع المناطق التى سبق ذكرها . ومن الواضح أن وجود حياة مستقرة تعتمد على الإنتاج الزراعى ضرب من المستحيل ، فيقتصر مستوطنوها على جماعات البدو القليلة الكثافة والذين بإمكانهم استثمار ثروتها العشبية مهما كانت فقيرة . إذ وجد فيها ٨٤٠٠ بدوى استطاعوا استيطانها بفضل وجود ١١ مورد ماء . وقد نما المركز الذى اعتبر قاعدة إدارية للامارة الفرعية وتحول الى قرية كبيرة بلغ عدد أفرادها ٣٥٥ فرداً . ووجد فى هذه المنطقة الواسعة ثلاث قرى صغيرة اخرى لم يتجاوز عدد افرادها مجتمعة ١١٥ فرداً ، نشأت كمراكز خدمات على الطرق .

الفصل التاسع

حوض وادى تثليث

هضبة عسير :

نستطيع ان نطلق تعبير هضبة عسير على القسم الهضبانى الذى يلى مرتفعات عسير شرقا ، وتقع الى الشمال مباشرة من هضبة نجران وتمتد بنفس اتجاه الجبال من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى مسافة تزيد عن ٤٥٠ كم . وتنتهى حدودها الشرقية عند أخافة الدرع العربى وبدء ظهور التكوينات الرسوبية التى تفصل هذه المنطقة عن اقليم الربع الخالى فى الجزء الجنوى منها ، وعن اقليم عالية نجد فى الجزء الشمالى . وهى تنحصر بين خطى عرض ١٠ ١٨° ش ، ١٠ ٢١° ش أى ثلاث درجات عرضية ، وخطى طول ٤٥ ٤١° ش ، ٣٠ ٤٤° ش .

تتكون المنطقة بأجمعها من هضبة مائلة السطح ، تبدأ الاطراف المرتفعة فيها من نهاية مرتفعات السراة غربا وذلك من مستويات ١٧٥٠ و ١٦٠٠ م عن سطح البحر وتنحدر اجمالا باتجاه الشمال الشرقى . وهذا يغاير الاتجاه العام فى منطقة نجران حيث تنحدر الأخيرة نحو الشرق . وقد تحكمت هذه الاتجاهات والتى تأثرت فى الأصل بخطوط البنية خاصة مواقع تجاور الكتل الصخرية المختلفة التركيب فى اتجاهات تصريف المياه . وتهبط فى تلك الاتجاهات الى نحو ١١٠٠ أو ١٠٠٠ م عن سطح البحر .

فهضبة عسير هى جزء من اقليم الدرع العربى الذى تتكون أرضه من الصخور النارية والمتحولة التى تسود فيها مجموعة صخور الجرانيت ومجموعة صخور الشست والصخور المتحولة عن واحد منها . وهى فى غالبيتها صخور متبلورة صلبة تقاوم التعرية كثيرا ، قائمة اللون ، كثيمة خالية من المسامات أو الشقوق ، وتنعدم فيها عملية تخزين الماء الا على نطاق ضيق جدا ، وذلك فى الصخور السطحية المكسرة والمتهتكة بالنحت .

ونظرا لوقوع الهضبة في شرق وشمال شرق سلسلة مرتفعات السروات واتجاه انحدارها عامة بشكل عمودى ومعاكس لاتجاه تلك السلسلة ، فهي تقع فى ظل المطر بالنسبة للتأثيرات الجوية الجنوبية الغربية الشتوية . فقد تدهورت فيها صفات الطقس بشكل شبه فجائى مع بداية تناقص الارتفاعات . فاتصف الاقليم بقلة الأمطار وعدم انتظامها ، وارتفاع وتفاوت درجات الحرارة ، وانخفاض نسب الرطوبة ، وارتفاع نسب التبخر ، وسيطرة الرياح الحاملة للغبار أو الرمال . اى أنها اتصفت بالصفات الصحراوية .

غير أن مجاورتها لسلاسل الجبال ووقوعها خلفها وقيامها بدور امتداد لانحدارات سفوحها ؛ ترك نتائج ايجابية على الجريان المائى والثروة المائية ، بحيث عوضت عن ، وخففت من سلبات الصفات الصحراوية المذكورة . فتحت شروط توفر الأمطار على المرتفعات ، وتدرج انحدار السفوح الشرقية لها ، وشحة نفاذية صخور المنطقة ؛ لعب الجريان المائى فوق سطح الهضبة دورا هاما فى التوازن المائى . خاصة دوره كمصدر رئيسى لإعادة نقل وترسيب طمى الوديان .

ولكن الجريان السطحي يتباين من سنة لأخرى ومن فصل لآخر ، تبعا لتذبذب الأمطار فى المناطق الجبلية وفى الهضبة ذاتها . ويرتبط الجريان كذلك بمساحة منطقة التغذية فى الإقليم الجبلى ، أى بمساحة الأحواض العليا لتلك الوديان ، والتي تتراوح أمطارها بين ٢٠٠ - ٤٠٠ ملم . وهذا يفسر اختلاف أهمية هذه الوديان بالنسبة لبعضها البعض ، وبالتالي يفسر تفوق وادى بيشة على جميع الوديان الأخرى فى هذا المجال .

يحدث تسرب الماء الى جوف الارض عادة إما مباشرة من الأمطار أو من جريان الوديان ومن الفيضانات بطريق غير مباشر . والأولى قليلة الأهمية فى هضبة عسير بسبب قلة الأمطار على الهضبة . ولذلك يرتبط توزيع الماء الباطنى فى هذه المنطقة مع التصريف السطحي حيث تكون أهم خزاناته فى الاماكن التى تتوفر فيها رسوبيات الطمى على بعض قطاعات مجارى الوديان الرئيسية ، وتتواجد بالدرجة الثانية على السطوح المنحوتة وصخور القاعدة المكسرة أو المتحللة ، والتي يمكن أن تكون مغطاة بطبقة من الطمى مثل قيعان الوديان ، أو معرأة كما هى الحال فى المرتفعات ، وهناك خزانات أخرى أقل أهمية فى صخور البازلت التى تتصف بالتشقق .

لقد انتظمت مجارى تصريف هضبة عسير العديدة فى حوضين من أهم أحواض التصريف الداخلية فى المملكة العربية السعودية هما : حوض وادى تثليث وحوض وادى بيشة . ولذلك سنقسم هذه المنطقة الواسعة الى اقليمين لنكمل دراستنا للاقسام الاقليمية لجنوب غرب المملكة ، فندرس أقسام حوض وادى تثليث فى هذا الفصل ، وندع أقسام حوض وادى بيشة للفصل التالى :

١ - حوض وادى تثليث :

يقع حوض وادى تثليث الى الشمال مباشرة من هضبة نجران ، ويتخذ شكل المستطيل فيحتل الجزء الشرقى من هضبة عسير . ومع أنه يتجه من الجنوب الى الشمال ، الا ان اتجاهه هذا ينحرف عن اتجاه سلاسل الجبال ، فيمتد من بين تلك السلاسل فى سرة قحطان فى الجنوب الغربى وبين حوض عالية وادى الدواسر فى الشمال والشمال الشرقى ، بطول يبلغ نحو ٣٠٠ كم . وينحصر فى الاتجاه الآخر بين حوض وادى بيشة فى الغرب وبين هضبة الوجيد ذات التركيب الرسوبى فى الشرق بعرض يتراوح بين ١٠٠ - ١٢٠ كم .

البيئة الطبيعية والبشرية فى وادى تثليث :

ينحدر سطح حوض تثليث من نهاية جبال قحطان من ارتفاع ١٨٠٠ م ومن شمال هضبة بدر ويده من ارتفاع ١٦٠٠ م عن سطح البحر ، وذلك فى الجنوب الى عالية وادى الدواسر عند ارتفاع ٩٠٠ و ١٠٠٠ م ، بعد أن يسير الوادى اعتبارا من أبعد روافده العليا الى مكان اختفائه فى رمال عرق الوادى مسافة تقرب من ٤٠٠ كم . ولايزيد ارتفاع الأرض فى هذه المساحة الواسعة فوق بطون الوديان أكبر من ٢٠٠ أو ٣٠٠ م .

وبالطبع يتمتع هذا الحوض بمناخ صحراوى ، يتدرج فى تزايد الجفاف وارتفاع معدلات الحرارة باتجاه سافلة الوادى متأثرا بذلك بعامل البعد عن خط الشعاف من ناحية وتناقص الارتفاع فى الوادى وفى التضاريس المحيطة من ناحية اخرى ، حتى يبلغ درجة الجفاف الشديد . إذ بلغت معدلات الأمطار فى عالية الوادى (١٤١ ملم) فى مشروقة الواقعة فى وادى طريب وعلى ارتفاع ١٨٢٥ م ، وبلغت (١٢٥ ملم) فى المضة الى الشمال بنحو ٤٢ كم فى

نفس الوادى على ارتفاع يبلغ نحو ١٥٠٠ م عن سطح البحر . وفى حين بلغت فى يعرى فى وادى مسياب فى غرب طريب ١٣٧ ملم لم تتجاوز فى تثليث فى شمال المنطقة ٨٢ ملم سنويا .

ولا يصعب علينا - إذا عرفنا أن هذه الكميات المحدودة من الأمطار الساقطة على الهضبة التى تتمتع بارتفاع معدلات الحرارة وبالتالى بارتفاع نسب التبخر - أن نتصور كيف ستكون المنطقة قاحلة تماما ، وأن التوازن بين تحلل التربة وانجرافها سيكون فى صالح الثانية ، ولا يبقى سوى قشرة رقيقة لاتكاد تعيل حياة نباتية ملائمة ، الا فى بعض البقع المحدودة المساحة كبعض جوانب الوديان والمنخفضات . وتميل فى أكثر الأحيان لأن تكون مالحة غير خصبة . ولولا أن وادى تثليث الذى تبدأ مجاريه العليا من مرتفعات قحطان ذات معدلات الأمطار المتوسطة الكمية (اذ تقرب من ٣٠٠ ملم) ، تنحدر مياهه منها الى المجرى الرئيسى بسبب عدم نفاذية الصخور النارية والمتحولة فى المنطقة ، التى لاتمتص شيئا يذكر من المياه ، رغم ما تتعرض له تلك المياه من التبخر سواء فى مجاريها العليا أو أثناء سيرها فى الوديان . ولكن أهم ما فى الأمر أن قسما منها يتسرب أثناء سيرها فى التكوينات الرسوبية التى بناها الوادى مما يحمله من فئات التعرية . فتتجمع وتشكل أغشية مائية تختلف أهميتها من مكان إلى آخر حسب امتداد وأهمية التكوينات الرسوبية التى تحتزن فيها . وقد أمكن استثمار بعضها منذ القدم فظهرت الواحات القديمة التى قد تكون كثيفة ومتعددة فى مناطق ، وقليلة العدد وكثيرا ما تكون متباعدة فى مناطق أخرى . وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنه يمكن تنمية بعض نواحي هذه الوديان بسبب توفر الرسوبيات والغشاء المائى واستثمارها بكثافة تزيد عن استثمارها الحالى .

وفى الأحوال العادية - نظرا لما تتعرض له هذه الأودية من تبخر أو تسرب - فانه لايتبقى فى المجرى صبيب ذو شأن ، الا اذا حصلت فيضانات قوية وهى غير منتظمة التردد ، ومرتبطة بعدم انتظام أمطار المنطقة . وعندها تواصل مياه الوادى الجريان الى أن تضيق فى رمال منطقة « عرق الوادى » ، وهى الرمال التى قطعت طريق المجرى ومنعته من الاتصال بوادى الدواسر حيث كانت تصل اليه فى الماضى وتصب فيه . ومن الجدير بالذكر أن فيضانات وادى تثليث تسبب ارتفاعا واضحا فى منسوب الغشاء المائى فى وادى الدواسر من دون أن تصل اليه ، مما يدل على الصلة القديمة بينهما .

لقد قدرت مساحة حوض وادى تثليث بـ ٢٩٧٨٢ كم^٢ أى مايقرب من مثل مساحة دولة الكويت . كما قدر معدل الجريان السنوى فيه بـ ٤٥ مليون متر (١)٣ . وقد استثمر جزء من هذا الحوض مما يقع فى اقليم الجبال (فى مرتفعات قحطان) ، كما استثمرت بعض قطاعات الوادى أو روافده الهامة فى الأماكن التى استطاعت الوديان ترسيب كميات مناسبة من فتات التعرية فى قناة الجريان ، أو فى السهل الفيضى والمصاطب الرسوبية على جوانبها ، متى سمحت بذلك شروط الجريان ، لأنها وفرت بذلك الأراضي القابلة للعمل الزراعى ، وقامت فى نفس الوقت بتخزين مقادير مناسبة لمياه الرى . وقد ازدادت أهمية بعض هذه الواحات بفضل وقوعها على مفترق طرق القوافل ، مثل تثليث . وقد خضعت باقى مساحة هذه الأحواض لتحركات البدو ، وكانت مسرحا لتنقلاتهم الفصلية . وتحولت الآبار التى حفرت منذ القديم فى طمى الوديان الى مواقع الاستقرار المؤقت لهم خاصة فى فترات الجفاف .

امتدت واحات وادى تثليث على امتداد ٢٠ كم من المجرى الرئيسى قبيل سافلته بعرض لايزيد عن ١ كم ، وذلك عند خط عرض ٣٠ - ١٩° ش ، وخط طول ٣٠ ٤٣° ش تقريبا . وقد توفرت فى هذا المجرى رسوبيات بعمق يقرب من ١٠ م ، يملأ الغشاء المائى أكثر من نصفها ، فيتراوح بعد الآبار بين ٢ - ٥ م عن سطح الأرض . غير أن مياه تثليث رديئة النوعية نسبيا لأنها تحوى ١٥٠٠ جزء من المليون من الأملاح على الأقل .

وقد امتدت الواحات كذلك فى بعض روافد تثليث الهامة مثل : العرين وطريب والمسياب والسليل ، وتسير جميعها من الجنوب الى الشمال موازية بعضها بعضا وتقع الى الغرب من المجرى الرئيسى بالتتالى . وقد ظهر فى قطاع من كل من مجاريها أربع مجموعات من الواحات تحاذى بعضها بعضا أيضا هى من الشرق الى الغرب : واحات العرين ، وواحات مشروفة والمضة ، وواحات يعرى وواحات خبير .

تستغل واحات الروافد هذه كمية من المياه تقدر بـ ٢٥ مليون متر ٣ / السنة وذلك من ٢٤٤ بئرا محفورة فى الطمى لرى مزارع المنطقة . أما فيما يلى واحات تثليث الرئيسية شمالا فلا يستفاد من المياه المترشحة فى المجرى بسبب ارتفاع نسبة الملوحة . ولا يبدو أن الاستثمار الحالي للماء فى منطقة تثليث يمكن زيادته الى درجة كبيرة . وإنما يمكن

(1) Itacomult (1969): Water Development survey. Ibid P.172.

إعادة تنظيمه بحيث ينصح بزيادته وتكثيفه في بعض الجهات التي تسمح ظروفها بذلك وتقليل استثماره في مناطق أخرى بسبب فقر التربة وملوحة الماء .

وتفسر هذه الظروف ضآلة النشاط البشرى حيث لم يتجاوز عدد سكان هذه المنطقة الواسعة ٧٧٠٠٠ نسمة قبل تسع سنوات ، ولا ينتظر ان يكون قد زاد بعد ذلك ؛ لأن المنطقة تمثل موطن هجرة ولا تشجع القدوم إليها . وقد بلغ عدد المستقرين في ٢١٧ قرية مختلفة الحجم والأهمية ١٢٩٠٠ فرد فقط . ولا تحوى هذه المنطقة على سعتها أيضا ولا مدينة واحدة .

وتعنى هذه الأرقام ان نسبة البدو ترتفع الى ٨٣٪ من مجموع السكان وهى من أعلى نسب تواجد البدو في مناطق المملكة ، وبالتالي يمكن اعتبار المنطقة ديرة من دير البادية . ومن أجل دراستها تفصيليا لابد من تقسيمها الى عدد من الوحدات ، كل وحدة منها قد تضم قضاء إداريا أو أكثر . ونستعرض هذه الوحدات ابتداء من الجنوب باتجاه الشمال على النحو التالى :

١ — قضاء الأمواه :

ويقع في جنوب شرق هذه المنطقة وذلك الى الشمال مباشرة من حوضى جبونة وأدمة (اى من شمال منطقة نجران) . ويحتل المجرى الأعلى لوادى تثليث بعد انتهائه من سراة قحطان . ويتكون هذا المجرى من الوديان : ملححة (عالية تثليث) ، وثغر المعاء والأمواه وبعض الروافد الصغيرة التى قد ينتهى بعضها حينما تتسرب مياهها القليلة في سهل العمق ، ولا تصل الى تثليث بسبب شدة الجفاف .

يمتد قضاء الأمواه مسافة تقرب من ٨٠ كم من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وبعرض يتراوح بين ٤٠ كم في الطرف الأول و ٨٠ كم في الطرف الثانى الأكثر صحراوية أى عندما يجاور قضائى تثليث والعين . وتبلغ مساحته نحو ٣٣٠٠ كم^٢ .

وبالرغم من قرب الطرف الجنوبى الغربى لهذا القضاء من سراة قحطان ، الا أن اتجاهه يبتعد عن خط الشعاف بشكل شبه عمودى في الوقت الذى يتناقص فيه الارتفاع ، فيدخل بشكل فجائى في نطاق المنطقة الصحراوية الجافة . وقد حفرت المياه الساقطة في الأصل على المناطق الجبلية وانحدرت اليه بسرعة ، وسارت فوق صخور القاعدة الصلبة والعديمة النفاذية حفرت فيها بعمق شديد ، وتحولت المجارى العليا الى خنادق ضيقة ، لم

تتمكن من امتصاص شيء من المياه . كما أنها لم تتمكن من ترسيب فتات التعرية بكميات يمكن أن تتحول بها الى أراض زراعية ، فصارت المنطقة جرداء قاحلة خالية من الواحات والقرى الزراعية رغم ارتفاع السطح الذى يتراوح بين ١٤٠٠ - ١٨٠٠ م عن سطح البحر ، ورغم توفر الأعشاب والشجيرات فى الوديان .

وتفسر هذه الظاهرة عدم وجود السكان المستقرين ، وكيف أن جميع سكانها البالغ عددهم حسب الاحصاء الأخير نحو ١٥٤٠٠ فرد كانوا من البدو الرحل . ومن المنتظر أن يكون قد تناقص هذا العدد فى الفترة التالية ، بسبب النزوح والهجرة التى تعرضت لها بوادى المملكة ، وتحول البدو السريع الى الاستقرار فى أماكن أخرى ، خاصة قرب المدن الكبيرة ومراكز النشاط الاقتصادى . وقد امتلك البدو ٥٨ منهل ماء فى هذه المنطقة تمثل مواقع اللجوء فى الفصول الجافة .

لم يسجل التعداد المذكور فى قضاء الأمواه سوى ٤١ فردا تواجدوا فى قريتين ، كانت احدهما قرية « الأمواه » قاعدة هذا القضاء التى سميت باسمه ، بل باسم الوادى الذى تقع فى مجراه . وقد نشأت كمحطة فى طريق القوافل بين الحصينية وتلث ، أو بينها وبين بيشة ، وثانيهما قرية حمضة وتقع بالقرب منها ونخص آل مسفر من قحطان . ويبدو أن الاستقرار فى القريتين كان غير كامل بدليل نزوح سكانهما فى وقت زيارة عدادى مصلحة الاحصاءات العامة اليهما .

٢ - القسم الغربى من عالية وادى تلث :

ويضم الأحواض العليا والوسطى للروافد التى تصب فى تلث من الجهة اليسرى وهى أهم روافدها : العرين وطريب ويعرى . وتتجه جميعها من الجنوب إلى الشمال عامة يوازي بعضها بعضا ، وتوازي الجرى الرئيسى الواقع إلى الشرق منها ، والذي تصب فيه بشكل متتابع من ضفته الغربية . فتحتل مساحة كبيرة فى هذا الجزء من عالية وادى تلث .

يمتد هذا القسم من نهاية مرتفعات سراة عبيدة ورؤفيدة ويتجه شمالا ، أي باتجاه مجاري هذه الوديان مسافة تبلغ نحو ٤٠ كم ، كما يمتد بالاتجاه الآخر نحو ٦٠ كم كى يضم هذه الأحواض الثلاثة فيما بني قضاء الأمواه من الشرق وقضاء وادى ابن هشبل فى الغرب . وتكاد مساحته تبلغ نحو ثلثى مساحة القضاء السابق .

وبالرغم من وقوع هذا القسم في غرب القسم السابق « الامواه » وقربه بالتالى من مناطق الشعاف وارتفاع أرضه ؛ الا أنه يخضع من حيث باقى المؤثرات الى ظروف متشابهة . فهو يبدأ مثله من نهاية جبال السراة ، ويقل الانحدار كلما ابتعد عنها ، وقد نقصت الأمطار وزاد الجفاف وارتفعت الحرارة وتحول فجأة الى منطقة صحراوية ، وقد حفرت الوديان فيه مثل القسم السابق أيضا بعمق شديد ، ضمن الصخور النارية والمتحولة الصلبة وقليلة النفاذية ، وتغلبت عوامل النقل على عوامل الترسيب فتجردت الصخور من التربة أو كادت .

غير أن وديان المنطقة تعمل بعد أن تباعد عن الجبال بقدر كاف وتخف سرعة الجريان على ترسيب فتات التعرية في مجاريها الوسطى ، أى قبل أن تلتقى بالجرى الرئيسى ، فتشكل مساحات محدودة وغير متصلة من المصابط الرسوبية أو سهول الفيضان ، فأمكن وجود حياة مستقرة وواحات قديمة فيها . هذا فى الوقت الذى خضعت فيه معظم مساحات هذه الوديان لتحركات البدو وكانت مسرحا لنشاطهم الرعوى .

ينتمى سكان القسم الشرق من هذه المنطقة - أي سكان العرين وطريب - الى قحطان ، كما ينتمى سكان القسم الغربى - أى يعرى - الى قبيلة ناهش من شهران . وتتكون الفتتان من مستقرين فى قرى تعتمد على الزراعة ، أو بدو رحل يعتمدون على تربية الحيوان . وقد بلغ عدد المستقرين حسب التعداد الماضى ٧٤٠٠ فرد أى أكثر من ٥٧٪ من مجموع المستقرين فى منطقة وادى تثليث كلها . ويتوزع هذا العدد فى ١٣٥ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، ولو أنه يغلب عليها بشكل عام القرى الصغيرة الحجم ، إذ بلغ معدل عدد أفراد القرية الواحدة ٥٥ فردا . ومن الجدير بالملاحظة أنه لا يوجد ممدن من أى حجم كان ، لافى هذه المنطقة فحسب ؛ بل فى كل إقليم حوض تثليث كله باستثناء بلدة تثليث اذا اعتبرناها مدينة صغيرة .

أما السكان الذين سجلهم التعداد على أنهم بقوا على حالة البداوة فقد بلغوا ١١٦٢٢ فردا فى سنة ١٩٧٤ ، ومن المنتظر أن يكون قد تناقص هذا العدد الآن لتحول معظمهم الى الاستقرار فى مناطق أخرى . ولكن هذه الأرقام تعنى أن البدو يشكلون ٦١٪ من سكان هذه المنطقة . ومع أنهم يتوزعون فى مختلف الجهات إلا أنهم يتركزون فى مقاطعة يعرى التى يتواجد فيها نحو ستة أعشار هذا العدد .

ويبدو من المفيد تقسيم هذه المنطقة الى ثلاثة أقسام حسب أحواض الوديان الثلاثة التى تتضمنها ، ولو أن القسمين الأولين وهما العرين وطريب يجمعهما وحدة إدارية منفصلة .

أ - منطقة العرين : وتحتل الجزء الشرقى من هذا القسم ، وتقع الى الغرب من قضاء الأمواه مباشرة وتشغل حوض وادى العرين الأعلى والأوسط . يبدأ المجرى الأعلى للوادی من شمال شرق منطقة الجوف التابعة لسراة عبيدة ، ويتجه شمالا الى أن يبدأ بترسيب فتات التعرية بكميات كافية لتكوين غشاء مائى مناسب ، وصالحة لاختضاعها للزراعة بعد مسيرة ٣٠ كم من عاليته ، وذلك عند خط عرض ٣٠° ١٨' ش .

نشأت فى هذا الحوض منذ القدم واحات صغيرة اعتمادا على آبار حفرت يدويا فى السهل الفيضي ، وتحول بعضها الى قرى صغيرة يبلغ عددها نحو ٢٠ قرية والتي منها قرية العرين (اى باسم الوادى) ، وقرية الحوطة التى اتخذت قاعدة للقضاء ، فالتسعت وضمّت ٤١١ فرداً حسب التعداد الاخير وينتمى السكان - كما ذكرنا - الى قحطان .

ب - منطقة طريب : وتحتل الجزء الأوسط من هذا القسم فيما بين العرين ويعرى ، وتشغل حوض وادى طريب الأعلى والأوسط ، اذ يبدأ المجرى الأعلى للوادی من سراة قحطان ذاتها ولكن فى موضع يقع الى الغرب من عالية الوادى السابق ، ويخترق منطقة الجوف التابعة لمقاطعة سراة عبيدة ، والتى تبعد ١٧ كم عن بلدة البوطة قاعدة تلك المقاطعة . ثم يتجه فى منطقة طريب نحو الشمال الى أن يصل مشروفة . وقد استطاع الوادى فى المنطقة الأخيرة تشكيل سهل رسوبى ومصاطب رسوبية ، وذلك على بعد ٤٠ كم من عاليته ، عند خط ٣٠° ١٨' ش ، أى نفس العرض الذى يبدأ فيه سهل العرين الرسوبى ، ولكن الى الغرب منه بمقدار ٢٠ كم . ومثل سهل العرين ظهرت مجموعة من الواحات تمتد بامتداد الوادى مسافة ١٥ كم ، ويضم كل منها مساحة محدودة من الأرض الزراعية ، ومع ذلك فهى تزيد فى المساحة والأهمية وبالتالى فى النشاط البشرى وعدد السكان عن تلك فى وادى العرين .

وتنتظم القرى بشكل خطى مع مجرى الوادى ، ويقع أولها على بعد ٧٠ كم فى شمال شرق خميس مشيط وأهمها من الجنوب الى الشمال : شعيا ومشروفة والفرعة والجذباء والعرفان . وقد يكون أهم هذه القرى مشروفة التى تعتبر بمثابة قاعدة لهذا الوادى . ونظرا لبؤس موقعها فقد أقام قسم الهيدرولوجيا بوزارة الزراعة محطة ارضاد مطرية

لتسجيل ومتابعة التغيرات المطرية فيها . وقد نشأ فيها عدد من الدوائر الحكومية كالإمارة والمحكمة والهيئة والشرطة ومكتب الزراعة ومدارس للبنين والبنات ومكتب بريد ومستوصف .

ومن الجدير بالذكر أن مجموع السكان المستقرين في قرى زراعية في كل من وادي العرين ووادي طريب قد بلغوا نحو ٤١٠٠ فرد ، يتواجد معظمهم في الوادي الثاني ، وقد استقروا في الوادين في ٦٠ قرية صغيرة الحجم بلغ معدل أحجامها ٧٠ فردا للقرية الواحدة ، وهي جميعا مرتبطة بالسهل الفيضي في المجرى . ويعتمد سكان القرى للحصول على مياه الشرب على الآبار وقد بدأ تمديد شبكات مياه صغيرة لبعض هذه القرى .

أما باقي سكان هذه المنطقة والذين يشكلون ٥٣٪ من مجموع سكان الوادين ، فقد سجلهم تعداد السكان على أنهم بدو رحل ، وهم فعلا يتجولون في جنبات الوادين وروافدهما ، يستثمرون أعشابها في تربية حيواناتهم التي أهمها الاغنام والماعز والجمال ، ويستقرون في فصول الجفاف حول ١٦ منهلًا للماء محفورة في طمي الوديان .

ج - منطقة يَفْرَى: وتحتل الجزء الغربي من هذا القسم فيما بين مقاطعتي العرين وطريب من الشرق ووادي ابن هشبل وخميس مشيط من الغرب . وتشغل حوض وادي المسياب (أو يعرى) وهو أحد روافد وادي طريب الهامة ويقع الى الغرب منه ويوازيه في مجراه . تبدأ مجارى وادي مسياب العليا من شمال سراة عبيدة ولكن الى الغرب من منابع وادي طريب ، بل يقع الوادي بين حوض طريب والسليل . وينحدر سطح المنطقة من ارتفاعات تبلغ نحو ٢٠٠٠ م ، ويتجه الوادي إجمالاً نحو الشمال حافرا بعمق في صخور القاعدة النارية القاحلة ، ويجردها من التربة ، الى أن تهبط الى ارتفاع ١٧٥٠ م عند خط عرض ٤٠ - ١٨° ش . وهناك يبدأ الوادي بترسيب مخلفات التعرية مشكلا سهلا فيضيا ضيقا ، يحتزن شيئا من فائض مياه الفيضانات ، مما تسبب بظهور الواحات الزراعية ، والتي وجدت فيها القرى ممتدة بشكل خطى مع امتداد المجرى الرئيسى . ثم ينقطع وجود الواحات والقرى في المجرى الأدنى ، مثل العرين وطريب ، الى أن تنتهى جميعا الى وادي تليلث .

اتصفت قرى هذا الوادي - مثل سابقه - بانها صغيرة الحجم جدا ، ففي حين بلغ عددها ٧٦ قرية لم يزد عدد سكانها جميعا عن ٣٣٠٠ فرد حسب تعداد السكان

الماضى اى كانت بمعدل ٤٤ فرداً للقرية الواحدة . ومن الملاحظ انه قد يصل عدد أفراد أسرتين أو ثلاث من الأسر الممتدة السائدة فى هذا الاقليم هذا الرقم ، وهذا يفسر كيف أن القرية قد تطورت عن واحة صغيرة تتكون من بستان واحد أو بستانين بسبب ضيق الأراضى الزراعية .

ولما كانت مساحة هذه القرى ومزارعها لاتغطي سوى نسبة ضئيلة جدا من هذه المنطقة ، فقد انتشر فيها البدو حتى يستثمروا مواردها العشبية مما جعل المنطقة ككل تحسب وكأنها ديرة من دير البدو ، حيث بلغت نسبتهم ٦٨٪ من مجموع سكانها ، وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى مناطق المملكة ، ويدل على أهميتها كديرة للبدو كثرة المناهل المائية التى يملكونها حيث بلغ عددها ٥٢ منها . ومع أنه يحتمل أن يكون عدد البدو قد تناقص خلال السنوات العشر الماضية ، إلا أنه يصعب علينا أن نتصور زيادة عدد أفراد الريف خلال هذه الفترة أيضا لضعف مواردها .

ومن أهم قرى يعرى قرية « السوق » قاعدة المقاطعة الإدارية ، وهى كما هو واضح من اسمها تقوم بوظيفة السوق الأسبوعى لسكان المنطقة الذين ينتسبون الى قبيلة ناهش من شهران كما سبق ذكره . وتعرف القرية أيضا باسم الإمارة الفرعية أى « يعرى » . وفيها بعض الدوائر والمدارس الابتدائية والمتوسطة .

٣ - قضاء المضّة :

يشغل قضاء المضّة جزءا من حوض وادى تثلث الأوسط ، يقع الى الشمال مباشرة من المنطقة السابقة (القسم الغربى من عالية وادى تثلث) . وفى هذا الجزء تلتقى أهم روافد تثلث وهى الروافد الغربية فى المجرى الرئيسى اى العرين وطريب ، ويكون يعرى قد التقى بالثانى قبل ذلك .

يتخذ القسم الأكبر من القضاء - وهو القسم الجنوبى - شكل المستطيل الذى يزيد عرضه (شرق - غرب) عن ٤٠ كم ، ويضيق فى الشمال فيتخذ شكل المثلث بحيث يبلغ امتداده (جنوب - شمال) نحو ١١٠ كم ، وينحصر القسم الضيق منه - اى اتجاه رأس المثلث - فى مجرى وادى تثلث عند موقع التقائه أولا بوادى العرين ثم بوادى طريب . وتزيد مساحة هذا القضاء عن ٣٥٠٠ كم^٢ .

وبالرغم من أهمية وادى تثليث فى هذا الجزء من المجرى وأهمية روافده الرئيسية ، فان قسوة مناخ المنطقة التى تعتبر جزءا من اقليم الدرع العربى ، تجعل المياه المنحدرة فى الوادى والقادمة فى الأصل من المناطق المرتفعة تتضاءل أهميتها بالتبخر والتسرب حتى تفقد قدراتها على ترسيب المواد الصلبة ، وبالتالي تشح امكانيات ظهور واحات زراعية ذات شأن .

وهذا يفسر وجود ٢٣ قرية صغيرة فقط فى هذا القضاء الواسع لا يكاد يصل مجموع سكانها ١٩٠٠ نسمة ، أى اقل من نصف السكان المستقرين فى المنطقة السابقة ، بمعدل يقل عن ٨٥ فردا للقرية الواحدة . وأهم قرى هذا الوادى : المضبة قاعدة القضاء وتقع على وادى طريب ، وقرية الصبيخة ، وتقع الى الشمال من موقع القرية السابقة بمقدار ٣٠ كم وعلى نفس الوادى الذى يطلق عليه فى هذا القطاع اسم وادى الصبيخة أيضا . ويوحى هذا الاسم - سواء للقرية أو للوادى - بالصفة الصحراوية التى تتمتع بها هذه المنطقة .

ولكن يقع الى الشمال من الصبيخة مجموعة من القرى ترصع جنبات الوادى بشكل خطى فى وسط المصاطب الزراعية التى تحف بالوادى من جانبيه^(١) فعلى بعد ٩ كم شمال الصبيخة توجد القرى : الفاخرية وغيليلة ، ثم تتضاءل الأراضي الزراعية وتكاد تنقطع الى أن تظهر مصاطب زراعية من جديد الى الشمال الشرقى من الصبيخة بنحو ١٥ كم وذلك فى « كتنة » عند موضع التقاء عدة روافد بوادى الصبيخة خاصة « لاوية » من الجهة الغربية . وهناك توجد واحة كتنة الى الشمال من جبل طيب .

يطلق على وادى طريب بعد كتنة اسم وادى « جاش »^(٢) ، حيث يسير مسافة ١٥ كم باتجاه الشمال الشرقى ثم الشمال فى منطقة قاحلة الى أن تظهر المصاطب الرسوبية والخاضعة للزراعة من جديد ، فتمتد بشكل متقطع مسافة ١٥ كم اخرى فتصل الحوض الأدنى لوادى « جاش » ، وذلك قبل أن يلتقى بوادى تثليث بنحو ٨ كم . وقد نشأ فى وسط المصاطب القابلة للزراعة القرى الصغيرة والتى أهمها قرية المستوية وتقع فى وسطها . ويوجد الى الجنوب من المستوية القرى : الرفايع والريازة والبرقا والسفح (سفح المجرم) . كما يوجد الى الشمال منها : الحزم والحرفين والراكة . وأما قرية الروضة فتقع فى وادى المشاش فى غرب الحرفين .

(١) انظر خرائط منطقة تثليث مقياس ١ : ٥٠.٠٠٠ ، عمل شركة آسيا سير فى سيول كوريا (١٩٧٨ م) .
(٢) جابر الطيب . حول سكان بيشة . مجلة العرب ج ٦ السنة ٦ ص ٤٧٧ .

يقوم سكان هذه القرى بزراعة الحبوب والخضروات والأعلاف والأشجار المثمرة خاصة النخيل ، ويعمل بعضهم بالرعى ، وقد بدأوا زراعة الحمضيات والخضروات .

ويبدو أن وادى العرين لم يستطع أن يشكل مصاطب رسوبية في سافته مثل وادى طريب بسبب انتهاء فيضاناته قبل أن يصل هذه المنطقة ، فكان خاليا من مواقع الاستقرار ، ولذلك كان مسرحا لتقلات بدو المنطقة ، وهذا يفسر وجود ٩١٣٥ فردا من البدو في هذا القضاء حسب ارقام الاحصاء المشار اليه . وقد استفاد هؤلاء البدو من وجود ٢١ منهلا ثابتا للماء . وبهذا الرقم ترتفع نسبة البدو في المنطقة الى ٨٣٪ من المجموع ، أى أكثر من نسبتهم في المقاطعتين السابقتين . ولكن اذا افترضنا ان هذا الرقم نقص خلال السنوات التسع التالية بسبب اتجاه البدو الى الاستقرار فان ذلك لا يحملنا على افتراض زيادة عدد المستقرين لعدم توفر عوامل الجذب .

٤ - قضاء تثليث :

ويقع في حوض وادى تثليث الأدنى الى الشمال من قضاء الأمواه ، وإلى الشرق من المضفة ويشغل أكثر من نصف منطقة حوض وادى تثليث كله . يبدأ هذا القضاء من شمال سهل العمق عند خط عرض ٥٠° ١٨ ش ، وحتى خط عرض ٣٠° ٢٠ ش عند نهاية وادى تثليث ، أى مايقرب من درجتين من درجات العرض . فيمتد مسافة تقرب من ٢٢٠ كم (جنوب - شمال) فيتجاوز حدود هضبة عسير ويشمل مساحة كبيرة في الزاوية الجنوبية الشرقية لهضبة الحجاز وذلك عند عالية نجد .

يبلغ عرض هذه المنطقة في قسمها الجنوبي - أى عند محاذاتها لقضاء الامواه - نحو ٣٥ كم ، الا أنه يتسع تدريجيا مع الاتجاه نحو الشمال حتى يصل عرضه ٨٠ كم في الوسط و ١٠٠ كم في قسمه الشمالى . وتبلغ مساحته نحو ١٣٠٠٠ كم^٢ .

ونظرا لبعده هذه المنطقة عن حافة السراة مسافة تتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ كم ، ولأن ارتفاع التضاريس عن سطح البحر يتناقص تدريجيا كلما ابتعدت أكثر عن حافة السراة ، فهى تتناقص باتجاه الشمال من ١٤٠٠م الى مايقرب من ١٠٠٠م ، كما أن مجرى الوادى يتناقص ارتفاعه فى ذلك الاتجاه من ١٢٥٠م الى ٩٠٠م ؛ ولذلك فقد تميز مناخ هذه المنطقة بقسوة صفاته الصحراوية عن جميع المناطق التى مرت معنا حتى الآن ، فقد تفوق عليها فى ارتفاع الحرارة وشدة تباينها وقلة الأمطار وقسوة الجفاف .

ومع ذلك فإن المجرى الرئيسى للوادی قد يستقبل - أحيانا - ماقد يفيض من مختلف الروافد التى تنتهى اليه من مياه الفيضانات القوية ، بالرغم مما تتعرض له من تبخر وتسرب أثناء سيرها الطويل فى منطقة جافة لاتزودها بشئ من المياه . واستطاع ان ينشئ فى هذا القطاع بعض المصاطب الرسوبية أو السهول الفيضية - ولو أنها قليلة ومتفرقة - وكانت سببا فى ظهور الواحات وفى الحياة المستقرة متمثلة فى عدد من القرى الصغيرة والمتفرقة والتى تمتد طوليا مع امتداد المجرى - أو الأصح - بامتداد السهول الفيضية التى يقتصر وجودها على المجرى ، خاصة عند نقاط التقاء الروافد بالمجرى الرئيسى .

وبصورة عامة نستطيع القول أن المساحات الزراعية تتكاثر ، وان مواقع الاستقرار تتواجد فى قطاع من وادى تثلث الادنى يبلغ طوله ٢٠ كم يقل فيه انحدار المجرى حيث يتدرج من ارتفاع ١١١٠م الى ١٠٨٠م على امتداد هذه المسافة ، فانتشرت بامتداده وفى وسط الحقول المزروعة ٤٨ قرية صغيرة الحجم ، لم يتجاوز مجموع أفرادها جميعا فى سنة ١٩٧٤م ٣٥٥٠ فردا ، بما فى ذلك سكان البلدين تثلث والخميسة ، اى بمعدل ٧٤ فردا للقرية الواحدة .

وأهم مواقع الاستقرار فى هذا القطاع بالطبع هو بلدة تثلث قاعدة الإمارة ، وهى قرية قديمة كانت تقع على الجانب الشرقى لوادى تثلث عند نقطة تقاطع خط عرض ٣٣° - ١٩° ش مع خط طول ٣١° - ٤٣° ش ، وذلك الى الشمال من مصب وادى جاش (طريب الادنى) بمسافة ١٩ كم فى وسط القطاع المعمور المشار اليه . ومن ناحية ثانية فقد وقعت تثلث على طريق القوافل الرئيسى الذى يصل نجران ببيشة ثم بالحجاز ، وكذلك الطريق الذى يصل نجران بوادى الدواسر فالرياض .

قد يكون هذا الموقع هو سبب شهرة تثلث القديمة ومبرر اختيارها لتكون قاعدة إدارية لمنطقة واسعة ، والتى كان من نتائجها أنها نمت وتحولت الى بلدة بلغ عدد ساكنيها فى سنة ١٩٧٤م ٤٠٧ أفراد ، وبالتأكيد زاد هذا العدد فى الفترة التالية بسبب استقطابها قدرا من الهجرة . وستزداد أهميتها أكثر فى المستقبل حينما يتم انشاء الطرق المعبدة الحديثة والتى هى قيد الإنشاء وبعضها قيد التخطيط . وقد اقيمت الطرق على خطى طرق القوافل تقريبا .

وتقع قرية الخميسة - وهي تلى بلدة تثليث بالأهمية - على بعد ٨ كم في شمال تثليث وعند نهاية المساحات المزروعة ونهاية مواقع الاستقرار في هذا القطاع من الجرى . وفيما بين تثليث والخميسة يتوالى ظهور القرى مع امتداد الجرى وهي : آل مسعود ، وآل سويدان والمشاعلة آل سعد وآل شوبه . ويتوالى ظهور القرى أيضا الى الجنوب من تثليث حيث توجد الغزالة والحرملة والرجع والمدينة وبنى تيمية والوغة ولاعس .

يندر وجود المصاطب الرسوبية وبالتالي القرى خارج هذا القطاع . ففي جنوبه توجد مساحات محدودة جدا من المصاطب المتفرقة تقع الى الشمال من منطقة الأمواه بمسافة ٢٥ كم ويستمر ظهورها حتى واحة البغيغ التي تظهر عندها أول قرية في منطقة تثليث من الاتجاه الجنوبي ، وتقع على يمين الوادى في جنوب شرق جبل سنبله ، ثم ينقطع ظهور المصاطب مرة اخرى ويستمر كذلك مسافة ١٧ كم ، حتى تظهر من جديد قبيل مصب وادى جاش وفي جنوب قرية لاعس بمسافة ٦ كم .

وفي شمال هذا القطاع يسير وادى تثليث بعد الخميسة مسافة المائة كيلومتر الاخيرة من مجراه في منطقة قاحلة جدا خالية تماما من مواقع الاستقرار ، زيادة على أن مياهها - ان وجدت - مالحة ، وأعشابها ضعيفة . وينحني الجرى في هذا القطاع على شكل قوس كبير الى أن يعتدل اتجاهه الى الشرق قبل ان ينتهى وتختفى معالمه في الرمال . ومع ذلك لانستطيع أن نعتبر هذه المنطقة خالية تماما بسبب تواجد جماعات البدو فيها .

كما أن جماعات البدو يتواجدون - وبكثافة أكبر - في القسم الجنوبي والأوسط من هذه المنطقة بسبب تميزها بكثرة الروافد التي تصب في الجرى الرئيسى من الجانبين وبالتالي بتوافر الأعشاب . ولذلك أمكن تسجيل ٢٩ منهل ماء خاضعة لاستخدامهم ومتناثرة هنا وهناك . وهذا يفسر وجود اكبر مجموعة من البدو بالقياس الى غيرها من الاقضية حيث بلغ عددهم ٢١٢٣٧ نسمة . مما رفع نسبتهم الى ٨٦٪ من مجموع السكان . وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار المنطقة ديرة من دير البدو .

وقد اشتهرت بعض موارد الماء من الماضى كمواطن شبه ثابتة للبدو ، مثل « الحفاير » وتقع في مجرى وادى الحفاير قرب تثليث . و « النقرة » وهي هجرة لابن عبود من قحطان ، وتقع عند مصب وادى طريب (جاش) . و « بئر الضباع » وتقع في مجرى تثليث فيما بين الأمواه والبغيغ ، وبئر « مريغان » وتقع في حوض وادى أضلع الأعلى الى الشرق من تثليث .

٥ - قضاء العين :

ويقع الى الشرق من حوض وادى تثليث وإلى الشمال من حوض وادى أدما التابع لمنطقة نجران ، وفي الشمال الشرقى من قضاء الأمواه (عالية تثليث) . ويحتل مساحة واسعة من سطح الهضبة يمتد طوليا مسافة ١٤٠ كم من الجنوب الى الشمال ، وذلك فيما بين حوض وادى تثليث غربا وهضبة الوجيد الرسوبية شرقا ، وبعرض يتراوح بين ٤٠ - ٦٠ كم . وتزيد مساحتها عن ٥٠٠٠ كم^٢ .

وتتكون هذه المنطقة من البروزات الصخرية المتكونة من الصخور النارية الصلبة « صخور القاعدة الجرانيتية » والتي استعصت على التعرية ، والأحواض المنخفضة الموجودة بينها أو بقربها . وتتمثل الأولى بـجبال القهر وامتداداتها باتجاه الجنوب . وجبال القهر عبارة عن كتلة صخرية تمتد أكثر من ١٠٠ كم من الشمال الى الجنوب ويتراوح عرضها من الغرب الى الشرق من ٢٠ - ٣٠ كم ، ترتفع في أطرافها الجنوبية أكثر من الشمالية ، حيث يتراوح هذا الارتفاع بين ١٣٠٠ م و ١٥٠٠ م . وترتفع بعض القمم الى ارتفاعات تزيد عن ذلك مثل جبل ريا الواقع عن تقاطع خطى عرض ١٩° ش وطول ٤٩° ٤٣° ش ، والذي يبلغ ارتفاعه ١٧٧٦ م ، وجبل لهوة ويقع الى الشرق منه ويرتفع الى ١٦١٣ م ، وجبل الحصان ويقع إلى الشمال منه ويتكون سطحه العلوى من فرعة شبه مستوية ، يبلغ ارتفاعها ١٦٨٠ م وتنحدر الوديان من أطرافها في جميع الاتجاهات .

يتناقص ارتفاع جبال القهر تدريجيا باتجاه الشرق الى أن تصل عند أطرافها الى ١١٠٠ أو ١٠٠٠ م . ولذلك فانه يصرف مياهها وديان صغيرة يتجه معظمها نحو منخفض المريخ ويقع في وسطها الشرقى . ولكن تنحدر الوديان في الطرف الجنوبى الغربى لهذه الكتلة حيث توجد أعلى المرتفعات مثل جبل لهوة وجبل ريا في اتجاهات مختلفة ، مثل روافد وادى « رخيما » التى تبدأ من السفوح الشمالية للجبال ، وروافد وادى الحجر التى تبدأ من سفوحها الغربية ، وبعض روافد وادى لهوة وتبدأ من سفوحها الجنوبية ، ومع ذلك تلتقى هذه الروافد مع بعضها الى أن تنتهى الى تثليث . أما روافد وادى النعام ، والتى تبدأ من سفوح الجبال الشمالية الشرقية ، فتتجه نحو الشمال ثم الشمال الشرقى وتنتهى إلى منخفض المريخ ، وأما السفوح الجنوبية الشرقية ، فتتحد منها روافد خيور حيناً وتتجه نحو الشرق عند النهاية الجنوبية لهذه الكتلة وتنتهى الى هضبة الوجيد .

لم تستطع عوامل التعرية التى خضعت لها هذه الكتل الصخرية عشرات ، بل مئات الملايين من السنين الا ان تحفر الأودية المذكورة وتجرح سطحها وتعمق مجاريها وتجردها من التربة ، فظهرت السلسلة شامخة جرداء شبيهة بجبل شمر (أجا وسلمى) بل أعتى وأضخم منها . وهى اكثر جفافا وقسوة فى الطقس وقلة فى الأمطار وضمورا فى الغطاء النباتى ، وليس بها ما يغرى على حياة الاستقرار .

بلغ مجموع سكان منطقة العين - بما فى ذلك سلسلة جبال القهر على اتساعها - ٦٦٤٥ فردا فى سنة ١٩٧٤ جميعهم من البدو الرحل باستثناء ١٣٨ فردا سجلهم التعداد من المستقرين فى قريتين صغيرتين : الأولى هى « العين » وهى قاعدة الإمارة الفرعية وقد سميت باسمها . ويبدو أنها نشأت كهجرة لشيخ القبيلة وجماعته . ويرد البدو ٢٤ منهل ماء تعتبر مواقع الاستقرار الفصلى لهم حيث يلجأون اليها فى فصل الجفاف .

الفصل العاشر

حوض وادي بيشة

يقع حوض وادي بيشة الى الغرب والشمال الغربي من حوض وادي تثليث ، فيحتل الجزء الغربي من هضبة عسير ، ويحاذي نهاية سلسلة جبال عسير والحجر ، ويفصلهما عن حوض تثليث . ويبلغ الامتداد الطولي لهذه المنطقة من الجنوب الى الشمال نحو ٢٥٠ كم . وفي حين لايتجاوز عرضها في القسم الجنوبي منها ٤٠ كم ، فانه يتسع في القسم الشمالي فيزيد العرض عن ١٠٠ كم . وتبلغ مساحة هذا الحوض اكثر من ١٥٠٠٠ كم^٢ أي نحو مساحة الكويت .

البيئة الطبيعية :

تبدأ المجارى العليا لوادي بيشة من السفوح الشمالية لسراة عبيدة ورفيدة ويتجه باتجاه الشمال تقريبا . ومع أن بيشة يناظر وادي تثليث من هذه الناحية ، حيث يبدأ من سفوح السراة من مكان يقع الى الغرب من مبادئ الأول ويوازيه في مجراه وفي اتجاهه العام ، إلا أنه يتميز عنه بقرب مجراه العام من الأطراف الداخلية للسراة ، وأنه يقطع معظم طريقه وهو يستقبل العديد من الروافد تنحدر اليه من السفوح الشرقية لسراة عسير وسراة الحجر وسراة بالقرن . وبالإضافة الى أن مناطق تغذيته واسعة فانها تعتبر من أغنى مناطق المملكة بالأمطار ، فتغذيه بالتتابع بالمياه وبما تحمله من رسوبيات .

يدخل وادي بيشة هضبة عسير من جهة الجنوب الغربي حيث يكون ارتفاع التضاريس ١٨٠٠م عن سطح البحر ، اي اكثر مناطق الهضبة ارتفاعا ، وذلك من حواف السفوح الشمالية والشمالية الشرقية للسراة التي ترتفع قممها الى مايزيد عن ٢٢٠٠م ، ثم يتناقص ارتفاع الهضبة باتجاه الشمال الشرق ، ويقل ارتفاع الجرى كذلك وهو يسير بحذاء امتداد حواف السراة شمالا ، الى أن يصل ارتفاعه الى نحو ٨٠٠م قرب

نهايته دون أن يتناقص ارتفاع السروات التي تجاوره ، بعد أن يكون قد قطع مسافة تزيد عن ٣٠٠ كم . وهناك ينحني وادى بيشة - مثل تثلث - انحناء كبيرا حتى يتعدل اتجاهه نحو الشرق . ويتبعد عن خط السراة بشكل عمودى قبل أن تنتهى مياهه فى منطقة رملية واسعة فصلت طريقه عن تثلث . وهذا يعنى أن فارق الارتفاع بين أعلى السراة ويجرى الوادى يتزايد بالاتجاه نحو المصب .

وقد ادت هذه الطبوغرافية إلى تدرج المناخ من الصفات شبه الجافة فى الأطراف الجنوبية للهضبة ، الى الصفات الصحراوية القاحلة حينما تصبح فى ظل المطر تماما فى الأطراف ، وتبعد وتنحرف عن هبوب الرياح الرطبة سواء الجنوبية الغربية صيفا أو الشمالية الغربية شتاء (أمطار بنى ثور ١٣٥ ملم ، صمخ ١٢٠ ملم ، تبالة ١١٨ ملم ، بيشة ١٢٣ ملم) .

ولما كان حوض وادى بيشة يتكون جميعه ابتداء من مجاريه العليا فى السراة وحتى نهايته من صخور القاعدة النارية والمتحولة ، التى تتركب فى الغالب من صخور الجرانيت والديوريت والجابرو والميكاشست والجنائس ، التى تتصف بالصلاية والمقاومة الشديدة لعوامل التعرية وانعدام النفاذية ؛ فقد تغلبت عوامل النقل على عوامل النحت والترسيب ، حتى ظهرت الأرض فى مساحات واسعة وكأنها مجردة من الغطاء المفكك أو التربة ، وعجزت عن امتصاص شيء من مياه الأمطار ، فتوجهت الى المجارى لتقوم بالجريان السطحي الى أن تنتهى بالتبخير أو التسرب . وكانت النتيجة أن شقت هذه الوديان طريقها فى تلك الصخور بعمق شديد .

ان غزارة الأمطار فى مناطق تغذية المجارى العليا وانعدام نفاذية الصخور وكثرة الروافد التى تصل المجرى الرئيسى تباعا جعلت الوديان تترع بالمياه ، وأن تكرر الفيضانات سببت جريانا شبه دائم بالمياه ، حتى صار وادى بيشة أعظم وديان المملكة من حيث معدل الصبيب السنوى وأكثرها انتظاما بالجريان . لقد سبق لشركة أالكونسلت أن قدرت معدل الجريان السنوى فى وادى بيشة بـ ٧٠ مليون متر مكعب (١) وهذا يعادل مجموع معدلات الأودية الثلاثة لنجران وحبونه وأديما مجتمعة . ولايدخل ضمن هذه الكمية ما يستثمر من مياه بيشة فى مناطق أبها وخميس مشيط وبنى ثور .

(1) OP. Cit. P. 34- 70.

يستغل الماء الباطنى فى وادى بيشة أكثر من أى مكان آخر فى إقليم الدرع العربى ، خاصة فى مجرى الوادى الذى يمتد ٦٠ كم بعد نقطة التقائه برافده ترج . ويوجد الماء إما فى طمى سهل الفيضان الذى يغطى مساحة واسعة تمتد بجوار مجرى الوادى ، ويتكون بشكل رئيسي من سلت ورمل طينى يزيد سمكه عن ١٢ م ، ويوجد تحته طبقة من الرمل والحصى يتراوح سمكها بين ١٠ - ٤٠ م ؛ أو يوجد فى طمى المجرى فى بطن الوادى ويتكون من رمل خشن وحصى مع حجارة مبعثرة يختلف سمكها بين ١ - ١٥ م ، وتغطى طبقة الرمل والحصى التى تمتد تحت رسوبيات سهول الفيضان .

وقد حسب حجم الطمى بين الحيفة والجنيبة فكان ١٣٦٣٢ مليون متر مكعب وحجم الجزء المبلل منه ٦٧٠٠ مليون م^٣ ، وقدر حجم الماء المخزون فيه بـ ١٣٠٠ مليون م^٣ ، كما قدر حجم السحب فى سنة ١٩٦٧ بمقدار ١٣١ مليون م^٣(١) ، وقد ازداد حجم استنزاف الماء تصاعدا خلال الخمس عشرة سنة التالية بسبب انتشار استعمال المضخات وحفر آبار جديدة لاستعمالها فى الزراعة .

يحصل تخزين مباشر فى وادى بيشة مرة كل ٣ - ٤ سنوات ، ويتجه التخزين غير المباشر الى الطمى الذى يملأ مجارى الوديان ، فتميل الفيضانات المتوسطة الى ترشيح كميات كبيرة من مياهها قبل أن تصل الى نهاية المجرى ، ويمكن للفيضانات الكبيرة ان تصل الى نهاية الوادى فى فترات نادرة ، وترشح فى السبخات أو الخيرات الواقعة قبيل وادى الدواسر ، فتتبخر أو تستهلكها النباتات .

يرتفع مستوى الماء الباطنى بفضل التخزين ، وينخفض فى الفترات الجافة بسبب استمرار تدفق مياه الآبار ، ويعود ذلك أيضا الى انخفاض قيمة الجريان الداخلى الناتج عن انخفاض التدرج الهيدروليكي للخران . فيتراوح بعد الغشاء المائى فى بيشة بين ٤ م على طول المجرى الرئيسى الى ٢٠ م فى سهل الفيضان المحاذى للوادى تقريبا .

ومع أن نوعية مياه بيشة جيدة - إذ تتراوح الأملاح بين ٤٠٠ - ١٠٠٠ جزىء فى المليون ، وتترايد فى السهل الرسوبى مع تزايد البعد عن المجرى - إلا أنها تميل لأن تحوى كمية من الكبريتات والصوديوم أعلى من الحد العادى . وقد استثمرت هذه المياه منذ زمن بعيد فى الواحات القديمة . لكنها أخذت فى التوسع والامتداد بفضل التوسع بحفر الآبار .

(١) Italconsult- Ibid, p. 170.

نشاط السكان :

يؤخذ من نتائج التعداد الزراعى الشامل الذى تم فى عام ٧٣ / ١٩٧٤م أنه يوجد فى المناطق التابعة لإمارة بيشة من منطقة حوض الوادى ٤٥١٦ حيازة زراعية ، بلغت مساحتها ١١٩٨٨٧ دونما ، وقد زرع منها فعلا فى ذلك العام ٧٣٩٦٢ دونما فيما بين مزروعات دائمة أو مؤقتة ، وتعتمد جميعها على الرى من الآبار المحفورة فى طمى الوديان أو من السيول وبلغ مجموع السكان الزراعيين فى ذلك الوقت ٢٥٤٤٥ نسمة (١) .

ومن المؤكد ان مساحة الأرض الزراعية زادت خلال الفترة التالية لتاريخ هذا التعداد بسبب زيادة عدد الآبار المنتجة ، وتحول البعض الموجود الى استعمال المضخات ، وبالتالي زاد عدد السكان الزراعيين فى منطقة الوادى . وارتفع مستوى الأداء الزراعى بفضل التوسع فى استعمال الآلات الزراعية والقوى المحركة ، والاستفادة من الإرشاد والتوجيه والتشجيع الحكومى . ولكن يجب ألا ينسينا هذا الحقيقة التى اتضحت من عرض هذه الأرقام وهى أننا مهما بالغنا فى التنبؤ بها ستظل تشكل جزءا يسيرا بالقياس الى مساحة الحوض عامة ، وأن المجال الزراعى لن يحتل المرتبة الأولى من بين المجالات الانتاجية .

فمنذ الماضى البعيد نافست مهنة تربية الحيوانات الانتاج الزراعى وتفوقت عليه ؛ فمن ناحية اضطر جميع المزارعين الى تربية الحيوانات فى مزارعهم لتساهم فى مستوى دخلهم ولتساعدهم فى أداء أعمالهم ، دون أن تكلفهم شيئا يذكر من التكاليف أو الوقت خاصة الأبقار والأغنام . ومن ناحية اخرى اقتضت الظروف الطبيعية للوادي انتشار البدو فى جميع أرجائه ، فارتفعت نسبة تواجدهم فى المناطق حتى المناطق الزراعية الى مايزيد عن ٥٠٪ من مجموع سكانها .

قد يسهل علينا تصور هذه الحقيقة إذا اتخذنا توزيع السكان بين الانماط الاجتماعية ، وتوزيعها بين المناطق المكونة للوادي كمؤشر لأهمية كل منها الماضية والمستقبلية ؛ لقد بلغ عدد سكان هذه المنطقة فى ذلك الوقت ١٠٠ر٠٠٠ نسمة (٢) . فاذا افترضنا ان

(١) وزارة الزراعة والمياه . تسعة الاحصاء الزراعى . نتائج التعداد الزراعى الشامل ٧٣ / ١٩٧٤ . الجزء الخامس .

(٢) حسب نسب السكان من واقع أرقام التعداد العام لسنة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

مساحتها تبلغ نحو ١٥٠٠٠ كم^٢ ، فإن الكثافة السكانية لاتصل الى سبعة أفراد في الكيلو متر المربع الواحد . وهذا الرقم وإن كان يزيد عن معدله في المملكة بل يبلغ مثليه فهو يعتبر صغيرا ، ولا يوجد نظير له الا في المناطق الصحراوية .

ولكننا اذا حسبنا الكثافة الفيزيولوجية بأن ننسب السكان الى مساحة الأرض الزراعية يرتفع هذا الرقم الى ما يقرب من ١٠٠٠ فرد للكيلو متر المربع الواحد من الأرض الزراعية . وهذا يعنى أن المنطقة إذا اريد منها أن تكفى نفسها من الغذاء فان على الكيلو متر المربع الواحد ان ينتج مايكفى ١٠٠٠ فرد ، الأمر الذى لايمكن تحقيقه . فوجود ١٠٠ كم^٢ من الأرض الزراعية في حوض وادى بيشة الأوسط والادنى يعتبر رقما هزيلا جدا ؛ ولو أن الغرض من هذا الحساب هو ان يكون حافزا لتنمية الموارد الزراعية الى الحد الأقصى . مع العلم ان هذا النمو سيتوقف عند حدود امكانيات توفر المياه والتربة الزراعية . ولكنه اذا تحقق فسيخفف من العبء الملحق على استيراد المواد الغذائية .

لقد توزع هذا العدد من السكان بين البدو والريف وسكان المدن حسب النسب ٥٤٪ ، ٣٢٪ ، ١٤٪ ، على التوالى . فاذا كان عماد حياة البدو جميعا هو تربية الحيوانات ، فان نصف الريفيين فقط يعتمدون على أعمال شبيهة بتلك التى يقوم بها سكان المدن . أما المدينة الوحيدة في هذا الوادى فهى مدينة بيشة التى بلغ عدد ساكنيها في ذلك الوقت ١٤٠٠٠ نسمة ، ومن المؤكد أنها تزيد اليوم عن ٢٠٠٠٠ نسمة . ومن المؤكد كذلك أن جميع هذه النسب قد تغيرت الآن لصالح سكان المدن وعلى حساب عدد البدو بالدرجة الأولى .

كانت بيشة تشكل وحدة إدارية قائمة بذاتها يطلق عليها اسم « إمارة بيشة » ، وتضم بالاضافة الى الحوض الأوسط والادنى لوادى بيشة جزءا من المنطقة الجبلية (السراة) وذلك في عالية وادى تباله وهى بلاد بالقرن وشران وجزءا من عالية وادى رنية (خثعم) ، وتقع فى المساحة الفاصلة بين إمارتي عسير والباحة . وقد ضمت إمارة بيشة بأجمعها الى إمارة عسير فى سنة ١٣٩٤ هـ ، وأصبحت مع توابعها إمارة فرعية منذ ذلك الوقت ، وتعود فى شؤونها الإدارية الى أبها قاعدة الإمارة .

ونظرا لتنوع صفات هذه المنطقة واتساع مساحتها ، ووجود تقسيمات إدارية فرعية أمكن تقسيمها الى عدد من الأقسام الجغرافية يمكننا تتبع دراستها على النحو التالى :—

١ - الحوض الأوسط لوادى بيشة :

ويمتد بشكل أشبه ما يكون بالمستطيل حول المجرى الرئيسى لوادى بيشة بعد خروجه من منطقة المرتفعات الجبلية وسيره على سطح الهضبة الداخلية ، وذلك من شمال منطقة خميس مشيط عند خط عرض ٣٠ - ١٨° ش ، الى أن يصل خط عرض ٣٠ - ١٩° ش تقريبا . فيقطع خلالها مسافة تزيد عن ١٢٥ كم ، ويبلغ عرض المنطقة في الجنوب نحو ٤.٠ كم ، ولايلت أن يتزايد هذا العرض في الشمال الى أن يبلغ ٦٠ كم ، فتبلغ مساحة المنطقة حسب هذه القياسات نحو ٦٠٠٠ كم^٢ تقريبا .

تنحصر هذه المنطقة فيما بين مرتفعات سروات عسير وبألحمر وبالسمر وبنى شهر وبنى عمرو من الجهة الغربية وبين حوض وادى تثليث من الجهة الشرقية . وبالرغم من أن وادى بيشة يتجه في هذا القطاع نحو الشمال مع ميل بسيط نحو الغرب فانه يتعد شيئا فشيئا عن خط المرتفعات بسبب انحراف اتجاه المرتفعات ذاتها نحو الشمال الغربى أكثر من انحراف اتجاه الوادى .

وبالاضافة الى ذلك فان سطح التضاريس يهبط شيئا فشيئا في هذا الاتجاه ، إذ يتراوح الارتفاع بشكل عام بين ١٨٠٠ م في بلاد ابن هشبل وبين ١١٢٥ م في بيشة بعد نهاية هذه المنطقة بنحو ٣٠ كم . وينتج عن ذلك أن اتجاه الحوض وتناقص ارتفاعه تجعله في وضع يزداد انحرافا عن اتجاهات الرياح السائدة الرطبة ، والتي تسبب سقوط الأمطار على المرتفعات ، ويصبح الوادى في ظل المطر وتتفاقم صفاته سوءا بالاتجاه نحو المصب شمالا . وهذا ما سبب تقهقر صفات الطقس الى درجة الصحراوية في هذا القطاع من الوادى . فارتفعت درجات الحرارة وزادت السعة الحرارية وتناقصت الرطوبة ، ووصلت معدلات الأمطار الى ١٣٥ ملم في بنى ثور والى ١٠١ ملم في خير والى ١٣٠ ملم في الحيفة ، ١١٢ في بئر ابن سرار .

ومع أن وادى بيشة يصل الى هذا القطاع من المجرى ويكون قد استقبل كميات كبيرة من مياه الفيضانات ، بسبب كثرة الروافد المنحدرة من المناطق الجبلية المحاذية للوادى من الجهة الغربية والتي تسقط بها أمطار بمعدلات تزيد عن ٣٠٠ ملم ، وتسبب تجمعها في المجرى الرئيسى وجريانها فيه ؛ إلا أن شدة انحدار المجرى في هذا القطاع وصلابة صخور القاعدة النارية التي يمر منها ، تجعل قوى الحمل تفوق قوى الترسيب وتتصدر عوامل التعرية مما حرم الوادى من تشكيل سهول طموية أو مصاطب فيضانية

ذات شأن على جوانبه أو جوانب روافده الهامة ، فتضاءلت امكانيات الانتاج الزراعى وصغرت الواحات وتناثرت ، وسيطرت الصفات الصحراوية على الإقليم .

وتساعد هذه الظروف على تفسير قلة عدد سكان هذا القطاع من الوادى وتخلخلهم بالقياس الى مساحته العامة من ناحية ، ومن ناحية أخرى تضاؤل أهمية السكان الريفيين أو المستقرين عامة وارتفاع شأن البدو وسيطرتهم وانتشارهم فى أحواض روافد هذا الوادى لاستثمار الثروة العشبية الناتجة عن مياه الجريان أكثر من مياه الأمطار .

تتكون هذه المنطقة الواسعة من ثلاث وحدات إدارية تابعة هى (١) وادى ابن هشبل وكانت تتبع إمارة عسير من السابق و(٢) خيبر (٣) صمخ ، وتبعان إمارة بيشة . بلغ عدد سكان هذه الإمارات الفرعية : ٣٣٣٠٠ فرد حسب تعداد السكان لسنة ١٩٧٤ م ، وبالرغم من قلة هذا العدد فلا ينتظر أن يكونوا قد زادوا كثيرا خلال الفترة التالية ، بسبب ميل أكثرية الأفراد الى الهجرة منها ، وهى لم تشهد من المشاريع ما يغرى على البقاء فيها أو الى الهجرة اليها .

ومما يؤيد هذا الاعتقاد أن عدد المستقرين فى قرى لم يتجاوز ٧٢٠٠ فرد ولا يوجد فيها مدينة أو بلدة ، ويعتمد قسم منهم على زراعة مساحات محدودة فى سهول الوادى الطموية ، وذلك بريها من آبار محفورة فى الطمى فيزرعون النخيل والأعلاف بالدرجة الأولى . كما يعتمد القسم الآخر على الخدمات التى يقدمونها للمسافرين بحكم وقوع قراهم على الطرق البرية ، أو يعتمدون على التجارة أو النقل .

أما باقى السكان وتصل نسبتهم الى ٧٨٪ من المجموع فهم من البدو الرحل وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى مناطق المملكة وتشبه ظروفها بذلك ظروف تثليث من هذه الناحية . وهذه المناطق الفرعية هى :—

أ — وادى ابن هشبل : وتشكل بداية المجرى الأوسط لوادى بيشة من جهة الجنوب ، وتقع الى الشمال من قضاء خميس مشيط ، وذلك فيما بين بلاد باللحمر الجبلية فى الغرب وبلاد يعرى فى الشرق . وتشمل قطاعا من الوادى يبلغ طوله ٤٠ كم (شمال — جنوب) ويغطى مساحة ١٠٠٠ كم^٢ ، من حوض الوادى بعد ان يتعد عن سفوح السراة . تتفهرق فيه ظروف المناخ وتتحول الى الصحراوية . وزيادة على ذلك لم يتمكن من ترسيب كميات معتبرة من فئات التعرية الحاملة للغشاء المائى والصالحة للزراعة ، الا بنسب متواضعة ، فنشأت فيها واحات ضعيفة متباعدة كانت أساسا لظهور قرى صغيرة متفرقة .

بلغ عدد القرى فيها ٥٥ قرية لم يتجاوز مجموع ساكنيها ٣٠٤٠ فردا ، أى بمعدل ٥٥ فردا للقرية الواحدة ، ينتمون جميعا الى قبيلة شهران الذين تسمى الوادى باسمهم . وتسمى الإمارة التابعة باسم أحد شيوخ القبيلة التى تسكنها وهو ابن هشب من شهران .

وقد اقتضت هذه الظروف أن ينتشر البدو فيها ليستغلوا تلك الوديان غير الصالحة للزراعة ، ولكنها غنية بالاعشاب لكثرة تردد الفيضانات ، فى تربية حيواناتهم والتى أهمها الأغنام والماعز والإبل . يدل على كثافة وأهمية تواجد البدو كثرة مناهل الماء التى يعتمدون عليها ؛ حيث أمكن تعداد ٦٤ منها ، كما يدل عليه أيضا التفوق العددي للبدو على المستقرين حيث بلغوا مثلي عددهم أو يزيد (٦٩٪ من المجموع) .

لقد اتخذت قرية « بنى ثور » لتكون قاعدة هذا القضاء ، وهى أكبر وأهم قراه وقد تكون أقدمها كذلك . وفى حين لم يتجاوز عدد ساكنيها ١٥٠ فردا قبل تسع سنين أخذت تنمو وتتسع لاضطلاعها بالوظيفة الإدارية والتجارية زيادة على وظيفتها الزراعية السابقة . وتقع على الضفة اليسرى من مجرى وادى بيشة الرئيسى وعلى بعد ٣٥ كم فى شمال مدينة خميس مشيط وعلى ارتفاع يصل ١٨٠٠ م عن سطح البحر :

وتقع قرية غريرة على ضفة الوادى اليسرى أيضا على بعد $٢\frac{1}{4}$ كم فى شمال غرب بنى ثور ، وعلى امتداد المنطقة المزروعة فى مصاطب الوادى . أما قرية المصّة (وهى غير المضّة فى وادى طريب) فتقع على جانب أحد الروافد المنحدرة الى الوادى من الجهة الغربية ، وذلك الى الجنوب الغربى من بنى ثور بمسافة ٥ كم تقريبا . وهناك عدد من القرى الأخرى بعضها لشهران وبعضها لبنى عمرو فى شرق منطقة بالّحمر الجبلية .

ب - خيبر : وتحتل قطاعا من حوض وادى بيشة الأوسط مع جزء مجاور من حوض وادى تثليث ، وتقع فى شمال قضاء ابن هشب ويعرى . فبالإضافة الى المجرى الرئيسى لوادى بيشة تضم منطقة خيبر حوض وادى المسيرق الذى يتكون من اجتماع ثلاثة أودية هى : الشّيق وخيبر والسّليل ، وبعد اجتماعها يدعى وادى الثفن ، ويتجه نحو الشمال الشرقى ليصب فى تثليث ، ويقع الى الشرق من وادى بيشة الذى يتجه أيضا نحو الشمال . فتقع منطقة خيبر إذن فيما بين قضاء المضّة من الشرق وقضاءى تنومة والتماص الجبليتين من الغرب .

وفي الوقت الذي عجز فيه وادى بيشة عن بناء مصاطب رسوبية ذات شأن في هذا القطاع ، استطاع وادى المسيرق ان يبنى في روافده الرئيسية وبعد اجتماعها بعضا منها وبمساحات مقبولة ، كانت عمادا لعدد من الواحات ، بعضها قديم جدا كواحات خير الجنوب ، فنشأت القرى في تلك الواحات على امتداد المجرى مسافة تقرب من ٤٠ كم غير متصلة . وقد ساعدت هذه الظروف على نشأة الهجر الحديثة بفضل استقرار البدو ، بحيث بلغ عدد قرى هذه المنطقة ٣٠ قرية ، أهمها « خير » قاعدة هذا القضاء وكانت تضم ٣٧٢ فردا في وقت تعداد السكان . ومن المتوقع أن تكون قد نمت واتسعت فيما بعد بدليل افتتاح مدرسة متوسطة فضلا عن الابتدائية وعدد من الدوائر الحكومية الأخرى وانتشار الخدمات .

وتقع قرية « رغوة » في عالية وادى الشيق الى الجنوب من خير مسافة ١٢ كم ، وتقوم بوظيفة محطة للسيارات على الطريق غير المعبد بين خميس مشيط وتثليث ، وهي أقرب المحطات الى يعرى التي تليها بعد ٩ كم الى الشرق وعلى نفس الطريق . وينتمى سكان وادى الشيق - الذى تقع فيه أيضا القرى : النقع والفيضة والميثاو - إلى كود من شهران ، في الوقت الذى ينتمى فيه سكان خير الى بنى واهب من شهران . وبلى رغوة شمالا قرىتا البردان والعمار وأهلها من الصوح من شهران ، وكذلك بريم وتقع جنوب خير .

تتابع القرى في شمال خير بشكل خطى مع امتداد الوادى مثل : الطلاح ، وواسط وحمض وقصا والمباريش والحرفين والبغث والجزيرة وهي آخر هذه القرى باتجاه الشمال . وتقع قرية البطنة في وادى بيشة الى الغرب من خير . تبنى هذه القرى بيوتها من الطين على شكل أحواش واسعة في أحد زواياها برج ، يتكون من طابقين في الغالب يستعمل السفلى لايواء الحيوانات شتاء ، ويستعمل العلوى لخزن المؤن صيفا ، الى جانب وظيفته القديمة للمراقبة والمقاومة .

بلغ عدد أفراد هذه القرى جميعا بما فيها بلدة خير ٢٨٨٠ فردا فقط في وقت التعداد ، ويعتمد معظمهم على الانتاج الزراعى خاصة الحبوب كالقمح والشعير والذرة ثم النخيل . وتعتبر منطقة خير آخر حدود زراعة النخيل بوادى بيشة باتجاه عاليته في الجنوب أى أنها آخر حدود « بيشة النخل »* .

« يقسم وادى بيشة الى قسمين يعرف الأول الذى يقع باتجاه سافلته « بيشة النخل » والثانى وهو عالية الوادى ويعرف « بيشة القمح » .

ولكن منطقة خيرى تحوى نحو مثلي هذا العدد من البدو الرحل (٥٢٢٣ فردا)
يملكون ثمانية مناهل للماء .

ج - صمخ : وتقع الى الشمال من قضاء خيرى ، وتضم قطاعا آخر من المجرى الرئيسى
لوادى بيشة وحوض وادى هرجاب الذى يعتبر أهم روافده التى تنبع من الهضبة وتصب
فيه من جهة اليمن . إذ تنبع مجاريه العليا من غرب خيرى ويتجه نحو الشمال موازيا وادى
المسيرق ويقع بينه وبين المجرى الرئيسى لوادى بيشة ، ويواصل مجراه الى أن يصب فى
الأخير قرب قرية الحيفة ومقابلا لمصب وادى ترج بعد مسيرة ١٢٥ كم تقريبا . وتقع
واحة صمخ فى منتصف هذه المسافة .

يتوسط قضاء صمخ بين قضاء المضى من الشرق وقضائي بنى عمرو والحازمى من
الغرب . ويمتد مسافة تقرب من ٥٠ كم شرق غرب ، كما يمتد مسافة قد تزيد عن ذلك
فى الاتجاه المعاكس (جنوب - شمال) فيما بين قضاء خيرى وقضاء بيشة .

ولا يصعب علينا أن نتصور الجفاف الذى تتمتع به هذه المنطقة بالرغم من مرور
وادى بيشة ووادى هرجاب منها ، وبالتالي نتصور قحولته وضآلة المساحات القابلة
للزراعة وقلة الموارد التى يمكن أن تعتمد عليها أي حياة بشرية . ولولا أن بعض المواقع
اكتسبت أهميتها القديمة بسبب وقوعها على طرق القوافل فتحولت الى محطات على طرق
السيارات « غير المزفلة » ، لصار الاقليم بأجمعه جزءا من منطقة البادية .

ومع ذلك تبين وجود ٣١ قرية لم يتجاوز مجموع أفرادها جميعا ١٢٤٠ فردا حسب
تعداد السكان اي بمعدل ٤٠ فردا للقرية الواحدة ، وهذا يعادل ٥ أو ٦ أسر فقط .
ولا ينتظر أن يكونوا قد زادوا عن ذلك كثيرا فى الفترة التالية للتعداد .

وزيادة على ذلك تبين أن قسما كبيرا من هذا العدد وجد فى قرية صمخ ذاتها ، وهى
التي اتخذت قاعدة إدارية للقضاء ، وتقع على جانب وادى صمخ بعد أن يصب فيه
وادى كتنة الصغير ، ويرفد صمخ وادى هرجاب الى الشمال من القرية . وتعود أهمية
صمخ الى وقوعها كمحطة على الطريق بين بيشة وخميس مشيط وتقع فى موضع متوسط
بينهما . ولذلك افتتحت فيها مدرسة متوسطة لتستقبل طلاب ست مدارس ابتدائية فى
المنطقة .

يتوالى وجود القرى مع مجرى الوادى ؛ فالى الجنوب من صمخ توجد كتنة والخضراء
والمعدن ، وتوجد الى الشمال منها الحفيرة . أما بئر ابن سرار فلعبت دور محطة على

الطريق البرى فى شمال قضاء صمخ ، وتقع البحر فى حوض أحد الروافد التى تصب فى هرجاب قرب نهايته .

غير أن موارد هذه المنطقة تتمثل فى أعشاب وديانها أكثر من أراضيها الزراعية ، ولذلك انتشر فيها البدو لاستغلال تلك الأعشاب فى تربية الحيوانات ، مما أتاح الفرصة لتكاثرهم ، حتى نيف عددهم - حسب تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ - عن ١٤٠٠٠ نسمة يملكون عشرة مناهل ماء ، وهذا يرفع نسبة تواجدهم الى ٩٢٪ من مجموع سكان القضاء ، وهى أعلى نسبة لتواجد البدو فى مناطق المملكة ، ويمكن اعتبارها ديرة من دير البدو .

٢ - الحوض الغربى لودى ييشة الاوسط :

وتتضمن أحواض الروافد الغربية خاصة ترج وتباله وذلك منذ خروجها من المناطق الجبلية حتى مصباتها فى وادى ييشة فى الشمال الشرقى ، وتقع المنطقة الى الشمال الغربى من قضاء صمخ فيما بينه وبين المناطق الجبلية فى بنى عمرو ، بالقرن .

وتنحدر روافد هذه الوديان من السفوح الشرقية لسراة الحجر وبالقرن وتتجه نحو الشمال الشرقى فتبهط من ارتفاعات تزيد عن ١٨٠٠م الى أن يصل ارتفاعها مايقرب من ١٣٠٠ ، ١٢٠٠م قرب وادى ييشة ، وذلك فى خلف جبال السروات المذكورة . ولذلك فانها تهبط من مناطق تسقط بها أمطار تبلغ معدلاتها ٣٠٠ ملم الى مناطق تتحول صفاتها الى المناخ الصحراوى رغم ارتفاعاتها نسبيا ورغم قربها من خط الشعاف .

ونظرا لقصر هذه الوديان وشدة انحدارها نحو مستوى الأساس وهو المجرى الرئيسى ؛ فانها لم تتمكن من ترسيب فتات التعرية بكميات مناسبة سوى فى مساحات محدودة تقع بالقرب من المجرى الرئيسى لبيشة ، فشكلت قطاعات متفرقة عامرة بتربتها ومياهها ، فنشأت فيها الواحات المتفرقة والقرى الصغيرة . وتتكون كما هو واضح فى منطقتين ترتبط كل واحدة بأحد الوديين هما :

أ - الحازمى : وتحتل حوض وادى ترج الادنى . تبدأ الجمارى العليا لودى ترج من منطقة النماص وما حولها ، ويتجه مجراه الرئيسى نحو شمال الشمال الشرقى فيما بين وادى ييشة فى الشرق وبين خط السراة فى الغرب . وحتى يلتقى مع المجرى الرئيسى لودى ييشة فى شمال هذه المنطقة يصب فيه عدد كبير من الروافد تنحدر اليه تباعا من شمال

منطقة النماص وبنى عمرو . ومن أهم هذه الروافد وادى حوران ووادى البهيم وتلتقى به فى القسم الشمالى . وقد استطاعت هذه الوديان الثلاثة ان تخلف فى مجاريها الدنيا مصاطب رسوبية ، أى قبل التقائها بوادى ترج وبعده ولكن قبل التقاء الأخير بوادى بيشة .

ومع أنه قام على تلك المصاطب الرسوبية زراعات وقرى ؛ الا أن أهم مجال لدخل ساكني هذه المنطقة بقي معتمدا على تربية الحيوانات بالدرجة الأولى ، سواء من قبل البدو الذين استوطنوا هذا الوادى واستثمروا أعشابه من خلال تحركاتهم الفصلية واستفادتهم من آبار الماء الثلاث عشرة التى وجدت فى المنطقة ، والذين لا يمارسون أى مهنة سوى تربية الحيوانات . أو من قبل المستقرين الذين عاشوا فى ١٧ قرية مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها الحجم الكبير أو المتوسط .

بلغ مجموع ساكني منطقة الحازمي فى تعداد السكان ١٦٣١٧ فردا ، لم يتجاوز عدد المستقرين منهم نحو ثلث هذا الرقم ، وبالإضافة الى ذلك فقد وجد أن ثلث عدد المستقرين يعيشون فى قرية الحازمي ، التى تحولت الى بلدة ، ونمت وتوسعت على حساب غيرها من القرى وعلى حساب البادية ، بعد قيامها بالوظيفة الإدارية كقاعدة للقضاء ، وإنشاء بعض الدوائر والمدارس والمشاريع التى تجذب الهجرة اليها .

ومن قرى منطقة الحازمي أيضا : الشحوف والبطلان والحراملة والخزمة والشملة وآل الربيع والحريشة وآل مهدي وآل فاضل والصور وتقع جميعا فى وادى ترج ابتداء من الجنوب ويسكنها أفخاذ من قبيلة بلحراث^(١) . ومنها أيضا القوباء وتقع فى عالية الوادى ، وحوران وبهيم .

ب - تبالة : وتقع الى الشمال والشمال الغربى من الحازمي ، وتحتل وادى تبالة الذى يعتبر آخر روافد بيشة الهامة باتجاه الشمال والمنحدرة اليه من سراة بالقرن وشمران . ونظرا لموقعه الشمالى واتخاذ الاتجاه شرق الشمال الشرقى فان مصبه ينتعد عن خط السراة بمسافة تزيد عن بعد مصبات جميع الروافد السابقة له حيث يبلغ البعد الخطى ١٢٥ كم ، ويشهد انحداره اكثر منها أيضا . وقد نتج عن ذلك أن تحول مناخه نحو الجفاف كان فجائيا . وأصبح الوادى صحراوى الصفات بمجرد خروجه من منطقة الجبال .

(١) فهد السبيعي : مجلة العرب ، العدد ٩ ، السنة ٧ ص ٧١٣ .

غير أن السهول الرسوبية أو المصاطب التي تظهر في الثلث الأخير من مجراه بفضل مياه الفيضانات المنحدرة من المناطق الجبلية أدخلت تعديلا على ظروفه ، فظهرت فيه الواحات الزراعية التي كانت أساسا لوجود ١٢ قرية في مجرى الوادى .

ولما كان هذا الوادى يصب في المجرى الرئيسى الى الشمال مباشرة من قلعة بيشة فقد استخدم منذ القديم كطريق يوصل بين بيشة والسراة ، وتحولت بعض قراه الى محطات على الطريق . وقد استفادت منطقة الوادى مؤخرا من انشاء الطريق « المرفلثة » من بيشة الى العلايا الواقعة فى سراة بالقرن وعلى طريق الجنوب ، فتحوّلت القرى الى مراكز لخدمة السيارات مما زاد فى جذبها للسكان . فاتسعت وامت على حساب البادية المحيطة بها ، مما رفع معدل عدد أفراد القرية الى ٣١٤ فردا للقرية الواحدة .

بلغ عدد مستوطنى وادى تباله فى وقت تعداد السكان ١٤٠٠٠ فرد ، عاش نحو ثلث هذا العدد فى القرى الزراعية الواقعة فى سافلة الوادى أى (٣٧٦٨ فردا) . وأهم هذه القرى وأكبرها قرية المخرم وهى مركز قضاء تباله ، وقد بلغ عدد ساكنيها فى ذلك الوقت ٦٢٦ فردا لاتخاذها مركز الوظيفة الإدارية . ومن قرى الوادى الهامة الأخرى : شديق والثنية وقنزية والفدنة والجبارين وتباله وخريب السوق ، ويوجد فى كل من هذه القرى مدرسة ابتدائية .

وبذلك يكون عدد بدو وادى تباله قد نيف على عشرة آلاف فرد . ومن المنتظر أن يكون قد تراجع هذا العدد بسبب تحول قسم منهم الى الاستقرار ، سواء فى داخل الوادى (فى تباله) أو فى بيشة أو فى خارج المنطقة . ويدل على أهمية انتشارهم تملكهم لـ ٢٣ منهلا ثابتا للماء .

٣ — منطقة بيشة :

وتتضمن الحوض الأدنى لوادى بيشة ، وتشمل مساحة واسعة جدا تبلغ أكثر من ثلثى مساحة الحوض كله . وتقع الى الشمال مباشرة من مصبى وادى هرجاب ووادى ترج ، وتنحصر بين مقاطعتي الحازمى وتباله ونهاية السفوح الجبلية التابعة لمنطقة الباحة غربا وشمال مقاطعة تثليث شرقا .

وتضاريس بيشة بمثابة هضبة داخلية واسعة يبلغ عرضها (شرق - غرب) فى طرفها الجنوبي نحو ٥٠ كم يتزايد هذا العرض باتجاه الشمال الى نحو ١٠٠ كم . وتمتد طوليا من

الجنوب الى الشمال نحو ١٨٠ كم . وهى شبه مستوية تندر فيها الاختلافات التضاريسية سوى أن سطحها يميل من ارتفاع ١٥٠م فى الجنوب الغربى الى نحو ٨٠٠م فى الشمال الشرقى . ولكن أهم المعالم التضاريسية التى تميزها هو اختراق وادى بيشة لها من وسطها ، حيث يعبر المنطقة من طرفها الجنوبي الغربى ، ويتجه الى الشمال فالشمال الغربى ، وبعد مسيرة نحو ١٥٠ كم لايلبث أن ينحرف قبيل التقائه بوادى رنية ، فيرسم قوسا واسعا فيتجه الى الشرق أولا مسافة ٥٠ كم تقريبا ، ثم الى الجنوب الشرقى الى ان ينتهى عند بداية رمال « عرق الوادى » التى ينتهى عند طرفها الآخر أيضا وادى تثليث بعد مسافة قصيرة .

تتمتع هذه المنطقة بمناخ صحراوى ترتفع فيه درجات الحرارة كثيرا لاسيما فى الصيف كما ترتفع الفروق الحرارية ، وتقل نسب الرطوبة ومعدلات الأمطار . ولذلك فانها تتشبع بمظهر القحولة ، وتبدو جرداء من الأشجار أو الأعشاب باستثناء مجارى الوديان التى تنعم بوصول فيضانات أمطار مناطق أخرى .

ولكن نظرا لاتساع الحوض الأعلى لوادى بيشة وامتداده فى مناطق سفوح السروات ابتداء من سراة قحطان جنوبا حتى سراة شمran شمالا ، وهى من أكثر مناطق المملكة استقبالا للأمطار حيث تزيد معدلاتها هناك عن ٣٠٠ ملم وبالتالى فهى كثيرة الروافد ، فتنقل الى الوادى معظم المياه التى تصلها ، لأن صخور المنطقة النارية ضعيفة الانفاذ ، وتزوده برصيد كبير من الحمولة السائلة والصلبة .

تمكن وادى بيشة من أن يحمل المياه مسافة تفوق مثيلتها فى الوديان الأخرى ، ويصل بكميات كبيرة من صبيها الى المجرى الأدنى حيث يعتدل الميل ، وهناك عملت على إنشاء سهول رسوبية ومصاطب طموية على جوانب ذلك القطاع من الوادى كانت أساسا لنشوء واحات هامة منذ زمن بعيد .

تمتد الواحات بامتداد وادى بيشة فى مجراه الأدنى مسافة ٦٠ كم تقريبا بين قريتي عرمان وداعر (فى جنوب الحيفة) جنوبا ، الى قرية جنينة فى الشمال الشرقى . ثم تنقطع مظاهر الاستقرار فى سافلة الوادى بعدئذ أى مسافة تزيد على ١٥٠ كم حتى نهايته ؛ بسبب تزايد ملوحة المياه وعدم صلاحية التربة للإنتاج الزراعى .

وتقع بلدة « الروشن » فى وسط هذه المسافة المعمورة تقريبا . والروشن هى المقر الإدارى للمنطقة وكانت قاعدة إمارة بيشة قبل أن تُضم الى إمارة عسير . وتقع على

الضفة الشرقية للوادي ، وكانت تحيط بها البساتين الزراعية من ثلاث جهات . وقد أنشئ مطار بيشة على بعد كيلو متر واحد من الجهة الرابعة وهي الجهة الشرقية .

وتتميز بيشة بموقعها المناسب في وسط سافلة الوادي ، وفي موضع متوسط بالنسبة للهضبة ، وكذلك بالنسبة للطرق القادمة من المناطق الجبلية . فتحوّلت إلى عقدة مواصلات جيدة لطرق القوافل القديمة ، ولطرق السيارات قبل عهد « الازفلة » وأخيرا تم توصيلها بطريق معبدة ببلدة العلايا الواقعة على طريق الجنوب عبر وادي تبالة (١٢٥ كم) .

لقد ساهم هذا الخط الجديد والذي تم سنة ١٣٩٨هـ في إنعاشها ، وزاد من روابطها الاقتصادية والاجتماعية بمناطق المملكة الأخرى . وسيتم ربطها بثلاث طرق هامة أخرى في المستقبل القريب : الأولى وتتجه إلى خميس مشيط في الجنوب ، والثانية وتتجه إلى تثليث في الجنوب الشرقي ، والثالثة وتتجه إلى رنية في الشمال . وحتى يتم ذلك فستتبي جميع مظاهر عزلتها السابقة ، لاسيما وأن الطرق البرية تعتبر الوسيلة الرئيسية لاتصال الناس في بلاد واسعة كالمملكة . هذا مع العلم أن مطار بيشة الذي يتصل بالمطارات الداخلية - لاسيما الرياض وجدة - قد ساهم مساهمة كبيرة في إزالة العزلة عن هذه البلاد .

لقد اتسعت الروشن ونمت بسبب جذبها للسكان لكثرة المشاريع الحكومية والفردية التي قامت بها كإنشاء مبنى المستشفى والمباني الحكومية ، ومحطة الكهرباء والمدارس للذكور والإناث ولتختلف المراحل . وبعد أن كانت مركز سوق اسبوعي لسكان القرى المجاورة يعقد كل يوم أربعاء ومحطة في طريق القوافل ؛ ظهرت بها الأسواق الحديثة الدائمة والمخازن ووكالات الشركات . وقد ساهمت البلدية - بعد إنشائها - في تنظيم هذا التوسع وتحكمت في تخطيط الشوارع والأحياء ، وفي توصيل الخدمات والتوصيلات الأساسية كالكهرباء والماء والتلفون وفي تعبيد الشوارع وتشجيرها . وحينما توسعت حدودها ضمت عددا من القرى القريبة مثل قلعة بيشة وروشن المهدي وثمران .

بلغ عدد سكان بيشة ١٤٠٠٠ نسمة سنة ١٣٩٤هـ ، وقد نيفت على ٢٠٠٠٠ في الوقت الحاضر بسبب استمرار عوامل توسعها . كان في المدينة عدد من المشاريع الفردية لتوليد الكهرباء ثم أنشئت شركة الكهرباء سنة ١٣٩٦هـ لتغطي احتياجات المدينة

والضواحي التي ضمتها وتوجد مولدات صغيرة في باقي القرى . ولذلك انتشر استعمال الأدوات الكهربائية وازدهر الاتجار بها . وقد أنشئ في شارع الملك خزان مرتفع تضخ اليه المياه من آبار محفورة في الوادى وتوزع من الخزان بدون ضخ الى المنازل .

يتبع بيشة مجموعة من القرى تمتد بشكل خطى بامتداد الوادى بلغ عددها ٢٥ قرية ، لم يتجاوز مجموع ساكنيها في وقت التعداد ما وجد في بيشة ذاتها . إن دل هذا على شيء فإنه يدل على مدى التبدل الذى طرأ على سكان المنطقة وعلى مدى الهجرة التي اتجهت الى المدينة بعد عهد النهضة الاقتصادية الحديثة .

اعتمدت حياة سكان هذه القرى على الانتاج الزراعى والحيوانى . وقد اهتموا بزراعة الحبوب خاصة القمح والذرة ، والأعلاف كالبرسيم ، والأشجار المثمرة حتى اعتبرت بيشة من مراكز انتاج التمور الرئيسية في المملكة ، وزاد الاهتمام بزراعة الخضروات مؤخرا . وقد ساهم إنشاء الطرق الزراعية (غير المعبدة) لتوصيل هذه القرى بعضها ببعض في إنعاش الزراعة وتشجيع تطورها .

كان يتم في بعض هذه القرى - خاصة الروشن - بعض المهن اليدوية مثل : دبغ الجلود وصنع السروج ونسج الصوف والشعر . وقد تطورت هذه المهن في بيشة وأضيف اليها بعض المهن الجديدة كالورش وتصليح الأدوات والأجهزة وبعض الخدمات المهنية . كان يبنى سكان بيشة بيوتهم من الطين من طابق أو طابقين تحاط بأسوار ، في وسط واجهاتها أبواب كبيرة ، وقد انتشر استعمال الأسمنت الآن استعمالا واسعا خاصة المباني الحكومية والمؤسسات ومباني الأحياء الجديدة .

تنظم معظم هذه القرى في مجرى الوادى ؛ إذ يلى الروشن غربا قرية المهدي ويليها جنوبا قرية ثمران وكانت الثانية مركز سوق أسبوعى يعقد كل يوم خميس . غير أن توسع مدينة بيشة ضمهما وجعلهما من ضمن أحيائها . ويلي بيشة الى الجنوب : الحرف والباقرة والمدراء والمروة والمجمعة والحيفة ثم واعر وعمران .

ويلى بيشة شمالا قرى بنى سلول بن عامر وهى مرتبة من الجنوب : النغيلة وقنيع وأبا الشوك وتقع الأخيرتان على طرفي « كوبرى » وادى بيشة على بعد ٤ كم في شمال شرق الروشن ، وتبدأ منه طريق بيشة - العلايا . ويليها الحمة والصبيحي وتقع عند مصب وادى تبالة بوادى بيشة على بعد ١٠ كم من المدينة . ثم القرى : الدئلوى والحريزة

(١٥ كم) ، والدحو ، والعطف والدّوار والرقيطا العليا والسفلى ، والخرسعة وناجعة والتقيع والشقيقة والجنيّة .

ينتسب سكان هذه المنطقة الى عدد من القبائل المتحالفة يتبعها جماعة تسكن السراة . ومن هذه القبائل : قبيلة أكلب ومنها بطنا عامر والمخلف وقبيلة شهران (وهى غير شهران عسير) ومنها الرميثين وقبيلة بالحرث قرب سافلة ترج ، وشمران قرب سافلة تبالة . وهم اما مستقرون فى المدينة أو فى القرى ، أو لا زالوا على حالة البداوة . اذ يبلغ عدد البدو اكثر من ١٢ ألفا ، يسكن معظمهم سافلة الوادى فيما يلى قرية الجنيّة ، لانعدام مناطق الاستقرار فيها وتوفر مناهل المياه حيث يوجد ٢٤ منها .

الفصل الحادى عشر

منطقة الحرات البركانية فى هضبة الحجاز الجنوبى

وتقع فى شرق جبال الحجاز الجنوبى أى جبال مناطق الباحة وبنى مالك وثقيف وبالحرث وبنى سعد وتمتد حتى رمال سبيع شرقا ، وتلى حوض وادى بيشة من جهة الشمال وتمتد حتى سهل ركبة شمالا ، وتشكل الزاوية الشمالية الشرقية لإقليم جنوب غرب المملكة .

البيئة الطبيعية :

يغطى القسم الاكبر من هذه المنطقة الواسعة مسكوبات بركانية رباعية وتتخذ الشكل البيضاوى تتكون من صخور البازلت الحديث الغنى بالألوفين ، وتشتمل على بعض الصخور الأخرى والفتات البركاني ، جاثمة فوق الصخور الجرانيتية وتمتد مسافة ١٧٠ كم من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ومسافة ٨٠ كم فى الاتجاه المعاكس وتبلغ مساحتها نحو ٩٠٠٠ كم^٢ . ويطلق على القسم الشمالى الشرقى منها « حرة نواصيف » وعلى القسم الجنوبى الغربى « حرة البقوم » . ويبدو ان هذا التقسيم وتلك التسمية ناتجين عن استيطان القبائل فيهما ، وبسط سيطرتها عليهما ، ولا يوجد تركيبا او طبوغرافيا ما يدل على أنهما مسكوبتان متميزتان عن بعضهما ، بل هما مسكوبة واحدة . ويوجد فى الجهة الشمالية الغربية منهما كتلة بازلتية أخرى دائرية الشكل أصغر منهما يطلق عليها اسم حرة حضن تبلغ مساحتها نحو ٢٥٠٠ كم^٢ .

تنحصر هذه الكتلة البركانية الكبيرة بين حوضين من أحواض التصريف المائى الهامة . الأول وادى رنية الذى يهبط من مناطق سراة خثعم وغامد ويسير فى جنوب شرق هذه الكتلة ويقطع أطرافها الجنوبية الشرقية قبل ان ينحنى نحو الشرق فالجنوب الشرقى فى مجراه الأدنى . والثانى حوض وادى تربة الذى يهبط من مناطق سراة زهران

وبنى مالك ، ويسير في شمالها الغربى ، ويقطع بعض أطرافها الشمالية الغربية ويفصلها عن الكتلة البركانية المجاورة اى « حرة حضن » ، قبل ان ينحنى الوادى نحو الشرق فالجنوب الشرقى ، وتنتهى مياهه عند مقدمة رمال سبيع .

ينحدر سطح هذه المنطقة فى قسمها الغربى أى فى القسم الذى لاتغطيه صخور البازلت انحدارا كبيرا وذلك من أقدم جبال السروات باتجاه الكتل البركانية فتهدب من ارتفاع ١٧٠٠م الى ١٣٠٠م . فى حين يتراوح ارتفاع المسكوبات البركانية ما بين ١٣٠٠ ، ١٢٠٠م بالرغم من امتدادها الكبير . وهى إذ ترتفع فى الوسط تنحدر أطرافها فى معظم الاتجاهات خاصة اتجاه الشمال الشرقى حيث تنتهى عند ارتفاع ٩٥٠م فى سهل معشر .

تمتد هذه المنطقة الهضابية بشكل عمودى على امتداد جبال السروات بمقدار ٢٤٠ كم تقريبا وتمتد بالاتجاه المقابل نحو نصف هذه المسافة ؛ مما يجعل ارتفاع التضاريس يتناقص كلما ابتعدت عن الجبال . فتوفرت لها الصفات الصحراوية بكل خصائصها وتفصيلها من بدايتها ؛ فارتفعت معدلات الحرارة فيها وتباينت ، وانخفضت معدلات الأمطار (اذ بلغت ١٤٨ ملم فى طريق العقيق ، ١٥٤ ملم فى عالية رنية ، ١٢٢ ملم فى تربة ، ١٠٧ ملم فى الخرمة ، ١٣٤ ملم فى كالاخ) . وتحولت أرضها الى مناطق قاحلة تماما ؛ خاصة وان صخورها المتكونة إما من الجرانيت والشست والديوريت أو من البازلت غير المنفذة والبطيئة التحلل تبدو وكأنها مجردة من التربة . أو أن بها تربة رقيقة لانكاد تنبت الا أعشابا ضعيفة .

ولكن اختراق الوادين المشار اليهما ؛ رنية وتربة لهذه الهضبة طوليا يوازى أحدهما الآخر ، خلق ظروفًا جديدة ساعدت على إيجاد حوضين للتصريف المائى هامين ، تشبه ظروفهما ظروف أحواض الوديان الأخرى كبيشة مثلا . فظهرت فى بعض قطاعاتهما الواحات القديمة ، وذلك فى الأماكن التى استطاعا ترسيب الطمى فيها وتخزين الماء . وقد استخدمت بعض هذه الواحات منذ زمن بعيد كمحطات على طرق القوافل الصحراوية ، وصارت محطات على طرق السيارات قبل وبعد عهد « زفلة » الطرق . ولم يكن هناك ما يمنع انتشار البدو واحتلالهم للأجزاء الباقية غير المعمورة من هذه الوديان .



نشاط السكان :

تبين أن مساحة الأرض الزراعية والصالحة للزراعة في سنة ٧٣/ ٧٤ بلغت ١٢٥٠٠٠ دونما قد زرع نحو نصف هذا الرقم فعلا في ذلك العام ، وبمقارنة هذه المساحة مع مساحة المنطقة الاجمالية والتي تبلغ ١٢٠٠٠ كيلو متر مربع يتبين ضآلة الأرض الزراعية ، وكيف أنها لاتستطيع أن تستوعب إلا عددا محدودا من العاملين في المجال الزراعى . وهذا يفسر تفوق عدد البدو على عدد الزراع أو على المستقرين بشكل عام في المنطقة ، حيث بلغت نسبهم ٧٣٪ من سكانها .

واذا علمنا ان سكان هذه المنطقة بلغوا في ذلك الوقت نحو ١٣٥٠٠٠ نسمة اتضح لنا ان كثافة الاحتلال البشرى فيها لم تكد تبلغ ٥ أفراد للكيلو متر المربع الواحد ، وهى نسبة منخفضة ليس بالقياس للمملكة كلها فحسب بل حتى بالنسبة الى اقليم جنوب غرب المملكة ذاته .

قد يكون لاجتماع هذه الظروف أثر في عدم توافر وحدة إدارية قائمة بذاتها تضم أجزاء هذه المنطقة الواسعة ؛ بل إن القسم الأكبر منها وهو القسم الشرقى والشمالى الشرقى قد اتبع الى إمارة مكة رغم بعدها وكبر مساحتها . وينقسم هذا الاقليم الى اربع وحدات فرعية هى : قضاء تربة وقضاء الخرمة وقضاء رنية الذى اتبع في سنة ١٣٩٤هـ الى إمارة مكة ، وقسم من إمارة الطائف ويقع في جنوبها الشرقى ويتكون من قضاءى قيا وأبو راکة ، وهما من إمارات البادية . أما القسم الباقى من هذا الاقليم وهو القسم الجنوبى الغربى فيتبع الباحة إداريا وينقسم أيضا الى وحدتين تابعتين هما : العقيق وييدة بالاضافة الى الجزء الشرقى من إمارة بلجرشي .

فاذا افترضنا أن عدد سكان بلدات هذه المنطقة وهى الخرمة ورنية وتربة والعقيق بلغوا في وقت تعداد السكان ١١٠٠٠ فرد ؛ فان مجموع سكان الاقليم يكونون قد انقسموا حسب النسب التالية : ٧٣٪ من البدو ، ١٥٪ من الريفيين ، و ٨٪ سكان مدن . وتذكرنا هذه النسب بأوضاع المملكة في القرن التاسع عشر وماقبله . ومن المؤكد ان البلدات الأربع المذكورة قد توسعت وزاد عدد سكانها في الفترة التالية للتعداد خاصة وأن كل واحدة منها تعتبر مركزا لإحدى الوحدات الإدارية . ولذلك فإنها اجتذبت عددا من المشاريع الحكومية أو الفردية ، وتواجدت فيها فرص العمل في الوظائف أو الخدمات أو في الشركات العاملة في الطرق والانشاءات أو غيرها . وقد أنشئ في كل

منها بلدية تشرف على توسعها وعلى تخطيطها وتنظيمها فأنشأت الشوارع والأحياء وأوصلت التمديدات اللازمة . ولانعدو الحقيقة اذا قدرنا أن عدد أفراد كل بلدة منها قد تضاعف خلال السنوات التسع الماضية عما كانوا عليه ، في حين أننا لانتوقع حدوث زيادة كبيرة على السكان الريفيين بل ونتوقع نقصان عدد ونسبة البدو فيها .

ومجمل القول أن أهم نشاطات السكان في هذه المنطقة لم تزل تربية الحيوانات خاصة وأن البدو والريفيين كليهما يعتنى بهذا النشاط . وأهم حيوانات البدو الابل والاغنام والماعز في حين ان الأبقار تحتل المقام الأول لدى الريفيين . ويأتى الانتاج الزراعى في المرتبة الثانية ، حيث تتم في الواحات الواقعة في مجارى الأودية وتخضع للرى من الآبار المحفورة في الطمى . ويزرع الفلاحون الحبوب بأنواعها خاصة القمح والنخيل حتى صار لتمور تربة ورنية شهرة خاصة . وقد بدأوا بزراعة الخضروات والاهتمام بها مؤخرا ، بسبب زيادة الطلب عليها وتحسن المواصلات .

وبالرغم من صغر مدن هذه المنطقة إلا أنها تعتبر مراكز مدنية قديمة ، ويبدو أن وقوعها على طرق القوافل أكسبها شهرة تاريخية ، فتوطنت فيها بعض المهن اليدوية : كالصناعات الجلدية والخشبية والصناعات المعتمدة على الجريد ونسج الصوف والشعر وأعمال البناء .

ونظرا لاتساع هذه المنطقة واختلاف شخصيتها من مكان الى آخر يسهل علينا تقسيمها حسب العوامل الطبيعية الى خمسة أقسام هى : الكتلة الهضابية الواقعة الى الجنوب الغربى من الكتلة البركانية أي بينها وبين الجبال ، والكتلة البركانية ذاتها ، وحوض الوادى الذى يحدها من الجنوب الشرقى (رنية) ، وحوض الوادى الذى يحدها من الشمال الغربى (الخرما) ، والكتلة الهضابية الواقعة الى الغرب منها اى بينها وبين جبال الطائف .

غير أننا بادخالنا بعض العوامل البشرية - لاسيما استيطان القبائل لها ومن ثم الحدود الادارية التى راعت الى حد كبير حدود استيطان القبائل ، وتوفر الأرقام الاحصائية حسب هذه الحدود ، ومن أجل إلقاء مزيد من الضوء على شخصية كل قسم منها - يبدو من المفيد تقسيمها بشكل قد يختلف عما ذكرنا أعلاه وذلك على النحو التالى :

١ - هضبة الباحة : وهى كتلة هضابية تقع في الجنوب الغربى من هذه المنطقة . وتنحصر بين أقدام سرة غامد من جهة والكتلة البركانية وآخر حدود منطقة بيشة من

الجهة الأخرى . ويشغلها قضاء العقيق ويده جزء من قضاء بلجرشي وتتبع جميعا إمارة الباحة . ولذا اطلقنا عليها اسم « هضبة الباحة » .

تتخذ هذه الهضبة شكل المثلث تنطبق قاعدته على الحافة الشرقية لجبال غامد وزهران ابتداء من شرق بلجرشي جنوبا حتى شمال قضاء القرى شمالا ، ثم يضيق عرضها كلما اتجهنا شرقا حتى نصل راس المثلث عند نقطة التقاء حدود الامارات الفرعية : العقيق وبيشة وتربة ورنية . ويحاذي الضلع الجنوبي الشرق لهذا المثلث حدود إمارة بيشة ، ويحاذي ضلعه الشمالي الشرق حدود إمارة تربة .

يبتعد سطح هذه الهضبة عن الاستواء كثيرا ؛ إذ يشوهه حفر الوديان بعمق شديد ، حتى أنها بسبب شدة حفرها تبرز جبالا عالية ووعدة من الجانبين . كما يشوهه شدة الانحدار بشكل عام ، إذ أنها تبدأ من ارتفاع ١٧٠٠م تقريبا قرب السراة الى نحو ١٣٠٠م عند بداية ظهور المسكوبات البركانية (الحرات) التي تغطي أجزاء من أطراف هذه المنطقة .

وقد ساعدت هذه الخصائص الطبوغرافية - بالاضافة الى الانحدار الشديد - على تحول المناخ الى الصفات الصحراوية فور الهبوط من الجبال مباشرة . فظهرت البلاد جرداء قاحلة خالية من مظاهر الحياة باستثناء بعض مجارى الوديان . ويمكن أن نقسمها الى ثلاثة أقسام :

أ - القسم الشمالى الشرقى من قضاء بلجرشي : من المعلوم أن قضاء بلجرشي يقع فى المنطقة الجبلية وذلك فى جنوب بلاد غامد ، ولكنه يضم إداريا مساحة واسعة من الهضبة فى الشرق ، تقع فى حوض وادى رنية العليا خاصة المجرى الرئيسى المنحدر من منطقة قزاة ووادى شواص المنحدر من بلاد خثعم ، ووادى قرشة المنحدر من جنوب شرق الباحة ، ووادى ثراد المنحدر من شرق الباحة ، ولكن بعد هبوطها جميعا من مناطق الجبال العالية .

ونظرا لموقعها وانخفاض سطحها عن الجبال وانحداره بالاتجاه الداخلى فقد تباينت عن باقى أراضي القضاء الجبلية ، واكتسبت الصفات الصحراوية . فنقصت معدلات الامطار فيها عن ٢٠٠ ملم ، ولم تعد تكفى لقيام زراعة مطرية . كما أن الوديان لم تستطع فيها بسبب شدة الانحدار تشكيل مصاطب رسوية ذات شأن . وبالتالي كانت المنطقة خالية من الواحات ومن مظاهر الحياة المستقرة رغم ارتفاع سطحها وقربها من اقليم الجبال .

واقصر النشاط البشرى فيها على تواجد البدو وممارستهم رعاية الحيوانات على الاعشاب .

لقد أوضح تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م وجود نحو ٣٥٠٠ من البدو يعيشون ضمن حدود إمارة بلجرشى ، وبطبيعة الحال فان معظم هذا العدد كانوا يعيشون فى الجزء الشرقى من الإمارة الفرعية ، ذلك الجزء الذى يقع ضمن منطقة الهضاب التى نحن بصدددها ، والحالى من مواقع الاستقرار ، وقد ساعد على تواجدهم هذا أعشاب الوديان والروافد العليا التى تأتى من مناطق الجبال وتنتهى الى رنية ، وقد وجد ضمن حدودها أيضا تسعة مناهل للماء يسيطر عليها البدو .

ب - قضاء بيده : ويقع فى الجزء الشمالى الغربى لهذه الكتلة الهضابية فيمتد على شكل شريط أرضى مسافة ٩٥ كم جنوب - شمال فى شرق بلاد زهران مباشرة ، ومايقرب من ٢٠ كم شرق - غرب . اذ أنه يبدأ عند النهاية الشمالية لكل من قضاءى الباحة وبنى حسن الجبليين عند خط عرض ٨ - ٢٠° ش ، وينطبق هذا على خط تقسيم المياه بين وادى بنى سار ووادى شبرقة من الجهة الجنوبية ، وبين وادى بطحان (بيده) من الجهة الشمالية ، ويستمر شمالا الى موضع التقاء وادى بيده مع المجرى الرئيسى لوادى تربة القادم من الغرب والمتكون من التقاء الوديان : الصدر وعردة وشوقب المنحدرة اليه من بلاد زهران وبنى مالك ، ويقع ذلك عند خط عرض ٢٠ - ٢٠° ش .

وأهم الملامح الجغرافية فى هذه المنطقة هو وجود وادى بطحان الذى يبدأ من شمال بنى سار على بعد ١٥ كم فى شمال مدينة الباحة ، ويتجه شمالا فيهبط ويحفر بعمق شديد ضمن صخور الشست والديوريت ، فيقسم الكتلة الجبلية الى قسمين متقابلين ؛ فمن الجانب الغربى حيث تسير طريق الجنوب (أبها - الطائف) ، وترتفع فى منطقة الأطاوله فى جنوب هذه الحافة الى ارتفاع ٢٣٠٠م ، وفى جبل شمرخ فى وسطها الى ٢٠٦٠م ، وفى جبل معشوقة فى شمالها الى ١٨٥٠م ولايبعد هذا الخط الذى يسير فوق القمم عن مجرى وادى بطحان اكثر من ٧ كم . ومن الجانب الشرقى يوجد بمحاذاة وادى بطحان ابتداء من الجنوب جبل الودان (٢٢٥٥م) ، والى الشمال منه جبل عيسان الذى يصل ارتفاع بعض قممه الجنوبية الى ٢٠٠٠م والقمم الشمالية ١٩٠٠م . وينحدر من كلتا الكتلتين الجبليتين من الجانبين الى وادى بطحان روافد صغيرة وقصيرة ليست ذات بال ، وقد يكون أهمها الحازمى الذى يصب فيه فى نحو وسطه من الجهة الغربية .

يهبط مجرى الوادى بين هذه الكتل من ارتفاع ١٨٠٠م عند أول القطاع المزروع ، وبالتالي عند أول شريط القرى المتواجدة على مجرى الوادى الى ارتفاع ١٤٥٠م عند معشوقة التى يتوقف عندها ظهور الأراضى الزراعية ، والى ١٣٥٠م عند موضع التقائه بوادى تربة ، ولذلك عمل هذا الوادى بمثابة المنخفض بين الكتل الجبلية ، فاستخدم منذ القديم كطريق للقوافل المتجهة من الحجاز شمالا ، وعبر الهضبة الى وادى تربة ثم عبر وادى بطحان الى الباحة أو غيرها من المناطق الجبلية .

ومن الواضح إذن أن يكون لهذه الطبوغرافية سليات على المناخ حيث أنه يتقهقر بسرعة بسبب الهبوط الشديد خلف الجبال الغربية فترتفع فيه درجات الحرارة وتزداد الفروق الحرارية وتقل الأمطار ، ويخف غطاء التربة عن السفوح الجانبية ، ويضعف الغطاء النباتى عليها وينعدم وجود أى زراعة مطرية .

ولكن ارتفاع مواقع تغذيته بالمياه ، وهبوط مستواه بهذا القدر ساعد على تجميع كميات كبيرة من المياه فيه على شكل فيضانات ، استطاعت مع الزمن ترسيب مصاطب طموية بسمك كبير فى مجراه الأوسط وقد حملت هذه الطبقة الرسوبية مع الطبقة الشستية المفككة التى تحتها غشاء مائيا جيدا بحيث يتعد مستوى الماء عن سطح الأرض مقدار ١٠م تقريبا حسبما أظهرته عمليات حفر الآبار فى الوادى .

لقد اغتنى مجرى الوادى بالأشجار مثل : السدر والسلم والاثب والتين وزرعت المصاطب المرتفعة عن الجرى وظهرت فيها الواحات منذ القدم ، وقد اعتمدت على الزراعة المروية من الآبار . وتخصص الوادى بزراعة الرمان والخوخ والعنب ثم الأعلاف والذرة وبعض الخضروات . وقد اكتسب رمان وادى بطحان (صورة ١٧) شهرة واسعة فى كل الاسواق السعودية خاصة سوق الطائف وسوق الرياض . وقد توسع الإنتاج الزراعى فى الوادى بفضل التشجيع والقروض من الدولة ، وذلك بالتوسع فى حفر الآبار وبسبب تحسن الطرق ، حتى صارت أهم أسواق منتوجاتهم سوق الطائف .

بلغ عدد قرى وادى بطحان ٢٦ قرية ترصع جانبي الجرى ، يرتبط تواجدها بتوفر المصاطب الطموية وأهم هذه القرى ابتداء من عالية الوادى فى الجنوب : آل دغمان واللغاميس وأهل الزربة وفيها مدرسة ، والجدلان وفيها المركز الادارى ومحكمة ومركز شرطة ومستوصف ومدارس ، ثم توجد قرى آل زياد التى تضم عددا من المدارس بما فيها ثانوية ومستوصف وفرن وبقالات : كالشيخ والقاربة وأهل الرأس ، والحازم وتقع

عند مصب وادى الحازم ، والفتامية وفيها مدرسة بنات والضييعات والهضيم . وآخر القرى فى اتجاه الشمال قرية معشوقة التى توسعت كثيرا بفضل استقرار البدو ، وظهر حولها عدد من الهجر الأخرى بسبب شيوع فكرة توطين البدو ، وهم بدو الزهران الذين ينتمون إلى غامد ، وتظهر السويسية بعيدة عنها فى اتجاه الشمال .

ويتبع قضاء بيده إداريا جميع السفوح المتجهة نحو الوادى من الجانبين ، وهى مناطق عشبية لا يوجد فيها شئ من مواقع الاستقرار الدائم ، كما يتبعها شريط من الأراضي المرتفعة الواقعة على طريق الجنوب المعبد وذلك من حدود بنى حسن حتى الأطاوله . وتحوى على مدرجات زراعية منتجة ، وبعضها مدرجات « دامرة » أى مهجورة .

انقسم مؤخرا هذا القضاء إداريا الى قسمين باستحداث مركز معشوقة الواقعة فى شمال الوادى لتضم القرى والهجر القريبة منها ، وإنشاء مركز إمارة فرعية . وفيها مستوصف وثلاث مدارس . ويجرى ربط الوادى بإنشاء طريق معبدة تتفرع من طريق الجنوب وتهبط الوادى بانحراف اى باتجاه الشمال الشرق الى قرية الفتامية . وسيساهم هذا الخط فى تسهيل اتصال الناس وينشط حركتهم .

بلغ عدد مستوطنى الوادى فى وقت التعداد ٧٣١٩ فردا ، كان ٤٢٠٠ منهم يعيشون فى القرى ، ويتوقع أن يكون عددهم قد زاد زيادة طفيفة خلال الفترة التالية . أما باقى العدد ويشكلون ٤٣٪ من المجموع فهم البدو . ويكترون فى شمال الوادى حيث يقل تواجد القرى . ويتوقع أن يكون قد نقص عددهم بسبب هجرهم حياة البداوة واتجاههم الى الاستقرار فى نفس الوادى أو خارجه ويملكون ١٤ منهلا .

ج - قضاء العقيق : ويحتل مساحة واسعة تبلغ ٢٧٠٠ كم^٢ يبدأ من طرف قضاء الباحة ويده غربا ويمتد شرقا نحو ٧٠ كم باتجاه رنية حيث يضييق عرضه فى هذا الاتجاه وينحصر بين قضاء تربة فى الشمال وقضاء بلجرش وبيشة فى الجنوب . ويغطى هذا القضاء جزءا من حوض وادى رنية الأعلى وجزءا آخر من حوض وادى تربة الأعلى .

يبدأ وادى ثراد - وهو من روافد وادى رنية - من شرق منطقة بلجرش ويتجه إجمالا نحو الشمال الشرقى ، ويتجه التصريف المائى نحوه فى الجزء الجنوبى الشرقى لقضاء العقيق ، ومن أهم الروافد التى تغذيه بالمياه فى هذه المنطقة وادى اللحيان (وادى العقيق) ، الذى يبدأ من شمال شرق الباحة قرب الطريق المعبدة ويتجه نحو بلدة العقيق قبل ان ينحنى نحو الشرق فيصب فى ثراد .

أما الجزء الشمالى والشمالى الغربى من هذه المنطقة فينتجه التصريف المائى فيه نحو وادى الجارة خاصة رافديه : كراء وأراخ . والأول من روافد وادى تربة الهامة التى تلتقى به بعد التقائه بوادى بطحان وذلك فى جنوب حرة البقوم .

تبدأ معظم المجارى العليا لهذه الوديان ، والتى تشكل الملامح الجغرافية الرئيسية لقضاء العقيق - من اقليم الهضبة المجاورة للسراة وليس من السراة ذاتها ، حيث تكون الأمطار قليلة ويقترب المناخ فيها من الصفات الصحراوية . وتسير الوديان فوق صخور القاعدة النارية والمتحولة والبركانية ذات النفاذية الضعيفة والبطيئة التجاوب تجاه التعرية . فتغلبت فيها عوامل النقل على عوامل النحت أو الترسيب ، فظهر السطح مجردا من التربة سوى من غطاء رقيق ، ما عدا مجارى الوديان الكبيرة ، وبان الاقليم فقيرا بالنباتات الطبيعية الا من بعض الأعشاب والشجيرات النابتة فى أماكن محدودة اذا أتاحت فرصة تواجد الطمى . وليست هذه الوديان فقيرة بالتربة فحسب بل إنها فقيرة بالمياه الجوفية أيضا .

وهذا يفسر قلة الواحات ، حتى كادت تنعدم الحياة المستقرة باستثناء أماكن محدودة جدا ، خاصة اذا صلحت مواقعها للتعلم دورا هاما كمراكز على طرق القوافل أو طرق السيارات ، مثل واحة العقيق التى زادت أهميتها منذ تم اختيار أقرب مركز لهبوط الطائرات الصغيرة من مناطق جبال سراة الباحة ، ثم اختيار ذلك الموقع لإنشاء المطار الحديث . وقد تم بناؤه وتشغيله وبناء الطريق المعبدة الموصلة بين المطار والباحة الواقعة على بعد ٤٣ كم عنها . ويقع المطار على المسكوبة البركانية الواقع طرفها على بعد ١ ١/٢ كم فى شمال الواحة بسبب استواء سطحها . وقد ساعد هذا المطار والطريق الموصلة اليه على انعاش الواحة . فنمت العقيق وتحولت الى بلدة عامرة بفضل إنشاء المباني الاسمنتية وبناء الأحياء والشوارع فيما بين بساتين النخيل المزروعة من السابق .

فلا غرابة اذن أن يبلغ عدد سكان بلدة العقيق فى وقت تعداد السكان ١٥٥٠ فردا من ضمن ١٨٠٠ فرد هم مجموع المستقرين فى هذا القضاء ، وقد توزع العدد الباقى (٢٥٠ فردا) فيما بين ١٢ قرية صغيرة أو هجرة . ولكن من القرى القديمة : الطوى وحرب والحشرج .

وبالمقابل فقد ارتفع عدد البدو حسب التعداد المذكور الى ١٥٠٠٠ فرد ينتسبون الى غامد ، مما جعل البدو يشكلون ٨٩٪ من سكانه ، ويملكون ٢٨ منهل ماء زرع حولها النخيل مثل ثراد والمشورة . وتشير الدلائل الى زيادة عدد أفراد بلدة العقيق خلال الفترة



(صورة ١٧)

مزارع قرية آل دغمان في عالية وادي بيده (بطحان) مقتصرة على مصاطب الوادي الرسوبية فقط ويسود فيها أشجار الرمان .



(صورة ١٨)

بلدة تربة القديمة والمبنية من الطين عند بداية الشارع الحديث والذي بنيت محلاته من الاسمنت .

التالية للتعداد نظرا لقيام مشروع بناء المطار والطرق ونشاط البلدية وإنشاء المباني الحكومية وعدد من المشاريع الفردية ، وإلى تناقص عدد البدو نظرا لاتجاه أفراد وجماعات منهم نحو الاستقرار في العقيق أو في الباحة وبلجرشي أو في غيرها .

وبذلك يحتل قضاء العقيق المرتبة الأولى من بين أقضية إمارة الباحة بارتفاع نسبة البدو اذ أنه يحوى وحده ٥٢٪ من بدو الإمارة كلها أو ١٠ر٥٪ من بدو اقليم هضبة الحرات في الحجاز الجنوبي الذى يتميز بارتفاع نسبة البدو فيه .

ومن الجدير بالذكر وجود مواقع عديدة في منطقة العقيق لمناجم معدنية مهجورة مثل : معدن العقيق الواقع في وادى كراء على بعد ١٣ كم في شمال العقيق ، وعجلة واكنة الواقعتين على بعد ٢٨ ، ٣٦ كم على التوالي في شرق العقيق . ومن المعتقد أيضا أن المنطقة كانت مشتهرة بتعدين الحجارة الكريمة بدليل مايوحى لنا إسمها .

٢ - قضاء رنية :

ويحتل حوض وادى رنية الأدنى وجزءا من حوضه الأوسط ، وذلك الى الشرق من مقاطعة العقيق وإلى الشمال من مقاطعتي بيشة وتثليث . ويضم جزءا كبيرا من حرة سبيع اى حرقى البقوم ونواصيف ويمتد حتى الطرف الجنوبي لعروق سبيع ، وحتى عالية نجد التابعة لإمارة الرياض .

وأهم الملامح الجغرافية في قضاء رنية- بالإضافة الى انتشار المسكوبات البركانية الواسعة - اختراق وادى رنية لها من طرفها الجنوبي الغربى الى طرفها الشمالى الشرقى . وتهبط ارتفاعات تضاريسها حسب اتجاه الوادى من ١٤٠٠م الى ٩٠٠م عن سطح البحر فى حين يهبط ارتفاع مجرى الوادى ذاته من ١٣٠٠م الى ٨٠٠م عند هجلة الختمية قرب مصبه بوادى بيشة . وتتناقص الأمطار ويزداد الجفاف فى حوض الوادى فى هذا الاتجاه .

ولكن لما كان وادى رنية يستمد معظم مياهه من المرتفعات فى شمران وخثعم وشرق غامد التى تسقط فيها أمطار تقرب من (٣٠٠ - ٤٠٠ ملم) ، ويتجه معظمها الى الوديان اذا نجت من التبخر ، بسبب عدم أو ضعف نفاذية صخور المنطقة . وتصل هذه المياه - باستثناء ما يتسرب منها الى الباطن - الى مسافات بعيدة فى اتجاه سافلة وادى رنية .

وكلما طالت المسافة التى تقطعها مياه الوادى فانها تتناقص كميتها باتجاه الحوض الأدنى ، وتعجز عن الاستمرار فى حمل فتات التعرية فتلقى بها ، وتبنى مصاطب وسهول فيضية فى بعض قطاعات الوادى بعد أن يخف الميل أو يتسع المجرى . فتتوفر فيه مثل بقية وديان الاقليم الهضابى التربة المتجددة والصالحة للزراعة ، والتى تقوم بمثابة الخزانات المائية الأرضية يمكن الاعتماد عليها فى أى نشاط زراعى ينشأ فيها ، ولكنها بكميات ومساحات وامكانيات محدودة .

لقد قدر أن معدل مياه الجريان السنوى فى وادى رنية يبلغ ٤٠ مليون متر ولا يتجاوز سمك الرسوبيات ١٥ م ، غير أن بعض الآبار محفورة فى الصخور النارية المتكسرة تحت الطمى . كما قدرت كمية المياه التى تسحب من الوادى بغرض الزراعة بـ ١٥٠ مليون متر^٣/السنة ، وذلك من ٥٥١ بئرا بلدية ، تختلف صفات مياهها من الجيدة الى الفقيرة حسب موقع البئر من قناة الجريان(١) .

ولكن تبين من الدراسات التى جرت على هذا الوادى ان تزويد مياه الفيضان لخزانات الوادى غير كاف ليضمن كمية من الماء تمكن من التوسع الزراعى ، وبالتالي ليس بالامكان زيادة الكمية المأخوذة للزراعة عن المعدلات الحالية اذا بقيت الظروف السائدة . ويحتاج الوادى الى إنشاء موانع صغيرة للفيضانات كالعقوم الترابية للعمل على زيادة التزويد وتنظيم استخدام المياه الجوفية .

ومن أهم وأقدم واحات الوادى واحة رنية المزدهرة ببساتين النخيل . وقد اكتسبت هذه الواحة أهمية خاصة بالاضافة الى طاقتها الزراعية نظرا لوقوعها فى منبسط يلى الجبال والحرث فاتخذت محطة لطرق القوافل القديمة ، لاسيما تلك التى تربط الهضبة الداخلية بمواقع الجبال العالية. ومن الطرق المشهورة التى تمر منها طريق الطائف - الحزما - رنية - بيشة ، ومنها الى المناطق الجبلية فى الباحة أو عسير . ولذلك قيل فى الأدب القديم أن « رنية من الأعراض الهامة » .

يقع الجزء المعمور من وادى رنية فى مجراه الأدنى ولكن قبل تقائه بوادى بيشة بنحو ٧٠ كم ، وذلك فى وسط منطقة يعترض مجرى الوادى فيها سلسلة جبلية بارزة تتكون

(1) Italconsult Op. Cit. P. 169-184.

* الأعراض جمع عرض وهو الوادى الذى يحوى قرى ومزارع .

من صخور الأنديست المتحول ، استطاع الوادى اجتيازها فقسمها الى مجموعتين شمالية وجنوبية .

وقد تواجد فى هذا القطاع من الوادى الذى لايزيد طوله عن ٢٠ كم ٢٨ قرية بما فيها بلدة رنية . وفى حين بلغ مجموع سكان قضاء رنية حسب التعداد العام للسكان ٢٥٥٧٢ نسمة ، وفى حين اننا لانتوقع أن يكون هذا الرقم قد زاد زيادة كبيرة خلال الفترة التالية للتعداد ؛ فانه طراً - بالتأكيد - تغير كبير على أعداد ونسب أنماط السكان فيه . فقد توزع العدد السابق طبقاً لأرقام التعداد على النحو التالى : ٣٠٤٨ فرداً فى بلدة رنية ، ٥٠٩٤ فرداً فى قرى الوادى ، ١٧٤٣٠ فرداً من البدو أى أنهم توزعوا حسب النسب ١٢٪ ، ٢٠٪ ، ٦٨٪ على التوالى .

ان أبلغ وأوضح تغير طراً على بلدة رنية وعلى سكانها ، والتي كانت قبل نحو نصف قرن حسبها وصفها فؤاد حمزة (١) : « تقع فى أرض وعرة بجانب رنية ويحدها عدد من الجبال منها فى الجهة الشمالية أى على طريق الخربة : جبال التغدوة وواردات وظلمى والقنصلية ، ويحدها من الشرق جبل سلمى ، ومن الجنوب والجنوب الشرق جبال الورك والخنعمى وزنانير ، ومن الجنوب الغربى جبل الكور ومن الغرب جبال الحراشف والسودة والفهدان ، ومن الشمال الغربى يبرز خلف هذه الكتل الجبلية جبل المصلوخ » وهو عبارة عن امتداد بازلت حرة نواصيف يبرز كاصبع باتجاه الشمال الشرق ويشرف على طريق رنية - الخربة .

تستمد بلدة رنية أهميتها بالاضافة الى شهرتها كواحة واسعة غنية بالمرزوعات ، وكسوق هام لتبادل المنتوجات ، وكمحطة على طريق القوافل الى اتخاذها المركز الإدارى كمنطقة واسعة تبلغ مساحتها ٩٤٠٠ كم^٢ وكانت إمارة قائمة بذاتها حتى سنة ١٣٩٤هـ حين اتبعت الى إمارة مكة . وقد أسس فيها بلدية وأنشئ فيها العديد من الدوائر الحكومية التى تقام فى مراكز الإمارات ، والتى يرجع اليها جميع أفراد المنطقة . وافتتحت فيها المدارس من مختلف المراحل وكذلك المستوصفات والعيادات ، ثم أقيمت فيها الأسواق الجديدة وانتشرت فيها الخدمات .

وقد حثت هذه العوامل بلدة رنية على النمو والتوسع بسرعة ، خاصة وقد تم توصيلها بطريق « مزفلت » تربطها بالخربة فى الشمال الغربى ، وكانت الأخيرة قد اتصلت

(١) المصدر السابق ص ٤٨ - ٥٠ .

بطريق الطائف - الرياض قبل ذلك . فزالت العزلة القديمة عنها وتحولت الى مدينة صغيرة .

وبالمقابل يمكن اعتبار أن توسع رنية تم الى حد ما على حساب بدو المنطقة ، الذين اتجه عددهم الى التناقص ، بسبب استقرار أعداد كبيرة منهم في رنية أو في غيرها من مدن المملكة لاسيما المدن الكبيرة . وكان البدو - ومازالوا منتشرين في جميع أنحاء القضاء - يعتمدون على رعاية الجمال والأغنام والماعز ، ويتركزون في فصل الجفاف حول مناهل الماء التي تتواجد في مجارى الوديان ، خاصة في القطاع الأخير من الوادى . فاذا كانت عالية وادى رنية خالية من الواحات والقرى فهي لا تخلو من مناهل الماء مثل ثراد والعقيق والمشورة التي تقع ضمن بادية غامد كما ذكرنا ، والصفيرية والمصيصة والخيفيشة وعين ألى مليح والملاح والمغرة والفجانة وتقع ضمن بادية سبيع ، والرجع والمنعشة ورغوة وجريد والوغدية وظاعن وتقع في بلاد الدواسر .

أما السكان الريفيون فيمكن أن نفترض زيادة عددهم خلال الفترة المنصرمة بسبب الاهتمام بالتوسع الزراعى والتشجيع الحكومى ، ومع ذلك فان تلك الزيادة ستكون محدودة لضعف امكانيات التنمية في الوادى ، تلك الامكانيات التي تتحكم في نموهم .

تتجمع قرى رنية في قطاع من الوادى لا يزيد طوله عن ٢٠ كم يبدأ بقرية الأملح ، الواقعة على بعد ١٧ كم في شرق رنية على مجرى الوادى باتجاه عاليته ، أي بُعيد خروجه من حرة البقوم . ولذلك فان رنية والأملح يقع كل منهما على جانب من جانبي الكتلة الجبلية المعترضة لطريق الوادى المشار اليها أعلاه ، فتتمتع الأملح مثل رنية اذن بمركز ملتقى القوافل وتعتبر المركز الثانى للقضاء .

وأهم هذه القرى بعد الأملح : الحجف والجُرْثُمِيَّة ومقابل والضُرم وصرف وكويكد وملهى ، والحزم وهى قاعدة هذه المجموعة من القرى ، والدعيكة والروضة وهى السوق الأسبوعية والعمائر وهى آخر العمران في الوادى من جهة الشمال الشرقى .

يعتمد سكان القرى في وادى رنية على زراعة النخيل والحبوب بالدرجة الأولى . ويعتمدون أيضا على تربية الحيوانات . كانت حياتهم بسيطة وهادئة ، ويمارسون الزراعة بالطريقة التقليدية ذات المردود الضعيف ، ثم اخذوا يغيرون من أساليبهم الزراعية بإدخال

استعمال الآلات والأسمدة والضخ ، ويستفيدون من إرشاد ومساعدات الوحدة الزراعية . وكانت رنية تشتهر ببعض المهن اليدوية كنسيج الصوف الخاص بالآخريجة والمناثر والبيوت . وكان يتمثل فيها اقتصاد الاكتفاء الذاتي المغلق شأن بقية المناطق القليلة الموارد قبل أن تنفتح على مناطق المملكة الأخرى وقبل انتشار استعمال السيارات بكثافة وإنشاء الطرق وتطوير بعض مشاريع المياه لخدمة الزراعة أو الاستعمال المنزلى . فاخذ اقتصادها يتطور كجزء من تطور اقتصاد المملكة .

يعتبر حوض وادى رنية جزءا من ديرة قبائل سبيع التى تسكن بالإضافة الى حرة سبيع وادى الخرمة وعروق سبيع فى شمال شرق الحرة والوديان . ويشترك سبيع فى بعض هذه المناطق عدد من القبائل الأخرى كآل صامل من الأشراف فى وادى رنية على سبيل المثال . ويفصل ديرة سبيع عن بيشة أرض « الذهاب » الواقعة على بعد ٦٠ كم جنوب رنية وذلك فى جنوب شرق حرة البقوم .

٣ - حوض وادى تربة :

ويقع فى وسط هضبة المسكوبات البركانية ويضم معظم مساحتها ، أى حرة سبيع (البقوم ونواصيف) وحرة حضن . وتبدأ بلاد تربة من جهة الجنوب الغربى من شمال شرق قضاء العقيق ويده ويمتد مع اتجاه مجرى الوادى ، وتكملها فى نفس الاتجاه بلاد الخرمة حتى النهاية الشمالية الشرقية لاقليم جنوب غرب المملكة .

وأهم الملامح الجغرافية فى هذه المنطقة - بالإضافة الى انتشار المسكوبات البركانية المتكونة من البازلت (اى الحرات) على معظم سطحها - هو اختراق وادى تربة لها . ولكن يجب أن لا يغرب عن بالنا أن مجارى تربة العليا تأتى من جبال غامد وزهران وبنى مالك . ويواصل الوادى مجراه فى هذه المنطقة من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى فيخترق بلاد تربة وبلاد الخرمة فيتسمى الوادى فى كل منهما باسمهما فيطلق عليه فى القسم الأول : وادى تربة وفى القسم الآخر وادى الخرمة .

يهبط الوادى من مناطق الجبال العالية الى هضبة منخفضة ، ويبدو أنها كانت منخفضة أكثر من ذلك حينما داهمتها المسكوبات البركانية من الزمن الرابع فملأت الأماكن المنخفضة جدا ، ورفعت مستوى الأرض وسوته قبل أن تخضع لعوامل التعرية التالية . ويتراوح ارتفاع هذه المسكوبات فى الوقت الحاضر بين ١٢٠٠ ، ١١٠٠ م عن سطح البحر على امتداد عشرات الكيلومترات . غير أن وادى تربة الذى استأنف نشاطه

النحتى بعد عهد الاندفاعات البركانية وسار فيما بين مجموعتي الحرات ، فترك حرة البقوم وحره نواصيف عن يمينه وحره حضن عن يساره ، وفصل المجموعتين عن بعضهما ، وهبط دون مستواهما بما لا يتجاوز ٥٠ م . وتجاوزهما لينتهى عند طرف عروق سبيع الرملية وكثبانها .

وبالرغم من تكون الحوض الأوسط والأدنى لوادى تربة من صخور البازلت التى تتصف بأنها ضعيفة النفاذية وبطيئة التحلل بعوامل التعرية ، وصعوبة تحلل وتجمع تربة بسمك كاف ، ووقوعه فى منطقة صحراوية لهبوطه خلف مناطق الجبال ، وابتعاده عن التأثيرات البحرية المسببة للرطوبة ، فترتفع فيه معدلات درجات الحرارة صيفا الى درجة القسوة وتنخفض شتاء ، وتعرض لهبوب الرياح الجافة القارية فى معظم الفصول وتقل الأمطار ؛ فان وادى تربة الذى يستمد معظم مياهه وفيضاناته من مناطق السراة الأكثر مطرا ، استطاع أن يبنى فى هذا القطاع ، الذى قل فيه الميل وضعفت سرعة الجريان واتسع المجرى ، شيئا من المصاطب الرسوبية والسهول الطموية فى بعض جوانبه . شأنه فى ذلك شأن بقية وديان الهضبة الأخرى .

وقد عملت هذه المناطق على امتصاص قسم من مياه الفيضان واحتزنتها فى الرسوبيات الطموية وفى الطبقات الصخرية المحطمة الواقعة تحتها . فقامت عليها الواحات المليئة بأشجارالنخيل والحبوب شأن كل من رنية وبيشة . وقد استفادت بعض واحات تربة مثل تلك فى الوديان الأخرى من وقوعها على طرق القوافل المؤدية الى المناطق الجبلية وأهمها الطريق : الطائف - الخرما - تربة - بنى مالك والباحة ، أو الخرما - رنية - جبال الباحة .

تواجدت الأراضى الزراعية فى قطاعين من مجرى الوادى تعترض بينهما المسكوبات البركانية أي أن أحدهما يقع قبل المسكوبات والثانى بعدها . وقد أدت هذه الصعوبة الى انعزال المنطقتين عن بعضهما رغم قصر المسافة بينهما (٨٥ كم) .

لقد قدرت كمية الطمى فى القطاع الأول اى على امتداد ٣٢ كم قبل وبعد بلدة تربة ب ١١٠٠ مليون متر^٣ ، وقدرت كمية الطمى الحامل للمياه مع طبقة الصخور النارية المكسرة والواقعة تحتها ١٠٧٠ مليون متر^٣ فى حين قدرت كمية المياه المخزونة فيها ١٥٧ مليون م^٣ ومعدل الاستنزاف السنوى منها بلغ نحو ١٥ مليون م^٣ .

(1) Italconsult. Op. Cit. P. 166-167.

وقد ردت كميّة الطمي في القطاع الثاني أى في منطقة الخرمة والتي لا يتجاوز سمكها ٣٥ م ٧٦٠ مليون متر ٣ ، والطمي الحامل للمياه مع طبقة الصخرور النارية المكسورة ٤٦٠ مليون م ٣ وحجم الماء المخزون ٤٦ مليون متر ٣ ، ومعدل الاستنزاف السنوى ١٦ مليون م ٣ .

لا يتجاوز سمك الطمي في القطاع الأول ٣٠ م ، ويكون سطحه العلوى دقيق الحبيبات مثل الرمل الناعم والسلت ، ثم يتزايد حجم الحبيبات مع التعمق حتى تظهر صخور كبيرة . ويوجد الماء على عمق ٥ - ١٠ م من السطح ويصبح عند الخرمة من ١٠ - ١٥ م . ونوعية مياه تربة عذبة تحوى بين ٦٠٠ - ١٥٠٠ جزىء في المليون ، وتميل المياه الأكثر عذوبة أن تحوى نسبة أكبر من الصوديوم ونسبة اقل من الكالسيوم . لقد حفرت عدة آبار في عالية هذه المناطق الزراعية بالقرب من تقاطع الوادى مع خط الجنوب وسحبت مياهها بالانابيب الى مدينة الطائف .

ونظرا لانزال القطاعين بعضهما عن بعض رغم قصر المسافة بينهما ، فقد اختلف الاحتلال البشرى وتباين الانتاء القبائلى ، مما اقتضى تقسيمهما الى وحدتين إداريتين تتبعان إمارة مكة وهما :

أ - قضاء تربة : ويقع في القسم الجنوى الغربى من الحوض فيما بين المناطق الجبلية والمناطق البركانية الصخور ، ولو أن قسما من مساحته البالغة ٧٦٠٠ كم ٢ ، لاسيما القسم الشرقى والشمالى الشرقى تغطيه صخور البازلت . غير أن الجزء المعمور يقتصر على الشريط الأرضى المحيط بالمجرى والذى يقع فيما بين حرقى نواصيف وحضن ، وفي موضع يكون فيه وادى تربة قد استقبل جميع روافده الهامة .

لقد بلغ عدد قرى هذا القطاع ٢٩ قرية عاش فيها ٩٥٢٢ فرداً حسب ارقام تعداد السكان ، بما في ذلك سكان بلدة تربة البالغ عددهم ٢٥٥٥ فردا .

ومن المتوقع أن يكون قد زاد عدد أفراد القرى ، بسبب انتعاش الزراعة وقيام عدد من المشاريع الزراعية اعتمادا على حفر آبار جديدة ، ويدل على هذا الانتعاش ظهور عدد من الهجر الجديدة في مجرى الوادى في عالية القطاع المزروع ، مثل : هجرة العلبة الواقعة على بعد ٤٤ كم في جنوب غرب تربة ، والغرابة على بعد ٢٠ كم منها في نفس الاتجاه ، والحايرية على بعد ١٠ كم ، ثم العلاوة في جنوب تربة . ومن المواقع الهامة والقديمة في خارج ذلك القطاع الزراعى المذكور قرية الحشرج وكان فيها ٤٠٠ فرد . وتقع في

الجنوب الغربى من تربة أى بينها وبين العقيق ، وقرية شعار وتقع فى الشمال الشرقى اى فى سافلة الوادى بينها وبين الخرمة .

ومع ذلك فقد طرأ تغير أكبر وأوضح على بلدة تربة وعلى سكانها ، والتي قد احتفظت بأهميتها السابقة كواحة نخيل واسعة ، وكسوق لتبادل المنتوجات بين سكانها وسكان الريف التابع لها والبادية المحيطة بها ، وكمحطة من محطات طرق القوافل . وتقع تربة على المهماز الارضى الواقع بين وادى تربة وبين رافدة ريجان والذى يصب فيه من الجهة اليسرى .

زادت أهمية بلدة تربة فى عهد النهضة الاقتصادية الحديثة بسبب قيامها بدور القاعدة لوحدة إدارية فرعية ، فنشأت فيها مختلف الدوائر الحكومية المطلوبة فى المراكز الإدارية بالإضافة الى المدارس بأنواعها والمستوصفات ، استحدثت فيها بلدية قامت على تنظيم أحيائها وبناء الشوارع ذات الأرصفة والمشجرة ، وتمديد خطوط الخدمات . فاجتذبت أعدادا متزايدة من السكان من اقليمها أو من خارجه ، لتزايد فرص العمل فى المجالات الجديدة والخدمات أو الوظائف أو المهن اليدوية والتجارة والنقل . واخيرا تم ربطها بطريق معبدة توصلها بطريق الجنوب فسهل الاتصال بها وأبطل عزلتها . وتحولت الى مدينة صغيرة يقدر عدد سكانها الآن بأكثر من سبعة آلاف مواطن .

وفى خارج هذا القطاع الزراعى ، يبدو أن الأرض رغم ضعف مواردها وقلة صلاحيتها للزراعة كانت قادرة على إنبات أعشاب رعوية بسبب طبيعة صخور البازلت التى وإن كانت بطيئة التحلل فان التربة الناتجة عنها خصبة ، ويتصف البازلت بأنه يتشقق فيصبح منفذا للماء ولو ببطء إنما يكفى لإنبات الأعشاب ، وبسبب كثرة الوديان التى تنحدر من المناطق الجبلية الممطرة . ومما يدل على أهمية ثروة منطقة تربة العشبية تواجد أكثر من ٣٠٠٠٠ من البدو الذين ليس لهم من الموارد سوى استثمار تلك الأعشاب فى الرعاية ، ووجود ٣٩ منهل ماء فى ديرتهم ، مما رفع نسبة البدو فى هذا القضاء الى ٧٦٪ من مجموع السكان .

ينتمى سكان القسم الجنوى والجنوب الغربى من هذا القضاء الى قبيلة بلحارث التى تسكن المناطق الجبلية فى شمال بلاد بنى مالك ، وتمتد بلادها الى حوض وادى تربة الأوسط ؛ وتضم أرض الجبوب الواقعة فى جنوب شرق الطائف ، والبتي تكثر فيها أماكن تعدين أثرية ومهجورة مثل : حويل وتقع على ضفة وادى تربة اليسرى عند خط

عرض ٢١° ش ، ومعملة وتقع الى الغرب من الموضع السابق بمسافة ٢٠ كم وذلك على ضفة وادى حفير اليسرى . والجبوب هضبة واسعة (اوبراح) تحدها الروافد العديدة التى تنحدر اليها من المناطق الجبلية فى الغرب وتتجه إجمالاً نحو الشرق ، فينتهى بعضها الى تربة ، أو تتجه نحو الشمال الشرقى فتنتهى الى جنوب سهل الجرد الحصوى . ومعظم سكان الجبوب على حالة البداوة ، ولا يوجد فيها سوى مساحات محدودة جداً من الأراضى الزراعية . وتتصل الجبوب شرقاً بأرض الحميطة .

والى الشمال الشرقى من بلاد بلحارث فى وادى تربة تقطن قبائل البقوم وتمتلك الوادى حتى قرية الغريف الواقعة فى وسط المسافة بين تربة والخزمة ، على بعد ٥٠ كم فى شمال شرق الأولى . وتسكن هذه القبائل - بالإضافة الى حوض وادى تربة الأوسط - حرة حضن وتوابعها ، وتمتد شمالاً حتى مفيض وادى قطان عند حافة سهل ركبة حيث تجاور هناك ديرة قبائل عتيبة . وتمتد بلاد البقوم باتجاه الشرق من الوادى فتضم معظم حرة البقوم حيث تجاور ديرة قبائل سبيع فى هذا الاتجاه .

« ينتسب البقوم ، حاضرتهم وباديتهم وجبلهم المنيع حضن الى الأزدي ، وأهم مركز لهم بلدة « تربة » والقرى التابعة لها على الوادى وتنقسم القبيلة الى ٥ بدائد . ومنهم من هاجر وسكن نجد ، ولكن ليس لهم إمارة قائمة بذاتها مثل سبيع » (١) .

ب - قضاء الخزمة : ويحتل القسم الشمالى الشرقى من حوض تربة وكذلك الشمالى الشرقى من اقليم هضاب جنوب غرب المملكة ، وذلك الى الشمال من قضاء رنية وتربة ، فيجاور من الجهة الشرقية عالية نجد التابعة لإمارة الرياض . وتغطى مساحة واسعة تتجاوز الحدود التى اتخذناها فى دراستنا لجنوب غرب المملكة ، سيما وان الجزء المقتطع منها والذي يليها شرقاً وشمالاً هو - جغرافياً - جزء من عالية نجد ذى الظروف الصحراوية جداً .

يشغل الجزء من قضاء الخزمة - والذي أدخلناه فى حدود الاقليم - الحوض الأدنى لوادى تربة ، والذي يدعى فى هذا القطاع وادى الخزمة ، وكان يدعى فى الماضى وادى سبيع . ويضم هذا الحوض بالإضافة الى مجرى الوادى المتسع جزءاً كبيراً من حرة نواصيف فى يمين الوادى ، كما يضم أطراف حرة حضن فى يسار الوادى . ويمتد شمالاً

(١) فؤاد حمزة - المصدر السابق ، ص ٢٦ .

بشرق حتى عزوق سبع الرملية ، والتي رأينا جعلها خارج حدود جنوب غرب المملكة ، وهي ذات موارد ضعيفة خالية من السكان المستقرين .

ينحدر سطح منطقة الخرمة من ارتفاع ١١٠٠م تقريبا عن سطح البحر الى ٩٠٠م ، وقد تنخفض الى ٨٠٠م في سافلة الوادى . وتبعد المنطقة عن جبال منطقة الطائف بين ١٥٠ - ٢٠٠ كم باتجاه الشرق ، ويتصف طقسها بالصحراوية وهي فقيرة التربة نادرة المياه والنبات .

والاستثناء الوحيد في ذلك هو تدفق فيضانات وادى الخرمة أحيانا ، والتي قلبت الموازين وهيأت ظروف تواجد الواحات قبيل نهاية الوادى بنحو ٣٠ كم . وأهم هذه الواحات واحة الخرمة الواقعة الى الشرق من خط طول ٤٢° ش وعند تقاطعه مع خط عرض ٢١° ٥٠ ش . واحة الغريف الواقعة على الوادى في الطرف الجنوبي الغربى لهذا القضاء وعلى بعد ٣٥ كم عن الخرمة باتجاه عالية الوادى .

توحدت الأراضى الزراعية في واحة الخرمة بامتداد ١٥ كم في بطن الوادى ، وتواجدت في واحة الغريف بامتداد ٦ كم تقريبا . ويمكن اعتبار امكانيات التنمية الزراعية في هاتين المنطقتين محدودة لاسيما في الثانية بسبب ضآلة أهمية الرسوبيات وقلة مخزونها من الماء .

وقد بلغ عدد قراها ١٧ قرية من أهمها في الواحة الأولى غير البلدة : قصر خالد والسوق والسليمية والدبيلة وأبو حميدة والدغيمة . وأهم قرى واحة الغريف فيما عدا البلدة : القرين .

ولإذا رجعنا الى تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ تبين لنا أن مجموع سكان القضاء بلغ ٢٢٧٦٠ فردا بما في ذلك سكان المناطق الصحراوية الواقعة في شرقه وشماله والمستثناة من المنطقة وهم قلائل . وإذا علمنا أنه لا يوجد فيه ولا مدينة سوى بلدة الخرمة ، يمكننا أن نوزع السكان حسب الأنماط الاجتماعية طبقا للنسب التالية : ٢٤٪ في المدينة ، ٣١٪ في القرى ، ٤٥٪ في البادية .

ويتضح من هذا أن نسبة البدو تقل عن مثيلاتها في جميع مقاطعات الهضاب الشرقية لجنوب غرب المملكة رغم اتساع مساحة البادية . إن دل هذا على شيء فإنه يدل على شدة الجفاف وندرة المواد العشبية بالقياس الى تلك المقاطعات . وقد توفر هذا العدد من

البدو (٩٠٠٠) بفضل وجود نحو ٥٠ منهل ماء تختلف في أهميتها ومقادير صبيبها ، وتدل هذه الأرقام كذلك على ارتفاع نسبة وأهمية السكان المدنيين رغم وجود بلدة واحدة .

تقع بلدة الخرمة في طرف السهل الذى يلي الحرات البركانية والمرتفعات أو البروزات الجبلية وذلك قرب نهاية الوادى . فاتخذت مركزا هاما على طرق القوافل الداخلية منذ زمن بعيد ، لاسيما الطريق من الحجاز (من الطائف) الى المناطق الجبلية في الجنوب ؛ سواء بنى مالك أم الباحة أم عسير ، تلك الطريق التى تتجنب وعورة المرتفعات فتتجه أولا الى الشرق حتى الخرمة ومنها يبدأ التفرع .

وقد ضاعف من أهميتها القديمة أيضا أنها قاعدة لواحات زراعية غنية في وسط صحراوى قاحل ، لدرجة صار لثورها شهرة خاصة مثل تربة ورنية .

وحيث أنها اعتبرت في التنظيم الادارى قاعدة للإمارة الفرعية وتتبع إمارة مكة المكرمة باسم « إمارة الخرمة » ، فقد أنشئت فيها جميع الدوائر الحكومية اللازمة في مثل هذه المراكز ، واستحدثت فيها بلدية لتشرف على تطورها العمرانى وتنحكم به ، فأنشأت الشوارع الحديثة والأحياء المخططة وعملت على اىصال الخدمات المدنية ، فاجتذبت مزيدا من السكان المهاجرين اليها والذين جاءوا من باديتها أو ريفها أو الخارج ، ليقوموا بالاعمال التى استحدثت لاسيما التجارة والخدمات والنقل وأعمال الانشاء والوظائف . واخيرا تم اىصال الخرمة بطريق معبد يوصل بالطريق العام بين الطائف والرياض ، سهل على سكانها الاتصال بالعاصمة من جهة أو بمدن الحجاز من جهة أخرى . وكان من جراء هذه التطورات زيادة عدد سكانها واتساع مساحتها . وبعد أن كانت الخرمة واحة صغيرة منعزلة في وسط الصحراء ، نمت وتنظمت وتحولت الى مدينة صغيرة ، بلغ عدد ساكنيها في وقت تعداد السكان اكثر من ٥٠٠٠ نسمة ، أى أنها تفوقت في ذلك الوقت على جميع مدن هضبة الحرات (تربة ورنية والعقيق) ، وبالتأكيد يتجاوز عدد سكانها الآن عشرة آلاف نسمة بسبب استمرار عوامل نموها بعد ذلك التاريخ .

يقطن وادى الخرمة قبائل سبيع ، ومن ذلك سمي الوادى باسم « وادى سبيع » . وتمتد ديرة سبيع - بالإضافة الى هذا القطاع من الوادى - الى الأراضي التابعة إداريا لهذا القضاء التى استثنيتها من اقليم جنوب غرب المملكة ، أو التى تتبع بعض الإمارات الفرعية الاخرى مثل رنية أو تربة . فهى تشمل حرة نواصيف وعروق سبيع وتجاور من

الجنوب الشرق ديرة قبائل الدواسر وقحطان ، وذلك عند ماء الأسري الواقع بقرب خشم عرق سبيع . وتمتد باتجاه الشمال ابتداء من حوض الوادى وبحاذاة حرة حضن حتى تجاور ديرة عتيبة عند الحنقرية قرب مفيض وادى قحطان وشعيب خنشل ، وتجاور من الغرب والجنوب الغربى قبائل البقوم^(١) . وتمتد ديرتهم فى الجنوب الى حوض وادى رنية فتجاور قبائل بيشة وغامد .

وقبائل سبيع فى الأصل من القبائل البدوية تحضر بعض بدائدها وسكنوا الواحات ، وقد هاجر قسم منهم الى العارض فسكنوا قرى نجد ، وبقي معظمهم حتى الآن على حالة البداوة . وقد تعرضنا للفريق الذى يسكن الحوض الأدنى لوادى رنية فى صفحات سابقة . وتعتبر الخرمة مركز الفريق الذى يقطن وادى سبيع .

٤ — بادية قيا وأبو راکة :

وتشغل الزاوية الشمالية الغربية من منطقة المضاب ، وتقع فى جنوب شرق الطائف وتتبع الطائف إداريا . وتمتد من قاعدة جبال الطائف (بنى سعد وبالحرث) غربا حتى حرة حضن شرقا ، ومن شمال بيده وغرب تربة جنوبا حتى سهل الجرد شمالا .

سطح هذه المنطقة هضابى الشكل يميل بشكل عام ابتداء من نهاية المنطقة الجبلية وذلك بالقرب من طريق الجنوب (طريق الطائف - أبها) من ارتفاع يقرب من ١٤٠٠ ويهبط باتجاه سهل الجرد فى الشمال الشرقى تقريبا الى ارتفاع ١٢٠٠ م .

ولما كانت معدلات الأمطار فى جبال بلحارث وبنى سعد تقل عما هى فى باقى السروات المناظرة لها ؛ لم تنعم الوديان المنحدرة منها بحمل كميات كبيرة من المياه ، بحيث يجف معظمها ، قبل أن تصل غايتها وقبل أن يتصل بعضها ببعض ، فتغور فى رسوبيات سهل الجرد الرملى . فتحوّلت شبكة التصريف المائى فيها الى شبكة حائرة ، تتكون من مجموعة من الوديان الصغيرة والضعيفة وغير المتصلة فلا يرفد بعضها البعض الآخر . وقد ساعد على ذلك ظروف الجفاف الحلى وقلة أو ندرة الأمطار بحيث لاتساهم بإضافة كميات تذكر من المياه الى الوديان .

وقد نتج عن ذلك أن صارت من أكثر مناطق هضبة الحجاز جفافا وقحولة زيادة على أنها لاتحوى وديانا تكون أساسا لظهور مواقع استقرار بشرى ، وكانت المنطقة بدون

(١) فؤاد حمزة - المصدر السابق ، ص ٢٨ .

استثناء جزءا من البادية التى تعتبر مرتعا لتحركات البدو بحيواناتهم التى يعتمدون على تربيتها فى معيشتهم .

ويتمثل الاستثناء الوحيد فى الاستقرار الحديث فى مجيء بعض أفراد البدو إلى بعض مواقع فى جانب الطريق « المزفلتة » ، والتى تمر من طرف هذه المنطقة لأنها تتجنب المعابر الجبلية ، ومحاولتهم بناء بعض أكواخ حقيرة من الطوب أو الصفيح كمظهر من مظاهر السعى الى تملك مساحات من الأراضى بجوار الطريق ، بعد طفرة ارتفاع أسعار الأراضى التى حدثت فى المملكة . وقد قام بعض هؤلاء بتقديم الخدمات للسيارات العابرة .

وتقسم هذه البادية الى قضائيين إداريين يتبعان أمانة الطائف وخاصان بالبدو وهما :

أ — أبو راقة : وتقع ديرتهم فى جنوب هذا القسم أى الى الشمال من مقاطعة بيده والى الشرق من بلاد بلحارث فى المنطقة الجبلية . وتضم الأخيرة قسما من البادية بالإضافة الى ميسان الجبلية . فتشغل بادية أبو راقة بذلك معظم أرض الجبوب التى ضم قضاء تربة جزءا آخر منها . وهى هضبة واسعة منخفضة بالنسبة للأراضى التى تحيط بها من الجهات الثلاث ، ولكنها تنحدر من الجهة الشمالية الشرقية نحو سهل الجرد .

تضم بادية أبو راقة بعض المجارى العليا للوديان التى تنتهى الى ضراء والحفير وريحان وهى من روافد تربة الغربية ، كما تضم أحواض بعض الوديان الصغيرة التى تهبط من المناطق الجبلية فى شمال بالحرث وتنتهى فى جنوب سهل الجرد المتصل بهضبة الجبوب الى الشمال الشرقى من الموقع السابق ، وذلك فى منطقة حصوية رملية قاحلة ، لا تحوى من المواد سوى بعض الأعشاب الهزيلة فى مجارى الوديان .

تخلو هذه المنطقة إذن من الأراضى الزراعية ، كما أنها لا تملك إمكانيات التنمية الزراعية ، لقلة المياه أو ملوحتها وانعدام التربة أو ضعف خصوبتها . وهذا يفسر كون جميع سكانها من البدو . واعتبرت إمارة فرعية خاصة بالبدو الرحل . ولو أن لهم مواقع شبه ثابتة تتمثل فى ١٦ موردا من موارد المياه يلجأون إليها فى مواسم الجفاف .

بلغ مجموع ساكنى أبو راقة فى وقت تعداد السكان ١٣١٤٧ نسمة ، ولم يسجل التعداد من فئة المستقرين سوى ١٢١ فردا موزعين على ستة مواقع ، يبدو أنها مجموعات صغيرة من الأعشاش أو الأكواخ التى أنشئت على جانب طريق الجنوب . ومن المتوقع

أن يكون قد ارتفع عدد هؤلاء المستقرين في الفترة التالية للتعداد بسبب استمرار هذه الظاهرة ، وبدافع تأمين الخدمات للمسافرين على الطريق .

ولكن من المتوقع كذلك أن يكون قد نقص عدد بدو هذه المنطقة بسبب اتجاه الأفراد الى هروبهم من حياتهم القاسية والاستقرار في أماكن أخرى للتنفيس عن أعمال أخرى غير الرعاية . وهذا يعنى أن الاستقرار مازال صفة طارئة بالنسبة لسكان هذه البادية .

ينتمى بدو أبو راحة الى قبائل بالحارث التي تبدأ ديرتها من شمال تقاطع وادي تربة مع طريق الجنوب المعبدة ، وتضم الحُمَيْطَة والجبوب ، وتمتد شمالا حتى ريع النجد ، وهو كتلة جبلية صغيرة تعتبر الحد الفاصل بين بلاد بالحارث وبلاد عتيبة ، كما تمتد غربا فتضم المنطقة الجبلية حتى خط الشعاف والتي تتخذ ميسان قاعدة لها .

ب — قيا : وتعتبر امتدادا لبادية أبو راحة باتجاه الشمال ، فتتحصن بين جبال بنى سعد من الغرب وحرّة حضن من الشرق والشمال الشرقى . ويحدها من الجهة الأولى تقرّيا طريقا الجنوب الحديث (طريق الطائف — أبها) وتشمل ديرة قيا الأحواض الدنيا لمجموعة الوديان الصغيرة المنحدرة من منطقة الجبال المذكورة وتنتج إجمالا نحو الشمال الشرقى ، وأهمها وادي بقران أو بشيان ودوقية ، كما تشمل أرض الجُديرة التي تمتد من جوار قرية أم الحمص الى الربوة ، والتي يتوسطها وادي شيرب ، وتشمل كذلك معظم سهل الجرد الرملى الذى يمتد شرقا حتى حرّة حضن .

يتضح من موقع هذا القضاء أنه يشترك مع بادية أبو راحة في صفات الجفاف والقحولة ، وبالتالي فقر الموارد وامكانيات التنمية . وان الاستثمار الإقتصادى الوحيد هو رعى الحيوانات اعتمادا على الأعشاب التي يمكن ان تتواجد في بعض الأماكن كالوديان . وهذا يفسر انعدام الحياة المستقرة . ولو أن تعداد السكان لسنة ١٣٩٤ هـ أوضح وجود ست قرى أو مواقع بلغ مجموع ساكنيها ٥١٦ فردا ، اى أربعة امثال عددهم في أبو راحة . وقد يعود السبب في ذلك الى أهمية وادي بقران (وادي بسل) الذى تقع عليه واحتا بسل وكلاخ ، والى قربه من مدينة الطائف مما أدى الى ظهور ونمو الأكواخ على جانب الطريق ، سواء لغاية التملك أو لتقديم الخدمات لمسافري السيارات مثل أم ثلويوة .

وفي حين تنعدم موارد المياه تماما في سهل الجرد ، فتتعدّم فيه حياة الاستقرار حتى المؤقّتة ؛ فانه يوجد ثمانية مناهل موزعة في أحواض الوديان في الجهة الغربية من المنطقة

والبعض منها فى طرف حرة حضن ، مما أتاح المجال لازدهار حياة البداوة والتى لابد لوجودها من الاعتماد على موارد ثابتة للماء يلجأ البدو إليها فى مواسم الجفاف . فتسببت فى وجود نحو ١٠٠٠٠ بدوى . وكان عدد أفراد القبائل البدوية كافيا لايجاد وتخصيص إمارة فرعية جل مواطنيها (٩٥ ٪ منهم) من البدو .

واذا حاولنا أن نضم أعداد البدو الذين سكنوا - طبقا لأرقام أعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ - المناطق المتجاورة : قيا وأبو راقة وبلحارث وبنى سعد وهى بادية واحدة متصلة تقع بين جبال بلحارث وبنى سعد وبين حرة حضن ؛ سيصل الرقم الى ٢٦١٣٦ فردا ، وهذا يعادل ٣٨ ٪ من مجموع بدو إمارة الطائف على اتساعها . وهو يعادل من ناحية أخرى ١٧ ٪ من بدو اقليم جنوب غرب المملكة البالغ نحو ١٤٤٠٠٠ بدوى . الأمر الذى يوحى بعظم المسؤولية التى تجابه تنمية هذا الإقليم .

مصادر الكتاب

(أ) مصادر باللغة العربية :

- (١) ابن خرداذبة ؛ المسالك والممالك ، لندن ، مطبعة بريل ١٨٨٩ م .
- (٢) اولرد ، ب و . ؛ المراعى وإدارتها . ترجمة حسن حمزة حجرة وهاشم عبد المطلب مختار (١٩٦٩ م) .
- (٣) توتشل ، س . المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية . ترجمة شكيب الأموى . القاهرة (١٩٥٢ م)
- (٤) جمال الدين الديناصورى ، دولت صادق ، محمد السيد غلاب ؛ جغرافية العالم . الجزء الأول ، مكتبة الانجلو المصرية (١٩٦٧ م)
- (٥) حسن حمزة حجرة ؛ امكانية التنمية الزراعية فى المملكة العربية السعودية . مطابع المطوع بالدمام .
- (٦) حمد الجاسر ؛ فى سراة غامد وزهران . منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م .
- (٧) سعد بن عياش ؛ مدينة جُرش الأثرية . مجلة العرب . ج ٤ . السنة ٦ ص ٢٤١ .
- (٨) شفيق كمالى ؛ بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمالى . مجلة العرب . ج ٩ . السنة ٦ فى ١٩٧٢ م .
- (٩) عاتق البلادى ؛ أودية مكة - فى مجلة العرب ، ج ٩ ، ١٠ السنة ٩ . ص ٦٤٥ .
- (١٠) عبد الباسط الخطيب ؛ سبع سنابل خضر (١٩٦٥ - ١٩٧٢ م) . وزارة الزراعة والمياه ، الرياض ١٩٨٠ م .
- (١١) عبد الرحمن الشريف ؛ مناخ جنوب غرب المملكة العربية السعودية . مجلة الدارة . العدد ١ . السنة ٢ . ربيع الأول ١٣٩٦ هـ ، مارس ١٩٧٦ م .

- (١٢) على صالح السلوك الزهراني ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، ج ٢ ، بلاد غامد وزهران . منشورات دار اليمامة ١٩٧١ م .
- (١٣) عمر رضا كحالة ؛ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة .
- (١٤) عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، راجعه احمد على (١٩٦٤ م) الطبعة ٢ . مكتبة النهضة الحديثة ، مكة .
- (١٥) عمر عبد المجيد دراز ؛ التنمية الزراعية بالمملكة ، وزارة الزراعة . الرياض (١٩٦٥ م)
- (١٦) عمر عبد المجيد دراز ؛ المراعى ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية . مطابع الرياض ١٩٦٥ م .
- (١٧) عمر غرامة العمروى ؛ في بلاد بنى عمرو وما يجاورها . مجلة العرب . ج ٧ ، ٨ السنة ٨ . ص ٦٢٩ - ٦٣٥ .
- (١٨) عمر غرامة العمروى ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية . بلاد بارق ، ١٣٩٨ / ١٣٩٩ هـ .
- (١٩) عمر الفاروق السيد رجب ؛ دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، دار الشروق جلد ١ ، ١٩٧٨ م .
- (٢٠) فؤاد حمزة ؛ في بلاد عسير . الطبعة الثانية ، مكتبة النصر الحديثة . الرياض ، ١٩٦٨ م .
- (٢١) كنزو تنج واورتك ؛ مشروع دراسة تخطيط المنطقة الجنوبية . تقرير المخطط الرئيسى ، جيزان ، مقدم لوكالة الوزارة لشئون تخطيط المدن ، وزارة الشؤون البلدية والقروية ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .
- (٢٢) محمد احمد العقيلي ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، ج ١ منشورات دار اليمامة .
- (٢٣) محمد عبد المنعم الشرفاوى ، محمد محمود الصياد ، هذا العالم . دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- (٢٤) محمد عمر رفيع ؛ في ربوع عسير . القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- (٢٥) محمد محمد سطيحة ، جغرافية العالم . مكتبة الانجلو المصرية .
- (٢٦) محمد سفر حسين الزهراني ؛ بلاد زهران بين حاضرها وماضيها ، ١٣٩٠ هـ .

- (٢٧) محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب . ج ٢ ، جغرافية المملكة العربية السعودية . مؤسسة سجل العرب ١٩٧٢م ، القاهرة .
- (٢٨) مصطفى الدباغ ، جغرافية شبه جزيرة العرب . بيروت .
- (٢٩) مصلحة الإحصاءات العامة ؛ الكتب الإحصائية السنوية . وقد صدر منها ١٨ عددا حتى سنة ١٩٨٣م .
- (٣٠) مصلحة الإحصاءات العامة ؛ حصر السكان والمؤسسات ، ١٩٦٢م .
- (٣١) مصلحة الإحصاءات العامة ، التعداد العام للسكان ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م الرياض ١٩٧٦ . البيانات الأولية على مستوى المناطق الادارية . الرياض ١٩٧٦م .
- (٣٢) مصلحة الإحصاءات العامة ، التعداد العام للسكان ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م . البيانات التفصيلية الرياض ١٩٧٣ .
- (٣٣) وزارة التخطيط : خطط التنمية : الأولى والثانية والثالثة . الرياض .
- (٣٤) مكى عزيز ، الأمطار فى المملكة العربية السعودية . مجلة كلية الآداب ، العدد ٢ ، ص ٢٣٩ - ٢٨٨ .
- (٣٥) الهمداني ؛ صفة جزيرة العرب ، نشر وتصحيح ابن بليهد . القاهرة ، ١٩٥٣م .
- (٣٦) وزارة الزراعة والمياه . إدارة الابحاث والتنمية الزراعية . ملخص نتائج بحث الزراعة والإنتاج للعام الزراعى ٧٠ / ٧١ . (٢٠ / ٢ / ١٩٧٤م) .
- (٣٧) وزارة الزراعة والمياه ، شعبة الإحصاء الزراعى ؛ نتائج التعداد الزراعى الشامل ٧٣ / ١٩٧٤م ، الاجزاء ، من الأول حتى الخامس . الرياض (١٩٧٧م) .
- (٣٨) ياقوت الحموى - معجم البلدان ، المجلد ٩ .

(ب) التقارير :

- (١) سعيد أحمد سويد الغامدى ؛ تقرير عن الغابات بمنطقة جيزان واحتياجات تطورها . وزارة الزراعة والمياه ، قسم الغابات ، ١٩٧٢م (١٢ / ٦ / ١٩٧٣) .
- (٢) على الراشد ؛ مشكلة البدو والاستقرار . نموذج من السعودية .
- (٣) محمد عبد العزيز الفايز ؛ استعراض الوضع السكانى فى المملكة العربية السعودية .
- (٤) محمود حسين سالم ؛ تقرير عن غابات المملكة العربية السعودية ، نشرة وزارة الزراعة والمياه . إدارة استثمار الأراضي . قسم الغابات .
- (٥) وزارة الزراعة والمياه ؛ مشروع التنمية الزراعية برادي جيزان . محطة حاكمة للبحوث الزراعية . برنامج العمل السنوى ١٣٩٥ / ١٣٩٦ هـ .

(ج) خرائط المملكة :

- (١) جزيرة العرب مقياس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠
إعداد مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية وشركة أرامكو
(١٩٥٧ م) .
- (٢) الخريطة الجيولوجية لشبه الجزيرة العربية مقياس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠ .
إعداد مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية وشركة أرامكو (١٩٦٣ م) .
- (٣) مجموعة الخرائط الجغرافية خاصة : لوحة عسير 217B ، ولوحة تهامة الشام 216B ، ولوحة الحجاز الجنوبي 210B ، ولوحة نجد الجنوبي 211B مقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠ . وضع جلين براون وروى أو جاكسون .
- (٤) مجموعة خرائط منطقة جيزان ومنطقة الباحة ومنطقة تثليث .
عمل شركة آسيا ايروسيرفي - سيول كوريا (١٩٧٨ م) مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ .

(د) مصادر باللغة الانجليزية :

- (1) Allred, B.W., Sowyd, S., Borno, K.S.; Woodlands in Saudi Arabia. International Forestry. (Madrid, Spain. June 1966).
- (2) Arabian American Oil Company; Aramco Handbook 1961.
- (3) Brice, William C.; Southwest Asia. (University of London press LTD, 1966).
- (4) British Admiralty and War Office; A Handbook of Arabia. Vols. 1,2. London (1916). Compiled by the Geographical Section of the Naval Staff, (1920).
- (5) Crane, Robert D.; Planning the Future of Saudi Arabia. A Model for Achieving National Priorities. (Praeger Publishers, 1978).
- (6) Cressey, Geogre E.; Crosslands, Lands and life in Southwest Asia. The Lippincott Geography series, U.S.A. (1980).
- (7) Draz, Omer; The Ancient Hema System of Range Reserves in the Arabian Peninsula (Mimeo).
- (8) The Europa Yearbook (1980); Middle East and North Africa, Vol. 2. Saudi Arabia, P. 1281-1296.
- (9) Fisher, W.B.; The Middle East, 5th ed, (London Methuen, 1963).
- (10) Forster, Charles; Historical Geography at Arabia Vol.1. London, 1844.

- (11) De Gaury, Gerald; Arabian Phoenix, (George G. Harrap & Com. LTD. London, 1946).
- (12) Geiger, R.; The Climate Near the Ground. (Harvard University press, 1965).
- (13) Italconsult; Water and Agricultural Development, Survey for Area II, III, Final Reports, land Inventory (1969).
- (14) Italconsult; Water and Agricultural Development, Survey for Area II, III,. Climate and Surface Hydrology (1969).
- (15) Italconsult; Water and Agricultural Development, Survey for Area II, III, Final Report. Water Development Survey (1969).
- (16) Kenzo Tange & Urtec (1978); Southern Region Project Study,. Master plan Report, Khamis Mushayt.
- (17) Langdon, W.C., Foscoe, E.J., Mcknight, T.L., Regional Geography of Anglo-America. Fifth ed. Prentice Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey (1979).
- (18) Lipsky, G.D.; Saudi Arabia, Its people, its Society, its culture. (New Haven. 1959).
- (19) McDonald, James; A Geography of Regions. W. M.C. (Brown Company Publisher, Dubugue. Iowa, 1972).
- (20) Ministry of Agriculture and Water, (S.A); Bulletin of Agricultural current, Survey from 1972-1975.
- (21) Ministy of Agriculture and Water, (S.A); Hydrology Division, Hydrological Information, 92 Issues.
- (22) Ministry of Petroleum and Mineral Resources, (S.A); Mineral Resources of Saudi Arabia, Bulletins I,II,III.

- (23) Minshul, R., Regional Geogrohy, theory adnd Practice
(Hutchinson university library, london 1967) .
- (24) Monkhouse, F.J. & Wilkinson, H.A.; Maps and Diagrams.
Strand.
- (25) Philby, St. J.; Saudi Arabia Highlands, Cornell University
Press, Ithaca, New York, U.S.A. (1952).
- (26) Philby, St.J.; Saudi Arabia, (London 1922).
- (27) Rihany, Ameen; Around the Coasts of Arabia. Boston, New
York, Houghton Mifflin Company (1930).
- (28) Sogreah, Water and Agricultural Development Studies, Area VI.
Final Report, Part 2, Water Resources (1969).
(Methuen & Cor LTD. London 3rd ed. U.S.A. 1971).

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب :

منذ أكثر من عشرين عاماً وهاجس العالم الجغرافي يورق مؤلف هذا الكتاب ، وقد أثمر ذلك ؛ عن عدة مؤلفات مميزة ؛ لاتزال مصدراً علمياً في الدراسات الأكاديمية .. فمنذ سبعة أعوام صدر الجزء الأول من « جغرافية المملكة العربية السعودية » وبالرغم من وجود عدة مؤلفات في هذا المجال في المكتبة العربية ؛ إلا أن هذا الكتاب أصبح رئيسياً في موضوعه وظل يطبع عدة سنوات في طبعات متتالية .

وإذ يفخر الناشر حينما قدم الجزء الأول ، فإنه يواكب طموح المؤلف في إصدار الموسوعة العلمية الجغرافية للمملكة العربية السعودية ..

وهذا الجزء يغطي أكبر أقاليم بلادنا ، دراسة تحليلية شاملة .. ويتناول أهم العوامل التي يتميز بها هذا الأقليم ، ويفرد المؤلف لكل أقليم داخل الأقليم الرئيسي دراسة شاملة معززة بالخرائط التي بلغ عددها خمسة وأربعين شكلاً ، ثم أحد عشر جدولاً توضيحياً ، مكتملاً ذلك بالصور الفوتغرافية لمظاهر الحياة في أقاليم جنوب غرب المملكة ..

نقدم الجزء الثاني من جغرافية المملكة العربية السعودية ، ولايزال هناك وعداً مع المؤلف بالاستمرار في إصدار الأجزاء الباقية حتى تكتمل الموسوعة العلمية الجغرافية لبلادنا ..